T. C.
MİLLÎ EĞİTİM ...
RAGIP PAŞA KİTAPLIĞI
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 241

من الكتب التي وقفها الفقير
الى ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور براغب
عفي عنه ١١٧٥

٤٤٠

RAĞIP P.
Ka. N.
326

330

بسم الله الرحمن الرحيم وبه الإعانة
الحمد لله المنفرد باسمه الأسمى المختص بالملك الأعز الأحمى الذي
ليس دونه منتهى ولا وراءه مرمى الظاهر لا تخيلا ووهما
الباطن تقدسا لا عدما وسع كل شيء رحمة وعلما وأسبغ
على أوليائه نعما عما وبعث فيهم رسولا من أنفسهم أنفسهم عربا
وعجما وأزكاهم محتدا ومنمى وأرجحهم عقلا وحلما وأوفرهم
علما وفهما وأقواهم يقينا وعزما وأشدهم بهم رأفة ورحما
زكاه روحا وجسما وحاشاه عيبا ووصما وآتاه حكمة وحكما
وفتح به أعينا عميا وقلوبا غلفا وآذانا صما فآمن به وعزره
ونصره من جعل الله له في مغنم السعادة قسما وكذب به
وصدف عن آياته من كتب الله عليه الشقاء حتما ومن كان في
هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى صلى الله عليه صلاة تنمو وتنمى
وعلى آله وصحبه وسلم تسليما أما بعد أشرق الله قلبي وقلبك
بأنوار اليقين ولطف لي ولك بما لطف به لأوليائه المتقين
الذين شرفهم بنزل قدسه وأوحشهم من الخليقة بأنسه
وخصهم من معرفته ومشاهدة عجائب ملكوته وآثار قدرته بما ملأ
قلوبهم حبرة وولّه عقولهم في عظمته حيرة فجعلوا همهم به
واحدا ولم يروا في الدارين غيره مشاهدا فهم بمشاهدة جماله
وجلاله يتنعمون وبين آثار قدرته وعجائب عظمته يترددون
وبالانقطاع إليه والتوكل عليه يتعززون لهجين بصادق قوله

قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون فإنك كررت علي السؤال في مجموع
يتضمن التعريف بقدر المصطفى صلوات الله عليه وما يجب له من توقير
وإكرام وما حكم من لم يوف واجب عظيم ذلك القدر أو قصر في
حق منصبه الجليل قلامة ظفر وأن أجمع لك ما لأسلافنا وأئمتنا
في ذلك من مقال وأبينه بتنزيل صور وأمثال فاعلم أكرمك الله
أنك حملتني من ذلك أمرا إمرا وأرهقتني فيما ندبتني إليه عسرا و
أرقيتني بما كلفتني مرتقى صعبا ملأ قلبي رعبا فإن الكلام في
ذلك يستدعي تقرير أصول وتحرير فصول والكشف عن غوامض
ودقائق من علم الحقائق مما يجب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ويضاف إليه أو يمتنع أو يجوز عليه ومعرفة النبي والرسول والرسالة و
النبوة والمحبة والخلة وخصائص هذه الدرجات العلية وهاهنا
مهامه فيح تحار فيها القطا وتقصر بها الخطا ومجاهل تضل فيها
الأحلام إن لم تهتد بعلم علم ونظر سديد ومداحض تزل بها
الأقدام إن لم تعتمد على توفيق من الله وتسديد لكني لما رجوته
لي ولك في هذا السؤال والجواب من نوال وثواب بتعريف قدره
الجسيم وخلقه العظيم وبيان خصائصه التي لم تجتمع قبل في مخلوق
وما يدان الله تعالى به من حقه الذي هو أرفع الحقوق ليستيقن
الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ولما حدثنا
به أبو الوليد هشام بن أحمد الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه قال
حدثنا الحسين بن محمد ثنا أبو عمر النمري ثنا أبو محمد بن عبد المؤمن
ثنا أبو بكر محمد بن بكر ثنا سليمان بن الأشعث ثنا موسى بن
إسمعيل ثنا حماد أنا علي بن الحكم عن عطاء عن أبي هريرة رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه
ألجمه الله تعالى بلجام من نار يوم القيمة فبادرت إلى نكت مسفرة عن
وجه الغرض مؤديا من ذلك الحق المفترض اختلستها على استعجال المرء

بصدده من شغل البدن والبال بما طوقه من مقاليد المحنة التي ابتلي
بها فكادت تشغل عن كل فرض ونفل وترد بعد حسن التقويم
الى اسفل سفل ولو اراد الله بالانسان خيرا لجعل شغله وهمه
كله فيما يحمد غدا او لا يذم محله فليس ثم سوى حضرة النعيم
او عذاب الجحيم ولكان عليه بخويصته واستنقاذ مهجته وعمل
صالح يستزيده وعلم نافع يفيده او يستفيده جبر الله تعالى
صدع قلوبنا وغفر عظيم ذنوبنا وجعل جميع استعدادنا لمعادنا
وتوفر دواعينا فيما ينجينا ويقربنا اليه تعالى زلفى ويحظينا بمنه
ورحمته ولما نويت تقريبه ودرجت تبويبه ومهدت تأصيله
وخلصت تفصيله وانتحيت حصره وتحصيله ترجمته بالشفا
بتعريف حقوق المصطفى وحصرت الكلام فيه في اقسام اربعة
القسم الاول في تعظيم العلي الاعلى لقدر هذا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
قولا وفعلا وتوجه الكلام فيه في اربعة ابواب **الباب الاول**
في ثنائه تعالى عليه واظهاره عظيم قدره لديه وفيه عشرة فصول
الباب الثاني في تكميله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل
الدينية والدنيوية فيه نسقا وفيه سبعة وعشرون فصلا
الباب الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند
ربه ومنزلته وما خصه به في الدارين من كرامته وفيه اثنا
عشر فصلا **الباب الرابع** فيما اظهره الله تعالى على يديه من الآيات
والمعجزات وشرفه به من الخصائص والكرامات وفيه ثلثون فصلا
القسم الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه عليه الصلوة والسلام
ويترتب القول فيه في اربعة ابواب **الباب الاول** في فرض الايمان
به ووجوب طاعته واتباع سنته وفيه خمسة فصول **الباب الثاني**
في لزوم محبته ومناصحته وفيه ستة فصول **الباب الثالث** في تعظيم
امره ولزوم توقيره وبره وفيه سبعة فصول **الباب الرابع** في حكم

الصلوة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته وفيه عشرة فصول
القسم الثالث فيما يستحيل في حقه وما يجوز عليه وما يمتنع ويصح من
الامور البشرية ان يضاف اليه وهذا القسم اكرمك الله هو سر هذا
الكتاب ولباب ثمرة هذه الابواب وما قبله له كالقواعد والتمهيدات و
الدلائل على ما نورده فيه من النكت البينات وهو الحاكم على ما بعده و
المنجز من غرض هذا التاليف وعده وعند التقصي لموعدته والتفصي
عن عهدته يشرق صدر العدو اللعين ويشرق قلب المؤمن باليقين
وتملأ انواره جوانح صدره ويقدر العاقل النبي حق قدره ويتحرر
الكلام فيه في بابين **الباب الاول** فيما يختص بالامور الدينية ويتشبث
به القول في العصمة وفيه ستة عشر فصلا **الباب الثاني** في احواله
الدنيوية وما يجوز طروؤه عليه من الاعراض البشرية وفيه تسعة فصول
القسم الرابع في تصرف وجوه الاحكام على من تنقصه او سبه عليه السلام
وينقسم الكلام فيه في بابين الباب الاول في بيان ما هو في حقه سب
ونقص من تعريض او نص وفيه عشرة فصول الباب الثاني في حكم
شانئه ومؤذيه ومتنقصه وعقوبته وذكر استتابته والصلوة عليه
ووراثته وفيه عشرة فصول وختمناه بباب ثالث جعلناه تكملة
لهذه المسألة ووصلة للبابين اللذين قبله في حكم من سب الله تعالى
ورسله وملائكته وكتبه وآل النبي وصحبه واختصر الكلام
فيه في عشرة فصول وبتمامها ينتجز الكتاب وتتم الاقسام
والابواب ويلوح في غرة الايمان لمعة منيرة وفي تاج التراجم درة
خطيرة تزيح كل لبس وتوضح كل تخمين وحدس وتشفي صدور
قوم مؤمنين وتصدع بالحق وتعرض عن الجاهلين وبالله تعالى
لا اله الا هو استعين **القسم الاول** في تعظيم العلي الاعلى لقدر المصطفى
قولا وفعلا قال الفقيه القاضي ابو الفضل وفقه الله وسدده
لا خفا على من مارس شيئا من العلم او خص بادنى لمحة من فهم

بتعظيم الله تعالى قدر نبينا عليه السلام وخصوصه إياه بفضائل
ومحاسن ومناقب لا تنضبط لزمام ٭ وتنويهه من عظيم قدره بما
تكل عنه الألسنة والأقلام ٭ فمنها ما صرح به تعالى في كتابه
ونبه به على جليل نصابه ٭ وأثنى به عليه من أخلاقه وآدابه ٭ وحض
العباد على التزامه وتقلد إيجابه ٭ فكان جل جلاله هو الذي تفضل
وأولى ٭ ثم طهر وزكى ٭ ثم مدح بذلك وأثنى ٭ ثم أثاب عليه
الجزاء الأوفى ٭ فله الفضل بدءا وعودا ٭ والحمد أولى وأخرى
ومنها ما أبرزه للعيان من خلقه على أتم وجوه الكمال والجلال
وتخصيصه بالمحاسن الجميلة ٭ والأخلاق الحميدة ٭ والمذاهب الكريمة
والفضائل العديدة ٭ وتأييده بالمعجزات الباهرة ٭ والبراهين
الواضحة ٭ والكرامات البينة ٭ التي شاهدها من عاصره
ورآها من أدركه ٭ وعلمها علم يقين ٭ من جاء بعده حتى انتهى علم
حقيقة ذلك إلينا ٭ وفاضت أنواره بالتواتر علينا ٭ صلى الله تعالى
عليه وسلم تسليما ٭ حدثنا القاضي الشهيد أبو علي الحسين بن محمد
الحافظ رحمه الله تعالى قراءة مني عليه ٭ قال ثنا أبو الحسين المبارك
بن عبد الجبار وأبو الفضل أحمد بن خيرون ٭ قالا ثنا أبو يعلى البغدادي
قال ثنا أبو علي السنجي ٭ قال ثنا محمد بن أحمد بن محبوب ٭ ثنا أبو عيسى
بن سورة الحافظ ٭ قال ثنا إسحق بن منصور ٭ ثنا عبد الرزاق
أنا معمر عن قتادة عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
أتي بالبراق ليلة أسري به ملجما مسرجا فاستصعب عليه فقال
جبريل عليه السلام ٭ أبمحمد صلى الله عليه وسلم تفعل هذا فما
ركبك أحد أكرم على الله منه فارفض عرقا ٭ الباب الأول
في ثناء الله تعالى عليه وإظهاره عظيم قدره لديه ٭ اعلم أن في كتاب الله
العزيز آيات كثيرة مفصحة بجميل ذكر المصطفى وعد محاسنه ٭ وتعظيم
أموره وتنويه قدره ٭ اعتمدنا منها على ما ظهر معناه وبان

فحواه ٭ وجمعنا ذلك في عشرة فصول ٭ الفصل الأول فيما جاء
من ذلك مجيء المدح والثناء وتعداد المحاسن كقوله تعالى لقد جاءكم رسول
من أنفسكم الآية ٭ قال السمرقندي وقرأ بعضهم من أنفَسكم
بفتح الفاء وقراءة الجمهور بالضم ٭ قال الفقيه القاضي أبو الفضل وفقه
الله ٭ أعلم الله تعالى المؤمنين أو العرب أو أهل مكة أو جميع الناس على
اختلاف المفسرين من المواجه بهذا الخطاب أنه بعث فيهم رسولا من
أنفسهم يعرفونه ٭ ويتحققون مكانته ويعلمون صدقه وأمانته فلا
يتهمونه بالكذب ٭ وترك النصيحة لهم لكونه منهم وأنه لم تكن
في العرب قبيلة إلا ولها على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولادة
أو قرابة ٭ وهو عند ابن عباس وغيره معنى قوله تعالى إلا المودة في
القربى ٭ وكونه من أشرفهم وأرفعهم وأفضلهم على قراءة الفتح
وهذه نهاية المدح ٭ ثم وصفه بعد بأوصاف حميدة ٭ وأثنى عليه
بمحامد كثيرة ٭ من حرصه على هدايتهم ورشدهم وإسلامهم وشدة
ما يعنتهم ويضر بهم في دنياهم وأخراهم ٭ وعزته عليه ورأفته
ورحمته بمؤمنيهم ٭ قال بعضهم أعطاه اسمين من أسمائه رؤوف
رحيم ٭ ومثله في الآية الأخرى قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين
إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم الآية ٭ وفي الآية الأخرى هو الذي
بعث في الأميين رسولا منهم الآية ٭ وقوله تعالى كما أرسلنا فيكم رسولا
منكم الآية ٭ روي عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه في قوله
من أنفسكم قال نسبا وصهرا وحسبا ٭ قال ليس في آبائي من لدن
آدم سفاح كلنا نكاح ٭ قال ابن الكلبي كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم
خمس مائة أم فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان عليه الجاهلية
وعن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين قال
من نبي إلى نبي حتى أخرجك نبيا ٭ وقال جعفر بن محمد الصادق
علم الله عجز خلقه عن طاعته فعرفهم ذلك لكي يعلموا أنهم لا ينالون

الصفو من خدمته فأقام بينه وبينهم مخلوقاً من جنسهم في الصورة
البشرية وألبسه من نعته الرأفة والرحمة وأخرجه الى الخلق
سفيراً صادقاً وجعل طاعته طاعته وموافقته موافقته فقال
جل وعز من يطع الرسول فقد أطاع الله وقال تعالى وما أرسلناك
الا رحمة للعالمين قال أبو بكر بن طاهر رضي الله عنه زين الله تعالى محمداً
صلى الله تعالى عليه وسلم بزينة الرحمة فكان كونه رحمة وجميع شمائله
وصفاته رحمة على الخلق فمن أصابه شيء من رحمته فهو الناجي في
الدارين من كل مكروه والواصل فيهما الى كل محبوب ألا ترى
أن الله تعالى يقول وما أرسلناك الا رحمة للعالمين فكانت حياته
رحمة ومماته رحمة كما قال عليه السلام حياتي خير لكم
ومماتي خير لكم وكما قال عليه السلام اذا أراد الله رحمة بأمة
قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطاً وسلفاً وقال السمرقندي رحمة
للعالمين يعني للجن والانس وقيل لجميع الخلق للمؤمن رحمة الهداية
ورحمة للمنافق بالأمان من القتل ورحمة للكافر بتأخير العذاب
قال ابن عباس رضي الله عنهما هو رحمة للمؤمنين والكافرين اذ عوفوا مما
أصاب غيرهم من الأمم المكذبة وحكي أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لجبريل عليه السلام هل أصابك من هذه الرحمة شيء قال نعم
كنت أخشى العاقبة فأمنت لثناء الله تعالى علي بقوله ذي قوة عند
ذي العرش مكين مطاع ثم أمين وروي عن جعفر بن محمد الصادق
رضي الله عنه في قوله تعالى فسلام لك من أصحاب اليمين أي بك انما وقعت
سلامتهم من أجل كرامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقال الله تعالى
الله نور السموات والأرض الآية قال كعب وابن جبير المراد بالنور
الثاني هنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو قوله مثل نوره أي مثل نور محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم وقال سهل بن عبد الله المعنى الله هادي أهل
السموات والأرض ثم قال مثل نور محمد صلى الله عليه وسلم اذا كان مستودعاً

في الأصلاب كمشكاة صفتها كذا وأراد بالمصباح قلبه وبالزجاجة صدره
أي كأنه كوكب دري لما فيه من الايمان والحكمة توقد من شجرة مباركة أي
من نور ابراهيم وضرب المثل بالشجرة المباركة وقوله يكاد زيتها
يضيء أي تكاد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تتبين للناس قبل كلامه كهذا
الزيت وقد قيل في هذه الآية غير هذا والله تعالى أعلم وقد سماه الله
في القرآن في غير هذا الموضع نوراً وسراجاً منيراً فقال قد جاءكم من الله نور
وكتاب مبين وقال انا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً الى الله
باذنه وسراجاً منيراً ومن هذا قوله عز وجل ألم نشرح لك صدرك الآية
شرح وسع والمراد بالصدر هنا القلب قال ابن عباس رضي الله عنه شرحه
بالاسلام وقال سهل بنور الرسالة وقال الحسن ملأه حكماً وعلماً
وقيل معناه ألم نطهر قلبك حتى لا يؤذيك الوسواس ووضعنا عنك
وزرك الذي أنقض ظهرك قيل ما سلف من ذنبك يعني قبل النبوة
وقيل أراد ثقل أيام الجاهلية وقيل أراد ما أثقل ظهره من الرسالة
حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي وقيل عصمناك ولولا ذلك
لأثقلت الذنوب ظهرك حكاه السمرقندي ورفعنا لك ذكرك
قال يحيى بن آدم بالنبوة وقيل اذا ذكرت ذكرت معي قول لا اله الا الله
محمد رسول الله وقيل في الأذان والتشهد قال الفقيه القاضي
وفقه الله تعالى هذا تقرير من الله جل اسمه لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم
على عظيم نعمه لديه وشريف منزلته عنده وكرامته عليه بأن شرح
قلبه للايمان والهداية ووسعه لوعي العلم وحمل الحكمة ورفع
عنه ثقل أمور الجاهلية عليه وبغضه لسيرها وما كانت عليه بظهور
دينه على الدين كله وحط عنه عهدة أعباء الرسالة والنبوة
لتبليغه للناس ما نزل اليهم وتنويهه بعظيم مكانه وجليل رتبته ورفع
ذكره وقرانه مع اسمه اسمه قال قتادة رفع الله تعالى ذكره
في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا يقول

أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ● وروى أبو سعيد الخدري
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أتاني جبريل عليه السلام فقال
إن ربي وربك يقول أتدري كيف رفعت ذكرك قلت الله ورسوله
أعلم قال إذا ذكرت ذكرت معي ● قال ابن عطاء جعلت تمام الإيمان
بذكري معك ● وقال أيضا جعلتك ذكرا من ذكري فمن ذكرك ذكرني
● قال جعفر بن محمد الصادق لا يذكرك أحد بالرسالة إلا ذكرني
بالربوبية وأشار بعضهم في ذلك إلى الشفاعة ● ومن ذكره معه تعالى
أن قرن طاعته بطاعته واسمه باسمه فقال وأطيعوا الله والرسول
وآمنوا بالله ورسوله ● فجمع بينهما بواو العطف المشتركة ولا يجوز جمع
هذا الكلام في غير حقه عليه السلام ● حدثنا الشيخ أبو علي
الحسين بن محمد الجياني الحافظ فيما أجازنيه وقرأته على الثقة عنه
قال نا أبو عمر النمري ● قال ثنا أبو محمد بن عبد المؤمن ● ثنا
أبو بكر بن داسة التمار ثنا أبو داود السجزي ثنا أبو الوليد
الطيالسي ثنا شعبة عن منصور عن عبد الله بن يسار عن حذيفة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقولن أحدكم ما شاء الله وشاء
فلان ولكن ما شاء الله ثم شاء فلان ● قال الخطابي أرشدهم صلى الله
إلى الأدب في تقديم مشيئة الله تعالى على مشيئة من سواه واختارها بثم التي
هي للنسق والتراخي بخلاف الواو التي هي للاشتراك ومثله الحديث
الآخر أن خطيبا خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله
فقد رشد ومن يعصهما فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بئس خطيب
القوم أنت قم أو قال اذهب ● قال أبو سليمان كره منه الجمع بين الاسمين
بحرف الكناية لما فيه من التسوية ● وذهب غيره إلى أنه إنما كره له
الوقوف على يعصهما وقول أبي سليمان أصح لما روي في الحديث الصحيح أنه
قال ومن يعصهما فقد غوى ولم يذكر الوقوف على يعصهما ● وقد
اختلف المفسرون في قوله عز وجل إن الله وملائكته يصلون على النبي

هل يصلون راجعة على الله والملائكة أم لا فأجازه بعضهم ومنعه آخرون
لعلة التشريك وخصوا الضمير بالملائكة وقدروا الآية إن الله يصلي و
ملائكته يصلون ● وقد روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال من فضيلتك
عند الله أن جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد أطاع الله
وقد قال تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الآيتين ● و
روي أنه لما نزلت هذه الآية قالوا إن محمدا يريد أن نتخذه حنانا كما
اتخذت النصارى عيسى عليه السلام فأنزل الله تعالى قل أطيعوا الله والرسول
الآية فقرن طاعته تعالى بطاعته رغما لهم ● وقد اختلف المفسرون في معنى
قوله في أم الكتاب اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم ● فقال
أبو العالية والحسن البصري رحمه الله الصراط المستقيم هو رسول الله
صلى الله عليه وسلم وخيار أهل بيته وأصحابه حكاه عنهما أبو الحسن
الماوردي ● وحكى مكي عنهما نحوه وقال هو رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصاحباه أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما ● وحكى أبو الليث السمرقندي
مثله عن أبي العالية في قوله تعالى صراط الذين أنعمت عليهم قال فبلغ ذلك
الحسن فقال صدق والله ونصح وحكى الماوردي ذلك في تفسير
صراط الذين أنعمت عليهم عن عبد الرحمن بن زيد ● وحكى أبو عبد الرحمن
السلمي عن بعضهم في تفسير قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى الآية
أنه محمد عليه السلام وقيل الإسلام ● وقيل شهادة التوحيد وقال
سهل في قوله تعالى وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها قال نعمته محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم ● وقال تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون
الآية أكثر المفسرين على أن الذي جاء بالصدق فهو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
● قال بعضهم وهو الذي صدق به وقرئ صدق به بالتخفيف ● وقال غيرهم
الذي صدق به المؤمنون ● وقيل أبو بكر وقيل علي وقيل غير هذا من الأقوال
وعن مجاهد في قوله تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب قال بمحمد صلى الله
تعالى عليه وسلم وأصحابه **الفصل الثاني** في وصفه له تعالى بالشهادة وما

يتعلق بها من الثناء والكرامة قال الله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا الاية جمع الله تعالى له في هذه الاية ضروبا من
رتب الاثرة وجملة اوصاف من المدحة فجعله شاهدا على امته لنفسه
بابلاغهم الرسالة وهي من خصائصه عليه السلام ومبشرا لاهل
طاعته ونذيرا لاهل معصيته وداعيا الى توحيده وعبادته وسراجا
منيرا يهتدى به للحق حدثنا الشيخ ابو محمد بن عتاب رحمه الله تعالى
قال ثنا ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن القابسي ثنا
ابو زيد المروزي ثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف ثنا البخاري
ثنا محمد بن سنان ثنا فليح ثنا هلال عن عطاء بن يسار قال
لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت اخبرني عن صفة رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قال اجل والله انه لموصوف في التورية
ببعض صفته في القرآن يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل
ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة
ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان
يقولوا لا اله الا الله ويفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا
وذكر مثله عن عبد الله بن سلام وكعب الاحبار وفي بعض طرقه عن
ابن اسحق ولا صخب في الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا
اسدده لكل جميل واهب له كل خلق كريم واجعل السكينة
لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق
والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والحق شريعته والعدل
سيرته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدي به بعد الضلالة
واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واسمي به بعد النكرة
واكثر به بعد القلة واغني به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة
واؤلف به بين قلوب مختلفة واهواء متشتتة وامم متفرقة

متفرقة واجعل امته خير امة اخرجت للناس وفي حديث اخر
اخبرنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن صفته في التورية عبدي
احمد المختار مولده بمكة ومهاجره بالمدينة او قال طيبة امته
الحامدون لله على كل حال وقال تعالى الذين يتبعون الرسول النبي
الامي الايتين وقد قال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الاية قال
السمرقندي ذكرهم الله تعالى منته انه جعل رسوله رحيما بالمؤمنين
رؤفا لين الجانب ولو كان فظا خشنا في القول لتفرقوا من حوله ولكن
جعله الله سمحا سهلا طلقا برا لطيفا هكذا قاله الضحاك وقال تعالى
وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول
عليكم شهيدا قال ابو الحسن القابسي ابان الله تعالى فضل نبينا صلى
الله تعالى عليه وسلم وفضل امته بهذه الاية وفي قوله تعالى في الاية
الاخرى وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على
الناس وكذلك قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا
بك على هؤلاء شهيدا وقوله تعالى وسطا اي عدلا خيارا ومعنى هذه الاية
كما هديناكم فكذلك خصصناكم وفضلناكم بان جعلناكم امة خيارا
عدولا لتشهدوا للانبياء على اممهم ويشهد لكم الرسول بالصدق قيل
ان الله تعالى اذا سأل الانبياء هل بلغتم فيقولون نعم فتقول اممهم
ما جاءنا من بشير ولا نذير فتشهد امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
للانبياء ويزكيهم النبي صلى الله عليه وسلم وقيل معنى الاية انكم حجة
على كل من خالفكم والرسول حجة عليكم حكاه السمرقندي وقال
وقال تعالى وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال قتادة و
الحسن وزيد بن اسلم قدم صدق هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يشفع لهم
وعن الحسن ايضا هي مصيبتهم بنبيهم صلى الله تعالى عليه وسلم وعن ابي سعيد
الخدري هي شفاعة نبيهم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم هو شفيع صدق عند
ربهم وقال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله هي سابقة رحمة اودعها

في محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ● وقال محمد بن علي الترمذي رحمه الله تعالى
هو امام الصادقين والصديقين الشفيع المطاع ● والسائل المجاب
محمد صلى الله عليه وسلم ● حكاه عنه السلمي

الفصل الثالث

فيما ورد في خطابه اياه مورد الملاطفة والمبرة فمن ذلك قوله تعالى عفا الله عنك
لم اذنت لهم ● قال ابو محمد مكي هو افتتاح كلام بمنزلة اصلحك
الله واعزك الله ● وقال عون بن عبد الله اخبره بالعفو قبل ان يخبره
بالذنب ● حكى السمرقندي عن بعضهم ان معناه عافاك الله يا سليم
القلب لم اذنت لهم ● قال ولو بدأ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله
لم اذنت لهم لخيف عليه ان ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام لكن
الله تعالى برحمته اخبره بالعفو حتى سكن قلبه ● ثم قال له لم اذنت لهم
بالتخلف حتى يتبين لك الصادق في عذره من الكاذب وفي هذا من عظيم
منزلته عند الله ما لا يخفى على ذي لب ومن اكرامه اياه وبره به
ما ينقطع دون معرفة غايته نياط القلب ● قال نفطويه ذهب ناس
الى ان النبي صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الاية وحاشاه من ذلك
بل كان مخيرا فلما اذن لهم اعلمه الله تعالى انه لو لم يأذن لهم لقعدوا
لنفاقهم وانه لا حرج عليه في الاذن لهم ● قال الفقيه القاضي ابو الفضل
يجب على المسلم المجاهد نفسه الرائض بزمام الشريعة خلقه ان يتأدب
بادب القرآن في قوله وفعله ومعاطاته ومحاوراته فهو عنصر المعارف
الحقيقية وروضة الاداب الدينية والدنيوية ● وليتأمل هذه الملاطفة
العجيبة في السؤال من رب الارباب ● المنعم على الكل المستغني عن الجميع
وليستثر ما فيها من الفوائد وكيف ابتدأ بالاكرام قبل العتب وانس
بالعفو قبل ذكر الذنب ان كان ثمة ذنب ● وقال تعالى ولولا ان ثبتناك
لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا ● قال بعض المتكلمين عاتب الله الانبياء
بعد الزلات وعاتب نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم قبل وقوعه ليكون بذلك
اشد انتهاء ومحافظة لشرائط المحبة وهذه غاية العناية ثم انظر كيف

بدأ بثباته وسلامته قبل ذكر ما عتبه عليه وخيف ان يركن اليه ففي اثناء
عتبه براءته وفي طي تخويفه تامينه وكرامته ● ومثله قوله تعالى
قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك الاية ● قال علي
رضي الله تعالى عنه قال ابو جهل للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم انا لا نكذبك
ولكن نكذب ما جئت به فانزل الله فيهم فانهم لا يكذبونك الاية
وروي ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ● لما كذبه قومه حزن فجاءه
جبريل عليه السلام فقال ما يحزنك قال كذبني قومي ● فقال انهم
يعلمون انك صادق فانزل الله الاية ● ففي هذه الاية منزع لطيف المأخذ
من تسليته تعالى له عليه السلام والطافه في القول بان قرر عنده انه صادق
عندهم وانهم غير مكذبين له معترفون بصدقه قولا واعتقادا وقد
كانوا يسمونه قبل النبوة الامين ● فدفع بهذا التقرير ارتماض نفسه
بسمة الكذب ثم جعل الذم لهم بتسميتهم ظالمين جاحدين ● فقال
تعالى ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ● فحاشاه من الوصم وطوقهم
بالمعاندة بتكذيب الايات حقيقة الظلم اذ الجحد انما يكون ممن علم
الشيء ثم انكره كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا
● ثم عزاه وانسه بما ذكره عمن قبله ووعده بالنصر بقوله ولقد
كذبت رسل من قبلك الاية ● فمن قرأ لا يكذبونك بالتخفيف فمعناه
لا يجدونك كاذبا وقال الفراء والكسائي لا يقولون انك كاذب
وقيل لا يحتجون على كذبك ولا يثبتونه ومن قرأ بالتشديد فمعناه
لا ينسبونك الى الكذب ● وقيل لا يعتقدون كذبك ● ومما ذكر من
خصائصه عليه السلام وبر الله تعالى به ان الله تعالى خاطب جميع الانبياء
باسمائهم فقال يا آدم يا نوح يا ابرهيم يا موسى يا داود يا عيسى يا زكريا يا
يحيى ولم يخاطب هو الا يا ايها النبي يا ايها الرسول يا ايها المزمل يا ايها
المدثر

الفصل الرابع

في قسمه تعالى بعظيم قدره قال الله تعالى لعمرك انهم
لفي سكرتهم يعمهون ● اتفق اهل التفسير في هذا انه قسم من الله جل جلاله

بمدة حياة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم واصله ضم العين من العمر ولكنها
فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه وبقائك يا محمد ● وقيل وعيشك
وقيل وحياتك ● وهذه نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف ● قال
ابن عباس رضي الله تعالى عنه ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا اكرم عليه
من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وما سمعت الله اقسم بحياة احد غيره
● قال ابو الجوزاء ما اقسم الله بحياة احد غير محمد صلى الله عليه وسلم
لانه اكرم البرية عنده ● وقال تعالى يس والقرآن الحكيم الآيات
اختلف المفسرون في معنى يس على اقوال ● فحكى ابو محمد مكي انه روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لي عند ربي عشرة اسماء ذكر
ان منها طه ويس اسمان له ● وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن جعفر الصادق
انه اراد يا سيد مخاطبة لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ● وعن ابن
عباس رضي الله تعالى عنه يس يا انسان اراد بالانسان محمدا صلى الله عليه وسلم
وقال هو قسم وهو من اسماء الله تعالى ● وقال الزجاج قيل معناه يا محمد
وقيل يا رجل وقيل يا انسان ● وعن ابن الحنفية يس يا محمد صلى الله عليه وسلم
● وعن كعب يس قسم اقسم الله عز وجل به قبل ان يخلق السموات
والارض بالفي عام يا محمد انك لمن المرسلين ● ثم قال والقرآن الحكيم
انك لمن المرسلين ● فان قدر انه من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم
وصح فيه انه قسم كان فيه من التعظيم ما تقدم ويؤكد فيه القسم
عطف القسم الآخر عليه وان كان بمعنى النداء فقد جاء قسم آخر بعده
لتحقيق رسالته والشهادة بهدايته اقسم تعالى باسمه وكتابه انه لمن
المرسلين بوحيه الى عباده وعلى صراط مستقيم من ايمانه اي طريق لا اعوجاج
فيه ولا عدول عن الحق ● قال النقاش لم يقسم الله تبارك وتعالى
لاحد من انبيائه بالرسالة في كتابه الا له ● وفيه من تعظيمه وتمجيده على
تأويل من قال انه يا سيد ما فيه ● وقد قال عليه السلام انا سيد
ولد آدم ولا فخر ● وقال تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد

قيل لا اقسم به اذا لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاه مكي وقيل
لا زائدة اي اقسم به وانت به يا محمد صلى الله عليه وسلم حلال او حل لك
ما فعلت فيه على التفسيرين والمراد بالبلد عند هؤلاء مكة ●
وقال الواسطي اي نحلف لك بهذا البلد الذي شرفته بمكانك فيه حيا
وببركتك ميتا يعني المدينة والاول اصح لان السورة مكية وما بعده
يصححه قوله تعالى وانت حل بهذا البلد ونحوه ● قول ابن عطاء في تفسير قوله
وهذا البلد الامين قال امنها الله عز وجل بمقامه فيها وكونه بها فان
كونه امان حيث كان ثم قال تعالى ووالد وما ولد من قال اراد آدم
فهو عام ومن قال هو ابراهيم عليه السلام وما ولد فهي ان شاء الله
اشارة الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فتتضمن السورة القسم به في
موضعين وقال تعالى الم ذلك الكتاب ● قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه
هذه الحروف اقسام اقسم الله بها وعنه وعن غيره فيها غير ذلك
وقال سهل بن عبد الله التستري الالف هو الله تعالى واللام جبريل والميم
محمد عليهما السلام ● وحكى هذا القول السمرقندي ولم ينسبه
الى سهل وجعل معناه الله انزل جبريل على محمد عليهما السلام بهذا
القرآن لا ريب فيه وعلى الوجه الاول يحتمل القسم ان هذا الكتاب حق
لا ريب فيه ثم فيه من فضيلته قران اسمه باسمه نحو ما تقدم ● وقال
ابن عطاء في قوله تعالى ق والقرآن المجيد اقسم بقوة قلب حبيبه صلى الله عليه وسلم
حيث حمل الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله ● وقيل هو اسم
للقرآن ● وقيل هو اسم لله تعالى وقيل جبل محيط بالارض وقيل غير هذا ● وقال
جعفر بن محمد في تفسير والنجم اذا هوى انه محمد عليه الصلاة والسلام ● و
قال النجم قلب محمد هوى انشرح من الانوار ● وقال انقطع عن غير الله تعالى
● وقال ابن عطاء في قوله تعالى والفجر وليال عشر الفجر محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
لان منه تفجر الايمان **الفصل الخامس** في قسمه تعالى جده له ليحقق مكانته
عنده قال جل اسمه والضحى والليل اذا سجى السورة اختلف المفسرون في سبب

نزول هذه السورة فقيل كان ترك النبي صلى الله عليه وسلم قيام الليل
لعذر نزل به فتكلمت امرأة في ذلك بكلام • وقيل بل تكلم به المشركون
عند فترة الوحي فنزلت السورة قال القاضي الامام ابو الفضل وفقه
الله تعالى تضمنت هذه السورة من كرامة الله تعالى له وتنويهه به و
تعظيمه اياه ستة وجوه الاول القسم له عما اخبره به من حاله بقوله عز
وجل والضحى والليل اذا سجى • اي ورب الضحى وهذا من اعظم درجات المبرة
الثاني بيان مكانته عنده وحظوته لديه بقوله عز وجل ما ودعك ربك
وما قلى اي ما تركك وما ابغضك وقيل ما اهملك بعد ان اصطفاك الثالث
قوله وللآخرة خير لك من الاولى • قال ابن اسحق اي ما لك في مرجعك عند الله
اعظم مما اعطاك من كرامة الدنيا • وقال سهل اي ما ادخرت لك
من الشفاعة والمقام المحمود خير لك مما اعطيتك في الدنيا الرابع
قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى وهذه آية جامعة لوجوه الكرامة
وانواع السعادة وشتات الانعام في الدارين والزيادة • قال ابن
اسحق يرضيه بالفلج في الدنيا والثواب في الآخرة وقيل يعطيه الحوض و
الشفاعة • وروي عن بعض آل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال
ليس آية في القرآن ارجى منها ولا يرضى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ان يدخل احد من امته النار الخامس ما عدده الله تعالى عليه من نعمه و
قرره من آلائه قبله في بقية السورة من هدايته الى ما هداه له او هداية
الناس به على اختلاف التفاسير ولا مال له فاغناه الله بما آتاه او بما
جعله في قلبه من القناعة والغنى ويتيما فحدب عليه عمه وآواه اليه
وقد قيل آواه الى الله • وقيل يتيما لا مثال لك فآواك اليه • وقيل المعنى
ألم يجدك فهدى بك ضالا واغنى بك عائلا وآوى بك يتيما ذكره
بهذه المنن وانه على المعلوم من التفسير لم يهمله في حال صغره وعيلته
ويتمه • وقبل معرفته به ولا ودعه ولا قلاه فكيف بعد اختصاصه
واصطفائه السادس امره باظهار نعمته عليه وشكر ما شرفه به بنشره

واشادة ذكره بقوله عز وجل واما بنعمة ربك فحدث فان من شكر النعمة
الحديث بها وهذا خاص له عام لامته • وقال تعالى والنجم اذا هوى
الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى اختلف المفسرون في قوله تعالى
والنجم باقاويل معروفة • منها النجم على ظاهره • ومنها القرآن وعن
جعفر بن محمد انه محمد عليه السلام وقال سهل هو قلب محمد صلى الله عليه وسلم
وقد قيل في قوله تعالى والسماء والطارق وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب
ان النجم هنا ايضا محمد صلى الله عليه وسلم حكاه السلمي تضمنت
هذه الآيات من فضله وشرفه العد ما يقف دونه العد واقسم جل اسمه
على هداية المصطفى • وتنزيهه عن الهوى وصدقه فيما تلى وانه وحي يوحى
اوصله اليه عن الله تعالى جبريل عليه السلام وهو شديد القوى
ثم اخبر تعالى عن فضيلته بقصة الاسراء وانتهائه الى سدرة المنتهى
وتصديق بصره فيما رأى من آيات الله تعالى وانه رأى من آيات ربه الكبرى
وقد نبه على مثل هذا تعالى في اول سورة الاسراء • ولما كان ما
كاشفه صلى الله تعالى عليه وسلم من ذلك الجبروت وشاهده من
عجائب الملكوت لا تحيط به العبارات ولا تستقل بحمل سماع ادناه العقول
رمز عنه تعالى بالايماء والكناية على التعظيم • فقال فاوحى الى عبده ما اوحى
وهذا النوع من الكلام يسميه اهل النقد والبلاغة بالوحي والاشارة
وهو عندهم ابلغ ابواب الايجاز • وقال لقد رأى من آيات ربه الكبرى
انحسرت الافهام عن تفصيل ما اوحى وتاهت الاحلام في تعيين تلك الآيات
الكبرى • قال الفقيه القاضي واشتملت هذه الآيات على اعلام الله تعالى
بتزكية جملته عليه السلام • وعصمتها من الآفات في هذا المسرى فزكى
فؤاده ولسانه وجوارحه زكى قلبه بقوله ما كذب الفؤاد ما رأى •
ولسانه بقوله وما ينطق عن الهوى • وبصره بقوله ما زاغ البصر وما طغى
وقال تعالى فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس الى قوله وما هو بقول شيطان
رجيم لا اقسم اي اقسم انه لقول رسول كريم عند مرسله ذي قوة

على تبليغ ما حمله من الوحي مكين اي متمكن المنزلة من ربه تعالى رفيع المحل
عنده مطاع ثم اي في السماء امين على الوحي قال علي بن عيسى وغيره
الرسول الكريم هنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فجميع الاوصاف بعد هذا له
وقال غيره هو جبريل عليه السلام فترجع الاوصاف اليه ولقد رآه يعني محمدا صلى الله عليه وسلم قيل رأى ربه
وقيل رأى جبريل في صورته وما هو على الغيب بضنين اي بمتهم ومن
قرأه بالضاد فمعناه ما هو ببخيل بالدعاء به والتذكير بحكمه
وبعلمه وهذه لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم باتفاق وقال تعالى
ن والقلم الآيات اقسم الله تعالى بما اقسم به من عظيم قسمه على تنزيه
المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم مما غمصته الكفرة به وتكذيبهم
له وآنسه وبسط امله بقوله محسنا خطابه ما انت بنعمة ربك بمجنون
وهذه نهاية المبرة في المخاطبة واعلى درجات الآداب في المحاورة
ثم اعلمه بما له عنده من نعيم دائم وثواب غير منقطع لا يأخذه عد ولا
يمتن به عليه فقال وان لك لاجرا غير ممنون ثم اثنى عليه بما
منحه من هباته وهداه اليه واكد ذلك تتميما للتمجيد بحرفي التأكيد
فقال وانك لعلى خلق عظيم قيل القرآن وقيل الاسلام وقيل الطبع
الكريم وقيل ليس لك همة الا الله قال الواسطي اثنى عليه بحسن
قبوله لما اسداه اليه من نعمه وفضله بذلك على غيره لانه جبله على
ذلك الخلق فسبحان اللطيف الكريم المحسن الجواد الحميد الذي
يسر للخير وهدى اليه ثم اثنى على فاعله وجازاه عليه سبحانه
ما اغمر نواله واوسع افضاله ثم سلاه عن قولهم بعد هذا بما وعده
به من عقابهم وتوعدهم بقوله فستبصر ويبصرون الثلاث الآيات
ثم عطف بعد مدحه على ذم عدوه وذكر سوء خلقه وعد معايبه
متوليا ذلك بفضله ومنتصرا لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم فذكر بضع
عشرة خصلة من خصال الذم فيه بقوله فلا تطع المكذبين
الى قوله اساطير الاولين ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق بتمام شقائه

وخاتمة بواره بقوله سنسمه على الخرطوم فكانت نصرة الله
له اتم من نصرته لنفسه ورده تعالى على عدوه ابلغ من رده
واثبت في ديوان مجده

الفصل السادس

فيما ورد من قوله تعالى
في جهته عليه السلام مورد الشفقة والاكرام قال تعالى طه
ما انزلنا عليك القرآن لتشقى قيل طه اسم من اسمائه عليه السلام
وقيل هو اسم لله تعالى وقيل معناه يا رجل وقيل يا انسان وقيل هي
حروف مقطعة لمعان قال الواسطي اراد يا طاهر يا هادي
وقيل هو امر من الوطء والهاء كناية عن الارض اي اعتمد على
الارض بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد على قدم واحدة وهو
قوله تعالى ما انزلنا عليك القرآن لتشقى ونزلت الآية فيما كان
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يتكلفه من السهر والتعب وقيام
الليل ثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغير واحد عن
القاضي ابي الوليد الباجي اجازة ومن اصله نقلت قال ثنا ابو ذر
الحافظ قال ثنا ابو محمد الحموي ثنا ابرهيم بن خريم الشاشي
قال ثنا عبد بن حميد ثنا هاشم بن القاسم عن ابي جعفر عن الربيع
بن انس قال كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا صلى قام على رجل
ورفع الاخرى فانزل الله عز وجل طه يعني طإ الارض يا محمد عليه السلام
ما انزلنا عليك القرآن لتشقى ولا خفاء بما في هذا كله من الاكرام
وحسن المعاملة وان جعلنا طه من اسمائه عليه السلام كما قيل او جعلت
قسما لحق الفصل بما قبله ومثل هذا من نمط الشفقة والمبرة قوله
فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا اي
قاتل نفسك لذلك غضبا او غيظا او جزعا ومثله قوله تعالى ايضا
لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين ثم قال ان نشأ ننزل عليهم
من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين ومن هذا الباب
قوله تعالى فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين الى قوله ولقد نعلم

انك يضيق صدرك بما يقولون الى آخر السورة ● وقوله تعالى ولقد
استهزئ برسل من قبلك الآية ● قال مكي سلاه الله تعالى بما ذكر وهون
عليه ما يلقى من المشركين واعلمه ان من تمادى على ذلك يحل به ما حل بمن
قبله ومثل هذه التسلية ● قوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت
رسل من قبلك ومن هذا ● قوله تعالى كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول
الا قالوا ساحر او مجنون عزاه الله عز وجل بما اخبر به عن الامم
السالفة ومقالها لانبيائهم قبله ومحنتهم بهم وسلاه بذلك عن
محنته بمثله من كفار مكة وانه ليس اول من لقي ذلك ثم طيب
نفسه وابان عذره بقوله عز وجل فتول عنهم اي اعرض عنهم فما
انت بملوم اي في اداء ما بلغت وابلاغ ما حملت ومثله ● قوله تعالى
واصبر لحكم ربك فانك باعيننا اي اصبر على اذاهم فانك بحيث نراك
ونحفظك سلاه الله تعالى بهذا في آي كثيرة من هذا المعنى

الفصل السابع فيما اخبره الله تعالى به في كتابه العزيز من عظيم قدره وشريف منزلته على الانبياء وحظوة رتبته

قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق
النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الى قوله من الشاهدين ●
قال ابو الحسن القابسي اختص الله تعالى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم
بفضل لم يؤته غيره ابانه به وهو ما ذكره في هذه الآية قال المفسرون
اخذ الله تعالى الميثاق بالوحي فلم يبعث نبيا الا ذكر له محمدا صلى الله
عليه وسلم ونعته واخذ عليه ميثاقه ان ادركه ليؤمنن به ● وقيل
ان يبينه لقومه ويأخذ ميثاقهم ان يبينوه لمن بعدهم ● وقوله تعالى
ثم جاءكم الخطاب لاهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم
قال علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه لم يبعث الله تعالى نبيا من آدم فمن بعده
الا اخذ عليه العهد في محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن
به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه ونحوه عن السدي وقتادة في
آي تضمنت فضله من غير وجه واحد قال الله تعالى واذ اخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية ● وقال تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا
الى نوح الآية الى قوله شهيدا ● روي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه
انه قال في كلام بكى به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال بابي انت
وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله تعالى ان بعثك آخر الانبياء
وذكرك في اولهم ● فقال تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك
ومن نوح الآية بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده
ان اهل النار يودون ان يكونوا اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون
يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا ● قال قتادة ان النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم قال كنت اول الانبياء في الخلق وآخرهم في البعث
فلذلك وقع ذكره هنا مقدما قبل نوح وغيره ● قال السمرقندي
في هذا تفضيل نبينا عليه السلام لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو آخرهم
المعنى اخذ الله عليهم الميثاق اذ اخرجهم من ظهر آدم كالذر ● وقال تعالى
تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية قال اهل التفسير اراد بقوله
ورفع بعضهم درجات محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم لانه بعث الى
الاحمر والاسود واحلت له الغنائم وظهرت على يديه المعجزات وليس
احد من الانبياء اعطي فضيلة او كرامة الا وقد اعطي محمد صلى الله عليه وسلم
مثلها ● قال بعضهم ومن فضله ان الله تعالى خاطب الانبياء باسمائهم وخاطبه
بالنبوة والرسالة في كتابه العزيز فقال يا ايها النبي ويا ايها الرسول
● وحكى السمرقندي عن الكلبي في قوله تعالى وان من شيعته لابراهيم ان
الهاء عائدة على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اي ان من شيعة محمد عليه السلام
لابراهيم اي على دينه ومنهاجه واجازه الفراء وحكاه عنه مكي وقيل
المراد نوح عليه السلام ●

الفصل الثامن في اعلام الله خلقه بصلاته عليه وولايته له ودفعه العذاب بسببه

قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم اي ما كنت بمكة فلما خرج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من مكة
وبقي فيها من بقي من المؤمنين نزل وما كان الله معذبهم

وهذا مثل قوله تعالى لو تزيلوا الاية وقوله تعالى ولولا رجال مؤمنون الاية
فلما هاجر المؤمنون نزلت وما لهم الا يعذبهم الله وهذا من ابين
ما يظهر مكانته صلى الله تعالى عليه وسلم ودرأته العذاب عن اهل مكة
بسبب كونه فيهم ثم كون اصحابه بعده بين اظهرهم فلما خلت مكة
منهم عذبهم بتسليط المؤمنين عليهم وغلبتهم اياهم وحكم فيهم
سيوفهم واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم وفي الاية ايضا تاويل
آخر حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله بقراءتي عليه ثنا
ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين الصيرفي قالا ثنا ابو يعلى بن زوج
الحرة ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب المروزي ثنا ابو عيسى
الحافظ ثنا سفيان بن وكيع حدثنا ابن نمير عن اسمعيل بن ابرهيم
مهاجر عن عباد بن يوسف عن ابي بردة بن ابي موسى عن ابيه قال
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انزل الله علي امانين لامتي
وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
فاذا مضيت تركت فيكم الاستغفار ونحو منه قوله تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين قال صلى الله تعالى عليه وسلم انا امان لاصحابي
قيل من البدع وقيل من الاختلاف والفتن قال بعضهم الرسول صلى
الله تعالى عليه وسلم هو الامان الاعظم ما عاش وما دامت سنته باقية
فهو باق فاذا اميتت سنته فانتظر البلاء والفتن وقال تعالى ان الله و
ملئكته يصلون على النبي الاية ابان الله تعالى فضل نبيه صلى الله عليه وسلم
بصلاته عليه ثم بصلاة ملئكته وامر عباده بالصلاة والتسليم عليه
وقد حكى ابو بكر بن فورك ان بعض العلماء تاول قوله عليه السلام
وجعلت قرة عيني في الصلوة على هذا اي في صلاة الله تعالى وملئكته
وامره الامة بذلك الى يوم القيمة والصلاة من الملئكة ومنا لنا الدعا
ومن الله تعالى رحمة وقيل يصلون يباركون وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم
حين علم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة والبركة وسنذكر حكم الصلاة عليه

وذكر بعض المتكلمين في تفسير حروف كهيعص ان الكاف من كاف اي كفاية
الله لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم قال تعالى اليس الله بكاف عبده والهاء
هدايته له وقال عز وجل ويهديك صراطا مستقيما والياء تاييده
له قال تعالى وايدك بنصره والعين عصمته له قال عز وجل والله يعصمك
من الناس والصاد صلوته عليه قال تعالى ان الله وملئكته يصلون
على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال تعالى وان تظاهرا عليه فان الله
هو مولاه الاية اي وليه وناصره وصالح المؤمنين قيل الانبياء
وقيل الملئكة وقيل ابو بكر وعمر وقيل علي وقيل المؤمنون
على ظاهره

الفصل التاسع

فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته صلى
الله تعالى عليه وسلم قال الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله تعالى
يد الله فوق ايديهم تضمنت هذه الايات من فضله والثناء عليه وكريم
منزلته عند الله تعالى ونعمته لديه ما يقصر الوصف عن الانتهاء اليه
فابتدأ جل جلاله باعلامه بما قضاه له من القضاء البين بظهوره وغلبته
على عدوه وعلو كلمته وشريعته وانه مغفور له غير مؤاخذ بما كان
وما يكون قال بعضهم اراد غفران ما وقع وما لم يقع اي انك
لك وقال مكي جعل المنة سببا للمغفرة وكل من عنده لا اله غيره
منة بعد منة وفضلا بعد فضل ثم قال ويتم نعمته عليك قيل
بخضوع من تكبر لك وقيل بفتح مكة والطائف وقيل برفع
ذكرك في الدنيا وينصرك ويغفر لك فاعلمه بتمام نعمته عليه بخضوع
متكبري عدوه له وفتح اهم البلاد عليه واحبها له ورفع ذكره وهدايته
الصراط المستقيم المبلغ الجنة والسعادة الدائمة ونصره النصر
العزيز ومنته على امته المؤمنين بالسكينة والطمانينة التي جعلها
الله في قلوبهم وبشارتهم بما لهم بعد وفوزهم العظيم والعفو عنهم والستر
لذنوبهم وهلاك عدوه في الدنيا والاخرة ولعنهم وبعدهم من رحمته
وسوء منقلبهم ثم قال انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الاية

فقد جمع محاسنه وخصايصه من شهادته على امته لنفسه بتبليغه لهم ● وقيل شاهداً لهم بالتوحيد ومبشراً لامته بالثواب وقيل بالمغفرة ومنذراً عدوه بالعذاب ● وقيل محذراً من الضلالات ليؤمن بالله ثم به من سبقت له من الله الحسنى وتعزروه اى تجلوه وقيل تنصروه وقيل يبالغون فى تعظيمه وتوقروه اى تعظموه ● وقراه بعضهم تعززوه بزايين من العز والاكثر والاظهر ان هذا فى حق محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ● ثم قال تعا وتسبحوه فهذا راجع الى الله تعا ● قال ابن عطاء جمع للنبى صلى الله عليه وسلم فى هذه السورة نعم مختلفة من الفتح المبين وهو من اعلام الاجابة والمغفرة وهى من اعلام المحبة وتمام النعمة وهى اعلام الاختصاص والهداية وهى من اعلام الولاية ● فالمغفرة تبرية من العيوب وتمام النعمة ابلاغ الدرجة الكاملة والهداية وهى الدعوة الى المشاهدة ● وقال جعفر بن محمد من تمام نعمته عليه ان جعله حبيبه واقسم بحياته ونسخ به شرايع غيره وعرج به الى المحل الاعلى وحفظه فى المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى ● وبعثه الى الاحمر والاسود واحل له ولامته الغنايم وجعله شفيعاً مشفعاً وسيد ولد ادم وقرن ذكره بذكره ورضاه برضاه وجعله احد ركنى التوحيد ● ثم قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يعنى بيعة الرضوان اى انما يبايعون الله ببيعتهم اياك يد الله فوق ايديهم يريد عند البيعة ● قيل قوة الله وقيل ثوابه وقيل منته ● وقيل عقده وهذه استعارة وتجنيس فى الكلام وتاكيد لعقد بيعتهم اياه وعظم شان المبايع صلى الله تعا عليه وسلم وقد يكون من هذا ● قوله تعا فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وان كان الاول فى باب المجاز وهذا فى باب الحقيقة لان القاتل والرامى بالحقيقة هو الله تعا وهو خالق فعله ورميه وقدرته عليه ومشيته ولان ليس فى قدرة البشر

توصيل تلك الرمية حيث وصلت حتى لم يبق منهم من لم تملأ عينيه وكذلك قتل الملئكة لهم حقيقة ● وقد قيل فى هذه الاية الاخرى انها على المجاز العربى ومقابلة اللفظ ومناسبته اى ما قتلتموهم وما رميتهم انت اذ رميت وجوههم بالحصباء والتراب ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع اى ان منفعة الرمى كانت من فعل الله فهو القاتل والرامى بالمعنى وانت بالاسم

الفصل العاشر فيما اظهره الله تعا فى كتابه العزيز من كرامته عليه ومكانته عنده وما خصه به من ذلك سوى ما انتظم فيما ذكرناه قبل من ذلك ما نصه الله تعا من قصة الاسراء فى سورة سبحان والنجم وما انطوت عليه القصة من عظيم منزلته وقربه ومشاهدته ما شاهد من العجايب ومن ذلك عصمته من الناس بقوله والله يعصمك من الناس ● وقوله تعا واذ يمكر بك الذين كفروا الاية وقوله الا تنصروه فقد نصره الله وما دفع الله به عنه فى هذه القصة من اذاهم بعد تحزبهم لهلكه وخلوصهم نجياً فى امره والاخذ على ابصارهم عند خروجه عليهم وذهولهم عن طلبه فى الغار وما ظهر فى ذلك من الايات ونزول السكينة عليه وقصة سراقة بن مالك حسب ما ذكره اهل الحديث والسير فى قصة الغار وحديث الهجرة ● ومنه قوله تعا انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر اعلمه الله بما اعطاه والكوثر حوضه ● وقيل نهر فى الجنة وقيل الخير الكثير وقيل الشفاعة وقيل المعجزات الكثيرة وقيل النبوة وقيل المعرفة ثم اجاب عنه عدوه ورد عليه قوله فقال ان شانئك هو الابتر ● اى عدوك ومبغضك والابتر الحقير الذليل او المفرد الوحيد والذى لا خير فيه وقال تعا ولقد اتيناك سبعاً من المثانى والقران العظيم قيل السبع المثانى السور الطوال الاول والقران العظيم ام القران وقيل السبع المثانى ام القران والقران العظيم سايره وقيل السبع المثانى ما فى القران من امر ونهى وبشرى وانذار وضرب مثل واعداد نعم

وآتيناك نبأ القرآن العظيم ○ وقيل سميت أم القرآن مثاني لأنها
تثنى في كل ركعة ○ وقيل بل الله استثناها لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم
وذخرها له دون الأنبياء عليهم السلام وسمي القرآن مثاني لأن القصص
تثنى فيه وقيل السبع المثاني أكرمناك بسبع كرامات الهدى و
النبوة والشفاعة والولاية والتعظيم والسكينة ○ وقال تعالى وأنزلنا
إليك الذكر الآية ○ وقال جل وعز وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا
ونذيرا ○ وقال سبحانه تعالى قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الآية
قال القاضي فهذه من خصائصه ○ وقال تعالى وما أرسلنا من رسول إلا
بلسان قومه ليبين لهم فخصهم بقومهم وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم
إلى الخلق كافة كما قال عليه السلام بعثت إلى الأحمر والأسود ○ وقال
تعالى النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم ○ قال أهل التفسير
أولى بالمؤمنين من أنفسهم أي ما أنفذه فيهم من أمر فهو ماض عليهم كما
يمضي حكم السيد على عبده ○ وقيل اتباع أمره أولى من اتباع رأي
النفس وأزواجه أمهاتهم أي هن في الحرمة كالأمهات حرم نكاحهن
عليهم بعده تكرمة له وخصوصية ولأنهن له أزواج في الآخرة
وقد قرئ وهو أب لهم ولا يقرأ به الآن لمخالفته المصحف ○ وقال تعالى
وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة الآية قيل فضله العظيم بالنبوة
وقيل بما سبق له في الأزل وأشار الواسطي إلى أنها إشارة إلى احتمال
الرؤية التي لم يحتملها موسى صلى الله تعالى عليه وسلم الباب الثاني
في تكميل الله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل الدينية
والدنيوية فيه نسقا ○ اعلم أيها المحب لهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم
الباحث عن تفاصيل جمل قدره العظيم ○ أن خصال الجلال والكمال
في البشر نوعان ضروري دنيوي اقتضته الجبلة وضرورة الحياة الدنيا
ومكتسب ديني وهو ما يحمد فاعله ويقرب إلى الله زلفى ○ ثم هي على
فنين أيضا منها ما يتخلص لأحد الوصفين ○ ومنها ما يتمازج ويتداخل

فأما الضروري المحض فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل ما كان
في جبلته من كمال الخلقة وجمال صورته وقوة عقله وصحة فهمه ○
وفصاحة لسانه وقوة حواسه وأعضائه ○ واعتدال حركاته وشرف نسبه
وعزة قومه وكرم أرضه ويلحق به ما تدعوه ضرورة حياته إليه
من غذائه ونومه وملبسه ومسكنه ومنكحه وماله وجاهه ○
وقد تلحق هذه الخصال الآخرة بالأخروية إذا قصد بها التقوى ○
ومعونة البدن على سلوك طريقها وكانت على حدود الضرورة وقوانين
الشريعة ○ وأما المكتسبة الأخروية فسائر الأخلاق العلية و
الآداب الشرعية من الدين والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل
والزهد والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروءة
والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن الأدب والمعاشرة وأخواتها
وهي التي جماعها حسن الخلق ○ وقد يكون من هذه الأخلاق ما هو
في الغريزة وأصل الجبلة لبعض الناس وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها
ولكنه لا بد أن يكون فيه من أصولها في أصل الجبلة شعبة كما
سنبينه إن شاء الله تعالى ○ وتكون هذه الأخلاق دنيوية إذا لم يرد
وجه الله تعالى والدار الآخرة ولكنها كلها محاسن وفضائل باتفاق
أصحاب العقول السليمة وإن اختلفوا في موجب حسنها وتفضيلها ○
فصل قال القاضي رحمه الله إذا كانت خصال الكمال والجلال ما
ذكرناه ووجدنا الواحد منا يتشرف بواحدة منها أو اثنتين إن اتفقت
له في كل عصر إما من نسب أو جمال أو قوة أو علم أو حلم أو شجاعة
أو سماحة حتى يعظم قدره ○ ويضرب باسمه الأمثال ويتقرر له بالوصف
بذلك في القلوب أثرة وعظمة ○ وهو منذ عصور خوال رمم بوال ○
فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال إلى ما لا يأخذه عد
ولا يعبر عنه مقال ○ ولا ينال بكسب ولا حيلة إلا بتخصيص الكبير المتعال
من فضيلة النبوة والرسالة ○ والخلة والمحبة والاصطفاء والإسراء

والرؤية والقرب والدنو والوحي والشفاعة والوسيلة والفضيلة
والدرجة الرفيعة والمقام المحمود والبراق والمعراج والبعث الى الاحمر
والاسود والصلاة بالانبياء والشهادة بين الانبياء والامم وسيادة
ولد آدم ولواء الحمد والبشارة والنذارة والمكانة عند ذي العرش
والطاعة ثم والامانة والهداية ورحمة للعالمين واعطاء الرضى
والسؤل والكوثر وسماع القول واتمام النعمة والعفو عما تقدم وتأخر
وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر وعزة النصر ونزول السكينة
والتأييد بالملائكة وايتاء الكتاب والحكمة والسبع المثاني والقرآن
العظيم وتزكية الامة والدعاء الى الله وصلاة الله والملائكة والحكم
بين الناس بما اراه الله تعالى ووضع الاصر والاغلال عنهم والقسم باسمه
صلى الله عليه وسلم واجابة دعوته وتكليم الجمادات والعجم واحياء الموتى
واسماع الصم ونبع الماء من بين اصابعه وتكثير القليل وانشقاق القمر
ورد الشمس وقلب الاعيان والنصر بالرعب والاطلاع على الغيب
وظل الغمام وتسبيح الحصا وابراء الآلام والعصمة من الناس الى
ما لا يحويه محتفل ولا يحيط به علم الا مانحه ذلك ومفضله به لا اله غيره
الى ما اعد له في الدار الآخرة من منازل الكرامة ودرجات القدس
ومراتب السعادة والحسنى والزيادة التي تقف دونها العقول
ويحار دون ادانيها الوهم **فصل** ان قلت اكرمك الله لا خفاء
على القطع بالجملة انه صلى الله تعالى عليه وسلم اعلا الناس قدرا
واعظمهم محلا واكملهم محاسن وفضلا وقد ذهبت في
تفاصيل خصال الكمال منها جملا شوقني الى ان اقف عليها من
اوصافه صلى الله تعالى عليه وسلم تفصيلا فاعلم نور الله قلبي وقلبك
وضاعف في هذا النبي الكريم حبي وحبك انك اذا نظرت الى خصال
الكمال التي هي غير مكتسبة وفي جبلة الخلقة وجدته عليه السلام
حائزا لجميعها محيطا بشتات محاسنها دون خلاف بين نقلة الاخبار

لذلك بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع **اما** الصورة وجمالها وتناسب اعضائه
في حسنها فقد جاءت الآثار الصحيحة المشهورة الكثيرة بذلك من حديث
علي وانس بن مالك وابي هريرة والبراء بن عازب وعائشة ام المؤمنين
وابن ابي هالة وابي جحيفة وجابر بن سمرة وام معبد وابن عباس و
معرض بن معيقيب وابي الطفيل والعداء بن خالد وخريم بن فاتك
وحكيم بن حزام وغيرهم رضي الله تعالى عنهم من انه صلى الله تعالى عليه وسلم
كان ازهر اللون ادعج انجل اشكل اهدب الاشفار ابلج ازج
اقنى افلج مدور الوجه واسع الجبين كث اللحية تملأ صدره
سواء البطن والصدر واسع الصدر عظيم المنكبين ضخم العظام
عبل العضدين والذراعين والاسافل رحب الكفين والقدمين
سائل الاطراف انور المتجرد دقيق المسربة ربعة القد ليس
بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد ومع ذلك فلم يكن يماشيه
احد ينسب الى الطول الا طاله صلى الله عليه وسلم رجل الشعر
اذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق وعن مثل حب الغمام اذا
تكلم رئي كالنور يخرج من ثناياه احسن الناس عنقا ليس بمطهم
ولا مكلثم متماسك البدن ضرب اللحم قال البراء بن عازب رضي الله عنه
ما رأيت من ذي لمة سوداء في حلة حمراء احسن من رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال ابو هريرة رضي الله عنه ما رأيت شيئا احسن من رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه واذا ضحك
يتلألأ في الجدر وقيل لجابر بن سمرة رضي الله عنه أكان وجه
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس
والقمر وكان مستديرا وقالت ام معبد في بعض ما وصفته به اجمل
الناس من بعيد واحلاه واحسنه من قريب وفي حديث ابن ابي هالة
يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وقال علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه
في آخر وصفه له من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول

ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله ۞ والاحاديث في بسط صفته مشهورة
كثيرة فلا نطول بسردها ۞ وقد اختصرنا في وصفه على نكت ما جاء فيها
وجملة مما فيه الكفاية في القصد الى المطلوب انشاء الله تعالى ۞ وختمنا
هذه الفصول بحديث جامع لذلك تقف عليه هناك ان شاء الله تعالى ۞

فصل واما نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه ۞ ونزاهته عن
الاقذار وعورات الجسد فكان قد خصه الله تعالى عز وجل في ذلك
بخصايص لم توجد في غيره ۞ ثم تممها بنظافة الشرع وخصال الفطرة
العشر ۞ وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ۞ بني الدين على النظافة ۞ ثنا
ابو بحر سفين ابن العاص وغير واحد ۞ قالوا ثنا احمد بن عمر ۞ ثنا
ابو العباس الرازي ۞ ثنا ابو احمد الجلودي ۞ ثنا ابن سفيان ۞ ثنا
مسلم ثنا قتيبة ثنا جعفر بن سليمن عن ثابت عن انس قال ما شممت عنبرا
قط ولا مسكا ولا شيا اطيب من ريح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم مسح خده قال
فوجدت ليده بردا او ريحا كانما اخرجها من جونة عطار ۞ قال
غيره مسها بطيب او لم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها
ويضع يده على راس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها ۞ ونام
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في دار انس رضي الله عنه فعرق فجاءت امه
بقارورة تجمع فيها عرقه فسالها صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك فقالت
نجعله في طيبنا وهو من اطيب الطيب ۞ وذكر البخاري في تاريخه
الكبير عن جابر رضي الله عنه لم يكن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يمر في طريق
فيتبعه احد الا عرف انه سلكه من طيبه ۞ وذكر اسحق ابن راهويه
ان تلك كانت رايحته بلا طيب صلى الله عليه وسلم ۞ وروى المزني عن جابر رضي الله عنه
اردفني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خلفه فالتقمت خاتم النبوة بفمي فكان
ينم على مسكا ۞ وقد حكى بعض المعتنين باخباره وشمايله صلى الله تعالى عليه وسلم
انه كان اذا اراد ان يتغوط انشقت الارض فابتلعت غايطه وبوله وفاحت

لذلك رايحة طيبة صلى الله تعالى عليه وسلم ۞ واسند محمد بن سعد
كاتب الواقدي في هذا خبرا عن عايشة رضي الله تعالى عنها انها قالت للنبي
صلى الله تعالى عليه وسلم ۞ انك تاتي الخلا فلا يرى منك شيء من الاذى
فقال يا عايشة او ما علمت ان الارض تبتلع ما يخرج من الانبياء فلا يرى
منه شيء ۞ وهذا الخبر وان لم يكن مشهورا ۞ فقد قال قوم من اهل
العلم بطهارة هذين الحدثين منه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو قول بعض
اصحاب الشافعي رحمه الله حكاه الامام ابو نصر بن الصباغ في شامله ۞ وقد
حكى القولين عن العلماء في ذلك ابو بكر ابن سابق المالكي في كتابه
البديع في فروع المالكية وتخريج ما لم يقع لهم منها على مذهبهم
من تفاريع الشافعية ۞ وشاهد هذا انه لم يكن منه صلى الله عليه وسلم
شيء يكره ولا غير طيب ۞ ومنه حديث علي رضي الله عنه غسلت النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم ۞ فذهبت انظر ما يكون من الميت فلم اجد شيا
فقلت طبت حيا وميتا قال وسطعت منه رايحة طيبة لم نجد مثلها
قط ۞ ومثله قال ابو بكر رضي الله تعالى عنه حين قبل النبي صلى الله عليه وسلم
بعد موته ۞ ومنه شرب مالك بن سنان دمه يوم احد ومصه اياه
وتسويغه صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك له وقوله له لن تصيبه النار
۞ ومثله شرب عبد الله بن الزبير دم حجامته فقال له عليه السلام
ويل لك من الناس وويل لهم منك ولم ينكره عليه ۞ وقد روي
نحو من هذا عنه في امراة شربت بوله فقال لها لن تشتكي وجع بطنك
ابدا ولم يامر واحدا منهم بغسل فم ولا نهاه عن عوده ۞ وحديث هذه
المراة التي شربت بوله صحيح الزم الدارقطني مسلما والبخاري اخراجه
في الصحيح واسم هذه المراة بركة واختلف في نسبها ۞ وقيل هي ام ايمن
وكانت تخدم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ۞ قالت وكان لرسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم قدح من عيدان يوضع تحت سريره
يبول فيه من الليل فبال فيه ليلة ثم افتقده فلم يجد فيه شيا فسال

بركته عنه فقالت قمت وانا عطشانة فشربته وانا لا اعلم ● وروى
حديثها ابن جريج وغيره ● وكان صلى الله عليه وسلم قد ولد مختونا
مقطوع السرة ● وروى عن امه امنة انها قالت ولدته نظيفا
ما به قذر ● وعن عايشة رضي الله عنها قالت ما رايت فرج رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم قط ● وعن علي رضي الله عنه قال اوصاني النبي صلى الله
عليه وسلم لا يغسله غيري فانه لا يرى احد عورتي الا طمست عيناه
وفي حديث عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه صلى الله تعالى عليه وسلم
نام حتى سمع له غطيط فقام وصلى ولم يتوضأ قال عكرمة رضي الله عنها
لانه كان صلى الله عليه وسلم محفوظا **فصل** واما وفور عقله
وذكاء لبه وقوة حواسه وفصاحة لسانه واعتدال حركاته وحسن
شمايله فلا مرية انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اعقل الناس واذكاهم
ومن تامل تدبيره امر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسته للعامة
والخاصة مع عجيب شمايله وبديع سيره فضلا عما افاضه من العلم
وقرره من الشرع دون تعلم سبق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة
للكتب منه لم يمتر في رجحان عقله وثقوب فهمه لاول بديهة وهذا
مما لا يحتاج الى تقرير لتحقيقه ● وقد قال وهب بن منبه قرات في
احد وسبعين كتابا فوجدت في جميعها ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ارجح الناس عقلا وافضلهم رايا ● وفي رواية اخرى فوجدت في جميعها
ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل
في جنب عقله صلى الله تعالى عليه وسلم الا كحبة رمل من بين رمال الدنيا
وقال مجاهد كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قام في الصلوة
يرى من خلفه كما يرى من بين يديه وبه فسر قوله تعالى وتقلبك في الساجدين
وفي الموطا عنه عليه السلام اني لاراكم من وراء ظهري ونحوه
عن انس رضي الله عنه في الصحيحين ● وعن عايشة رضي الله تعالى عنها مثله قالت
زيادة زاده الله اياها في حجته ● وفي بعض الروايات اني لانظر من

ورائي كما انظر من بين يدي وفي اخرى اني لابصر من قفاي كما
ابصر من بين يدي ● وحكى بقي بن مخلد عن عايشة رضي الله تعالى عنها
قالت كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يرى في الظلمة كما يرى في الضوء
والاخبار كثيرة صحيحة في رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم للملائكة
والشياطين ● ورفع النجاشي له حتى صلى عليه وبيت المقدس حين
وصفه لقريش والكعبة حين بنى مسجده صلى الله عليه وسلم ● وقد
حكي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان يرى في الثريا احد عشر نجما
● وهذه كلها محمولة على رؤية العين وهو قول احمد بن حنبل وغيره
وذهب بعضهم الى ردها الى العلم والظواهر تخالفه ولا احالة في ذلك
وهي من خواص الانبياء عليهم السلام كما اخبرنا ابو محمد عبد الله بن
احمد العدل من كتابه ● ثنا ابو الحسن المقرئ الفرغاني ● حدثتنا ام
القاسم بنت ابي بكر عن ابيها ● حدثنا الشريف ابو الحسن علي بن محمد
الحسني ● ثنا محمد بن محمد بن سعيد ● ثنا محمد بن احمد بن سليمان ● ثنا
محمد بن محمد بن مرزوق ثنا همام ثنا الحسن عن قتادة عن يحيى بن
وثاب عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
قال لما تجلى الله تعالى لموسى عليه السلام كان يبصر النملة على الصفا في
الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ ولا يبعد على هذا ان يختص نبينا
صلى الله تعالى عليه وسلم ● بما ذكرناه من هذا الباب بعد الاسراء والحظوة
بما راه من ايات ربه الكبرى ● وقد جاءت الاخبار بانه صرع ركانة اشد
اهل وقته ● وكان دعاه الى الاسلام وصارع ابا ركانة في الجاهلية ● وكان
شديدا وعاوده ثلث مرات كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
● وقال ابو هريرة رضي الله تعالى عنه ما رايت احدا اسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم
في مشيه كانما الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا وهو غير مكترث ● وفي
صفته صلى الله تعالى عليه وسلم ان ضحكه كان تبسما اذا التفت التفت معا واذا
مشى مشى تقلعا كانما ينحط من صبب ● واما فصاحة اللسان

وبلاغة القول فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الافضل
والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع وبراعة منزع وايجاز مقطع و
نصاعة لفظ وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف اوتي
جوامع الكلم وخص ببدايع الحكم وعلم السنة العرب يخاطب كل
امة منها بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها حتى كان
كثير من اصحابه يسألونه في غير موطن عن كلامه وتفسير قوله من تامل
وسيره علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش والانصار واهل الحجاز
ونجد ككلامه مع ذي المشعار الهمداني وطهفة النهدي وقطن بن
حارثة العليمي والاشعث بن قيس ووائل بن حجر الكندي وغيرهم من اقيال
حضرموت وملوك اليمن وانظر كتابه الى همدان ان لكم فراعها ووهاطها
وعزازها تاكلون علافها وترعون عفاءها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا
بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض
والداجن والكبش الحوري وعليهم فيها الصالغ والقارح وقوله
صلى الله تعالى عليه وسلم لنهد اللهم بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها
وابعث راعيها في الدثر وافجر له الثمد وبارك له في المال والولد من اقام
الصلاة كان مسلما ومن اتى الزكوة كان محسنا ومن شهد ان لا اله الا الله
كان مخلصا لكم يا بني نهد ودايع الشرك ووضايع الملك لا تلطط في الزكوة
ولا تلحد في الحيوة ولا تثاقل عن الصلوات وكتب لهم في الوظيفة الفريضة
ولكم الفارض والفريش وذو العنان الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم
ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ما لم تضمروا الرماق وتاكلوا الرباق
من اقر فله الوفاء بالعهد والذمة ومن ابى فعليه الربوة وفي كتابه
لوائل بن حجر الى الاقيال العباهلة والارواع المشابيب وفيه في التيعة
شاة لا مقورة الالياط ولا ضناك وانطوا الثبجة وفي السيوب الخمس
ومن زنا مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما ومن زنا مم ثيب
فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم في الدين ولا غمة في فرائض الله وكل مسكر
حرام ووائل بن حجر يترفل في الاقيال اين هذا من كتابه لانس
في الصدقة المشهور لما كان كلام هؤلاء على هذا الحد وبلاغتهم على هذا
النمط واكثر استعمالهم لهذه الالفاظ استعملها معهم ليبين للناس ما نزل
اليهم وليحدث الناس بما يعلمون وكقوله صلى الله عليه وسلم في حديث
عطية السعدي فان اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة
قال فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا وقوله صلى الله عليه وسلم
في حديث العامري حين سأله فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سل عنك
اي سل عما شئت وهي لغة بني عامر واما كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة
وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد الف الناس فيها الدواوين وجمعت في
الفاظها ومعانيها الكتب ومنها ما لا يوازى فصاحة ولا يبارى بلاغة
كقوله المسلمون تتكافؤ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم
وقوله الناس كاسنان المشط والمرء مع من احب ولا خير في صحبة من
لا يرى لك ما ترى له والناس معادن وما هلك امرؤ عرف قدره
والمستشار مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم
او سكت فسلم وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم اسلم تسلم واسلم يؤتك
الله اجرك مرتين وان احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيمة احاسنكم
اخلاقا الموطؤون اكنافا الذين يالفون ويؤلفون وقوله صلى الله عليه وسلم
لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم
ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها ونهيه صلى الله تعالى عليه وسلم عن قيل
وقال وكثرة السؤال واضاعة المال ومنع وهات وعقوق الامهات ووأد
البنات وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم اتق الله حيث كنت واتبع السيئة
الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وخير الامور اوساطها وقوله صلى
الله تعالى عليه وسلم احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما
وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيمة وقوله صلى الله
تعالى عليه وسلم في بعض دعائه اللهم اني اسألك رحمة تهدي بها قلبي وتجمع

بها أمري وتلم بها شعثي وتصلح بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي
وتلهمني بها رشدي وترد بها ألفتي وتعصمني بها من كل سوء • اللهم
إني أسألك الفوز في القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر
على الأعداء إلى ما روته الكافة عن الكافة من مقاماته ومحاضراته و
خطبه وأدعيته ومخاطباته وعهوده مما لا خلاف أنه صلى الله عليه وسلم
نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره وحاز فيها سبقا لا يقدر قدره
• وقد جمعت من كلماته التي لم يسبق إليها ولا قدر أحد أن يفرغ
في قالبه عليها • كقوله صلى الله عليه وسلم حمي الوطيس ومات حتف
أنفه ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين والسعيد من وعظ بغيره في أخواتها
ما يدرك الناظر العجب في مضمنها ويذهب به الفكر في أداني
حكمها • وقد قال له أصحابه ما رأينا الذي هو أفصح منك فقال وما يمنعني
وإنما أنزل القرآن بلساني لسان عربي مبين • وقال مرة أخرى بيد
أني من قريش ونشأت في بني سعد فجمع له بذلك صلى الله عليه وسلم
قوة عارضة البادية وجزالتها ونصاعة ألفاظ الحاضرة ورونق
كلامها إلى التأييد الإلهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه
بشري • وقالت أم معبد في وصفها له صلى الله تعالى عليه وسلم حلو المنطق
فصل لا نزر ولا هذر كأن منطقه خرزات نظمن • وكان صلى الله تعالى
عليه وسلم جهير الصوت حسن النغمة • فصل • وأما شرف نسبه وكرم
بلده ومنشئه فلا يحتاج إلى إقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا
خفي منه فإنه صلى الله عليه وسلم نخبة بني هاشم وسلالة قريش
وصميمها وأشرف العرب وأعزهم نفرا من قبل أبيه وأمه ومن أهل مكة
من أكرم بلاد الله على الله وعلى عباده • ثنا قاضي القضاة حسين
بن محمد الصدفي رحمه الله تعالى • ثنا القاضي أبو الوليد سليمان بن خلف
ثنا أبو ذر عبد بن أحمد • ثنا أبو محمد السرخسي وأبو إسحق وأبو الهيثم
قالوا ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا

يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو عن سعيد المقبري عن أبي هريرة أن رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم • قال بعثت من خير قرون بني آدم قرنا
فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه • وعن العباس رضي الله عنه
قال قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إن الله تعالى عز وجل خلق الخلق
فجعلني من خيرهم من خير قرنهم ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة
ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم فأنا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا
• وعن واثلة بن الأسقع قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسمعيل واصطفى من ولد إسمعيل بني كنانة
واصطفى من بني كنانة قريشا • واصطفى من قريش بني هاشم • و
اصطفاني من بني هاشم • قال الترمذي وهذا حديث صحيح وفي حديث
عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما رواه الطبري أنه صلى الله تعالى عليه وسلم
قال إن الله تعالى اختار خلقه فاختار منهم بني آدم ثم اختار بني آدم
فاختار منهم العرب • ثم اختار العرب فاختار منهم قريشا ثم اختار
قريشا فاختار منهم بني هاشم • ثم اختار بني هاشم فاختارني فلم أزل
خيارا من خيار ألا من أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغض العرب فببغضي
أبغضهم • وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه أن قريشا كانت نورا بين
يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم بألفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة
بتسبيحه فلما خلق الله تعالى آدم عليه السلام ألقى ذلك النور في صلبه فقال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم • فأهبطني الله عز وجل إلى الأرض
في صلب آدم عليه السلام وجعلني في صلب نوح عليه السلام وقذف بي في صلب
إبراهيم عليه السلام • ثم لم يزل الله تعالى ينقلني من الأصلاب الكريمة
والأرحام الطاهرة حتى أخرجني من بين أبوي لم يلتقيا على سفاح قط
ويشهد بصحة هذا الخبر شعر العباس في مدح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
المشهور • فصل • وأما ما تدعو ضرورة الحياة إليه مما فصلناه فعلى ثلاثة
أضرب ضرب الفضل في قلته وضرب الفضل في كثرته وضرب تختلف الأحوال

فاما ما التمدح والكمال بقلته اتفاقا وعلى كل حال عادة وشريعة فكالغذاء والنوم ولم تزل العرب والحكماء تتمادح بقلتهما وتذم بكثرتهما لان كثرة الاكل والشرب دليل على النهم والحرص والشره وغلبة الشهوة سبب لمضار الدنيا والاخرة جالب لادواء الجسد وخثارة النفس وامتلاء الدماغ وقلته دليل على القناعة وملك النفس وقمع الشهوة مسبب للصحة وصفاء الخاطر وحدة الذهن كما ان كثرة النوم دليل على الفسولة والضعف وعدم الذكاء والفطنة مسبب للكسل وعادة العجز وتضييع العمر في غير نفع وقساوة القلب وغفلته وموته والشاهد على هذا ما يعلم ضرورة ويوجد مشاهدة وينقل متواترا من كلام الامم المتقدمة والحكماء السالفين واشعار العرب واخبارها وصحيح الحديث وآثار من سلف وخلف مما لا يحتاج الى الاستشهاد عليه اختصارا واقتصارا على اشتهار العلم به وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد اخذ من هذين الفنين بالاقل هذا ما لا يدفع من سيرته وهو الذي امر به وحض عليه لا سيما بارتباط احدهما بالآخر حدثنا ابو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه ثنا ابو الفضل الاصبهاني ثنا ابو نعيم الحافظ ثنا سليمن بن احمد ثنا بكر بن سهل ثنا عبد الله بن صالح حدثني معوية بن صالح ان يحيى بن جابر حدثه عن المقدام بن معدي كرب ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم اكلات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ولان كثرة النوم من كثرة الشرب والاكل قال سفيان الثوري بقلة الطعام يملك سهر الليل وقال بعض السلف لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا وقد روي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان احب الطعام اليه ما كان على ضفف اي كثرة الايدي وعن عائشة لم يمتلئ جوف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شبعا قط وانه كان في اهله لا يسئلهم طعاما ولا يتشهاه ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما اسقوه شرب ولا يعترض على هذا بحديث بريرة وقوله الم ار البرمة فيها لحم اذ لعل سبب سؤاله ظنه صلى الله تعالى عليه وسلم اعتقادهم انه لا يحل له فاراد بيان سنته صلى الله تعالى عليه وسلم اذ رآهم لم يقدموه اليه مع علمه انهم لا يستأثرون عليه به فصدق عليهم ظنه وبين لهم ما جهلوه من امره بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم هو لها صدقة ولنا هدية وفي حكمة لقمن عليه السلام يا بني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال سحنون لا يصلح العلم لمن يأكل حتى يشبع وفي صحيح الحديث قوله صلى الله تعالى عليه وسلم اما انا فلا آكل متكئا والاتكاء هو التمكن في الاكل والتقعدد في الجلوس له كالمتربع وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته والجالس على هذه الهيئة يستدعي الاكل ويستكثر منه والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم انما كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز مقعيا ويقول انما انا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد وليس معنى الحديث في الاتكاء الميل على شق عند المحققين وكذلك نومه صلى الله تعالى عليه وسلم كان قليلا شهدت بذلك الآثار الصحيحة ومع ذلك فقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وكان نومه صلى الله تعالى عليه وسلم على جنبه الايمن استظهارا على قلة النوم لانه على الجانب الايسر اهنأ لهدوء القلب وما يتعلق به من الاعضاء الباطنة حينئذ لميلها الى الجانب الايسر فيستدعي ذلك الاستثقال فيه والطول واذا نام النائم على الايمن تعلق القلب وقلق واسرع الافاقة ولم يغمره الاستغراق

فصل

والضرب الثاني ما يتفق التمدح بكثرته والفخر بوفوره كالنكاح والجاه اما النكاح فمتفق فيه شرعا وعادة فانه دليل الكمال وصحة الذكورية ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة والتمادح به سيرة ماضية واما

في الشرع فسنة مأثورة ● وقد قال ابن عباس رضي الله عنه أفضل هذه الأمة أكثرها نساء يشير إليه صلى الله تعالى عليه وسلم ● وقد قال عليه السلام تناكحوا فإني مباه بكم الأمم ● ونهى صلى الله تعالى عليه وسلم عن التبتل مع ما فيه من قمع الشهوة وغض البصر اللذين نبه عليهما صلى الله عليه وسلم بقوله من كان ذا طول فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج حتى لم يره العلماء مما يقدح في الزهد ● قال سهل بن عبد الله قد حببن إلى سيد المرسلين فكيف يزهد فيهن ونحوه لابن عيينة وقد كان زهاد الصحابة رضي الله تعالى عنهم كثيري الزوجات والسراري كثيري النكاح ● وحكي في ذلك عن علي والحسن وابن عمر وغيرهم غير شيء وقد كره غير واحد أن يلقى الله عزبا ● فإن قلت كيف يكون النكاح وكثرته من الفضائل وهذا يحيى بن زكرياء عليهما السلام قد أثنى الله عليه أنه كان حصورا فكيف يثني الله عليه بالعجز عما تعده فضيلة وهذا عيسى تبتل من النساء ولو كان كما قررته لنكح ● فاعلم أن ثناء الله تعالى على يحيى عليه السلام بأنه حصور ليس كما قال بعضهم إنه كان هيوبا أو لا ذكر له بل قد أنكر هذا حذاق المفسرين ونقاد العلماء ● وقالوا هذه نقيصة وعيب فلا يليق بالأنبياء وإنما معناه أنه معصوم من الذنوب أي لا يأتيها كأنه حصر عنها ● وقيل مانعا نفسه من الشهوات ● وقيل ليست له شهوة في النساء فقد بان لك من هذا أن عدم القدرة على النكاح نقص وإنما الفضل في كونها موجودة ثم قمعها إما بمجاهدة كعيسى عليه السلام أو بكفاية من الله كيحيى عليه السلام فضيلة من الله تعالى زائدة لكونها مشغلة في كثير من الأوقات حاطة إلى الدنيا ثم هي في حق من أقدر عليها وملكها وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه عز وجل درجة علياء وهي درجة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم الذي لم تشغله كثرتهن عن عبادة ربه تبارك بل زاده ذلك عبادة لتحصينهن وقيامه بحقوقهن واكتسابه لهن وهدايته إياهن بل صرح عليه السلام أنها ليست من حظوظ دنياه هو وإن كانت من

حظوظ دنيا غيره فقال عليه السلام حبب إلي من دنياكم فدل على أن حبه لما ذكر صلى الله تعالى عليه من النساء والطيب اللذين هما من أمور دنيا غيره واستعماله لذلك ليس لدنياه بل للآخرة للفوائد التي ذكرناها في التزوج وللقاء الملائكة عليهم السلام في الطيب ولأنه أيضا مما يحض على الجماع ويعين عليه ويحرك أسبابه وكان حبه صلى الله تعالى عليه وسلم لهاتين الخصلتين لأجل غيره وقمع شهوته وكان حبه الحقيقي المختص بذاته الشريفة في مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته ● ولذلك ميز بين الحبين وفصل بين الحالين ● فقال وجعلت قرة عيني في الصلاة فقد ساوى يحيى وعيسى عليهما السلام في كفاية فتنتهن وزاد فضيلة بالقيام بهن ● وكان صلى الله تعالى عليه وسلم ممن أقدر على القوة في هذا وأعطي الكثير منه ولهذا أبيح له من عدد الحرائر ما لم يبح لغيره ● وقد روينا عن أنس رضي الله تعالى عنه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم ● كان يطوف على نسائه في الساعة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة ● قال أنس وكنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين رجلا أخرجه النسائي وروي نحوه عن أبي رافع ● وعن طاوس رحمه الله أعطي عليه الصلاة والسلام قوة أربعين رجلا في الجماع ومثله عن صفوان بن سليم ● وقالت سلمى مولاته طاف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة على نسائه التسع وتطهر من كل واحدة قبل أن يأتي الأخرى وقال هذا أطهر وأطيب ● وقد قال سليمان عليه السلام لأطوفن الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين وأنه فعل ذلك قال ابن عباس رضي الله عنه كان في ظهر سليمان عليه السلام ماء مائة رجل وكانت له ثلاثمائة امرأة وثلاثمائة سرية وحكى النقاش وغيره سبع مائة امرأة وثلاثمائة سرية وقد كان لداود عليه السلام على زهده وأكله من عمل يده تسع وتسعون امرأة وتمت بتزوج أوريا مائة ● وقد نبه على ذلك في الكتاب العزيز بقوله تعالى إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ● وفي حديث أنس رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم فضلت على الناس بأربع بالسخاء والشجاعة وكثرة الجماع

وقوة البطش • وأما الجاه فمحمود عند العقلاء عادة وبقدر جاهه عظمه
في القلوب • وقد قال تعالى في صفة عيسى عليه السلام وجيها في الدنيا والآخرة
لكن آفاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس لعقبى الآخرة فلذلك ذمه
من ذمه ومدح ضده وورد في الشرع مدح الخمول وذم العلو في الأرض
وكان صلى الله تعالى عليه وسلم قد رزق من الحشمة والمكانة في القلوب
والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه ويؤذون
أصحابه ويقصدون أذاه في نفسه خفية حتى إذا واجههم أعظموا أمره
وقضوا حاجته • وأخباره في ذلك معروفة سيأتي بعضها • وقد كان
يبهت ويفرق لرؤيته من لم يره • كما روي عن قيلة أنها لما رأته
أرعدت من الفرق فقال يا مسكينة عليك السكينة • وفي حديث
أبي مسعود أن رجلا قام بين يديه فأرعد فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم
هون عليك فإني لست بملك الحديث • فأما عظيم قدره بالنبوة و
شريف منزلته بالرسالة وإنافة رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا
فأمر هو مبلغ النهاية ثم هو في الآخرة سيد ولد آدم وعلى معنى هذا
الفصل نظمنا هذا القسم بأسره • **فصل** وأما الضرب الثالث فهو ما تختلف
الحالات في التمدح به والتفاخر بسببه والتفضيل لأجله ككثرة المال
فصاحبه على الجملة معظم عند العامة لاعتقادها توصله به إلى حاجاته
وتمكن أغراضه بسببه وإلا فليس فضيلة في نفسه فمتى كان المال بهذه
الصورة وصاحبه منفقا له في مهماته ومهمات من اعتراه وأمله
وتصريفه في مواضعه مشتريا به المعالي والثناء الحسن والمنزلة من
القلوب كان فضيلة في صاحبه عند أهل الدنيا وإذا صرفه في وجوه البر
وأنفقه في سبيل الخير وقصد بذلك الله والدار الآخرة كان فضيلة
عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه ممسكا له غير موجهه في وجوهه
حريصا على جمعه عادت كثرته كالعدم وكان منقصة في صاحبه ولم يقف
به على جدد السلامة بل أوقعه في هوة رذيلة البخل ومذمة النذالة فإذا

التمدح بالمال وفضيلته عند مفضليه ليست لنفسه وإنما هو للتوصل
به إلى غيره وتصريفه في متصرفاته فجامعه إذا لم يضعه في مواضعه
ولا وجهه وجوهه غير مليء بالحقيقة ولا غني بالمعنى ولا ممتدح عند
أحد من العقلاء بل هو فقير أبدا غير واصل إلى غرض من أغراضه إذ ما
بيده من المال الموصل لها لم يسلط عليه فأشبه خازن مال غيره ولا مال له
فكأنه ليس في يده منه شيء والمنفق غني مليء بتحصيله فوائد المال
وإن لم يبق في يده من المال شيء فانظر سيرة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم
وخلقه في المال تجده قد أوتي خزائن الأرض ومفاتيح البلاد وأحلت
له الغنائم • ولم تحل لنبي قبله وفتح عليه في حياته صلى الله عليه وسلم
بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما دانى ذلك من الشام والعراق
وجلبت إليه من أخماسها وجزيتها وصدقاتها ما لا يجبى للملوك إلا
بعضه وهادته جماعة من ملوك الأقاليم فما استأثر بشيء منه ولا أمسك
منه درهما بل صرفه مصارفه وأغنى به غيره وقوى به المسلمين • وقال
ما يسرني أن لي أحدا ذهبا يبيت عندي منه دينار إلا دينارا أرصده
لديني وأتته دنانير مرة فقسمها وبقيت منها بقية فدفعها لبعض نسائه
فلم يأخذه نوم حتى قام وقسمها وقال الآن استرحت ومات ودرعه
مرهونة في نفقة عياله واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعوه
ضرورته إليه وزهد فيما سواه فكان يلبس ما وجده فيلبس في الغالب الشملة
والكساء الخشن والبرد الغليظ ويقسم على من حضره أقبية الديباج
المخوصة بالذهب • ويرفع لمن لم يحضره إذ المباهاة في الملابس والتزين
بها ليست من خصال الشرف والجلالة وهي من سمات النساء والمحمود منها
نقاوة الثوب والتوسط في جنسه وكونه لبس مثله غير مسقط لمروءة
جنسه مما لا يؤدي إلى الشهرة في الطرفين وقد ذم الشرع ذلك وغاية الفخر
فيه في العادة عند الناس إنما تعود إلى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال
وكذلك التباهي بجودة المسكن وسعة المنزل وكثرة آلته وخدمه ومركوباته

ومن ملك الأرض وجبي إليه ما فيها فترك ذلك زهداً وتنزّهاً فهو
حائز لفضيلة المالية ومالك للفخر بهذه الخصلة إن كانت فضيلة زائد
عليها في الفخر ومعرق في المدح بإضرابه عنها وزهده في فانيها وبذلها
في مظانّها **فصل** وأمّا الخصال المكتسبة من الأخلاق الحميدة
والآداب الشريفة التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها وتعظيم
المتصف بالخلق الواحد منها فضلاً عمّا فوقه وأثنى الشرع على
جميعها وأمر بها ووعد السعادة الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها بأنه
من أجزاء النبوة وهي المسمّاة بحسن الخلق وهو الاعتدال في قوى النفس
وأوصافها والتوسط فيها دون الميل إلى منحرف أطرافها فجميعها قد كانت
خلق نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم على الانتهاء في كمالها والاعتدال
إلى غايتها حتى أثنى الله تعالى عليه بذلك فقال وإنك لعلى خلق عظيم
وقالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه صلى الله عليه وسلم القرآن يرضى
برضاه ويسخط بسخطه وقال صلى الله تعالى عليه وسلم بعثت لأتمم
مكارم الأخلاق وقال أنس رضي الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم أحسن الناس خلقاً وعن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه
مثله وكان فيما ذكره المحققون مجبولاً عليها في أصل خلقته وأول فطرته
لم تحصل له باكتساب ولا رياضة إلا بجود إلهي وخصوصية ربانية
وهكذا لسائر الأنبياء عليهم السلام ومن طالع سيرهم منذ صباهم
إلى مبعثهم حقق ذلك كما عرف من حال موسى وعيسى ويحيى وسليمن
وغيرهم عليهم الصلوة والسلام بل غرزت فيهم هذه الأخلاق في الجبلة
وأودعوا العلم والحكمة في الفطرة قال الله تعالى وآتيناه الحكم صبياً
قال المفسرون أعطي يحيى العلم بكتاب الله في حال صباه وقال معمر كان
ابن سنتين أو ثلاث فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال أللعب خلقت
وقيل في قوله تعالى مصدقاً بكلمة من الله صدّق يحيى بعيسى وهو ابن
ثلاث سنين فشهد له أنه كلمة الله وروحه وقيل صدّقه وهو في

في بطن أمه فكانت أم يحيى تقول لمريم إني أجد ما في بطني يسجد لما
في بطنك تحية له وقد نص الله في كتابه على كلام عيسى عليه السلام
لأمه عند ولادتها إياه بقوله لها لا تحزني على قراءة من قرأ من تحتها
وعلى قول من قال إن المنادي عيسى ونص على كلامه في مهده فقال إني
عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً وقال عز وجل
ففهمناها سليمن وكلاً آتينا حكماً وعلماً وقد ذكر من حكم سليمن وهو
صبي يلعب في قصة المرجومة وفي قصة الصبي ما اقتدى به داود أبوه
وحكى الطبري أن عمره كان حين أوتي الملك اثني عشر عاماً وكذلك قصة
موسى عليه السلام مع فرعون وأخذه بلحيته وهو طفل وقال المفسرون
في قوله تعالى ولقد آتينا إبرهيم رشده من قبل أي هديناه صغيراً قاله
مجاهد وغيره وقال ابن عطاء اصطفاه قبل ابتداء خلقه وقال
بعضهم لما ولد إبرهيم بعث الله إليه ملكاً يأمره عن الله أن يعرفه بقلبه
ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل أفعل فذلك رشده وقيل
إن إلقاء إبرهيم عليه السلام في النار ومحنته كانت وهو ابن ست
عشرة سنة وإن ابتلاء إسحق بالذبح كان وهو ابن سبع سنين
وإن استدلال إبرهيم عليه السلام بالكوكب والقمر والشمس كان
وهو ابن خمسة عشر شهراً وقيل أوحي إلى يوسف وهو صبي عندما هم
إخوته بإلقائه في الجب بقوله تعالى وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا
إلى غير ذلك مما ذكر من أخبارهم وأخبار غيرهم وقد حكى بعض
أهل السير أن آمنة بنت وهب أخبرت أن نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم
ولد باسطاً يديه إلى الأرض رافعاً رأسه إلى السماء وقال في حديثه
لما نشأت بغضت إلي الأوثان وبغض إلي الشعر ولم أهم بشيء مما
كانت الجاهلية تفعله إلا مرتين فعصمني الله منهما ثم لم أعد ثم يتمكن
الأمر لهم وتترادف نفحات الله تعالى عليهم وتشرق أنوار المعارف في
قلوبهم حتى يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة في تحصيل هذه

للخصال الشريفة النهاية دون ممارسة ولا رياضة قال الله تعالى
ولما بلغ اشده واستوى آتيناه حكما وعلما وقد نجد غيرهم يطبع
على بعض هذه الاخلاق دون جميعها ويولد عليها فيسهل عليه اكتساب
تمامها عناية من الله تعالى كما نشاهد من خلقة بعض الصبيان على حسن
السمت او الشهامة او صدق اللسان او السماحة وكما نجد بعضهم على
ضدها فبالاكتساب يكمل ناقصها وبالرياضة والمجاهدة يستجلب
معدومها ويعتدل منحرفها وباختلاف هذين الحالين يتفاوت الناس
فيها وكل ميسر لما خلق له ولهذا ما قد اختلف السلف فيها هل هذه
الاخلاق جبلة او مكتسبة فحكى الطبري عن بعض السلف ان
الخلق الحسن جبلة وغريزة في العبد وحكاه عن عبد الله بن مسعود
والحسن وبه قال هو والصواب ما اصلناه وقد روى سعد عن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم قال كل الخلال يطبع عليها المؤمن الا الخيانة
والكذب وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في حديثه والجراءة
والجبن غرائز يضعها الله تعالى حيث يشاء وهذه الاخلاق المحمودة والخصال
الشريفة الجميلة كثيرة ولكننا نذكر منها اصولها ونشير الى جميعها ونحقق

فصل

وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بها ان شاء الله تعالى اما
اصل فروعها وعنصر ينابيعها ونقطة دائرتها فالعقل الذي منه
ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب الراي وجودة الفطنة
والاصابة وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة
الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتناء الفضائل واجتناب الرذائل
وقد اشرنا الى مكانه منه صلى الله تعالى عليه وسلم وبلوغه منه
ومن العلم الغاية القصوى التي لم يبلغها بشر سواه واذ جلالة محله
من ذلك ومما يتفرع منه متحقق عند من تتبع مجاري احواله واطراد
سيره وطالع جوامع كلامه وحسن شمائله وبدائع سيره وحكم حديثه وعلمه
بما في التوراة والانجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء وسير الامم الخالية

وايامها وضرب الامثال وسياسات الانام وتقرير الشرائع وتاصيل الآداب
النفيسة والشيم الحميدة الى فنون العلوم التي اتخذ اهلها كلامه
صلى الله تعالى عليه وسلم فيها قدوة واشاراته حجة كالعبارة والطب
والحساب والفرائض والنسب وغير ذلك كما سنبينه في معجزاته
ان شاء الله تعالى دون تعليم ولا مدارسة ولا مطالعة كتب من تقدم
ولا الجلوس الى علمائهم بل نبي امي لم يعرف بشيء من ذلك حتى شرح
الله صدره وابان امره وعلمه واقراه يعلم ذلك بالمطالعة والبحث
من حاله ضرورة وبالبرهان القاطع على نبوته نظرا فلا نطول بسرد
الاقاصيص وآحاد القضايا اذ مجموعها ما لا ياخذه حصر ولا يحيط
بحفظ جامع وبحسب عقله كانت معارفه صلى الله تعالى عليه وسلم
الى سائر ما علمه الله تعالى واطلعه عليه من علم ما يكون وما كان وعجائب
قدرته وعظيم ملكوته قال الله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل
الله عليك عظيما حارت العقول في تقدير فضله عليه وخرست الالسن
دون وصف يحيط بذلك او ينتهي اليه

فصل

واما الحلم والاحتمال
والعفو مع القدرة والصبر على ما يكره وبين هذه الالقاب فرق فان
الحلم حالة توقر وثبات عند الاسباب المحركات والاحتمال حبس النفس
عند الآلام والمؤذيات ومثلهما الصبر ومعانيها متقاربة واما العفو
فهو ترك المؤاخذة وهذا كله مما ادب الله تعالى به نبيه محمدا صلى الله
عليه وسلم فقال خذ العفو وامر بالعرف الآية روي ان النبي صلى الله
لما نزلت هذه الآية سال جبريل عليه السلام عن تاويلها فقال له
حتى اسال العالم ثم ذهب فاتاه فقال يا محمد ان الله يامرك ان تصل
من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال تعالى له واصبر
على ما اصابك الآية وقال عز وجل فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل
وقال تعالى وليعفوا وليصفحوا الآية وقال تعالى ولمن صبر وغفر ان
ذلك لمن عزم الامور ولا خفاء بما يؤثر من حلمه واحتماله وان كل

حليم قد عرفت منه زلة وحفظت عنه هفوة وهو صلى الله تعالى عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الاذاء الا صبرا وعلى اسراف الجاهل الا حلما ثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن علي التغلبي وغيره قالوا ثنا محمد بن عتاب ثنا ابو بكر بن واقد القاضي وغيره ثنا ابو عيسى ثنا عبيد الله ثنا يحيى بن يحيى ثنا مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عايشة قالت ما خير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في امرين قط الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله وروي ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم احد شق ذلك على اصحابه شديدا وقالوا لو دعوت عليهم فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اني لم ابعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون وروي عن عمر رضي الله تعالى عنه انه قال في بعض كلامه بابي انت وامي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند اخرنا فلقد وطئ ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون قال الفقيه القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى انظر ما في هذا القول من جماع الفضل ودرجات الاحسان وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم اذ لم يقتصر صلى الله عليه وسلم على السكوت عنهم حتى عفا ثم اشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال اللهم اغفر او اهد ثم اظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لقومي ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال فانهم لا يعلمون ولما قال له الرجل اعدل فان هذه قسمة ما اريد بها وجه الله لم يزد في جوابه ان بين له ما جهله ووعظ نفسه وذكرها بما قال له فقال ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل ونهى من اراد من اصحابه قتله ولما تصدى له غورث بن الحارث ليفتك

ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منتبذ تحت شجرة وحده قائلا والناس قائلون في غزاة فلم ينتبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو قائم والسيف صلتا في يده فقال من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف من يده فاخذه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال له من يمنعك مني فقال كن خير اخذ فتركه وعفا عنه فجاء الى قومه فقال جئتكم من عند خير الناس ومن عظيم خبره في العفو عفوه عن اليهودية التي سمته في الشاة بعد اعترافها على الصحيح من الرواية وانه لم يؤاخذ لبيد بن الاعصم اذ سحره وقد اعلم به واوحي اليه بشرح امره ولا عتب عليه فضلا عن معاقبته وكذلك لم يؤاخذ عبد الله بن ابي واشباهه من المنافقين بعظيم ما نقل عنهم في جهته قولا وفعلا بل قال لمن اشار بقتل بعضهم لا يتحدث ان محمدا يقتل اصحابه وعن انس قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد غليظ الحاشية فجبذه اعرابي بردائه جبذة شديدة حتى اثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه ثم قال يا محمد احمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك فانك لا تحمل لي من مالك ولا من مال ابيك فسكت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال المال مال الله وانا عبده ثم قال ويقاد منك يا اعرابي ما فعلت بي قال لا قال لم قال لانك لا تكافي بالسيئة السيئة فضحك صلى الله عليه وسلم ثم امر ان يحمل له على بعير شعير وعلى الاخر تمر قالت عايشة رضي الله عنها ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله سبحانه وما ضرب بيده شيا قط الا ان يجاهد في سبيل الله ولا ضرب خادما ولا امراة قط وجيء اليه برجل فقيل له هذا اراد ان يقتلك فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لن تراع لن تراع ولو اردت ذلك لم تسلط علي وجاءه زيد بن سعنة قبل اسلامه يتقاضاه دينا عليه فجبذ ثوبه عن منكبه واخذ بمجامع ثيابه واغلظ له ثم قال انكم يا بني عبد المطلب مطل فانتهره عمر وشدد له

في القول والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يتبسم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انا وهو كنا الى غير هذا منك احوج يا عمر تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضي ثم قال لقد بقي من اجله ثلاث وأمر عمر يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعا لما روعه فكان سبب اسلامه وذلك انه كان يقول ما بقي من علامات النبوة شيء الا وقد عرفتها في محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الا اثنتين لم اخبرهما يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل الا حلما فاختبره بهذا فوجده كما وصف والحديث عن حلمه عليه السلام وعن صبره وعفوه عند المقدرة اكثر من ان تأتي عليه وحسبك ما ذكرناه في الصحيح والمصنفات الثابتة الى ما بلغ متواترا مبلغ اليقين من صبره على مقاساة قريش وأذى الجاهلية ومصابرته الشدائد الصعبة معهم الى ان اظهره الله تعالى عليهم وحكمه فيهم وهم لا يشكون في استيصال شأفتهم وابادة خضرائهم فما زاد على ان عفا وصفح وقال ما تقولون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم فقال اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم الآية اذهبوا فانتم الطلقاء وقال انس رضي الله تعالى عنه هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاخذوا فاعتقهم صلى الله تعالى عليه وسلم فانزل الله عز وجل وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم الآية وقال لابي سفيان وقد سيق اليه بعد ان جلب عليه الاحزاب وقتل عمه واصحابه ومثل بهم فعفا عنه ولاطفه في القول ويحك يا ابا سفين الم يأن لك ان تعلم ان لا اله الا الله فقال بابي انت وامي ما احلمك واوصلك واكرمك وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ابعد الناس غضبا واسرعهم رضي صلى الله تعالى عليه وسلم وأما الجود والكرم والسخاء والسماحة فمعانيها متقاربة وقد فرق بعضهم بينها بفروق فجعلوا الكرم الانفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه وسموه ايضا حرية وهو ضد النذالة والسماحة

التجافي عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد الشكاسة والسخاء سهولة الانفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد وهو الجود وهو ضد التقتير وكان صلى الله عليه وسلم لا يوازى في هذه الاخلاق الكريمة ولا يبارى بهذا وصفه كل من عرفه حدثنا القاضي الشهيد ابو علي الصدفي رحمه الله ثنا القاضي ابو الوليد الباجي ثنا ابو ذر الهروي ثنا ابو الهيثم الكشميهني وابو محمد السرخسي وابو اسحق البلخي ثنا ابو عبد الله الفربري ثنا البخاري ثنا محمد بن كثير انا سفين عن ابن المنكدر سمعت جابر بن عبد الله يقول ما سئل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن شيء فقال لا وعن انس وسهل بن سعد رضه مثله وعن ابن عباس كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اجود الناس بالخير واجود ما كان في شهر رمضان وكان اذا لقيه جبريل عليه السلام اجود بالخير من الريح المرسلة وعن انس رضي الله تعالى عنه ان رجلا سأله فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى بلده فقال اسلموا فان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم يعطي عطاء من لا يخشى الفقر واعطى غير واحد مائة من الابل واعطى صفوان مائة ثم مائة ثم مائة وهذه كانت حاله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل ان يبعث وقد قال له ورقة بن نوفل انك تحمل الكل وتكسب المعدوم ورد على هوازن سباياها وكانوا ستة آلاف واعطى العباس رضي الله عنه من الذهب ما لم يطق حمله وحمل اليه تسعون الف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها وجاءه رجل فسأله فقال ما عندي شيء ولكن ابتع علي فاذا جاءنا شيء قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال رجل من الانصار يا رسول الله انفق ولا تخش من ذي العرش اقلالا فتبسم صلى الله تعالى عليه وسلم وعرف البشر في وجهه وقال بهذا امرت ذكره الترمذي وذكر عن معوذ بن عفراء اتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقناع من رطب يريد طبقا واجر زغب يريد قثاء فاعطاني ملء كفه حليا وذهبا

قال انس رضى الله تعالى عنه كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا يدخر شيئا
لغد والخبر بجوده ۞ وكرمه صلى الله تعالى عليه وسلم كثير ۞ وعن
ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال اتى رجل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
يسأله فاستسلف له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نصف وسق فجاء
الرجل يتقاضاه فاعطاه وسقا وقال نصفه قضاء ونصفه نائل و
الخبر بجوده ۞ وكرمه صلى الله تعالى عليه وسلم كثير ۞ وقد قال
ابو على الدقاق من شيوخ المتصوفة المشاهير وعلمائهم الغابرين وتكلم
فى الفتوة على رأيهم واصطلاحهم فى الفاظهم وهو غاية الكرم والايثار
ان هذا الخلق لا يكون بكماله الا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فان كل
واحد فى القيمة يقول نفسى نفسى وهو يقول امتى امتى **فصل** واما
الشجاعة والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل و
النجدة ثقة النفس عند استرسالها الى الموت حيث يحمد فعلها دون خوف
۞ وكان صلى الله تعالى عليه وسلم منهما بالمكان الذى لا يجهل قد حضر
المواقف الصعبة وفر الكماة والابطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح
ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح وما شجاع الا وقد احصيت له فرة وحفظت
عنه جولة سواه نا ابو على الجيانى فيما كتب الى قال نا القاضى سراج نا ابو محمد الاصيلى نا ابو
الفقيه نا محمد بن يوسف نا ابو محمد بن اسمعيل نا ابن بشار نا غندر نا شعبة عن ابى اسحق سمع
البراء وسأله رجل افررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم لكن رسول الله
لم يفر ۞ ثم قال لقد رأيته على بغلته البيضاء وابو سفيان آخذ
بلجامها والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقول انا النبى لا كذب وزاد
غيره انا ابن عبد المطلب ۞ قيل فما رئى يومئذ احد كان اشد منه
۞ وقال غيره نزل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن بغلته ۞ وذكر مسلم
عن العباس رضى الله تعالى عنه قال فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون
مدبرين فطفق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار
وانا آخذ بلجامها اكفها ارادة ان لا تسرع وابو سفيان آخذ بركابه ثم نادى يا

يا للمسلمين الحديث ۞ وقيل كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا
غضب ولا يغضب الا لله لم يقم لغضبه شىء ۞ وقال ابن عمر ما رأيت
اشجع ولا انجد ولا اجود ولا ارضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم
۞ وقال على رضى الله تعالى عنه انا كنا اذا حمى البأس ويروى اشتد البأس
واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فما يكون احد اقرب
الى العدو منه ۞ ولقد رأيتنى يوم بدر ونحن نلوذ بالنبى صلى الله
عليه وسلم وهو اقربنا الى العدو وكان من اشد الناس يومئذ بأسا ۞
وقيل كان الشجاع هو الذى يقرب منه صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دنا
العدو لقربه منه ۞ وعن انس رضى الله عنه كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
احسن الناس واجود الناس واشجع الناس لقد فزع اهل المدينة ليلة
فانطلق الناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
راجعا قد سبقهم الى الصوت وقد استبرأ الخبر على فرس لابى طلحة عرى
والسيف فى عنقه وهو يقول لن تراعوا ۞ وقال عمران بن حصين ما لقى
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كتيبة الا كان اول من يضرب ۞ ولما
رآه ابى بن خلف يوم احد وهو يقول اين محمد لا نجوت ان نجا ۞ وقد كان
يقول للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم حين افتدى يوم بدر عندى فرس اعلفها
كل يوم فرقا من ذرة اقتلك عليها فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
انا اقتلك ان شاء الله فلما رآه يوم احد شد ابى على فرسه على رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم ۞ فاعترضه المسلمون فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
هكذا اى خلوا طريقه وتناول الحربة من الحرث بن الصمة فانتفض بها انتفاضة
تطايروا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير اذا انتفض ۞ ثم استقبله النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم فطعنه فى عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا
۞ وقيل بل كسر ضلعا من اضلاعه فرجع الى قريش وهو يقول قتلنى محمد
وهم يقولون لا بأس بك فقال لو كان ما بى بجميع الناس لقتلهم أليس قد قال
انا اقتلك والله لو بصق على لقتلنى فمات بسرف فى قفولهم الى مكة

الحياء والاغضاء فالحياء رقة تعتري وجه الانسان عند فعل ما يتوقع
كراهته او ما يكون تركه خيرا من فعله والاغضاء التغافل عما يكره
الانسان بطبيعته وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اشد الناس حياء
واكثرهم عن العورات اغضاء قال الله سبحانه وتعالى ان ذلكم كان يؤذي
النبي فيستحيي منكم الاية وثنا ابو محمد بن عتاب رحمه الله تعالى بقراءتي عليه
ثنا ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن القابسي ثنا ابو زيد المروزي
ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عبدان انا عبد الله ثنا شعبة
عن قتادة سمعت عبد الله مولى انس عن ابي سعيد الخدري قال كان
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اشد حياء من العذراء في خدرها
وكان اذا كره شيئا عرفناه في وجهه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه احدا بما يكرهه حياء وكرم نفس
وعن عائشة قالت كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا بلغه عن احد
ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا ولكن يقول ما بال اقوام يصنعون
او يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمي فاعله وروى انس انه دخل عليه رجل به
اثر صفرة فلم يقل شيئا وكان لا يواجه احدا بما يكرهه فلما خرج قال لو قلتم
له يغسل هذا ويروى ينزعها قالت عائشة رضي الله عنها في الصحيح لم يكن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا بالاسواق ولا يجزي
بالسيئة ولكن يعفو ويصفح وقد حكي مثل هذا الكلام عن التورية
من رواية ابن سلام وعبد الله بن عمرو بن العاص وروي عنه عليه
الصلاة والسلام انه كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه احد وانه
كان يكني عما اضطره الكلام اليه مما يكرهه وعن عائشة رضي الله تعالى عنها
ما رأيت فرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قط واما حسن عشرته
وادبه وبسط خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم مع اصناف الخلق فبحيث انتشرت به
الاخبار الصحيحة قال علي رضي الله عنه في وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم كان
اوسع الناس صدرا واصدق الناس لهجة والينهم عريكة واكرمهم عشرة ثنا

حدثنا ابو الحسن علي بن المشرف الانماطي فيما اجازنيه وقراءته على غيره
قال ثنا ابو اسحق الحبال ثنا ابو محمد بن النحاس ثنا ابن الاعرابي ثنا
ابو داود ثنا هشام ابو مروان ومحمد بن المثنى قالا حدثنا الوليد بن مسلم
ثنا الاوزاعي سمعت يحيى بن ابي كثير يقول حدثني محمد بن عبد الرحمن
بن اسعد بن زرارة عن قيس بن سعد قال زارنا رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم وذكر قصة في آخرها فلما اراد الانصراف قرب اليه سعد حمارا
وطأ عليه بقطيفة فركب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال
سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال قيس فقال لي
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اركب فابيت فقال اما ان تركب
واما ان تنصرف فانصرفت وفي رواية اخرى اركب امامي فصاحب الدابة
احق بمقدمها وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم
كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي
عن احد منهم بشره ولا خلقه ويتفقد اصحابه ويعطي كل جلسائه نصيبه لا
يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه من جالسه او قاربه لحاجة
صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ومن سأله حاجة لم يرده الا بها
او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا
وصاروا عنده في الحق سواء بهذا وصفه ابن ابي هالة قال وكان صلى
الله تعالى عليه وسلم دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا
غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي
ولا يؤيس منه وقال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت
فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وقال سبحانه وتعالى ادفع بالتي
هي احسن الاية وكان يجيب من دعاه ويقبل الهدية ولو كانت كراعا
ويكافئ عليها قال انس رضي الله تعالى عنه خدمت النبي صلى الله عليه وسلم
عشر سنين فما قال لي اف قط وما قال لي لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء
تركته لم تركته وعن عائشة رضي الله تعالى عنها ما كان احد احسن خلقا

من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما دعاه أحد من أصحابه ولا أهل بيته
إلا قال له لبيك ● وقال جرير بن عبد الله ما حجبني رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم منذ أسلمت ولا رآني إلا تبسم ● وكان يمازح أصحابه ويخالطهم
ويحادثهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة العبد والحر
والأمة والمسكين ويعود المرضى في أقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر
وقال أنس ما التقم أحد أذن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فينحي رأسه
حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه ● وما أخذ أحد بيده فيرسل يده
حتى يرسلها الآخر ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له ● وكان
يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة لم ير قط مادا رجليه
بين أصحابه حتى يضيق بهما على أحد يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه
ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها إن أبى ويكني
أصحابه ويدعوهم بأحب أسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع على أحد حديثه
حتى يتجوز فيقطعه بنهي أو قيام ويروى بانتهاء أو قيام ● وروى
أنه كان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف
صلاته وسأله عن حاجته فإذا فرغ عاد إلى صلاته ● وكان صلى الله
عليه وسلم أكثر الناس تبسما وأطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن
أو يعظ أو يخطب ● وقال عبد الله بن الحارث ما رأيت أحدا أكثر تبسما
من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ● وعن أنس رضي الله عنه كان خدم
المدينة يأتون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إذا صلى الغداة بآنيتهم
فيها الماء فما يؤتى بآنية إلا غمس يده فيها وربما كان ذلك في الغداة
الباردة يريدون به التبرك **فصل** وأما الشفقة والرأفة والرحمة
لجميع الخلق فقد قال تعالى فيه عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين
رؤوف رحيم ● وقال تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ● قال بعضهم من فضله
عليه السلام أن الله تعالى أعطاه اسمين من أسمائه فقال بالمؤمنين رؤوف رحيم
● وحكى نحوه الإمام أبو بكر بن فورك ثنا الفقيه أبو محمد عبد الله بن محمد

الحسني

الحسني بقراءتي عليه ثنا إمام الحرمين ثنا أبو علي الطبري ثنا عبد
الغافر الفارسي ● ثنا أبو أحمد الجلودي ثنا إبراهيم بن سفيان ● ثنا
مسلم بن الحجاج ثنا أبو الطاهر أنا ابن وهب ثنا يونس عن ابن شهاب
قال غزا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غزوة وذكر حنينا فأعطى
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صفوان بن أمية مائة من النعم
ثم مائة ثم مائة ● قال ابن شهاب ثنا سعيد بن المسيب أن صفوان
قال والله لقد أعطاني ما أعطاني وإنه لأبغض الخلق إلي فما زال
يعطيني حتى إنه لأحب الخلق إلي ● وروي أن أعرابيا جاءه يطلب
منه شيئا فأعطاه ثم قال أحسنت إليك قال الأعرابي لا ولا أجملت
فغضب المسلمون وقاموا إليه فأشار إليهم أن كفوا ثم قام ودخل
منزله فأرسل إليه وزاده شيئا ثم قال أحسنت إليك قال نعم فجزاك
الله من أهل وعشيرة خيرا فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ● إنك
قلت ما قلت وفي أنفس أصحابي من ذلك شيء فإن أحببت فقل بين أيديهم
ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك قال نعم ● فلما كان
الغد أو العشي جاء فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إن هذا الأعرابي
قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضي أكذلك قال نعم فجزاك
الله من أهل وعشيرة خيرا فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ● مثلي ومثل هذا
مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفورا
فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي فإني أرفق بها منكم وأعلم
فتوجه لها بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض فردها حتى جاءت
واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها وإني لو تركتكم حيث قال
الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار ● وروي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم
أنه قال لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئا فإني أحب أن أخرج إليكم
وأنا سليم الصدر ● ومن شفقته صلى الله تعالى عليه وسلم على أمته تخفيفه
عنهم وتسهيله عليهم وكراهته أشياء مخافة أن تفرض عليهم ● كقوله

عليه السلام لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء وخبر
صلاة الليل ونهيه إياهم عن الوصال وكراهته دخول الكعبة لئلا
يعنت أمته ورغبته لربه أن يجعل سبه ولعنه رحمة بهم وأنه صلى الله عليه وسلم
كان يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلاته ومن شفقته صلى الله تع عليه وسلم
أن دعا ربه وعاهده فقال أيما رجل سببته أو لعنته فاجعل ذلك له زكوة
ورحمة وصلاة وطهورا وقربة تقربه بها إليك يوم القيمة ولما كذبه
قومه أتاه جبريل عليه السلام فقال له إن الله تعا قد سمع قول قومك
وما ردوا عليك وقد أمر ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداه
ملك الجبال وسلم عليه وقال مرني بما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين
قال صلى الله تع عليه وسلم بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من
يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا وروى ابن المنكدر أن جبريل
عليه السلام قال للنبي صلى الله تع عليه وسلم إن الله تع أمر السماء والأرض
والجبال أن تطيعك فقال أخر عن أمتي لعل الله أن يتوب عليهم قالت
عائشة رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله تع عليه وسلم بين
أمرين إلا اختار أيسرهما وقال ابن مسعود كان رسول الله صلى
الله تع عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا وعن
عائشة رضي الله تع عنها أنها ركبت بعيرا وفيه صعوبة فجعلت تردده
فقال لها رسول الله صلى الله تع عليه وسلم عليك بالرفق فصل
وأما خلقه صلى الله تع عليه وسلم في الوفاء وحسن العهد وصلة
الرحم فحدثنا أبو عامر محمد بن إسمعيل بقراءتي عليه قال ثنا أبو بكر
محمد بن محمد قال ثنا أبو إسحق الحبال ثنا أبو محمد بن النحاس ثنا ابن
الأعرابي ثنا أبو داود ثنا محمد بن يحيى ثنا محمد بن سنان ثنا إبرهيم بن
طهمان عن بديل عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق عن أبيه عن
عبد الله بن أبي الحمساء قال بايعت النبي صلى الله تع عليه وسلم ببيع
قبل أن يبعث وبقيت له بقية فوعدته أن آتيه بها في مكانه فنسيت

ثم ذكرت بعد ثلث فجئت فإذا هو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت
علي أنا ههنا منذ ثلث أنتظرك وعن أنس رضي الله عنه كان النبي صلى
الله تع عليه وسلم إذا أتي بهدية قال اذهبوا بها إلى بيت فلانة فإنها
كانت صديقة لخديجة إنها كانت تحب خديجة رضي الله تع عنه
وعن عائشة رضي الله تع عنها قالت ما غرت على امرأة ما غرت على
خديجة رضي الله عنها لما كنت أسمعه يذكرها وإن كان ليذبح الشاة فيهديها
إلى خلائلها واستأذنت عليه أختها فارتاح إليها ودخلت عليه امرأة
فهش إليها وأحسن السؤال عنها فلما خرجت قال إنها كانت تأتينا
أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان ووصفه صلى الله تع عليه وسلم
بعضهم فقال كان يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل
منهم وقال رسول الله صلى الله تع عليه وسلم إن آل أبي فلان ليسوا لي
بأولياء غير أن لهم رحما سأبلها ببلالها وقد صلى عليه السلام
بأمامة ابنة ابنته زينب يحملها على عاتقه فإذا سجد وضعها وإذا قام
حملها وعن أبي قتادة قال وفد وفد للنجاشي فقام النبي صلى الله تع عليه وسلم
يخدمهم فقال له أصحابه نكفيك فقال إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين
وإني أحب أن أكافئهم ولما جيء بأخته من الرضاعة الشيماء في سبايا
هوازن وتعرفت له بسط لها رداءه وقال لها إن أحببت أقمت
عندي مكرمة محببة أو متعتك ورجعت إلى قومك فاختارت قومها
فمتعها وقال أبو الطفيل رأيت النبي صلى الله تع عليه وسلم وأنا
غلام إذ أقبلت امرأة حتى دنت منه فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت
من هذه فقالوا أمه التي أرضعته وعن عمرو بن السائب أن رسول
الله صلى الله تع عليه وسلم كان جالسا يوما فأقبل أبوه من الرضاعة
فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم أقبلت أمه من الرضاعة فوضع
شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقام
رسول الله صلى الله تع عليه وسلم فأجلسه بين يديه وكان صلى الله

يبعث الى ثويبة مولاة ابي لهب مرضعته بصلة وكسوة فلما ماتت
سأل من بقي من قرابتها فقيل لا احد وفي حديث خديجة رضي الله تعالى عنها
انها قالت له يا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ابشر فوالله
لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم
وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق واما تواضعه صلى
على علو منصبه ورفعة رتبته فكان صلى الله تعالى عليه وسلم اشد الناس
تواضعا واقلهم كبرا وحسبك انه خير بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا
عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا وقال له اسرافيل عند ذلك
ان الله تعالى قد اعطاك بما تواضعت له انك سيد ولد ادم
يوم القيمة واول من تنشق عنه الارض واول شافع حدثنا
ابو الوليد بن العواد الفقيه رحمه الله تعالى بقراءتي عليه في منزله
بقرطبة سنة سبع وخمس مائة قال ثنا ابو علي الحافظ قال ثنا
ابو عمر ثنا ابن عبد المؤمن ثنا ابن داسة ثنا ابو داود ثنا ابو بكر بن
ابي شيبة ثنا عبد الله بن نمير عن مسعر عن ابي العنبس عن ابي العدبس
عن ابي مرزوق عن ابي غالب عن ابي امامة قال خرج علينا رسول الله
متوكئا على عصا فقمنا له فقال لا تقوموا كما تقوم الاعاجم يعظم
بعضها بعضا وقال انما انا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس
العبد وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يركب الحمار ويردف خلفه
ويعود المساكين ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس بين
اصحابه مختلطا بهم حيث ما انتهى به المجلس جلس وفي حديث عمر
عنه لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم انما انا عبد فقولوا عبد
الله ورسوله وعن انس رضي الله تعالى عنه ان امراة كان في عقلها شيء
جاءته وقالت ان لي اليك حاجة قال اجلسي يا ام فلان في اي طرق المدينة
شئت اجلس اليك حتى اقضي حاجتك قال فجلست فجلس النبي صلى الله عليه وسلم
اليها حتى فرغت من حاجتها قال انس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

يركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يوم
بني قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه اكاف قال وكان يدعى
الى خبز الشعير والاهالة السنخة فيجيب قال وحج صلى الله تعالى عليه
على رحل رث وعليه قطيفة ما تساوي اربعة دراهم وقال اللهم اجعله
حجا لا رياء فيه ولا سمعة هذا وقد فتحت عليه الارض واهدى في حجه
ذلك مائة بدنة ولما فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين
طأطأ على رحله رأسه حتى كاد يمس قادمته تواضعا لله تعالى ومن
تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم قوله لا تفضلوني على يونس بن متى
ولا تفضلوا بين الانبياء ولا تخيروني على موسى ونحن احق بالشك
من ابرهيم ولو لبثت ما لبث يوسف في السجن لاجبت الداعي وقال
صلى الله تعالى عليه وسلم للذي قال له يا خير البرية قال ذلك ابرهيم صلى الله عليه وسلم
وسيأتي الكلام على هذه الاحاديث بعد هذا ان شاء الله تعالى وعن عائشة
والحسن وابي سعيد وغيرهم رضي الله تعالى عنهم في صفته صلى الله تعالى عليه وسلم
وبعضهم يزيد على بعض كان في بيته في مهنة اهله يفلي ثوبه ويحلب
شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم نفسه ويعلف ناضحه ويقم البيت
ويعقل البعير ويأكل مع الخادم ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق
وعن انس رضي الله تعالى عنه ان كانت الامة من اماء اهل المدينة لتاخذ
بيد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت حتى يقضي حاجتها
ودخل عليه رجل فاصابته من هيبته رعدة فقال له هون عليك فاني
لست بملك انما انا ابن امراة من قريش تاكل القديد وعن ابي هريرة رضي
قال دخلت السوق مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاشترى سراويل وقال
للوزان زن وارجح وذكر القصة قال فوثب الى يد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
يقبلها فجذب يده وقال هذا تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك انما انا رجل
منكم ثم اخذ السراويل فذهبت لاحمله فقال صاحب الشيء احق بشيئه
ان يحمله

فصل

واما عدله صلى الله تعالى عليه وسلم وامانته وعفته

وَصِدْقِ لَهْجَتِهِ فَكَانَ صَلَّى اللّٰهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آمَنَ النَّاسِ وَأَعْدَلَ النَّاسِ
وَأَعَفَّ النَّاسِ وَأَصْدَقَهُمْ لَهْجَةً مُنْذُ كَانَ ثُمَّ اعْتَرَفَ لَهُ بِذَلِكَ مُحَادُّوهُ وَعِدَاهُ
وَكَانَ يُسَمَّى قَبْلَ نُبُوَّتِهِ الْأَمِينَ ● قَالَ ابْنُ إِسْحَقَ كَانَ يُسَمَّى الْأَمِينَ بِمَا جَمَعَ
فِيهِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الصَّالِحَةِ ● وَقَالَ تَعَالَى مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى أَنَّهُ
مُحَمَّدٌ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ● وَلَمَّا اخْتَلَفَتْ قُرَيْشٌ وَتَحَازَبَتْ عِنْدَ بِنَاءِ
الْكَعْبَةِ شَرَّفَهَا اللّٰهُ فِيمَنْ يَضَعُ الْحَجَرَ حَكَّمُوا أَوَّلَ دَاخِلٍ عَلَيْهِمْ فَإِذَا بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
دَاخِلٌ وَذَلِكَ قَبْلَ نُبُوَّتِهِ فَقَالُوا هَذَا مُحَمَّدٌ هَذَا الْأَمِينُ قَدْ رَضِينَا بِهِ ● وَعَنِ
الرَّبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ كَانَ يُتَحَاكَمُ إِلَى رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ
قَبْلَ الْإِسْلَامِ ● وَقَالَ صَلَّى اللّٰهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاللّٰهِ إِنِّي لَأَمِينٌ فِي السَّمَاءِ
أَمِينٌ فِي الْأَرْضِ ● ثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الصَّدَفِيُّ الْحَافِظُ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ ثَنَا أَبُو الْفَضْلِ
بْنُ خَيْرُونَ ● أَنَا أَبُو يَعْلَى بْنُ زَوْجِ الْحُرَّةِ أَنَا أَبُو عَلِيٍّ السِّنْجِيُّ ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَحْبُوبٍ
الْمَرْوَزِيُّ ثَنَا أَبُو عِيسَى الْحَافِظُ ثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ثَنَا مُعَوِيَةُ بْنُ هِشَامٍ عَنْ
سُفْيَانَ عَنْ أَبِي إِسْحَقَ عَنْ نَاجِيَةَ بْنِ كَعْبٍ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللّٰهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّ أَبَا جَهْلٍ
قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ● إِنَّا لَا نُكَذِّبُكَ وَلَكِنْ نُكَذِّبُ بِمَا جِئْتَ
بِهِ فَأَنْزَلَ اللّٰهُ تَعَالَى فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ الْآيَةَ ● وَرَوَى غَيْرُهُ لَا نُكَذِّبُكَ وَمَا أَنْتَ
فِينَا بِمُكَذَّبٍ ● وَقِيلَ إِنَّ الْأَخْنَسَ بْنَ شَرِيقٍ لَقِيَ أَبَا جَهْلٍ يَوْمَ بَدْرٍ فَقَالَ لَهُ
يَا أَبَا الْحَكَمِ لَيْسَ هُنَا غَيْرِي وَغَيْرُكَ يَسْمَعُ كَلَامَنَا تُخْبِرُنِي عَنْ مُحَمَّدٍ صَادِقٌ
أَمْ كَاذِبٌ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَاللّٰهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَصَادِقٌ وَمَا كَذَبَ مُحَمَّدٌ قَطُّ
وَسَأَلَ هِرَقْلُ عَنْهُ أَبَا سُفْيَانَ فَقَالَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ
مَا قَالَ قَالَ لَا ● وَقَالَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ لِقُرَيْشٍ قَدْ كَانَ مُحَمَّدٌ فِيكُمْ غُلَامًا
حَدَثًا أَرْضَاكُمْ فِيكُمْ وَأَصْدَقَكُمْ حَدِيثًا وَأَعْظَمَكُمْ أَمَانَةً حَتَّى إِذَا رَأَيْتُمْ
فِي صُدْغَيْهِ الشَّيْبَ وَجَاءَكُمْ بِمَا جَاءَكُمْ بِهِ قُلْتُمْ سَاحِرٌ وَاللّٰهِ مَا هُوَ بِسَاحِرٍ قَطُّ
وَفِي الْحَدِيثِ عَنْهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ● مَا لَمَسَتْ يَدُهُ يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ لَا يَمْلِكُ
رِقَّهَا وَفِي حَدِيثِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللّٰهُ تَعَالَى عَنْهُ فِي وَصْفِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَصْدَقُ النَّاسِ لَهْجَةً وَقَالَ
فِي الصَّحِيحِ وَيْحَكَ فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ ● قَالَتْ

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللّٰهُ تَعَالَى عَنْهَا مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فِي أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ
● قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدُ قَسَمَ كِسْرَى أَيَّامَهُ فَقَالَ يَصْلُحُ يَوْمُ الرِّيحِ لِلنَّوْمِ
وَيَوْمُ الْغَيْمِ لِلصَّيْدِ وَيَوْمُ الْمَطَرِ لِلشُّرْبِ وَاللَّهْوِ وَيَوْمُ الشَّمْسِ لِلْحَوَائِجِ ●
قَالَ ابْنُ خَالَوَيْهِ مَا كَانَ أَعْرَفَهُمْ بِسِيَاسَةِ دُنْيَاهُمْ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَوٰةِ
الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ● وَلَكِنْ نَبِيُّنَا صَلَّى اللّٰهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
جَزَّأَ نَهَارَهُ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ جُزْءًا لِلّٰهِ تَعَالَى وَجُزْءًا لِأَهْلِهِ وَجُزْءًا لِنَفْسِهِ ثُمَّ جَزَّأَ جُزْءَهُ
بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ وَكَانَ يَسْتَعِينُ بِالْخَاصَّةِ عَلَى الْعَامَّةِ وَيَقُولُ أَبْلِغُوا
حَاجَةَ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ إِبْلَاغِي فَإِنَّ مَنْ أَبْلَغَ حَاجَةَ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ آمَنَهُ اللّٰهُ
يَوْمَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ ● وَعَنِ الْحَسَنِ كَانَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لَا يَأْخُذُ أَحَدًا بِقَرْفِ أَحَدٍ وَلَا يُصَدِّقُ أَحَدًا عَلَى أَحَدٍ ● وَذَكَرَ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبَرِيُّ
عَنْ عَلِيٍّ عَنْهُ صَلَّى اللّٰهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا هَمَمْتُ بِشَيْءٍ مِمَّا كَانَ أَهْلُ
الْجَاهِلِيَّةِ يَعْمَلُونَ بِهِ غَيْرَ مَرَّتَيْنِ كُلُّ ذَلِكَ يَحُولُ اللّٰهُ تَعَالَى بَيْنِي وَبَيْنَ مَا أُرِيدُ
مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ مَا هَمَمْتُ بِسُوءٍ حَتَّى أَكْرَمَنِي اللّٰهُ تَعَالَى بِرِسَالَتِهِ قُلْتُ لَيْلَةً
لِغُلَامٍ كَانَ يَرْعَى مَعِي لَوْ أَبْصَرْتَ لِي غَنَمِي حَتَّى أَدْخُلَ مَكَّةَ فَأَسْمُرَ بِهَا
كَمَا يَسْمُرُ الشَّبَابُ فَخَرَجْتُ لِذَلِكَ حَتَّى جِئْتُ أَوَّلَ دَارٍ مِنْ مَكَّةَ شَرَّفَهَا اللّٰهُ تَعَالَى
سَمِعْتُ عَزْفًا بِالدُّفُوفِ وَالْمَزَامِيرِ لِعُرْسِ بَعْضِهِمْ فَجَلَسْتُ أَنْظُرُ فَضُرِبَ
عَلَى أُذُنِي فَنِمْتُ فَمَا أَيْقَظَنِي إِلَّا مَسُّ الشَّمْسِ فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا
ثُمَّ عَرَانِي مَرَّةً أُخْرَى مِثْلُ ذَلِكَ ثُمَّ لَمْ أَهُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ بِسُوءٍ

فَصْلٌ

وَأَمَّا وَقَارُهُ صَلَّى اللّٰهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَمْتُهُ وَتُؤَدَتُهُ وَمُرُوءَتُهُ وَحُسْنُ
هَدْيِهِ ● فَثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْجَيَّانِيُّ الْحَافِظُ إِجَازَةً وَعَارَضْتُ بِكِتَابِهِ قَالَ ثَنَا
أَبُو الْعَبَّاسِ الدَّلَائِيُّ ● أَنَا أَبُو ذَرٍّ الْهَرَوِيُّ أَنَا أَبُو عَبْدِ اللّٰهِ الْوَرَّاقُ
ثَنَا اللُّؤْلُؤِيُّ ثَنَا أَبُو دَاوُدَ ثَنَا عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ سَلَّامٍ ثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ
عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ أَبِي الزِّنَادِ عَنْ عَمِّهِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ وَهْبٍ ● سَمِعْتُ
خَارِجَةَ بْنَ زَيْدٍ رَضِيَ اللّٰهُ تَعَالَى عَنْهُ يَقُولُ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شيئاً من أطرافه ● وروى أبو سعيد
الخدري رضي الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
إذا جلس في المجلس احتبى بيديه وكذلك كان أكثر جلوسه صلى الله عليه وسلم
محتبياً ● وعن جابر بن سمرة أنه صلى الله تعالى عليه وسلم تربع وربما
جلس القرفصاء وهو في حديث قيلة ● وكان كثير السكوت لا يتكلم
في غير حاجة يعرض عن من تكلم بغير جميل ● وكان ضحكه تبسماً وكلامه
فصلاً لا فضول ولا تقصير ● وكان ضحك أصحابه عنده التبسم توقيراً
له واقتداء به ● مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وأمانة لا ترفع فيه
الأصوات ولا تؤبن فيه الحرم إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم
الطير ● وفي صفته صلى الله عليه وسلم يخطو تكفؤاً ويمشي هوناً كأنما ينحط
من صبب ● وفي الحديث الآخر إذا مشى مشى مجتمعاً يعرف في مشيته أنه غير
غرض ولا وكل أي غير ضجر ولا كسلان ● وقال عبد الله بن مسعود رضي
إن أحسن الهدي هدي محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ● وعن جابر بن
عبد الله رضي الله عنه كان في كلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ترتيل أو ترسيل
قال ابن أبي هالة كان سكوته صلى الله عليه وسلم على أربع على الحلم والحذر
والتقدير والتفكر ● قالت عائشة رضي الله عنها كان صلى الله تعالى عليه وسلم
يحدث حديثاً لو عده العاد أحصاه ● وكان صلى الله عليه وسلم يحب
الطيب والرائحة الحسنة ويستعملهما كثيراً ويحض عليهما ويقول حبب
إلي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة ● ومن
مروءته صلى الله تعالى عليه وسلم نهيه عن النفخ في الطعام والشراب والأمر
بالأكل مما يلي والأمر بالسواك وإنقاء البراجم والرواجب واستعمال
خصال الفطرة **فصل** وأما زهده في الدنيا فقد تقدم من الأخبار
في أثناء هذه السيرة ما يكفي وحسبك من تقلله منها وإعراضه عن زهرتها
وقد سيقت إليه بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها أن توفي صلى الله عليه وسلم
ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وهو يدعو ويقول اللهم

اجعل رزق آل محمد قوتاً ● ثنا سفيان بن العاص والحسين بن محمد
الحافظ والقاضي أبو عبد الله التميمي قالوا ثنا أحمد بن عمر قال ثنا أبو العباس
الرازي قال ثنا أبو أحمد الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا أبو الحسين مسلم بن
الحجاج ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم
عن الأسود عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلاثة أيام تباعاً من خبز حتى مضى لسبيله ● وفي رواية أخرى من خبز
شعير يومين متواليين ولو شاء لأعطاه الله عز وجل ما لا يخطر بباله
وفي رواية أخرى ما شبع آل رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز بر حتى لقي الله
● وقالت عائشة رضي الله عنها ما ترك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ديناراً
ولا درهماً ولا شاة ولا بعيراً ● وفي حديث عمرو بن الحارث ما ترك صلى الله عليه وسلم إلا
سلاحه وبغلته وأرضاً جعلها صدقة ● قالت عائشة رضي الله عنها ولقد مات
صلى الله تعالى عليه وسلم وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رف
لي وقال لي صلى الله عليه وسلم إني عرض علي أن تجعل لي بطحاء مكة ذهباً
فقلت لا يا رب أجوع يوماً وأشبع يوماً فأما اليوم الذي أجوع فيه
فأتضرع إليك وأدعوك وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك
● وفي حديث آخر أن جبريل عليه السلام نزل عليه فقال له إن الله يقرئك
السلام ويقول لك أتحب أن أجعل هذه الجبال ذهباً وتكون معك
حيث ما كنت فأطرق ساعة ثم قال يا جبريل إن الدنيا دار من لا دار له
ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له ● فقال له جبريل عليه السلام
ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت ● وعن عائشة رضي الله عنها إن كنا آل محمد
لنمكث شهراً ما نستوقد ناراً إن هو إلا التمر والماء ● وعن عبد الرحمن بن
عوف رضي الله تعالى عنه قال هلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يشبع
هو وأهل بيته من خبز الشعير ● وعن عائشة وأبي أمامة وابن عباس رضي الله عنهم
نحوه قال ابن عباس رضي الله عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت هو وأهله
الليالي المتتابعة طاوياً لا يجدون عشاء ● وعن أنس رضي الله عنه قال ما أكل رسول

على خوان ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق ولا رأى شاة سميطا قط
وعن عائشة رضي الله تعالى عنها إنما كان فراشه الذي ينام عليه أدما
حشوه ليف وعن حفصة رضي الله عنها كان فراش رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
في بيتي مسحا نثنيه ثنتين فينام عليه فثنيناه له ليلة بأربع فلما
أصبح قال ما فرشتم لي الليلة فذكرنا ذلك له فقال ردوه بحاله فإن
وطاءته منعتني الليلة صلاتي وكان ينام أحيانا على سرير مرمول بشريط
حتى يؤثر في جنبه • وعن عائشة رضي الله عنها لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم
شبعا قط ولم يبث شكوى إلى أحد وكانت الفاقة أحب إليه من
الغنى وإن كان ليظل جائعا يلتوي طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام
يومه ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الأرض وثمارها ورغد عيشها ولقد
كنت أبكي له رحمة مما أرى به وأمسح بيدي على بطنه مما به من الجوع
وأقول نفسي لك الفدا لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول يا عائشة
ما لي وللدنيا إخواني من أولي العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من
هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم
فأجدني أستحيي إن ترفهت في معيشتي أن يقصر بي غدا دونهم وما من شيء
هو أحب إلي من اللحوق بإخواني وأخلائي قالت فما أقام بعد إلا أشهرا
حتى توفي صلى الله تعالى عليه وسلم

فصل وأما خوفه ربه وطاعته له
وشدة عبادته فعلى قدر علمه بربه ولذلك قال فيما حدثناه أبو محمد بن
عتاب قراءة مني عليه قال ثنا أبو القاسم الطرابلسي ثنا أبو الحسن
القابسي ثنا أبو زيد المروزي ثنا أبو عبد الله الفربري ثنا محمد بن إسماعيل
ثنا يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن
أبا هريرة رضي الله تعالى عنه كان يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو تعلمون
ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا • زاد في روايتنا عن أبي عيسى الترمذي
يرفعه إلى أبي ذر إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق
لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وفيها ملك واضع جبهته ساجدا لله

والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء
على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله لوددت أني شجرة تعضد
• روي هذا الكلام وددت أني شجرة تعضد من قول أبي ذر نفسه وهو أصح
وفي حديث المغيرة قام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى انتفخت قدماه
وفي رواية كان يصلي حتى ترم قدماه فقيل له أتتكلف هذا وقد غفر الله لك
ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا ونحوه عن
أبي سلمة وأبي هريرة رضي الله عنه • وقالت عائشة رضي الله عنها كان عمل رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ديمة وأيكم يطيق ما كان يطيق وقالت كان صلى
الله تعالى عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم
ونحوه عن ابن عباس وأم سلمة وأنس رضي الله عنهم وقالت كنت لا تشاء أن تراه
من الليل مصليا إلا رأيته مصليا ولا نائما إلا رأيته • وقال عوف بن
مالك رضي الله عنه كنت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة فاستاك
ثم توضأ ثم قام يصلي فقمت معه فبدأ فاستفتح بالبقرة فلا يمر
بآية رحمة إلا وقف فسأل ولا يمر بآية عذاب إلا وقف وتعوذ ثم
ركع فمكث بقدر قيامه يقول سبحان ذي الجبروت والملكوت والعظمة
ثم سجد وقال مثل ذلك • ثم قرأ آل عمران ثم سورة سورة يفعل مثل
ذلك • وعن حذيفة مثله وقال سجد نحوا من قيامه وجلس بين
السجدتين نحوا منه وقال حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة •
وعن عائشة رضي الله عنها قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن
ليلة • وعن عبد الله بن الشخير أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي
ولجوفه أزيز كأزيز المرجل قال ابن أبي هالة كان صلى الله عليه وسلم
متواصل الأحزان دائم الفكرة ليست له راحة • وقال صلى الله تعالى عليه وسلم
إني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة وروي سبعين مرة • وعن علي رضي الله عنه
قال سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة رأس
مالي والعقل أصل ديني والحب أساسي والشوق مركبي وذكر الله أنيسي

والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضا غنيمتي
والفقر فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة
حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلوة وفي حديث آخر وثمرة فؤادي
في ذكره وغمي لأجل أمتي وشوقي إلى ربي

فصل

اعلم وفقنا الله
وإياك أن صفات جميع الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم أجمعين
من كمال الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق وجميع المحاسن
هي هذه الصفة لأنها صفات الكمال والكمال والتمام البشري والفضل
الجميع لهم صلوات الله عليهم إذ رتبتهم أشرف الرتب ودرجاتهم أرفع
الدرجات ولكن فضل الله بعضهم على بعض وقال تعالى تلك الرسل فضلنا
بعضهم على بعض ولقد اخترناهم على علم على العالمين وقد قال صلى الله عليه وسلم
إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم قال آخر الحديث
على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم عليه السلام طوله ستون ذراعا
في السماء وفي حديث أبي هريرة رضي الله تعالى رأيت موسى فإذا رجل ضرب رجل
الشعر أقنى كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى عليه السلام فإذا هو رجل ربعة
كثير خيلان الوجه أحمر كأنما خرج من ديماس وفي حديث آخر مبطن
مثل السيف قال صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا أشبه ولد إبرهيم به وقال
في حديث آخر في صفة موسى عليه السلام كأحسن ما أنت راء من أدم الرجال
وفي حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عنه صلى الله عليه وسلم ما بعث
الله تعالى من بعد لوط نبيا إلا في ذروة من قومه ويروى في ثروة أي
في كثرة ومنعة وحكى الترمذي عن قتادة ورواه الدارقطني من
من حديث قتادة عن أنس ما بعث الله نبيا إلا حسن الوجه حسن الصوت
وكان نبيكم صلى الله تعالى عليه وسلم أحسنهم وجها وأحسنهم صوتا وفي حديث
هرقل وسألتك عن نسبه فذكرت أنه ذو نسب وكذلك الرسل تبعث
في أنساب قومها وقال تعالى في أيوب إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب
وقال تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة إلى قوله ويوم يبعث حيا وقال
إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبرهيم وآل عمران على العالمين الآيتين
وقال في نوح عليه السلام إنه كان عبدا شكورا وقال تعالى إن الله يبشرك
بكلمة منه اسمه المسيح إلى الصالحين وقال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام
إني عبد الله آتاني الكتاب إلى قوله ما دمت حيا وقال تعالى
يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى الآية قال النبي عليه
كان موسى عليه السلام رجلا حييا ستيرا ما يرى من جسده شيء استحيا
الحديث وقال تعالى عنه فوهب لي ربي حكما وقال في وصف جماعة منهم
إني لكم رسول أمين الآيات وقال تعالى إن خير من استأجرت
القوي الأمين وقال تعالى فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل
وقال تعالى ووهبنا له إسحق ويعقوب كلا هدينا إلى قوله فبهداهم
اقتده فوصفهم بأوصاف جمة من الصلاح والهدى والاجتباء والحكم
والنبوة وقال تعالى فبشرناه بغلام عليم وحليم وقال تعالى ولقد
فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم إلى أمين وقال تعالى
ستجدني إن شاء الله من الصابرين وقال تعالى في إسمعيل عليه السلام إنه
كان صادق الوعد الآيتين وفي موسى عليه السلام إنه كان مخلصا وفي
سليمن عليه السلام نعم العبد إنه أواب وقال تعالى واذكر عبادنا إبرهيم
وإسحق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار إلى قوله الأخيار وفي داود
إنه أواب ثم قال وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب
وقال تعالى عن يوسف عليه السلام اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم
وفي موسى عليه السلام ستجدني إن شاء الله صابرا وقال سبحانه حكاية
عن شعيب عليه السلام ستجدني إن شاء الله من الصالحين وقال تعالى
وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت
وقال تعالى ولوطا آتيناه حكما وعلما وقال تعالى إنهم كانوا يسارعون
في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا الآية قال سفيان رحمه الله تعالى
هو الحزن الدائم في آي كثيرة ذكر فيها من خصالهم ومحاسن أخلاقهم

الدالة على كمالهم وجاء من ذلك في الاحاديث كثير كقوله انما الكريم
ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم
نبي بن نبي بن نبي بن نبي صلى الله تعا عليه وسلم ● وفي حديث انس
والانبياء تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم ● وروي ان سليمن عليه السلام
كان مع ما اعطي من الملك لا يرفع بصره الى السماء تخشعا وتواضعا
لله عز وجل وكان يطعم الناس لذائذ الاطعمة ويأكل خبز الشعير
● واوحى الله تعا اليه يا راس العابدين وابن محجة الزاهدين وكانت
العجوز تعترضه وهو على الريح في جنوده فيامر الريح فتقف فينظر
في حاجتها ويمضي ● وقيل ليوسف عليه السلام مالك تجوع وانت على
خزائن الارض قال اخاف ان اشبع فانسى الجايع ● وروى ابو هريرة
عنه عليه السلام خفف على داود القران فكان يامر بدوابه فتسرج فيقرا
القران قبل ان تسرج ولا ياكل الا من عمل يده قال الله تعا والنا له
الحديد ان اعمل سابغات وقدر في السرد ● وكان عليه السلام سأل ربه
ان يرزقه عملا بيده يغنيه عن بيت مال الله ● وقال صلى الله تعا عليه وسلم
احب الصلوة الى الله تعا صلوة داود واحب الصيام الى الله تعا صيام
داود عليه السلام كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه
ويصوم يوما ويفطر يوما وكان يلبس الصوف ويفترش الشعر
وياكل خبز الشعير بالملح والرماد ويمزج شربه بالدموع ولم ير ضاحكا
بعد الخطيئة ولا شاخصا ببصره الى السماء حياء من ربه عز وجل
ولم يزل باكيا حياته كلها ● وقد قيل بكى حتى نبت العشب من
دموعه وحتى اتخذت الدموع في خده اخدودا ● وقيل كان يخرج
متنكرا يتعرف سيرته فيسمع الثناء عليه فيزداد تواضعا ● وقيل
لعيسى عليه السلام لو اتخذت حمارا فقال انا اكرم على الله من ان يشغلني
بحمار وكان ياكل الشجر ويلبس الشعر ولم يكن له بيت اينما ادركه
النوم نام وكان احب الاسماء اليه ان يقال له مسكين ● وقيل ان موسى

لما ورد ماء مدين كانت ترى خضرة البقل في بطنه من الهزل ● وقال
صلى الله عليه وسلم لقد كان الانبياء قبلي يبتلى احدهم بالفقر والقمل
وكان ذلك احب اليهم من العطاء اليكم ● وقال عيسى عليه السلام للخنزير
لقيه اذهب بسلام فقيل له في ذلك فقال اكره ان اعود لساني النطق
بالسوء وقال مجاهد كان طعام يحيى عليه السلام العشب وكان يبكي من خشية
الله حتى اتخذ الدمع مجرى في خده وكان ياكل مع الوحش لئلا يخالط
الناس ● وحكى الطبري عن وهب ان موسى عليه السلام كان يستظل
بعريش ويأكل في نقرة من حجر ويكرع فيها اذا اراد ان يشرب كما تكرع
الدابة تواضعا لله بما اكرمه به من كلامه واخبارهم عليهم السلام
في هذا كله مسطورة وصفاتهم في الكمال وجميل الاخلاق وحسن
الصورة والشمائل معروفة مشهورة فلا نطول بها ولا تلتفت الى ما تجده في كتب
بعض جهلة المورخين او المفسرين مما يخالف هذا فصل قال المؤلف
رحمه الله تعا قد اتيناك اكرمك الله تعا من ذكر الاخلاق الحميدة والفضائل
المجيدة وخصال الكمال العديدة واريناك صحتها له صلى الله عليه وسلم وجلبنا
من الاثار ما فيه مقنع والامر اوسع فمجال هذا الباب في حقه صلى الله عليه وسلم
ممتد ينقطع دون نفاده الادلاء وبحر علم خصائصه لا تكدره الدلاء و
لكننا اتينا فيه بالمعروف مما اكثره في الصحيح والمشهور من المصنفات وقنعنا
في ذلك بقل من كل وغيض من فيض ورأينا ان نختم هذه الفصول بذكر حديث
الحسن عن ابن ابي هالة لجمعه من شمائله واوصافه صلى الله تعا عليه وسلم
كثيرا وادراجه جملة كافية من سيره وفضائله ونصله بتنبيه لطيف
عن غريبه ومشكله ● ثنا القاضي ابو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله
بقراءتي عليه سنة ثمان وخمسمائة قال ثنا الامام ابو القاسم عبد الله بن
طاهر التميمي قرأت عليه اخبركم الفقيه الاديب ابو بكر محمد بن الحسن النيسابوري
والشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد بن احمد بن الحسن المحمدي والقاضي ابو علي
الحسن بن علي بن جعفر الوخشي قالوا حدثنا ابو القاسم علي بن احمد بن محمد بن

الحسن الخزاعي قال انا ابو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي قال انا ابو عيسى
محمد بن عيسى بن سورة الحافظ قال ثنا سفيان بن وكيع ثنا جميع بن
عمر بن عبد الرحمن العجلي املاء من كتابه قال حدثني رجل من بني تميم من ولد
ابي هالة زوج خديجة ام المؤمنين رضي الله عنها يكنى ابا عبد الله عن ابن
لابي هالة عن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما قال سألت خالي
هند بن ابي هالة قال القاضي ابو علي رحمه الله تعالى وقرأت على الشيخ ابي طاهر
احمد بن الحسن بن احمد بن خداداذ الكرجي الباقلاني قال واجاز لنا الشيخ
الاجل ابو الفضل احمد بن الحسن بن خيرون قالا انا ابو علي الحسن بن احمد بن
ابرهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران الفارسي قراءة عليه
فاقر به قال انا ابو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله
بن الحسين ابن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما المعروف بابن اخي طاهر
العلوي قال ثنا اسمعيل بن محمد بن اسحق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين
بن ابي طالب قال حدثني علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن اخيه موسى
بن جعفر عن جعفر بن محمد عن ابيه محمد بن علي عن علي بن الحسين قال قال الحسن
بن علي واللفظ لهذا السند سألت خالي هند بن ابي هالة عن حلية رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وكان وصافا وانا ارجو ان يصف لي منها شيئا اتعلق به
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ
القمر ليلة البدر اطول من المربوع واقصر من المشذب عظيم الهامة
رجل الشعر ان انفرقت عقيقته فرق والا فلا يجاوز شعره شحمة اذنيه
اذا هو وفره ازهر اللون واسع الجبين ازج الحواجب سوابغ من غير
قرن بينهما عرق يدره الغضب اقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه
من لم يتأمله اشم كث اللحية ادعج سهل الخدين ضليع الفم
اشنب مفلج الاسنان دقيق المسربة كان عنقه جيد دمية في صفاء
الفضة معتدل الخلق بادنا متماسكا سواء البطن والصدر
مشيح الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس انور المتجرد

موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط عاري الثديين
مما سوى ذلك اشعر الذراعين والمنكبين واعالي الصدر طويل
الزندين رحب الراحة شثن الكفين والقدمين سائل الاطراف
او قال سائن الاطراف وسائر الاطراف سبط العصب خمصان
الاخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما الماء اذا زال زال تقلعا
ويخطو تكفؤا ويمشي هونا ذريع المشية اذا مشى كانما ينحط
من صبب واذا التفت التفت جميعا خافض الطرف نظره
الى الارض اطول من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة يسوق
اصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام

قلت صف لي منطقه

قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة
ليست له راحة ولا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت يفتتح الكلام
ويختمه باشداقه ويتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول فيه ولا تقصير
دمثا ليس بالجافي ولا المهين يعظم النعمة وان دقت لا يذم
شيئا لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه ولا يقام لغضبه اذا تعرض
للحق بشيء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها
اذا اشار اشار بكفه كلها واذا تعجب قلبها واذا تحدث اتصل بها فضرب
بابهامه اليمنى راحته اليسرى واذا غضب اعرض واشاح واذا فرح
غض طرفه جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام قال
الحسن فكتمتها الحسين بن علي زمانا ثم حدثته فوجدته قد سبقني
اليه فسأل اباه عن مدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخرجه
وملبسه وشكله فلم يدع منه شيئا قال الحسين سألت
ابي عليهما السلام عن دخول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال
كان دخوله عليه السلام لنفسه مأذونا له في ذلك فكان اذا آوى الى منزله
جزأ دخوله ثلثة اجزاء جزء لله تعالى وجزء لاهله وجزء لنفسه ثم
جزأ جزءه بينه وبين الناس فيرد ذلك على العامة بالخاصة ولا يدخر

عنهم شيئا ● وكان من سيرته صلى الله تعالى عليه وسلم في جزء الامة
ايثار اهل الفضل باذنه وقسمه على قدر فضلهم في الدين منهم ذو الحاجة
ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج ● فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما
اصلحهم والامة من مسئلته عنهم واخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول
ليبلغ الشاهد الغائب وابلغوني حاجة من لا يستطيع ابلاغي حاجته
فانه من ابلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع ابلاغها ● ثبت الله قدميه
يوم القيمة لا يذكر عنده الا ذلك ولا يقبل من احد غيره ● قال في حديث
سفيان بن وكيع يدخلون روادا ولا يفترقون الا عن ذواق ويخرجون ادلة
يعني فقهاء ● قلت فاخبرني عن مخرجه كيف كان يصنع فيه ● قال كان
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يخزن لسانه الا مما يعنيهم ويؤلفهم
ولا ينفرهم يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس و
يحترس منهم من غير ان يطوي عن احد منهم بشره وخلقه ويتفقد اصحابه
ويسأل الناس عما في الناس ويحسن الحسن ويصوبه ويقويه ويقبح
القبيح ويوهنه معتدل الامر غير مختلف لا يغفل مخافة ان يغفلوا
او يملوا لكل حال عنده عتاد لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه الى غيره الذين
يلونه من الناس خيارهم وافضلهم عنده اعمهم نصيحة ● واعظمهم عنده
منزلة احسنهم مواساة وموازرة ● فسألته عن مجلسه عما كان
يصنع فيه ● فقال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم
الا على ذكر ولا يوطن الاماكن وينهى عن ايطانها واذا انتهى الى قوم
جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا
يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه ● من جالسه او قاومه لحاجة
صابره حتى يكون هو المنصرف عنه من سأله حاجة لم يرده الا بها او بميسور
من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق
متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى ● وفي الرواية الاخرى صاروا عنده في الحق
سواء مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن

فيه الحرم ولا تثنى فلتاته ● وهذه الكلمة من غير الروايتين يتعاطفون
فيه بالتقوى متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير ويرفدون
ذا الحاجة ويرحمون الغريب ● فسألته عن سيرته صلى الله تعالى عليه وسلم
في جلسائه فقال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دائم البشر
سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا
عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه قد ترك نفسه من
ثلاث الرياء والاكثار وما لا يعنيه وترك الناس من ثلاث كان لا يذم احدا
ولا يعيره ولا يطلب عورته ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه ● اذا تكلم
اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير واذا سكت تكلموا لا يتنازعون
عنده الحديث من تكلم عنده انصتوا له حتى يفرغ حديثهم عنده حديث اولهم
● يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون منه ويصبر للغريب
على الجفوة في المنطق ويقول اذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه
ولا يطلب الثناء الا من مكافئ ولا يقطع على احد حديثه حتى يجوزه
فيقطعه بانتهاء او قيام ● هنا انتهى حديث سفيان ابن وكيع وزاد
الاخر ● قلت كيف كان سكوته صلى الله تعالى عليه وسلم قال كان سكوته
صلى الله تعالى عليه وسلم على الحلم والحذر والتقدير والتفكر ● فاما تقديره
ففي تسوية النظر والاستماع من بين الناس ● واما تفكره ففيما يبقى
ويفنى ● وجمع له صلى الله تعالى عليه وسلم الحلم في الصبر فكان لا يغضبه
شيء يستفزه ● وجمع له في الحذر اربع اخذه بالحسن ليقتدى به وتركه
القبيح لينتهى عنه واجتهاده الرأي بما اصلح امته والقيام لهم بما جمع
لهم امر الدنيا والاخرة انتهى الوصف بحمد الله تعالى وعونه
في تفسير غريب هذا الحديث ومشكله قوله المشذب اي البائن الطول
في نحافة وهو مثل قوله في الحديث الاخر ليس بالطويل الممغط ● والشعر
الرجل الذي كانه مشط فتكسر قليلا ليس بسبط ولا جعد ● والعقيقة
شعر الرأس اراد ان انفرقت من ذات نفسها فرقها والا تركها معقوصة

ويروى عقيصته وأزهر اللون نيّره وقيل أزهر حسن ومنه
قوله زهرة الحيوة الدنيا أي زينتها وهذا كما قيل في الحديث الآخر ليس
بالأبيض الأمهق ولا بالآدم والأمهق هو الناصع البياض والآدم الأ
اللون ومثله في الحديث الآخر أبيض مشرب بحمرة أي فيه حمرة والحاجب
الأزج المقوس الطويل الوافر الشعر والأقنى السائل الأنف
المرتفع وسطه والأشم الطويل قصبة الأنف والقرن اتصال
شعر الحاجبين وضده البلج ووقع في حديث أم معبد وصفه بالقرن
والأدعج الشديد سواد الحدقة وفي الحديث الآخر أشكل العين
وأسجر العين وهو الذي في بياضها حمرة والضليع الواسع والشنب
رونق الأسنان وماؤها وقيل رقتها وتحزيز فيها كما يوجد في أسنان
الشباب والفلج فرق بين الثنايا ودقيق المسربة خيط الشعر الذي
بين الصدر والسرة بادن ذو لحم ومتماسك معتدل الخلق يمسك
بعضه بعضا مثل قوله في الحديث الآخر لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم
أي ليس بمسترخي اللحم والمكلثم القصير الذقن وسواء البطن والصدر
أي مستويهما ومشيح الصدر إن صحت هذه اللفظة فتكون من الإقبال
وهو أحد معاني أشاح أي أنه كان بادي الصدر ولم يكن في صدره قعس
وهو تطامن فيه وبه يتضح قوله قبل سواء الصدر والبطن أي ليس
بمتقاعس الصدر ولا مفاض البطن ولعل اللفظ مسيح بالسين وفتح الميم
بمعنى عريض كما وقع في الأخرى وحكاه ابن دريد والكراديس رؤوس العظام
وهو مثل قوله في الحديث الآخر جليل المشاش والكتد والمشاش رؤوس المناكب
والكتد مجتمع الكتفين وشثن الكفين والقدمين لحيمهما والزندان عظما
الذراعين وسائل الأطراف أي طويل الأصابع وذكر ابن الأنباري أنه
روي سائن الأطراف أو قال سائل بالنون قال وهما بمعنى تبدل اللام
من النون إن صحت الرواية بها وأما على الرواية الأخرى وسائر الأطراف
فإشارة إلى فخامة جوارحه كما وقعت مفصلة في الحديث ورحب الراحة واسعها

وقيل كني به عن سعة العطاء والجود وخمصان الأخمصين أي متجافي
أخمص القدم وهو الموضع الذي لا تناله الأرض من وسط القدم
ولهذا قال ينبو عنهما الماء ومسيح القدمين أي أملسهما وفي حديث
أبي هريرة خلاف هذا قال فيه إذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له أخمص
وهذا يوافق معنى قوله مسيح القدمين وبه قالوا سمي المسيح عيسى بن مريم
لم يكن له أخمص وقيل مسيح لا لحم عليهما وهذا أيضا يخالفه قوله شثن
القدمين والتقلع رفع الرجل بقوة والتكفؤ الميل إلى سنن المشي و
قصده والهون الرفق والوقار والذريع الواسع الخطوة أي أن مشيه
كان يرفع فيه رجليه بسرعة ويمد خطوه خلاف مشية المختال ويقصد
سمته وكل ذلك برفق وتثبت دون عجلة كما قال كأنما ينحط من صبب
وقوله يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه أي بسعة فمه والعرب تتمادح
بهذا وتذم بصغر الفم وأشاح مال وانقبض وحب الغمام البرد وقوله
فيرد ذلك بالخاصة على العامة أي جعل من جزء نفسه ما يوصل الخاصة
إليه فتوصل عنه للعامة وقيل يجعل منه للخاصة ثم يبدلها في جزء آخر
بالعامة ويدخلون روادا أي محتاجين إليه وطالبين لما عنده ولا يتفرقون
إلا عن ذواق قيل عن علم يتعلمونه ويشبه أن يكون على ظاهره أي في الغالب
والأكثر والعتاد العدة والشيء المعد والموازرة المعاونة وقوله لا
يوطن الأماكن أي لا يتخذ لمصلاه موضعا معلوما وقد ورد نهيه عن
هذا مفسرا في غير هذا الحديث وصابره أي حبس نفسه على ما يريد صاحبه ولا
تؤبن فيه الحرم أي لا يذكرن بسوء ولا تنثى فلتاته أي يتحدث بها أي
لم تكن فيه فلتة وإن كانت من أحد سترت ويرفدون يعينون والسخاب
الكثير الصياح وقوله ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ قيل مقتصد في ثنائه
ومدحه وقيل إلا من مسلم وقيل إلا من مكافئ على يد سبقت من النبي صلى الله عليه وسلم
له ويستفزه يستخفه وفي حديث آخر في وصفه له منهوس العقب أي قليل
لحمها وأهدب الأشفار أي طويل شعرها

الباب الثالث

فيما ورد

من ذكر مكانته عند ربه تعالى والاصطفاء ورفعة الذكر والتفضيل وسيادة
ولد آدم وما خصه به في دنيا الرتب وبركة اسمه الطيب ● اخبرنا
ابو محمد عبد الله بن احمد العدل اذنا بلفظه قال ثنا ابو الحسن الفرغاني
ثنا ام القاسم بنت ابي بكر بن يعقوب عن ابيها ● ثنا حاتم وهو ابن
عقيل عن يحيى هو ابن اسمعيل عن يحيى الحماني ثنا قيس عن الاعمش عن عباية
بن ربعي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله قسم الخلق قسمين فجعلني من خيرهم قسما فذلك قوله تعالى واصحاب
اليمين واصحاب الشمال فانا من اصحاب اليمين وانا خير اصحاب اليمين ثم جعل القسمين
اثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا وذلك قوله تعالى واصحاب الميمنة واصحاب المشأمة
والسابقون السابقون ● فانا من السابقين وانا خير السابقين ● ثم جعل
الاثلاث قبائل فجعلني من خيرها قبيلة ● وذلك قوله تعالى وجعلناكم شعوبا
وقبائل الآية ● فانا اتقى ولد آدم واكرمهم على الله ولا فخر ● ثم جعل
القبائل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا فذلك قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس اهل البيت الآية ● وعن ابي سلمة عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قالوا يا رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم متى وجبت لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد
● وعن واثلة بن الاسقع رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله
اصطفى من ولد ابرهيم اسمعيل واصطفى من اسمعيل بني كنانة واصطفى من بني
كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم ● ومن
حديث انس رضي الله تعالى عنه انا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر ● وفي حديث
ابن عباس رضي الله عنهما انا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر ● وعن عائشة رضي الله عنها
عنه عليه السلام قال اتاني جبريل عليه السلام فقال قلبت مشارق الارض ومغاربها
فلم ار رجلا افضل من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ولم ار بني اب افضل من بني
هاشم ● وعن انس رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اتي بالبراق
ليلة اسري به فاستصعب عليه فقال له جبريل عليه السلام ابمحمد عليه السلام تفعل هذا
فما ركبك احد اكرم على الله منه فارفض عرقا ● وعن ابن عباس رضي الله عنهما عنه

يا نساء النبي لستن كاحد من النساء ان
اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي
في قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن
في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى
واقمن الصلوة وآتين الزكوة واطعن الله ورسوله

ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته
النبوة والكتاب وآتيناه اجره في الدنيا وانه
في الآخرة لمن الصالحين قيل قسم الله تعالى
الزمان من وقت آدم عليه السلام الى يوم القيمة قسمين
والناس ايضا فالقسم الاول منه بعث الله
تعالى فيه انبياء فيهم فضائل جمة كلهم من
نسل اسحق عليه السلام في القسم الثاني منه
بعث من نسل اسمعيل عليه السلام نبيا جمع
فيه جميع ما كان فيهم وارسله الى كافة
الخلق وجعله خاتم النبيين وامامهم
وقد دام الخلق على الدين من اولاد اسحق
عليه السلام اكثر من اربعة آلاف سنة ولا يبعد
ان يبقى الخلق على دين ولد اسمعيل عليه السلام
مثل ذلك المقدار

صلى الله تعالى عليه وسلم لما خلق الله تعالى آدم اهبطني في صلبه الى الارض
وجعلني في صلب نوح عليه السلام في السفينة وقذف بي في النار في صلب ابراهيم عليه السلام
ثم لم يزل ينقلني في الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة حتى اخرجني
من بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط ● والى هذا اشار العباس بن عبد
المطلب رضي الله عنه بقوله ● من قبلها طبت في الظلال وفي ● مستودع حيث
يخصف الورق ● ثم هبطت البلاد لا بشر ● انت ولا مضغة ولا علق ●
بل نطفة تركب السفين وقد ● الجم نسرا واهله الغرق ● تنقل من صالب
الى رحم ● اذا مضى عالم بدا طبق ● في ابيات اخر ● وروى عنه صلى الله عليه وسلم
ابو ذر وابن عمر وابن عباس وابو هريرة وجابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهم
قال اعطيت خمسا وفي بعضها ستا لم يعطهن نبي قبلي ● نصرت بالرعب
مسيرة شهر ● وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا ● وايما رجل من امتي ادركته
الصلاة فليصل ● واحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي ● وبعثت الى الناس كافة
واعطيت الشفاعة ● وفي رواية بدل هذه الكلمة وقيل لي سل تعطه ●
وفي رواية اخرى وعرض علي امتي فلم يخف علي التابع من المتبوع ● وفي رواية
بعثت الى الاحمر والاسود ● قيل السود العرب لان الغالب على الوانهم الادمة
فهم من السود والحمر العجم ● وقيل البيض والسود من الامم ● وقيل الحمر
الانس والسود الجن ● وفي الحديث الآخر عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه نصرت بالرعب
واوتيت جوامع الكلم وبينا انا نائم اذ جيء بمفاتيح خزائن الارض فوضعت
في يدي ● وفي رواية عنه وختم بي النبيون ● وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه انه قال
صلى الله عليه وسلم اني فرط لكم واني شهيد عليكم واني والله لانظر الى حوضي
الآن واني قد اعطيت مفاتيح خزائن الارض واني والله ما اخاف عليكم ان تشركوا
بعدي ولكني اخاف عليكم ان تنافسوا فيها ● وعن عبد الله بن عمرو ان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قال انا محمد النبي الامي لا نبي بعدي اوتيت جوامع
الكلم وخواتمه وعلمت خزنة النار وحملة العرش ● وعن ابن عمر رضي الله عنه
بعثت بين يدي الساعة ● ومن رواية ابن وهب انه صلى الله تعالى عليه وسلم

قال الله تعالى سل يا محمد فقلت ما أسئل يا رب اتخذت ابرهيم خليلا
وكلمت موسى تكليما واصطفيت نوحا وأعطيت سليمن ملكا لا ينبغي لأحد من بعده
فقال الله تعالى ما أعطيتك خير من ذلك أعطيتك الكوثر وجعلت اسمك
مع اسمي ينادى به في جوف السماء وجعلت الأرض طهورا لك ولأمتك وغفرت
لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فأنت تمشي في الناس مغفورا لك ولم
أصنع ذلك لأحد قبلك وجعلت قلوب أمتك مصاحفها وخبأت لك
شفاعتك ولم أخبأها لنبي غيرك وفي حديث آخر رواه حذيفة بشّرني
يعني ربه أول من يدخل الجنة معي من أمتي سبعون ألفا مع كل ألف سبعون
ألفا ليس عليهم حساب وأعطاني أن لا تجوع أمتي ولا تغلب وأعطاني النصر
والعزة والرعب يسعى بين يدي أمتي شهرا وطيب لي ولأمتي المغانم
وأحل لنا كثيرا مما شدد على من قبلنا ولم يجعل علينا في الدين من حرج
وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه صلى الله عليه وسلم ما من نبي من الأنبياء
إلا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي
أوتيت وحيا أوحى الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيمة
معنى هذا عند المحققين بقاء معجزته صلى الله تعالى عليه وسلم ما بقيت
الدنيا وسائر معجزات الأنبياء عليهم السلام ذهبت للحين ولم يشاهدها
إلا الحاضر لها ومعجزة القرآن يقف عليها قرن بعد قرن عيانا لا خبرا
إلى يوم القيمة وفيه كلام يطول هذا نخبته وقد بسطنا القول فيه وفيما
ذكر فيه سوى هذا آخر باب المعجزات وعن علي رضي الله تعالى عنه كل نبي أعطي
سبعة نجباء من أمته وأعطي نبيكم صلى الله تعالى عليه وسلم أربعة عشر نجيبا
منهم أبو بكر وعمر وابن مسعود وعمار وقال صلى الله تعالى عليه وسلم
إن الله قد حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين وإنها لا تحل
لأحد بعدي وإنما أحلت لي ساعة من نهار وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إني عبد الله وخاتم النبيين
وإن آدم لمنجدل في طينته وعدة أبي ابرهيم عليهما السلام وبشارة عيسى ابن

مريم عليه السلام وعن ابن عباس رضي الله تعالى أن الله تعالى فضل محمدا صلى الله عليه وسلم
على أهل السماء وعلى الأنبياء صلوات الله عليهم قالوا فما فضله على أهل
السماء قال إن الله تعالى قال لأهل السماء ومن يقل منهم إني إله من دونه الآية
وقال لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم إنا فتحنا لك فتحا مبينا الآية قالوا
فما فضله على الأنبياء قال إن الله تعالى قال وما أرسلنا من رسول إلا بلسان
قومه الآية وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم وما أرسلناك إلا كافة للناس
وعن خالد بن معدان أن نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
قالوا يا رسول الله أخبرنا عن نفسك وقد روي نحوه عن أبي ذر و
شداد بن أوس وأنس بن مالك فقال نعم أنا دعوة أبي ابرهيم يعني قوله تعالى
وابعث فيهم رسولا منهم وبشرى عيسى ورأت أمي حين حملت بي أنه
خرج منها نور أضاء له قصور بصرى من أرض الشام واسترضعت في
بني سعد بن بكر فبينا أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا إذ جاء
رجلان عليهما ثياب بيض وفي حديث آخر ثلاثة رجال بطست من
ذهب مملوءة ثلجا فأخذاني فشقا بطني قال في غير هذا الحديث من
نحري إلى مراق بطني ثم استخرجا منه قلبي فشقاه فاستخرجا منه
علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى أنقياه
قال في حديث آخر ثم تناول أحدهما شيئا فإذا بخاتم في يده من نور
يحار الناظر دونه فختم به قلبي فامتلأ إيمانا وحكمة ثم أعاده مكانه
وأمر الآخر يده على مفرق صدري فالتأم وفي رواية إن جبريل عليه السلام
قال قلب وكيع أي شديد فيه عينان تبصران وأذنان سميعتان ثم قال
أحدهما لصاحبه زنه بعشرة من أمته فوزنني بهم فرجحتهم ثم قال زنه بمائة
من أمته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال زنه بألف من أمته فوزنني بهم فوزنتهم
ثم قال دعه عنك فلو وزنته بأمته لوزنها قال في الحديث الآخر ثم
ضموني إلى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب لم ترع
إنك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك وفي بقية هذا الحديث

مطلب طبقات الأولياء

من قولهم ما اكرمك على الله ان الله معك وملئكته ● قال في حديث
ابي ذر فما هو الا ان وليا عني فكأنما ارى الامر معاينة ● وحكى ابو محمد
مكي وابو الليث السمرقندي وغيرهما ان ادم عليه السلام عند معصيته قال
اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي ● ويروى تقبل توبتي فقال له الله عز وجل
من اين عرفت محمدا قال رأيت في كل موضع من الجنة مكتوبا لا اله الا الله
محمد رسول الله ● ويروى محمد عبدي ورسولي فعلمت انه اكرم خلقك
عليك فتاب الله عليه وغفر له ● وهذا عند قائله تاويل قوله تعالى فتلقى
ادم من ربه كلمات فتاب عليه ● وفي رواية اخرى فقال ادم عليه السلام لما
خلقتني رفعت رأسي الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله
فعلمت انه ليس احد اعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فاوحى
الله تعالى اليه وعزتي وجلالي انه لاخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك
● قال وكان ادم عليه السلام يكنى بابي محمد ● وقيل بابي البشر ● وروي عن
سريج بن يونس انه قال ان لله ملئكة سياحين عبادتها زيارة كل دار
فيها احمد او محمد اكراما منهم لمحمد وروى ابن قانع القاضي باسناده لما اسري بي الى
السماء اذا على العرش مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ايدته بعلي ● وفي التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وكان تحته كنز
لهما قال لوح من ذهب فيه مكتوب عجبا لمن ايقن بالقدر كيف ينصب
عجبا لمن ايقن بالنار كيف يضحك عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها
كيف يطمئن اليها انا الله لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي ● وعن ابن
عباس رضي الله عنهما على باب الجنة مكتوب انني انا الله لا اله الا انا محمد رسول الله
لا اعذب من قالها ● وذكر عن انه وجد على الحجارة القديمة مكتوب لا اله
الا الله محمد تقي مصلح وسيد امين ● وذكر السمنطاري انه شاهد في
بعض بلاد خراسان مولودا ولد على احد جنبيه مكتوب لا اله الا الله وعلى
الاخر محمد رسول الله ● وذكر الاخباريون ان ببلاد الهند وردا احمر
مكتوب عليه بالابيض لا اله الا الله محمد رسول الله ● وروي عن جعفر بن محمد

الباقر عن ابيه قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا كان يوم القيمة نادى مناد
الا ليقم من اسمه محمد فليدخل الجنة لكرامة اسمه صلى الله تعالى عليه وسلم ●
وروى ابن القاسم في سماعه وابن وهب في جامعه عن مالك قال سمعت
اهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم محمد عليه السلام الا نما ورزقوا ورزق جيرانهم
● وعنه عليه الصلوة والسلام ما ضر احدكم ان يكون في بيته محمد ومحمدان
وثلثة ● وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان الله نظر الى قلوب العباد فاختار
منها قلب محمد صلى الله عليه وسلم فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته ● وحكى
النقاش ان النبي صلى الله عليه وسلم ● لما نزلت وما كان لكم ان تؤذوا
رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا الاية ● قام خطيبا فقال
يا معشر اهل الايمان ان الله تعالى فضلني عليكم تفضيلا وفضل نسائي على نسائكم
تفضيلا الحديث ● **فصل** في تفضيله صلى الله عليه وسلم بما تضمنته
كرامة الاسراء من المناجات والرؤية وامامة الانبياء عليهم السلام
والعروج به عليه السلام الى سدرة المنتهى وما رأى من ايات ربه الكبرى
ومن خصايصه صلى الله تعالى عليه وسلم قصة الاسراء وما انطوت عليه
من درجات الرفعة مما نبه عليه الكتاب العزيز وشرحته صحاح الاخبار
● قال الله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الاية ● و
قال والنجم اذا هوى الى ربه لقد رأى من ايات ربه الكبرى ● ولا خلاف بين
المسلمين في صحة الاسراء به عليه السلام اذ هو نص القران ● وجاءت بتفصيله
وشرح عجايبه وخواص نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيه احاديث كثيرة
منتشرة رأينا ان نقدم اكملها ونشير الى زيادة من غيره يجب ذكرها ● ثنا
القاضي الشهيد ابو علي والفقيه ابو بحر سماعا عليهما والقاضي ابو عبد الله
وغير واحد من شيوخنا قالوا ثنا ابو العباس العذري ● ثنا ابو العباس الرازي
ثنا ابو احمد الجلودي ● ثنا ابو سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ● ثنا شيبان بن فروخ
ثنا حماد بن سلمة ● ثنا ثابت البناني عن انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله تعالى وسلم ● قال اتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار

دون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس
فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء عليهم السلام ● ثم دخلت المسجد فصليت
ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت
اللبن فقال جبريل عليه السلام ... قيل من أنت قال جبريل عليه السلام قيل ومن معك قال محمد
قيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بآدم صلى الله عليه وسلم
فرحب بي ودعا لي بخير ● ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل
فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد عليه السلام قيل وقد بعث إليه قال
قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا عليهم السلام
فرحبا بي ودعا لي بخير ● ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فذكر مثل الأول
ففتح لنا فإذا أنا بيوسف عليه السلام وإذا هو قد أعطي شطر الحسن فرحب بي
ودعا لي بخير ● ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة وذكر مثله فإذا أنا بإدريس
فرحب بي ودعا لي بخير ● قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا ● ثم عرج بنا إلى
السماء الخامسة فذكر مثله فإذا أنا بهرون عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير
● ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فذكر مثله فإذا أنا بموسى عليه السلام
فرحب بي ودعا لي بخير ● ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فذكر مثله فإذا
أنا بإبرهيم صلى الله عليه وسلم مسندا ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم
سبعون ألف ملك لا يعودون إليه ● ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى
وإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من أمر الله
ما غشي تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها فأوحى
الله إلي ما أوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت إلى موسى
فقال ما فرض ربك على أمتك قلت خمسين صلاة قال ارجع إلى ربك فسله
التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك فإني قد بلوت بني إسرائيل قبلك وخبرتهم
● قال فرجعت إلى ربي فقلت يا رب خفف عن أمتي فحط عني خمسا فرجعت
إلى موسى فقلت حط عني خمسا قال إن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك
فسله التخفيف قال فلم أزل أرجع بين ربي تعالى وبين موسى حتى قال يا محمد

إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر ● فتلك خمسون صلاة
ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرا
ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فإن عملها كتبت سيئة واحدة
قال فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته فقال ارجع إلى ربك فسله التخفيف
فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت قد رجعت إلى ربي حتى
استحييت منه ● قال القاضي رحمه الله جود ثابت رحمه الله هذا الحديث عن
أنس تخليطا كثيرا لا سيما من رواية شريك بن أبي نمر فقد ذكر في أوله
مجيء الملك له وشق بطنه وغسله بماء زمزم وهذا إنما كان وهو صبي
وقبل الوحي ● وقد قال شريك في حديثه وذلك قبل أن يوحى إليه وذكر
قصة الإسراء ولا خلاف أنها كانت بعد الوحي ● وقد قال غير واحد
إنها كانت قبل الهجرة بسنة ● وقيل قبل هذا وقد روى ثابت عن أنس
من رواية حماد بن سلمة أيضا مجيء جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم
وهو يلعب مع الغلمان عند ظئره وشقه قلبه تلك القصة مشهورة
من حديث الإسراء كما رواه الناس فجود في القصتين ● وفي أن الإسراء
إلى بيت المقدس وإلى سدرة المنتهى كان قصة واحدة وأنه وصل إلى بيت
المقدس ثم عرج به من هناك فأزاح كل إشكال أوهمه غيره ● وقد روى
يونس عن ابن شهاب عن أنس قال كان أبو ذر رضي الله عنه يحدث أن رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ● قال فرج عن سقف بيتي فنزل جبريل عليه السلام
ففرج صدري ● ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة
وإيمانا فأفرغها في صدري ثم أطبقه ● ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء
فذكر القصة ● وروى قتادة الحديث بمثله عن أنس عن مالك بن صعصعة
وفيها تقديم وتأخير وزيادة ونقص وخلاف في ترتيب الأنبياء في السموات
وحديث ثابت عن أنس أتقن وأجود ● وقد وقعت في حديث الإسراء زيادات
نذكر منها نكتا مفيدة في غرضنا ● منها في حديث ابن شهاب وفيه قول كل نبي
مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح إلا آدم وإبرهيم عليهما السلام فقالا له
والابن الصالح ● وفيه من طريق ابن عباس رضي الله عنهما ثم عرج بي حتى ظهرت

بستوى اسمع فيه صريف الاقلام • وعن انس رضي الله عنه ثم انطلق بي حتى
اتيت سدرة المنتهى فغشيها الوان لا ادري ما هي قال ثم ادخلت الجنة
وفي حديث مالك بن صعصعة فلما جاوزته يعني موسى عليه السلام بكى فنودي
ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل من امته الجنة اكثر مما
يدخل من امتي • وفي حديث ابي هريرة وقد رايتني في جماعة من الانبياء
فحانت الصلوة فاممتهم فقال قائل يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم
عليه فالتفت فبدأني بالسلام • وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه ثم سار حتى
اتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه الى الصخرة فصلى مع الملائكة فلما قضيت
الصلوة قالوا يا جبريل من هذا معك قال هذا محمد رسول الله خاتم النبيين
قالوا وقد ارسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من اخ وخليفة فنعم الاخ ونعم
الخليفة • ثم لقوا ارواح الانبياء فاثنوا على ربهم وذكر كلام كل واحد
منهم وهم ابرهيم وموسى وعيسى وداود وسليمن عليهم السلام ثم ذكر
كلام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال وان محمدا رسول الله اثنى على ربه
فقال كلكم اثنى على ربه وانا اثني على ربي • الحمد لله الذي ارسلني رحمة
للعالمين وكافة للناس اجمعين بشيرا ونذيرا وانزل علي الفرقان فيه تبيان
كل شيء وجعل امتي خير امة وجعل امتي امة وسطا وجعل امتي هم الاولون
وهم الآخرون وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني
فاتحا وخاتما • فقال ابرهيم بهذا فضلكم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
ثم ذكر انه عرج به الى السماء الدنيا ومن سماء الى سماء نحو ما تقدم • وفي
حديث ابن مسعود رضي الله عنه وانتهى بي الى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة
اليها ينتهي ما يعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط من فوقها
فيقبض منها قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب • وفي رواية
ابي هريرة رضي الله عنه من طريق الربيع بن انس فقيل لي هذه سدرة المنتهى يخرج
من اصلها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من
خمر لذة للشاربين • وانهار من عسل مصفى وهي شجرة يسير الراكب في ظلها

سبعين عاما وان ورقة منها مظلة الخلق فغشيها نور وغشيتها الملائكة
قال فهو قوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى • فقال تبارك وتعالى له سل
قال انك اتخذت ابرهيم خليلا واعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما
واعطيت داود ملكا عظيما والنت له الحديد وسخرت له الجبال • و
اعطيت سليمن ملكا عظيما سخرت له الجن والانس والشياطين والرياح
واعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده • وعلمت موسى التورية وعيسى
الانجيل وجعلته يبرئ الاكمه والابرص واعذته وامه من الشيطان
الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل • فقال له ربه تبارك وتعالى قد اتخذتك
حبيبا فهو مكتوب في التورية محمد حبيب الرحمن وارسلتك الى الناس كافة
وجعلت امتك هم الاولون وهم الآخرون وجعلت امتك لا تجوز لهم خطبة
حتى يشهدوا انك عبدي ورسولي • وجعلتك اول النبيين خلقا وآخرهم
بعثا واعطيتك سبعا من المثاني ولم اعطها نبيا قبلك واعطيتك خواتيم
سورة البقرة من كنز تحت عرشي لم اعطها نبيا قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما
• وفي الرواية الاخرى قال فاعطي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثا
اعطي الصلوات الخمس واعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك
بالله شيئا من امته المقحمات • وقال ما كذب الفؤاد ما راى الآية راى جبريل
في صورته له ستمائة جناح • وفي حديث شريك انه راى موسى عليه السلام في السماء
السابعة قال بتفضيل كلام الله تعالى • قال ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله
فقال موسى عليه السلام لم اظن ان يرفع علي احد • وقد روي عن انس رضي الله عنه
انه صلى الله عليه وسلم صلى بالانبياء عليهم السلام ببيت المقدس • وعن انس رضي الله عنه
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بينا انا قاعد ذات يوم اذ دخل جبريل عليه السلام
فوكز بين كتفي فقمت الى شجرة فيها مثل وكري الطائر فقعد في واحدة وقعدت
في الاخرى فسمت حتى سدت الخافقين ولو شئت لمسست السماء وانا
اقلب طرفي ونظرت جبريل عليه السلام كانه حلس لاطئ فعرفت فضل علمه بالله
علي وفتح لي باب السماء ورايت النور الاعظم ولط دوني الحجاب • وفرج

الدر والياقوت ۝ ثم اوحى الله تعالى الى ما شاء ان يوحي ۝ وذكر البزار
عن علي بن ابي طالب كرم الله تعالى وجهه لما اراد الله تعالى ان يعلم رسوله صلى
الله تعالى عليه وسلم الاذان جاءه جبريل عليه السلام بدابة يقال لها البراق
فذهب يركبها فاستصعبت عليه فقال لها جبريل عليه السلام فوالله ما ركبك
عبد اكرم على الله تعالى من محمد صلى الله عليه وسلم ۝ فركبها حتى اتى بها الى
الحجاب الذي يلي الرحمن عز وجل فبينما هو كذلك اذ خرج ملك من الحجاب
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل من هذا فقال والذي بعثك
بالحق اني لاقرب الخلق مكانا ۝ وان هذا الملك ما رايته منذ خلقت قبل
ساعتي هذه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل له من وراء الحجاب صدق
عبدي انا اكبر انا اكبر ۝ ثم قال الملك اشهد ان لا اله الا الله فقيل له
من وراء الحجاب صدق عبدي انا الله لا اله الا انا ۝ وذكر مثل هذا في بقية
الاذان الا انه لم يذكر جوابا عن قوله حي على الصلاة حي على الفلاح و
قال ثم اخذ الملك بيد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فقدمه فام اهل السماء
فيهم ادم ونوح عليهما السلام ۝ فقال ابو جعفر محمد بن علي ابن الحسين راويه
اكمل الله لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم الشرف على اهل السموات والارض قال
قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى ما في هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق
لا في حق الخالق تعالى فهم المحجوبون ۝ والباري جل اسمه منزه عما يحجبه اذ
الحجب انما تحيط بمقدر محسوس ولكن حجبه على ابصار خلقه وبصائرهم و
ادراكاتهم بما شاء وكيف شاء ومتى شاء كقوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ
لمحجوبون فقوله في هذا الحديث الحجاب واذ خرج ملك من الحجاب يجب ان
يقال انه حجاب حجب به من وراءه من ملائكته عن الاطلاع عما دونه من سلطانه
وعظمته وعجائب ملكوته وجبروته ويدل عليه من الحديث قول جبريل عليه السلام
عن الملك الذي خرج من وراءه ان هذا الملك ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي
هذه فدل ان هذا الحجاب لم يختص بالذات الشريفة ۝ ويدل عليه قول كعب
في تفسير سدرة المنتهى قال اليها ينتهي علم الملائكة وعندها يجدون امر الله لا

لا يجاوزها علمهم ۝ واما قوله الذي يلي الرحمن فيحمل على حذف المضاف
اي يلي عرش الرحمن او امرا ما من عظيم اياته او مبادي حقايق معارفه
مما هو اعلم به كما قال تعالى واسئل القرية اي اهلها ۝ وقوله فقيل من
وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر فظاهره انه سمع في هذا الموطن
كلام الله تعالى ولكن من وراء حجاب كما قال تعالى وما كان لبشر ان يكلمه
الله الا وحيا او من وراء حجاب اي وهو لا يراه حجب بصره عن رؤيته
فان صح القول بان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم راى ربه جل وعز
فيحتمل انه في غير هذا الموطن بعد هذا او قبله رفع الحجاب عن بصره حتى
راه والله تعالى اعلم

فصل

ثم اختلف السلف والعلماء هل كان
اسراءه بروحه او بجسده على ثلاث مقالات فذهبت طائفة الى انه اسراء
بالروح وانه رؤيا منام مع اتفاقهم ان رؤيا الانبياء عليهم السلام
حق ووحي والى هذا ذهب معوية ۝ وحكي عن الحسن والمشهور عنه
خلافه واليه اشار محمد بن اسحق وحجتهم قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا
التي اريناك الا فتنة للناس ۝ وما حكوا عن عايشة رضي الله عنها ما فقدت
جسد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ۝ وقوله عليه السلام بينا انا
نائم وقول انس رضي الله عنه وهو نائم في المسجد الحرام وذكر القصة ثم قال
في اخرها فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام ۝ وذهب معظم السلف والمسلمين
الى انه اسرى بالجسد وفي اليقظة وهذا هو الحق وهو قول ابن عباس
وجابر وانس وحذيفة وعمر وابي هريرة ومالك بن صعصعة وابي حبة
البدري وابن مسعود والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وابن المسيب
وابن شهاب وابن زيد والحسن وابرهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة و
ابن جريج رحمهم الله وهو دليل قول عايشة رضي الله عنها وهو قول الطبري وابن
حنبل رحمهما الله وجماعة عظيمة من المسلمين وهو قول اكثر المتاخرين من الفقهاء
والمحدثين والمتكلمين والمفسرين ۝ وقالت طائفة كان الاسراء بالجسد
من المسجد الحرام الى بيت المقدس والى السماء بالروح واحتجوا بقوله سبحان

الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى فجعل الى المسجد
الاقصى غاية الاسراء الذي وقع التعجب فيه بعظيم القدرة والتمدح بتشريف
النبي محمد صلى الله تعالى عليه وسلم به واظهار الكرامة له بالاسراء اليه ولهؤلاء
ولو كان الاسراء بجسده الى زائد عن المسجد الاقصى لذكره فيكون ابلغ
في المدح ● ثم اختلفت هاتان الفرقتان هل صلى ببيت المقدس ام لا
ففي حديث انس وغيره ما تقدم من صلاته فيه وانكر ذلك حذيفة بن اليمان
وقال والله ما زالا عن ظهر البراق حتى رجعا ● قال القاضي المصنف رحمه الله
والحق من هذا والصحيح ان شاء الله تعالى انه اسراء بالجسد والروح في القصة
كلها وعليه تدل الآية وصحيح الاخبار والاعتبار ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة
الى التأويل الا عند الاستحالة وليس في الاسراء بجسده وحال يقظته استحالة
اذ لو كان مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده ● وقوله تعالى ما زاغ البصر
وما طغى ولو كان مناما لما كانت فيه آية ولا معجزة ولما استبعده الكفار
ولا كذبوه فيه ولا ارتد فيه ضعفاء من اسلم وافتتنوا به اذ مثل هذا
من المنامات لا ينكر بل لم يكن ذلك منهم الا وقد علموا ان خبره انما كان
عن جسمه وحال يقظته الى ما ذكر في الحديث من ذكر صلاته بالانبياء عليهم السلام
ببيت المقدس في رواية انس او في السماء على ما روى غيره ● وذكر مجيء
جبريل عليه السلام له بالبراق وخبر المعراج واستفتاح السماء فيقال ومن معك
فيقول محمد عليه السلام ولقائه الانبياء فيها وترحيبهم به وشأنه في فرض
الصلوات ومراجعته مع موسى عليه السلام في ذلك وفي بعض ● الاخبار
فاخذ يعني جبريل بيدي فعرج بي الى السماء الى قوله ثم عرج بي حتى
ظهرت بمستوى اسمع فيه الاقلام وانه وصل الى سدرة المنتهى وانه دخل
الجنة ورأى فيها ما ذكره ● قال ابن عباس رضي الله عنهما هي رؤيا عين رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا رؤيا منام ● وعن الحسن فيه بينا انا جالس في الحجر اذ جاءني جبريل عليه السلام
فهمزني بعقبه فقمت فجلست فلم ار شيئا فعدت لمضجعي ذلك ثلاثا فقال
في الثالثة فاخذ بعضدي فجرني الى باب المسجد فاذا بدابة وذكر خبر البراق

وعن ام هانئ ما اسري برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو في بيتي تلك
الليلة صلى العشاء الآخرة ونام بيننا فلما كان قبيل الفجر اهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما صلى الصبح وصلينا قال يا ام هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة
كما رأيت بهذا الوادي ● ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت
الغداة معكم الآن كما ترون وهذا بين في انه بجسده ● وعن ابي بكر
رضي الله عنه من رواية شداد بن اوس عنه انه قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ليلة اسري به طلبتك يا رسول الله البارحة في مكانك فلم اجدك واجاب ان
جبريل عليه السلام حمله الى المسجد الاقصى ● وعن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم صليت ليلة اسري بي في مقدم المسجد ثم دخلت الصخرة
فاذا بملك قائم معه آنية ثلاث ● وذكر الحديث وهذه التصريحات ظاهرة
غير مستحيلة فتحمل على ظاهرها ● وعن ابي ذر رضي الله عنه ثم غسله بماء زمزم الى
آخر القصة ثم اخذ بيدي فعرج بي ● وعن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال اتيت فانطلقوا بي الى زمزم فشرح صدري ● وعن ابي هريرة رضي الله عنه
عليه الصلاة والسلام لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي وسألتني
عن اشياء لم اثبتها فكربت كربا ما كربت مثله قط فرفعه الله لي انظر
اليه ونحوه عن جابر ● وقد روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث الاسراء
عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ثم رجعت الى خديجة وما تحولت عن
جانبها

فصل

في ابطال حجج من قال انها نوم احتجوا بقوله تعالى وما جعلنا
الرؤيا التي اريناك فسماها رؤيا ● قلنا قوله سبحان الذي اسرى بعبده
يرده لانه لا يقال في النوم اسرى وقوله تعالى فتنة للناس يؤيد انها رؤيا
عين واسراء بشخص اذ ليس في الحلم فتنة ولا يكذب به احد لان كل احد يرى
في منامه من الكون في ساعة واحدة في اقطار متباينة على ان المفسرين
اختلفوا في هذه الآية فذهب بعضهم الى انها نزلت في قضية الحديبية وما
وقع في نفوس الناس من ذلك ● وقيل غير هذا واما قولهم انه قد سماها في
الحديث مناما وقوله في حديث آخر بين النائم واليقظان وقوله ايضا وهو

نائم وقوله ثم استيقظت فلا حجة فيه اذ قد يحتمل ان اول وصول الملك
اليه كان وهو نائم او اول حمله والاسراء به وهو نائم وليس في الحديث
انه كان نائما في القصة كلها الا ما يدل عليه ثم استيقظت بمعنى اصبحت
او استيقظ من نوم اخر بعد وصوله بيته صلى الله تعالى عليه وسلم
ويدل عليه ان مسراه لم يكن طول ليلة وانما كان في بعضه وقد
يكون قوله استيقظت وانا في المسجد الحرام لما كان غمره من عجائب
ما طالع من ملكوت السموات والارض وخامر باطنه من مشاهدة الملأ
الاعلى وما راى من ايات ربه الكبرى فلم يستفق ويرجع الى حال البشرية
الا وهو بالمسجد الحرام ووجه ثالث ان يكون نومه واستيقاظه
حقيقة على مقتضى لفظه ولكنه اسري بجسده وقلبه حاضر و
رؤيا الانبياء حق تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وقد مال بعض اهل
الاشارات الى نحو من هذا قال تغميض عينيه لئلا يشغله شيء من المحسوسات
عن الله تعالى ولا يصح هذا ان يكون في وقت صلاته بالانبياء ولعله كانت
له في هذا الاسراء حالات ووجه رابع وهو ان يعبر بالنوم ههنا
عن هيئة النائم من الاضطجاع ويقويه قوله في رواية عبد بن حميد
عن همام قال بينا انا نائم وربما قال مضطجع وفي رواية هدبة عنه
بينا انا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع وفي قوله نائم في الرواية
الاخرى بين النائم واليقظان فيكون سمى هيئته بالنوم هيئة النائم غالبا
وذهب بعضهم الى ان هذه الزيادات من النوم وذكر شق البطن ودنو
الرب تعالى الواقعة في هذا الحديث انما هي من رواية شريك عن انس فهي
منكرة من روايته اذ شق البطن في الاحاديث الصحيحة انما كان في صغره
عليه السلام وقبل النبوة ولانه قال في الحديث قبل ان يبعث والاسراء باجماع
كان بعد المبعث فهذا كله يوهن ما وقع في رواية انس مع ان انسا رضي الله
تعالى عنه قد بين من غير طريق انه انما رواه عن غيره وانه لم يسمعه من النبي
صلى الله عليه وسلم فقال مرة عن مالك بن صعصعة وفي كتاب مسلم

لعله عن مالك بن صعصعة على الشك وقال مرة كان ابو ذر يحدث
واما قول عايشة رضي الله عنها ما فقدت جسده فعايشة لم تحدث به عن مشاهدة
لانها لم تكن حينئذ زوجته ولا في سن من يضبط ولعلها لم تكن ولدت بعد
على الخلاف في الاسراء متى كان فان الاسراء كان في اول الاسلام على قول الزهري
ومن وافقه بعد المبعث بعام ونصف وكانت عايشة رضي الله عنها في الهجرة بنت
نحو ثمانية اعوام وقيل كان الاسراء لخمس قبل الهجرة وقيل قبل الهجرة
بعام والاشبه انه لخمس والحجة لذلك تطول وليست من غرضنا فاذا
لم تشاهد ذلك عايشة رضي الله عنها دل انها حدثت بذلك عن غيرها فلم يرجح خبرها
على خبر غيرها وغيرها يقول خلافه مما وقع نصا في حديث ام هانئ وغيره
وايضا فليس حديث عايشة بالثابت والاحاديث الاخر اثبت لسنا
نعني حديث ام هانئ رضي الله عنها وما ذكرت فيه خديجة وايضا فقد روي في حديث
حديث عايشة رضي الله عنها ما فقدت ولم يدخل بها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
الا بالمدينة وكل هذا يوهنه بل الذي يدل عليه صحيح قولها انه بجسده
لانكارها ان تكون رؤياه لربه رؤيا عين ولو كانت عندها مناما لم تنكره
فان قيل قد قال الله ما كذب الفؤاد ما راى فقد جعل ما راه للقلب و
هذا يدل على انها رؤيا نوم ووحي لا مشاهدة عين وحس قلنا يقابله
قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى فقد اضاف الامر للبصر وقد قال اهل
التفسير في قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما راى اي لم يوهم القلب العين غير
الحقيقة بل صدق رؤيتها وقيل ما انكر قلبه عليه السلام ما راته عينه
واما رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه تعالى فاختلف السلف فيها فانكرته
عايشة رضي الله عنها حدثنا ابو الحسين سراج بن عبد الملك الحافظ بقراءتي عليه
قال حدثني ابي وابو عبد الله بن عتاب الفقيه قالا ثنا القاضي يونس بن
مغيث ثنا ابو الفضل الصقلي ثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده
عبد الله بن علي ثنا محمود بن ادم ثنا وكيع عن ابن ابي خالد عن عامر عن مسروق
انه قال لعايشة رضي الله عنها يا ام المؤمنين هل راى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم

ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت ثلاث من حدثك بهن فقد كذب من حدثك ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الابصار الآية وذكر الحديث وقال جماعة بقول عائشة وهو المشهور عن ابن مسعود ومثله عن ابي هريرة انه انما رأى جبريل عليه السلام واختلف عنه وقال بانكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من الفقهاء والمتكلمين وعن ابن عباس رضي الله عنه انه رآه بعينيه وروى عطاء عنه انه رآه بقلبه وعن ابي العالية عنه رآه بفؤاده مرتين وذكر ابن اسحق ان ابن عمر ارسل الى ابن عباس يسئله هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه فقال نعم والاشهر عنه انه رأى ربه بعينيه وروى عنه ذلك من طرق وقال ان الله تعالى خص موسى عليه السلام بالكلام وابراهيم عليه السلام بالخلة ومحمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بالرؤية وحجته قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى افتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة اخرى قال الماوردي قيل ان الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فرآه محمد صلى الله عليه وسلم مرتين وكلمه موسى مرتين وحكى ابو الفتح الرازي وابو الليث السمرقندي الحكاية عن كعب وروى عبد الله بن الحارث قال اجتمع ابن عباس وكعب فقال ابن عباس اما نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم قد رأى ربه مرتين فكبر كعب حتى جاوبته الجبال وقال ان الله تعالى قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى صلى الله عليهما وسلم فكلمه موسى ورآه محمد عليه السلام بقلبه وروى شريك عن ابي ذر في تفسير الآية قال رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه وحكى السمرقندي عن محمد بن كعب القرظي وربيع ابن انس رضي الله عنه ان النبي عليه السلام سئل هل رأيت ربك قال رأيته بفؤادي ولم اره بعيني وروى مالك بن يخامر عن معاذ رضي الله عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال رأيت ربي وذكر كلمة فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى الحديث وحكى عبد الرزاق ان الحسن كان يحلف بالله لقد رأى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ربه تبارك وتعالى وحكاه

وحكاه ابو عمر الطلمنكي عن عكرمة وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب عن ابن مسعود رضي الله عنه وحكى ابن اسحق ان مروان سئل ابا هريرة هل رأى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ربه فقال نعم وحكى النقاش عن احمد بن حنبل رحمه الله تعالى عنه انه قال انا اقول بحديث ابن عباس رضي الله عنه بعينه رآه رآه حتى انقطع نفسه يعني نفس احمد وقال ابو عمر قال احمد بن حنبل رآه بقلبه وجبن عن القول برؤيته في الدنيا بالابصار وقال سعيد بن جبير لا اقول رآه ولا لم يره وقد اختلف في تأويل الآية عن ابن عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود فحكي عن ابن عباس وعكرمة رآه بقلبه وعن الحسن وابن مسعود رأى جبريل وحكى عبد الله بن احمد بن حنبل عن ابيه انه قال رآه وعن ابن عطاء في قوله الم نشرح لك صدرك قال شرح صدره للرؤية وشرح صدر موسى للكلام وقال ابو الحسن علي بن اسمعيل الاشعري رضي الله عنه وجماعة من اصحابه انه رأى الله ببصره وعيني رأسه وقال كل آية اوتيها نبي من الانبياء عليهم السلام فقد اوتي مثلها نبينا صلى الله عليه وسلم وخص من بينهم بتفضيل الرؤية ووقف بعض مشايخنا في هذا وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز ان يكون قال القاضي ابو الفضل المصنف رحمه الله والحق الذي لا امتراء فيه ان رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلا وليس في العقل ما يحيلها والدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى عليه السلام لها ومحال ان يجهل نبي ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه بل لم يسئل الا جائزا غير مستحيل ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه الا من علمه الله تعالى فقال له تعالى لن تراني اي لن تطيق ولا تحتمل رؤيتي ثم ضرب له مثلا مما هو اقوى من بنية موسى واثبت وهو الجبل وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته في الدنيا بل فيه جوازها على الجملة وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها اذ كل موجود فرؤيته جائزة غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله تعالى لا تدركه الابصار لاختلاف التأويلات في الآية واذ ليس

قول من قال في الدنيا الاستحالة ● وقد استدل بعضهم بهذه الاية
على جواز الرؤية وعدم استحالتها على الجملة ● وقد قيل لا تدركه ابصار
الكفار ● وقيل لا تدركه الابصار لا تحيط به وهو قول ابن عباس
وقد قيل لا تدركه الابصار وانما يدركه المبصرون وكل هذه التاويلات
لا تقتضي منع الرؤية ولا استحالتها وكذلك لا حجة لهم بقوله لن تراني
الاية ● وقوله تبت اليك لما قدمناه ولانها ليست على العموم ولان
من قال معناها لن تراني في الدنيا انما هو تاويل وايضا فليس فيه نص
الامتناع وانما جاءت في حق موسى عليه السلام وحيث تتطرق التاويلات و
تتسلط الاحتمالات فليس للقطع اليه سبيل ● وقوله تبت اليك اي
من سؤالي ما لم تقدره لي ● وقد قال ابو بكر الهذلي في قوله تعالى لن تراني
اي ليس لبشر ان يطيق ان ينظر الي في الدنيا وانه من نظر الي مات ●
وقد رايت لبعض السلف والمتاخرين ما معناه ان رؤيته تعالى في الدنيا
ممتنعة لضعف تركيب اهل الدنيا وقواهم وكونها متغيرة غرضا للآفات
والفنا فلم تكن لهم قوة على الرؤية فاذا كان في الاخرة وركبوا تركيبا
اخر ورزقوا قوى ثابتة باقية واتم انوار ابصارهم وقلوبهم قووا بها
على الرؤية ● وقد رايت نحو هذا لمالك بن انس رحمه الله قال لم ير في الدنيا
لانه باق ولا يرى الباقي بالفاني واذا كان في الاخرة ورزقوا ابصارا باقية
رؤي الباقي بالباقي ● وهذا كلام حسن مليح وليس فيه دليل على الاستحالة
الا من حيث ضعف القدرة فاذا قوى الله تعالى من شاء من عباده واقدره
على حمل اعباء الرؤية لم تمتنع في حقه وقد تقدم ما ذكر في قوة بصر
موسى ومحمد صلى الله تعالى عليهما وسلم ونفوذ ادراكهما بقوة الهية منحاها
لادراك ما ادركاه ورؤية ما راياه والله تعالى اعلم ● وقد ذكر القاضي ابو بكر
في اثناء اجوبته عن الايتين ما معناه ان موسى عليه السلام راى الله فلذلك
خر صعقا وان الجبل راى ربه فصار دكا بادراك خلقه الله له واستنبط
ذلك والله تعالى اعلم من قوله تعالى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه

فسوف تراني ● ثم قال فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا
وتجليه هو ظهوره له حتى راه على هذا القول ● وقال جعفر بن محمد شغله
بالجبل حتى تجلى ولولا ذلك لمات صعقا بلا افاقة ● وقوله هذا يدل على
ان موسى عليه السلام راه وقد وقع لبعض المفسرين في الجبل انه راه وبرؤية
الجبل له استدل من قال برؤية محمد نبينا صلى الله عليه وسلم له اذ جعله
دليلا على الجواز ولا مرية في الجواز اذ ليس في الايات نص على المنع واما
وجوبه لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم والقول بانه راه بعينه فليس فيه قاطع
ايضا ولا نص اذ المعول فيه على ايتي النجم والتنازع فيهما ماثور والاحتمال
لهما ممكن ولا اثر قاطع متواتر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك وحديث
ابن عباس رضي خبر عن اعتقاده لم يسنده الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فيجب العمل باعتقاد مضمنه ● ومثله حديث ابي ذر في تفسير الاية ● و
حديث معاذ محتمل للتاويل وهو مضطرب الاسناد والمتن ● وحديث ابي
ذر الاخر مختلف فيه محتمل مشكل ● فروي نور اني اراه ● وحكى بعض شيوخنا
انه روي نورا اني اراه وفي حديثه الاخر سالته فقال رايت نورا وليس يمكن
الاحتجاج بواحد منها على صحة الرؤية ● فان كان الصحيح رايت نورا فهو قد
اخبر انه لم ير الله سبحانه وانما راى نورا منعه وحجبه عن رؤية الله تعالى
والى هذا يرجع قوله نور اني اراه اي كيف اراه مع حجاب النور المغشي
للبصر ● وهذا مثل ما جاء في الحديث الاخر حجابه النور ● وفي الحديث
الاخر لم اره بعيني ولكن رايته بقلبي مرتين وتلا ثم دنى فتدلى والله قادر
على خلق الادراك الذي في البصر في القلب او كيف شاء لا اله غيره فان ورد
حديث نص بين في الباب اعتقد ووجب المصير اليه اذ لا استحالة فيه ولا
مانع قطعي يرده والله تعالى الموفق للصواب ● فصل ● واما ما ورد في هذه
القصة من مناجاته الله تعالى وكلامه له معه بقوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى
الى ما تضمنته الاحاديث فاكثر المفسرين على ان الوحي الله تعالى الى جبريل وجبريل
الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الا شذوذا منهم ● فذكر عن جعفر بن محمد

الصادق رضي الله عنه قال أوحى إليه بلا واسطة ونحوه عن الواسطي وإلى هذا
ذهب بعض المتكلمين أن محمدا كلم ربه في الإسراء وحكي عن الأشعري
وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس وأنكره آخرون ❁ وذكر النقاش عن
ابن عباس في قصة الإسراء عنه عليه السلام في قوله دنا فتدلى قال
فارقني جبريل فانقطعت الأصوات عني فسمعت كلام ربي عز وجل وهو يقول
ليهدأ روعك يا محمد ادن ادن ❁ وفي حديث أنس في الإسراء نحو منه ❁
وقد احتجوا في هذا بقوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من
وراء حجاب ❁ أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء فقالوا هي ثلاثة
أقسام من وراء حجاب ❁ كتكليم موسى عليه السلام وبإرسال الملائكة كحال جميع
الأنبياء وأكثر أحوال نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ❁ الثالث قوله وحيا
ولم يبق من تقسيم صور الكلام إلا المشافهة مع المشاهدة ❁ وقد قيل
الوحي هنا هو ما يلقيه في قلب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم دون واسطة
وقد ذكر أبو بكر البزار عن علي في حديث الإسراء ما هو أوضح في سماع النبي
صلى الله عليه وسلم لكلام الله من الآية فذكر فيه فقال الملك الله أكبر
الله أكبر فقيل لي من وراء الحجاب صدق عبدي أنا أكبر أنا أكبر ❁ وقال
في سائر كلمات الأذان مثل ذلك ويجيء الكلام في مشكل هذين الحديثين
في الفصل بعد هذا مع ما يشبهه وفي أول فصل من الباب منه وكلام الله
لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ❁ ومن اختصه من أنبيائه جائز غير ممتنع
عقلا ولا ورد في الشرع قاطع يمنعه فإن صح في ذلك خبر حمل عليه وكلامه
تعالى لموسى عليه السلام كائن حق مقطوع به نص ذلك في الكتاب وأكده بالمصدر
دلالة على الحقيقة ورفع مكانه على ما ورد في الحديث في السماء السابعة
بسبب كلامه ورفع محمدا صلى الله تعالى فوق هذا كله حتى بلغ مستوى وسمع
صريف الأقلام ❁ فكيف يستحيل في حق هذا أو يبعد سماع الكلام فسبحان
من خص من شاء بما شاء ورفع بعضهم فوق بعض درجات

فصل

وأما ما ورد في حديث الإسراء وظاهر الآية من الدنو والقرب من قوله تعالى
دنى فتدلى ❁ فكان قاب قوسين أو أدنى ❁ فأكثر المفسرين أن الدنو والتدلي
منقسم ما بين محمد وجبريل صلى الله تعالى عليهما السلام أو مختص بأحدهما
من الآخر أو من السدرة المنتهى قال الرازي وقال ابن عباس رضي الله عنهما
هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم دنا فتدلى من ربه تعالى ❁ وقيل معنى دنا قرب
وتدلى زاد في القرب وقيل هما بمعنى واحد أي قرب ❁ وحكى مكي والماوردي
عن ابن عباس رضي الله عنهما هو الرب دنا من محمد فتدلى إليه أي أمره وحكمه
وحكى النقاش عن الحسن قال دنا من عبده محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ❁
فتدلى فقرب منه فأراه ما شاء أن يريه من عظمته وقدرته قال
وقال ابن عباس هو مقدم ومؤخر تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم
ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه تعالى قال عليه السلام فارقني
جبريل عليه السلام وانقطعت الأصوات عني وسمعت كلام ربي عز وجل
وعن أنس رضي الله عنه في الصحيح عرج بي جبريل إلى سدرة المنتهى ❁ ودنا
الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى ❁ فأوحى إليه
بما شاء وأوحى إليه خمسين صلاة وذكر حديث الإسراء ❁ وعن محمد
بن كعب هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم دنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
من ربه فكان قاب قوسين قال ❁ وقال جعفر بن محمد أدناه ربه تعالى
منه حتى كان منه قاب قوسين ❁ وقال جعفر بن محمد والدنو من الله تعالى
لا حد له ومن العباد بالحدود ❁ وقال أيضا انقطعت الكيفية عن الدنو
ألا ترى كيف حجب جبريل عن دنوه ودنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
إلى ما أودع قلبه من المعرفة والإيمان فتدلى بسكون قلبه إلى ما
أدناه وزال عن قلبه الشك والارتياب ❁ قال القاضي أبو الفضل
المصنف رضي الله عنه ❁ اعلم أن ما وقع من إضافة الدنو والقرب هنا من الله
أو إلى الله فليس بدنو مكان ولا قرب مدى بل كما ذكرنا عن جعفر الصادق ليس
بدنو حد ❁ وإنما دنو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من ربه عز وجل وقربه منه
إبانة عظيم منزلته وتشريف رتبته وإشراق أنوار معرفته ❁ ومشاهدة

اسرار غيبه وقدرته ● ومن الله تعالى له مبرة وتأنيس وبسط واكرام
ويتأول فيه ما يتأول في قوله ينزل ربنا الى سماء الدنيا على احد الوجوه
نزول افضال واجمال وقبول واحسان ● قال الواسطي ومن توهم
انه بنفسه دنا جعل ثم مسافة بل كلما دنا بنفسه من الحق تدلى بعدا
يعني عن درك حقيقته اذ لا دنو للحق ولا بعد ● وقوله قاب قوسين
او ادنى ان جعل الضمير عائدا الى الله لا الى جبريل على هذا كان عبارة
عن نهاية القرب ولطف المحل وايضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة
من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ● وعبارة عن اجابة الرغبة وقضاء
المطالب واظهار التحفي وانافة المنزلة والمرتبة من الله له ويتأول
فيه ما يتأول في قوله من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن اتاني
يمشي اتيته هرولة قرب بالاجابة والقبول واتيان بالاحسان وتعجيل
المأمول ●

فصل في ذكر تفضيله في القيمة بخصوص الكرامة

● ثنا القاضي ابو علي ثنا ابو الفضل وابو الحسين قالا ثنا ابو يعلى ثنا السنجي ثنا
ابو محبوب ثنا الترمذي ● ثنا الحسين بن يزيد الكوفي ثنا عبد السلام بن
حرب عن ليث عن الربيع بن انس عن انس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ● انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم
اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا لواء الحمد بيدي وانا اكرم ولد
آدم على ربي ولا فخر ● وفي رواية ابن زحر عن الربيع عن انس في لفظ
هذا الحديث انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا وانا
خطيبهم اذا انصتوا ● وانا شفيعهم اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا ابلسوا
لواء الحمد بيدي ● وانا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر ● ويطوف علي
الف خادم كأنهم لؤلؤ مكنون ● وعن ابي هريرة رضي الله عنه واكسى حلة من
حلل الجنة ● ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلائق يقوم ذلك
المقام غيري ● وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
انا سيد الناس يوم القيمة وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ

آدم عليه السلام فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر
● وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيمة
واول من ينشق عنه القبر واول شافع واول مشفع ● وعن ابن عباس
انا حامل لواء الحمد يوم القيمة وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر
وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فادخلها ومعي فقراء المؤمنين
ولا فخر وانا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر ● وعن انس رضي الله عنه انا اول
الناس يشفع في الجنة وانا اكثر الناس تبعا ● وعن انس رضي الله عنه قال النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيمة وتدرون لم ذلك
يجمع الله الناس وذكر حديث الشفاعة ● وعن ابي هريرة انه عليه السلام
قال اطمع ان اكون اعظم الانبياء اجرا يوم القيمة ● وفي حديث آخر
اما ترضون ان يكون ابرهيم وعيسى عليهما السلام فيكم يوم القيمة ثم
قال انهما في امتي يوم القيمة ● اما ابرهيم عليه السلام فيقول انت دعوتي
وذريتي فاجعلني من امتك ● واما عيسى عليه السلام فالانبياء عليهم السلام
اخوة بنو علات امهاتهم شتى وان عيسى اخي ليس بيني وبينه نبي
وانا اولى الناس به ● قوله صلى الله تعالى عليه وسلم انا سيد الناس
يوم القيمة هو سيدهم في الدنيا ويوم القيمة ولكن اشار صلى الله تعالى عليه وسلم
لانفراده فيه بالسودد والشفاعة دون غيره اذ لجأ اليه الناس في
ذلك فلم يجدوا سواه والسيد هو الذي يلجأ الناس اليه في حوائجهم
فكان ثم سيدا منفردا من بين البشر لم يزاحمه احد في ذلك ولا ادعاه
كما قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ● والملك له تعالى في الدنيا
والآخرة لكن في الآخرة انقطعت دعوى المدعين لذلك في الدنيا وكذلك
لجأ الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم جميع الناس في الشفاعة فكان سيدهم
في الآخرة دون دعوى ● وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
آتي باب الجنة يوم القيمة فاستفتح فيقول الخازن من انت فاقول محمد
صلى الله عليه وسلم ● فيقول بك امرت لا افتح لاحد قبلك ● وعن عبد الله

بن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حوضي مسيرة شهر
وزواياه سواء وماؤه ابيض من اللبن وريحه اطيب من المسك كيزانه
كنجوم السماء من شرب منه لم يظمأ ابدا ● وعن ابي ذر نحوه وقال طوله
ما بين عمان الى ايلة يشخب فيه ميزابان من الجنة ● وعن ثوبان مثله
وقال احدهما من ذهب والآخر من ورق ● وفي رواية حارثة بن وهب
كما بين المدينة وصنعاء ● وقال انس ايلة وصنعاء ● وقال ابن عمر كما
بين الكوفة والحجر الاسود ● وروى حديث الحوض ايضا انس وجابر بن
سمرة وابن عمر وعقبة بن عامر وحارثة بن وهب الخزاعي والمستورد
وابو برزة الاسلمي وحذيفة ابن اليمان وابو امامة وزيد بن ارقم وابن
مسعود وعبد الله بن زيد وسهل بن سعد وسويد بن جبلة وابو سعيد الخدري
وابو بكر وعمر بن الخطاب وابن بريدة وعبد الله الصنابحي وابو هريرة
والبراء وجندب وعائشة واسماء بنتا ابي بكر وابو بكرة وخولة بنت
قيس وغيرهم رضي الله عنهم ● فصل في تفضيله بالمحبة والخلة جاءت
بذلك الآثار الصحيحة واختص صلى الله عليه وسلم على السنة المسلمين بحبيب الله
اخبرنا ابو القاسم ابن ابرهيم الخطيب وغيره عن كريمة بنت احمد ثنا ابو الهيثم
ثنا حسين بن محمد الحافظ سماعا عليه ثنا القاضي ابو الوليد ثنا عبد بن
احمد ثنا ابو الهيثم ثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف ثنا محمد ابن اسمعيل ثنا
عبد الله بن محمد ثنا ابو عامر ثنا فليح ثنا ابو النضر عن بسير بن سعيد
عن ابي سعيد عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا
غير ربي لاتخذت ابا بكر ● وفي حديث آخر وان صاحبكم خليل الله
ومن طريق عبد الله بن مسعود وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا ● وعن ابن عباس
قال جلس ناس من اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ينتظرونه قال
فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم
عجبا ان الله قد اتخذ ابرهيم من خلقه خليلا ● وقال آخر ماذا باعجب من
كلام موسى كلمه الله تكليما ● وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال آخر

آدم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم
وعجبكم بان الله تعالى اتخذ ابرهيم خليلا وهو كذلك وموسى نجي الله وهو
كذلك وعيسى روح الله وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك
الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر و
انا اول شافع واول مشفع ولا فخر ● وانا اول من يحرك حلق الجنة
فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر ● وفي حديث ابي
هريرة من قول الله لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم اني اتخذتك خليلا
فهو مكتوب في التورية محمد حبيب الرحمن ● فصل قال القاضي
ابو الفضل رحمه الله اختلف في تفسير الخلة واصل اشتقاقها فقيل الخليل
المنقطع الى الله الذي ليس في انقطاعه اليه ومحبته له اختلال وقيل
الخليل المختص واختار هذا القول غير واحد ● وقال بعضهم اصل الخلة
الاستصفاء وسمي ابرهيم عليه السلام خليل الله لانه يوالي فيه ويعادي فيه وخلة الله له نصره
وجعله اماما لمن بعده ● وقيل الخليل اصله الفقير المحتاج المنقطع مأخوذ
من الخلة وهي الحاجة فسمي بها ابرهيم عليه السلام لانه قصر حاجته على ربه
وانقطع اليه بهمه ولم يجعله قبل غيره اذ جاءه جبريل عليه السلام وهو في
المنجنيق ليرمى في النار الك حاجة قال اما اليك فلا ● وقال ابو بكر بن
فورك الخلة صفاء المودة التي توجب الاختصاص بتخلل الاسرار ● وقال
بعضهم اصل الخلة المحبة ومعناها الاسعاف والالطاف والترفيع والتشفيع
وقد بين ذلك تعالى في كتابه بقوله تعالى ● وقالت اليهود والنصارى نحن
ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم فاوجب للمحبوب ان لا يؤاخذ
بذنوبه ● قال هذا والخلة اقوى من البنوة لان البنوة قد تكون فيها العداوة
كما قال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم ولا يصح ان تكون عداوة
مع خلة فاذا تسمية ابرهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم بالخلة اما بانقطاعهما
الى الله ووقف حوائجهما عليه ● والانقطاع عمن دونه والاضراب عن الوسائط
والاسباب او لزيادة الاختصاص منه تعالى لهما وخفي الطافه عندهما وما

وما جاء لك بواطنهما من أسرار الهيبة ومكنون غيوبه ومعرفته ولاستصفا
لهما واستصفاء قلوبهما عمن سواه حتى لم يبقيا للحاجة لغيره وقد قال
بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه لسواه وهو عندهم معنى قوله عليه السلام ولو كنت
متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخوة الإسلام • واختلف العلماء
أرباب القلوب أيهما أرفع درجة الخلة أو درجة المحبة فجعلهما بعضهم
سواء فلا يكون الحبيب إلا خليلا ولا الخليل إلا حبيبا لكنه خص إبراهيم
بالخلة ومحمدا صلى الله عليهما السلام بالمحبة • وبعضهم قال درجة الخلة أرفع
واحتج بقوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا غير ربي ولم يتخذه
وقد أطلق المحبة عليه السلام لفاطمة وابنيها وأسامة وغيرهم • وأكثرهم
جعل المحبة أرفع من الخلة لأن درجة الحبيب درجة نبينا صلى الله عليه وسلم
أرفع من درجة إبراهيم الخليل عليه السلام • فأصل المحبة الميل إلى ما يوافق المحب
ولكن هذا في حق من يصح الميل منه والانتفاع بالوفق وهي درجة المخلوق
فأما الخالق جل جلاله فمنزه عن الأغراض فمحبته لعبده تمكينه من سعادته
وعصمته وتوفيقه وتهيئة أسباب القرب وإفاضة رحمته عليه • وقصواها
كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه • وينظر إليه ببصيرته فيكون كما قال
في الحديث فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به
ولسانه الذي ينطق به • فلا ينبغي أن يفهم من هذا سوى التجرد لله تعالى
والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن غير الله وصفاء القلب لله وإخلاص الحركات
لله تعالى كما قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن برضاه يرضى • وبسخطه
يسخط ومن هذا عبر بعضهم عن الخلة بقوله • قد تخللت مسلك الروح مني
وبذا سمي الخليل خليلا • فإذا ما نطقت كنت حديثي • وإذا ما سكت كنت الغليلا
• فإذا مزية الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بما دلت عليه
الآثار الصحيحة المنتشرة المتلقاة بالقبول من الأمة • وكفى بقوله تعالى قل
إن كنتم تحبون الله الآية • حكى أهل التفسير أن هذه الآية لما نزلت قال الكفار
إنما يريد محمد عليه السلام أن نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى عم فأنزل

فأنزل الله تعالى غيظا لهم ورغما على مقالتهم هذه الآية قل أطيعوا الله والرسول
فزاده صلى الله عليه وسلم شرفا بأمرهم بطاعته وقرنها بطاعته ثم توعدهم
على التولي عنه بقوله تعالى فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين • وقد نقل
الإمام أبو بكر بن فورك عن بعض المتكلمين كلاما في الفرق بين المحبة والخلة
يطول جملة إشارته إلى تفضيل مقام المحبة على الخلة • ونحن نذكر منه طرفا
يهدي إلى ما بعده فمن ذلك قولهم الخليل يصل بالواسطة من قوله وكذلك
نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض والحبيب يصل إلى حبيبه به • من قوله
فكان قاب قوسين أو أدنى • وقيل الخليل الذي تكون مغفرته في حد الطمع
من قوله تعالى والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين • والحبيب الذي
مغفرته في حد اليقين • من قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر
الآية • والخليل قال ولا تخزني يوم يبعثون والحبيب قيل له يوم لا يخزي الله النبي
فابتدئ بالبشارة قبل السؤال • والخليل قال في المحنة حسبي الله تعالى •
والحبيب قيل له يا أيها النبي حسبك الله • والخليل قال واجعل لي لسان صدق
والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك أعطي بلا سؤال • والخليل قال واجنبني
وبني أن نعبد الأصنام • والحبيب قيل له إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
أهل البيت وفيما ذكرناه تنبيه على مقصد أصحاب هذا المقال من تفضيل المقامات
والأحوال • وكل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا •

فصل في تفضيله بالشفاعة والمقام المحمود قال الله تعالى عسى أن يبعثك
ربك مقاما محمودا • حدثنا الشيخ أبو علي الغساني الجياني فيما كتبه إلي
بخطه ثنا سراج بن عبد الله القاضي ثنا أبو محمد الأصيلي أنا أبو زيد وأبو
أحمد قالا أنا محمد بن يوسف قال ثنا محمد بن إسماعيل قال ثنا إسماعيل بن
أبان ثنا أبو الأحوص عن آدم بن علي قال سمعت ابن عمر يقول إن الناس
يصيرون يوم القيمة جثى كل أمة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا
يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذلك
يوم يبعثه الله المقام المحمود • وعن أبي هريرة رضي الله عنه سئل عنها رسول

الله صلى الله عليه وسلم يعني قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا
فقال هي الشفاعة ⊙ وروى كعب بن مالك رضي الله عنه صلى الله تعالى عليه وسلم
يحشر الناس يوم القيمة فاكون انا وامتي على تل ويكسوني ربي حلة خضراء
ثم يؤذن لي فاقول ما شاء الله ان اقول فذلك المقام المحمود ⊙ وعن
ابن عمر رضي الله عنهما وذكر حديث الشفاعة قال فيمشي حتى ياخذ حلقة الجنة
فيومئذ يبعثه الله المقام المحمود الذي وعده ⊙ وعن ابن مسعود رضي الله عنه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قيامه عن يمين العرش مقاما لا
يقومه غيره يغبطه فيه الاولون والاخرون ⊙ ونحوه عن كعب والحسن ⊙
وفي رواية هذا هو المقام الذي اشفع لامتي فيه ⊙ وعن ابن مسعود
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اني لقائم المقام المحمود قيل وما هو
قال ذلك يوم ينزل الله تبارك وتعالى على كرسيه الحديث ⊙ وعن ابي موسى رضي الله
عنه صلى الله تعالى عليه وسلم خيرت بين ان يدخل نصف امتي الجنة وبين
الشفاعة فاخترت الشفاعة لانها اعم اترونها للمتقين ولكنها للمذنبين
الخطائين ⊙ وعن ابي هريرة قلت يا رسول الله ماذا ورد عليك في الشفاعة
فقال شفاعتي لمن شهد ان لا اله الا الله مخلصا يصدق لسانه قلبه
وعن ام حبيبة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اريت
ما تلقى امتي من بعدي وسفك بعضهم دماء بعض وسبق لهم من الله
ما سبق للامم قبلهم فسئلت الله ان يؤتيني شفاعة يوم القيمة فيهم ففعل
⊙ وقال حذيفة رضي الله عنه يجمع الله الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي
وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا سكوت لا تكلم نفس الا باذنه فينادى محمد
صلى الله عليه وسلم ⊙ فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس اليك
والمهتدي من هديت وعبدك بين يديك ولك واليك لا ملجا ولا منجى منك الا اليك
تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فذلك المقام المحمود الذي ذكره
الله تعالى ⊙ وقال ابن عباس رضي الله عنهما اذا دخل اهل النار النار واهل الجنة الجنة
فتبقى اخر زمرة من الجنة واخر زمرة من النار فتقول زمرة النار لزمرة الجنة

ما نفعكم ايمانكم فيدعون ربهم ويضجون فيسمعهم اهل الجنة فيسئلون
ادم وغيره بعده في الشفاعة لهم فكل يعتذر حتى ياتوا محمدا صلى الله عليه وسلم
فيشفع لهم فذلك المقام المحمود ⊙ ونحوه عن ابن مسعود رضي الله عنه ايضا ومجاهد
وذكره علي بن الحسين عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ⊙ وقال جابر بن
عبد الله ليزيد الفقير سمعت بمقام محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يعني الذي
يبعثه الله فيه قال نعم قال فانه مقام محمد صلى الله تعالى عليه وسلم المحمود الذي يخرج
الله به من يخرج يعني من النار ⊙ وذكر حديث الشفاعة في اخراج الجهنميين
⊙ وعن انس نحوه وقال فهذا المقام المحمود الذي وعده ⊙ وعن سلمان
رضي الله عنه المقام المحمود هو الشفاعة من امته يوم القيمة ومثله عن ابي هريرة رضي الله عنه
⊙ وقال قتادة كان اهل العلم يرون المقام المحمود شفاعة يوم القيمة
وعلى ان المقام المحمود هو مقامه عليه السلام للشفاعة مذهب السلف
من الصحابة والتابعين وعامة ائمة المسلمين وبذلك جاءت مفسرة
في صحيح الاخبار عنه عليه السلام ⊙ وجاءت مقالة في تفسيرها شاذة عن
بعض السلف يجب ان لا تثبت اذ لم يعضدها صحيح اثر ولا سند بل نظر
ولو صحت لكان لها تاويل غير مستنكر ⊙ لكن ما فسره النبي صلى الله عليه وسلم
في صحاح الاثار يرده فلا يلتفت اليه مع انه لم يات في كتاب ولا سنة
ولا اتفقت على المقال به امة وفي اطلاقه ظاهره منكر من القول وشنعة
وفي رواية انس وابي هريرة وغيرهما رضي الله عنهم دخل حديث بعضهم في حديث بعض
قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يجمع الله الاولين والاخرين يوم القيمة
فيهتمون او قال فيلهمون فيقولون لو استشفعنا الى ربنا ومن طريق غيره
ماج الناس بعضهم في بعض ⊙ وعن ابي هريرة رضي الله عنه وتدنو الشمس فيبلغ
الناس من الغم ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقولون الا تنظرون من يشفع
لكم فياتون ادم عليه السلام فيقولون زاد بعضهم انت ادم ابو البشر خلقك
الله بيده ونفخ فيك من روحه واسكنك جنته واسجد لك ملائكته وعلمك
اسماء كل شيء اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا الا ترى ما نحن فيه

فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده
مثله ونهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى
نوح عليه السلام فيأتون نوحا فيقولون انت اول الرسل الى اهل الارض و
سماك الله عبدا شكورا الا ترى الى ما نحن فيه الا ترى ما بلغنا الا تشفع
لنا الى ربك ● فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله
ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي ● قال في رواية انس رضي الله عنه ويذكر
خطيئته التي اصاب سؤاله ربه بغير علم ● وفي رواية ابي هريرة وقد كانت
لي دعوة دعوتها على قومي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابرهيم فانه خليل
الله فيأتون ابرهيم فيقولون انت نبي الله وخليله من اهل الارض
اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه ● فيقول ان ربي قد غضب
اليوم غضبا وذكر مثله ● وذكر ثلاث كلمات كذبهن نفسي نفسي
لست لها ولكن عليكم بموسى فانه كليم الله وفي رواية فانه عبد آتاه الله
التورية وكلمه وقربه نجيا ● قال فيأتون موسى عليه السلام فيقول
لست لها ويذكر خطيئته التي اصاب وقتله النفس نفسي نفسي ولكن
عليكم بعيسى فانه روح الله وكلمته فيأتون عيسى عليه السلام فيقول
لست لها ولكن عليكم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم عبد غفر الله له ما
تقدم وما تأخر فأوتى فأقول انا لها فانطلق فاستأذن على ربي
فيؤذن لي فاذا رأيته وقعت له ساجدا ● وفي رواية فآتي تحت العرش
فأخر ساجدا ● وفي رواية فاقوم بين يديه فاحمده بمحامد لا اقدر الآن
عليها الا انه يلهمنيها الله تعالى ● وفي رواية فيفتح الله تعالى علي من محامده
وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على احد قبلي ● قال في رواية ابي هريرة رضي الله عنه
فيقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فارفع رأسي فأقول
يا رب امتي يا رب امتي ● فيقول ادخل من امتك من لا حساب عليه من
الباب الايمن من ابواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب
ولم يذكر في رواية انس رضي الله عنه هذا الفصل ● وفي رواية وقال ثم آخر

ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل
تعطه فأقول يا رب امتي امتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة
من برة او شعيرة من ايمان فأخرجه فانطلق فأفعل ثم ارجع الى ربي فأحمده
بتلك المحامد وذكر مثل الاول ● وقال فيه مثقال حبة من خردل قال فأفعل
ثم ارجع وذكر مثل ما تقدم وقال فيه من كان في قلبه ادنى ادنى ادنى
من مثقال حبة من خردل فأفعل ● وذكر في المرة الرابعة فيقال لي ارفع
رأسك وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه فأقول يا رب ائذن لي فيمن قال
لا اله الا الله قال ليس ذلك اليك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي
لأخرجن من النار من قال لا اله الا الله ● ومن رواية قتادة عنه قال فلا
ادري في الثالثة والرابعة فأقول يا رب ما بقي في النار الا من حبسه القرآن
اي وجب عليه الخلود ● وعن ابي بكر وعقبة ابن عامر وابي سعيد وحذيفة
مثله قال فيأتون محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم فيؤذن له وتأتي الامانة والرحم
فيقومان جنبتي الصراط ● وذكر في رواية ابي مالك عن حذيفة رضي الله عنه فيأتون
محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم فيشفع ويضرب الصراط فيمرون اولهم كالبرق
ثم كالريح والطير وشد الرجال ونبيكم صلى الله تعالى عليه وسلم على الصراط
يقول اللهم سلم سلم حتى يجتاز الناس وذكر آخرهم جوازا الحديث ● وفي
رواية ابي هريرة فأكون اول من يجيز يومئذ ● وعن ابن عباس رضي الله عنهما
عنه عليه السلام يوضع للانبياء منابر يجلسون عليها ويبقى منبري لا اجلس عليه
الا قائما بين يدي ربي عز وجل منتصبا فيقول الله تبارك وتعالى ما تريد ان
اصنع بامتك فأقول يا رب عجل حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل
الجنة برحمته ومنهم من يدخلها بشفاعتي ولا ازال اشفع حتى اعطى صكاكا
برجال قد امر بهم الى النار حتى ان خازن النار ليقول يا محمد ما تركت لغضب
ربك في امتك من نقمة ● ومن طريق زياد النميري عن انس رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قال انا اول من تنفلق الارض عن جمجمته ولا فخر ● وانا سيد
الناس يوم القيمة ولا فخر ومعي لواء الحمد يوم القيمة ● وانا اول من تفتح له

الجنة ولا فخر فاني آخذ بحلقة الجنة فيقال من هذا فأقول محمد فيفتح
لي فيستقبلني الجبار سبحانه وتعالى فأخر له ساجدا وذكر نحو ما تقدم ومن
رواية أنس سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لأشفعن
يوم القيمة لأكثر مما في الأرض من حجر وشجر فقد اجتمع من اختلاف
ألفاظ هذه الآثار أن شفاعته عليه السلام ومقامه المحمود من أول
الى آخرها من حين يجتمع الناس للحشر وتضيق بهم الحناجر ويبلغ
منهم العرق والشمس والوقوف مبلغه وذلك قبل الحساب فيشفع
لإراحة الناس من الموقف ثم يوضع الصراط ويحاسب الناس كما جاء
في الحديث عن أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما وهذا الحديث أتقن فيشفع
في تعجيل من لا حساب عليه من أمته الى الجنة كما تقدم في الحديث
ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب ودخل النار منهم حسبما تقتضيه الأحاديث
الصحيحة ثم فيمن قال لا اله الا الله وليس هذا لسواه صلى الله تعالى عليه وسلم
وفي الحديث المنتشر الصحيح لكل نبي دعوة يدعو بها واختبأت دعوتي
شفاعة لأمتي يوم القيمة قال أهل العلم معناه دعوة أعلم أنها
يستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم والا فكم لكل نبي منهم من دعوة مستجابة
ولنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم منها ما لا يعد لكن حالهم عند الدعاء بها
بين الرجاء والخوف وضمنت لهم اجابة دعوة فيما شاؤه يدعون بها
على يقين من الاجابة وقد قال محمد بن زياد وأبو صالح عن أبي هريرة
في هذا الحديث لكل نبي دعوة دعا بها في أمته فاستجيب له وأنا أريد
أن أؤخر دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيمة وفي رواية أبي صالح لكل
نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ونحوه في رواية أبي زرعة عن
أبي هريرة وعن أنس مثل رواية ابن زياد عن أبي هريرة فتكون هذه الدعوة
المذكورة مخصوصة بالأمة مضمونة الاجابة والا فقد أخبر صلى الله عليه وسلم
أنه سأل لأمته أشياء من أمور الدين والدنيا أعطي بعضها ومنع بعضها
وادخر لهم هذه الدعوة ليوم الفاقة وخاتمة المحن وعظيم السؤال و

والرغبة جزاه الله أحسن ما جزى نبيا عن أمته وصلى الله عليه وسلم كثيرا

فصل

في تفضيله في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر
والفضيلة حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي والفقيه أبو
الوليد هشام بن أحمد بقراءتي عليهما قالا ثنا أبو علي الغساني ثنا
النمري ثنا ابن عبد المؤمن ثنا أبو بكر التمار ثنا أبو داود ثنا محمد بن
سلمة ثنا ابن وهب عن ابن لهيعة وحيوة وسعيد بن أبي أيوب عن كعب
بن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول
ثم صلوا علي فانه من صلى علي مرة صلى الله تعالى عليه عشرا ثم سلوا الله
لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وأرجو أن
أكون أنا هو فمن سأل الله تعالى لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة وفي
حديث آخر عن أبي هريرة الوسيلة أعلى درجة في الجنة وعن أنس رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بينا أنا أسير في الجنة اذ عرض لي
نهر حافتاه قباب اللؤلؤ قلت لجبريل ما هذا قال هذا الكوثر الذي
أعطاكه الله قال ثم ضرب بيده الى طينته فاستخرج مسكا
وعن عائشة رضي الله عنها وعبد الله بن عمرو مثله قال ومجراه على الدر
والياقوت وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج وفي رواية عنه فاذا
هو يجري ولم يشق شقا عليه حوض ترد عليه أمتي وذكر حديث الحوض
ونحوه عن ابن عباس وعن ابن عباس أيضا قال الكوثر الخير الذي
أعطاه الله اياه وقال سعيد بن جبير والنهر الذي في الجنة من الخير الذي
أعطاه الله وعن حذيفة فيما ذكر عليه الصلوة والسلام عن ربه وأعطاني
الكوثر نهر في الجنة يسيل في حوضي وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في
قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال ألف قصر من لؤلؤ ترابهن
المسك وفيه ما يصلحهن وفي رواية أخرى وفيه ما ينبغي له من الأزواج و
الخدم

فصل

فان قلت اذا تقرر من دليل القرآن وصحيح الأثر واجماع

الامة لكونه صلى الله تعالى عليه وسلم اكرم البشر وافضل الانبياء فما
معنى الاحاديث الواردة بنهيه صلى الله تعالى عليه وسلم عن التفضيل
كقوله فيما حدثناه الاسدى قال ثنا السمرقندى ثنا الفارسى
ثنا الجلودى ثنا ابن سفيان ثنا مسلم ثنا ابن مثنى ثنا محمد بن جعفر
ثنا شعبة عن قتادة سمعت ابا العالية يقول حدثنى ابن عم نبيكم صلى
الله تعالى عليه وسلم يعنى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم
قال ما ينبغى لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى وفى غير هذا الطريق
عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال يعنى رسول الله ما ينبغى لعبد الحديث وفى
حديث ابى هريرة فى اليهودى الذى قال والذى اصطفى موسى على البشر فلطمه
رجل من الانصار وقال له تقول ذلك ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
بين اظهرنا فبلغ ذلك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لا تفضلوا
بين الانبياء وفى رواية لا تخيرونى على موسى فذكر الحديث
وفيه ولا اقول ان احدا افضل من يونس بن متى وعن ابى هريرة ومن قال
انا خير من يونس بن متى فقد كذب وعن ابن مسعود لا يقولن احدكم
انا خير من يونس بن متى وفى حديثه الآخر فجاءه رجل فقال يا خير البرية
فقال ذلك ابرهيم عليه السلام فاعلم ان للعلماء فى هذه الاحاديث تاويلات
احدها ان نهيه عليه السلام عن التفضيل كان قبل ان يعلم انه سيد ولد آدم
فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف وان من فضل بلا علم فقد كذب
وكذلك قوله عليه السلام لا اقول ان احدا افضل منه لا يقتضى تفضيله
هو وانما هو فى الظاهر كف عن التفضيل الوجه الثانى انه قاله
صلى الله تعالى عليه وسلم على طريق التواضع ونفى التكبر والعجب وهذا لا يسلم
من الاعتراض الوجه الثالث ان لا يفضل بينهم تفضيلا يؤدى الى
تنقص بعضهم او الغض منه لا سيما فى جهة يونس عليه السلام اذ اخبر الله تعالى عنه
بما اخبر لئلا يقع فى نفس من لا يعلم منه بذلك غضاضة وانحطاط من رتبته
الرفيعة اذ قال تعالى عنه اذ ابق الى الفلك المشحون فظن ان لن نقدر عليه فربما

يخيل لمن لا علم عنده حطيطة بذلك الوجه الرابع منع التفضيل
فى حق النبوة والرسالة فان الانبياء صلوات الله عليهم فيها على حد واحد
اذ هى شىء واحد لا يتفاضل وانما التفاضل فى زيادة الاحوال والخصوص
والكرامات والرتب والالطاف واما النبوة فى نفسها فلا تتفاضل وانما
التفاضل بامور اخر زائدة عليها ولذلك منهم رسل ومنهم اولو عزم
من الرسل ومنهم من رفع مكانا عليا ومنهم من اوتى الحكم صبيا واوتى
بعضهم الزبر وبعضهم البينات ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات
قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض الآية وقال تلك الرسل
فضلنا بعضهم على بعض الآية قال بعض اهل العلم والتفضيل المراد لهم
هنا فى الدنيا وذلك بثلاثة احوال ان تكون آياته ومعجزاته اظهر واشهر
او تكون امته ازكى واكثر او يكون فى ذاته افضل واظهر وفضله فى ذاته
راجع الى ما خصه الله تعالى به من كرامته واختصاصه من كلام او خلة او رؤية
او ما شاء الله من الطافه وتحف ولايته واختصاصه وقد روى ان
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان للنبوة اثقالا وان يونس تفسخ منها
تفسخ الربع فحفظ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم موضع الفتنة
من اوهام من يسبق اليه بسببها جرح فى نبوته او قدح فى اصطفائه وحط
من رتبته ووهن فى عصمته شفقة منه صلى الله تعالى عليه وسلم على امته
وقد يتوجه على هذا الترتيب وجه خامس وهو ان يكون انا راجعا
الى القائل نفسه اى لا يظن احد وان بلغ من الذكاء والعصمة والطهارة
ما بلغ انه خير من يونس لاجل ما حكى الله عنه فان درجة النبوة افضل
واعلى وان تلك الاقدار لم تحطه عنها حبة خردلة ولا ادنى وسنزيد
فى القسم الثالث فى هذا بيانا ان شاء الله تعالى فقد بان لك الغرض وسقط
بما حررناه شبهة المعترض

فصل فى اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم وما

تضمنته من فضيلته حدثنا ابو عمران موسى بن ابى تليد الفقيه قال ثنا
ابو عمر الحافظ ثنا سعيد بن نصر ثنا القاسم بن اصبغ ثنا محمد بن وضاح

ثنا يحيى ثنا مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه قال قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لي خمسة اسماء انا محمد وانا احمد
وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على
قدمي وانا العاقب وقد سماه الله عز وجل في كتابه محمدا واحمد
فمن خصايصه تعالى له ان ضمن اسماءه ثناءه فطوى اثناء ذكره عظيم
شكره فاما اسمه احمد فافعل مبالغة من صفة الحمد ومحمد
مفعل مبالغة من كثرة الحمد فهو صلى الله تعالى عليه وسلم اجل من حمد
وافضل من حمد واكثر الناس حمدا فهو احمد المحمودين واحمد الحامدين
ومعه لواء الحمد يوم القيمة ليتم له كمال الحمد ويشتهر في تلك العرصات
بصفة الحمد ويبعثه ربه هناك مقاما محمودا كما وعده يحمده الاولون
والاخرون بشفاعته لهم ويفتح عليه فيه من المحامد كما قال صلى الله عليه وسلم
ما لم يعط غيره وسمى امته في كتب انبيائه بالحمادين فحقيق ان يسمى
محمدا واحمد ثم في هذين الاسمين من عجائب خصائصه وبدائع اياته فن
اخر هو ان الله تعالى جل اسمه حمى ان يسمى بهما احد قبل زمانه اما احمد الذي
اتى في الكتب وبشرت به الانبياء فمنع الله تعالى بحكمته ان يسمى به احد غيره
ولا يدعى به مدعو قبله حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب او شك وكذلك محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ايضا لم يسم به احد من العرب ولا غيرهم
الى ان شاع قبيل وجوده عليه السلام وميلاده ان نبيا يبعث اسمه محمد
فسمى قوم قليل من العرب ابناءهم بذلك رجاء ان يكون احدهم هو والله اعلم
حيث يجعل رسالاته وهم محمد بن احيحة بن الجلاح الاوسي ومحمد بن مسلمة
الانصاري ومحمد بن البراء البكري ومحمد بن سفيان بن مجاشع ومحمد بن
حمران الجعفي ومحمد بن خزاعي السلمي لا سابع لهم ويقال ان اول من تسمى
بمحمد محمد بن سفيان واليمن تقول بل محمد بن اليحمد من الازد ثم حمى الله
كل من تسمى به ان يدعي النبوة او يدعيها له احد او يظهر عليه سبب يشكك
احدا في امره حتى تحققت السمتان له صلى الله تعالى عليه وسلم ولم ينازع فيهما

واما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ففسر
في الحديث ويكون محو الكفر اما من مكة وبلاد العرب وما زوي له من الارض
ووعد انه يبلغه ملك امته او يكون المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة
كما قال تعالى ليظهره على الدين كله وقد ورد تفسيره في الحديث انه الذي
محيت به سيئات من اتبعه وقوله عليه السلام وانا الحاشر الذي يحشر
الناس على قدمي ويروى على عقبي اي على زماني وعهدي اي ليس بعدي نبي
كما قال تعالى وخاتم النبيين وسمي عاقبا لانه عليه الصلوة والسلام
عقب غيره من الانبياء وفي الصحيح وانا العاقب الذي ليس بعدي نبي
وقيل معنى على قدمي اي يحشر الناس بمشاهدتي كما قال تعالى لتكونوا شهداء
على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وقيل على قدمي على سابقتي
قال الله تعالى لهم قدم صدق عند ربهم وقيل على قدمي اي قدامي وحولي
اي يجتمعون الي في القيمة وقيل قدمي سنتي ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم
لي خمسة اسماء قيل انها موجودة في الكتب المتقدمة وعند اولي العلم من الامم
السالفة والله اعلم وقد روي عنه عليه السلام لي عشرة اسماء فذكر منها طه
ويس حكاه مكي وقد قيل في بعض تفاسير طه انه يا طاهر يا هادي
وفي يس يا سيد حكاه السلمي عن الواسطي وجعفر بن محمد وذكر
غيره لي عشرة اسماء فذكر الخمسة التي في الحديث الاول قال وانا رسول
الرحمة ورسول الراحة ورسول الملاحم وانا المقفى قفيت النبيين وانا قيم
والقيم الجامع الكامل كذا وجدته ولم اروه وارى صوابه قثم بالثاء
كما ذكرناه بعد عن الحربي وهو اشبه بالتفسير وقد وقع ايضا في
كتب الانبياء قال داود عليه السلام اللهم ابعث لنا محمدا مقيم السنة بعد
الفترة فقد يكون القيم بمعناه وروى النقاش عنه صلى الله تعالى عليه وسلم
لي في القران سبعة اسماء محمد واحمد ويس وطه والمزمل والمدثر وعبد الله
وفي حديث ابي موسى الاشعري انه كان صلى الله تعالى عليه وسلم يسمي لنا
نفسه اسماء فيقول انا محمد واحمد والمقفى والحاشر ونبي التوبة ونبي الملحمة

ويروى المرحمة والراحمة وكل صحيح إن شاء الله ومعنى المقفى معنى العاقب • وفي حديث عن جبير بن مطعم هي ستة محمد وأحمد وخاتم وحاشر وعاقب وماح ومعنى المقفى معنى العاقب وقيل المتبع للنبيين • وأما نبي الرحمة والتوبة والمرحمة والراحمة فقد قال الله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين • وكما وصفه تعالى بأنه يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم إلى صراط مستقيم • وبالمؤمنين رؤوف رحيم • وقد قال في صفة أمته إنها أمة مرحومة • وقال تعالى فيهم وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أي يرحم بعضهم بعضا فبعثه صلى الله تعالى عليه وسلم ربه تعالى رحمة لأمته ورحمة للعالمين ورحيما بهم ومترحما ومستغفرا لهم وجعل أمته أمة مرحومة ووصفها بالرحمة وأمرها عليه السلام بالتراحم • وأثنى صلى الله تعالى عليه وسلم عليها • فقال إن الله تعالى يحب من عباده الرحماء ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء • وأما رواية نبي الملحمة • فإشارة إلى ما بعث به من القتال والسيف صلى الله عليه وسلم وهي صحيحة وروى حذيفة مثل حديث أبي موسى وفيه ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم وروى الحربي في حديثه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال أتاني ملك فقال لي أنت قثم أي مجتمع قال والقثوم الجامع للخير وهذا اسم هو في أهل بيته عليه السلام معلوم • وقيل هو مشتق من القثم وهو الإعطاء يقال قثم له من العطاء يقثم إذا أعطاه وكان عليه السلام أجود بالخير من الريح الهابة • وقد جاءت من ألقابه عليه السلام وسماته في القرآن عدة كثيرة سوى ما ذكرناه كالنور والسراج المنير • والمنذر • والنذير • والمبشر • والبشير • والشاهد • والشهيد • والحق المبين • وخاتم النبيين • والرؤوف الرحيم • والأمين • وقدم الصدق • ورحمة للعالمين • ونعمة الله • والعروة الوثقى • والصراط المستقيم • والنجم الثاقب والكريم • والنبي الأمي • وداعي الله في أوصاف كثيرة • وسمات جليلة وجرى منها في كتب الله المتقدمة • وكتب أنبيائه • وأحاديث رسوله وإطلاق الأمة جملة شافية كتسميته صلى الله تعالى عليه وسلم بالمصطفى والمجتبى

وأبي القسم • والحبيب • ورسول رب العالمين • والشفيع المشفع والمتقي والمصلح • والطاهر • والمهيمن • والصادق • والمصدوق • والهادي وسيد ولد آدم • وسيد المرسلين • وإمام المتقين • وقائد الغر المحجلين وحبيب الله • وخليل الرحمن • وصاحب الحوض المورود • والشفاعة والمقام المحمود • وصاحب الوسيلة • والفضيلة • والدرجة الرفيعة وصاحب التاج والمعراج • واللواء والقضيب • وراكب البراق والناقة والنجيب • وصاحب الحجة • والسلطان • والخاتم • والعلامة • والبرهان وصاحب الهراوة والنعلين • ومن أسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم في الكتب المتوكل والمختار • ومقيم السنة • والمقدس • وروح الحق وهو معنى البارقليط في الإنجيل • وقال ثعلب البارقليط الذي يفرق بين الحق والباطل • ومن أسمائه عليه السلام في الكتب السالفة ماذ ماذ ومعناه طيب طيب • وحمطايا • والخاتم • والحاتم حكاه كعب الأحبار • وقال ثعلب فالخاتم الذي ختم الأنبياء والحاتم أحسن الأنبياء عليهم السلام خلقا وخلقا ويسمى بالسريانية مشفح والمنحمنا • واسمه عليه السلام أيضا في التوراة أحيد • روي ذلك عن ابن سيرين • ومعنى صاحب القضيب أي السيف وقع ذلك مفسرا في الإنجيل • قال معه قضيب من حديد يقاتل به وأمته كذلك • وقد يحمل على أنه القضيب الممشوق الذي كان يمسكه عليه السلام وهو الآن عند الخلفاء • وأما الهراوة التي وصف بها فهي في اللغة العصا وأراها والله تعالى أعلم العصا المذكورة في حديث الحوض أذود الناس عنه بعصاي لأهل اليمن • وأما التاج فالمراد به العمامة ولم تكن حينئذ إلا للعرب والعمائم تيجان العرب وألقابه وأوصافه • قال القاضي أبو الفضل رحمه الله وسماته في الكتب كثيرة وفيما ذكرنا منها مقنع إن شاء الله • وكانت كنيته المشهورة أبا القاسم • وروي عن أنس رضي الله عنه أنه لما ولد له إبراهيم عليهما السلام جاءه جبريل عليه السلام فقال السلام عليك يا أبا إبراهيم

فصل في تشريف الله تعالى له بما سماه به

من أسمائه الحسنى ووصفه به من صفاته العلى قال القاضي أبو الفضل
رحمه الله ما أحرى هذا الفصل بفصول الباب الأول لانخراطه في سلك
مضمونها وامتزاجه بعذب معينها لكن لم يشرح الله الصدر للهداية
إلى استنباطه ولا أنار الفكر لاستخراج جوهره والتقاطه إلا عند الخوض
في الفصل الذي قبله فرأينا أن نضيفه إليه ونجمع به شمله فاعلم
أن الله تعالى خص كثيرا من أنبيائه بكرامة خلعها عليهم من أسمائه كتسميته
إسحق وإسمعيل بعليم وحليم وإبرهيم بحليم ونوحا بشكور وعيسى
ويحيى ببر وموسى بكريم وقوي ويوسف بحفيظ عليم وأيوب
بصابر وإسمعيل بصادق الوعد كما نطق بذلك الكتاب العزيز في موضع
ذكرهم وفضل محمدا نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بأن حلاه منها في
كتابه العزيز وعلى ألسنة أنبيائه بعدة كثيرة اجتمع لنا منها جملة بعد
إعمال الفكر وإحضار الذكر إذ لم نجد من جمع منها فوق اسمين ولا من تفرغ
منها لتأليف فصلين وحررنا منها في هذا الفصل نحو ثلثين اسما ولعل الله
كما ألهم إلى ما علم منها وحققه يتم النعمة بإبانة ما لم يظهر لنا الآن ويفتح
غلقه فمن أسمائه تعالى الحميد ومعناه المحمود لأنه حمد نفسه وحمده عباده
ويكون أيضا بمعنى الحامد لنفسه ولأعمال الطاعات وسمى النبي صلى الله عليه وسلم
محمدا وأحمد فمحمد بمعنى محمود وكذا وقع اسمه في زبور داود عليه السلام
وأحمد بمعنى أكبر من حمد وقد أشار إلى نحو هذا حسان بقوله وشق له
من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد ومن أسمائه تعالى الرؤوف
الرحيم وهما بمعنى متقارب وسماه الله تعالى في كتابه بذلك فقال بالمؤمنين
رؤوف رحيم ومن أسمائه تعالى الحق المبين ومعنى الحق الموجود والمتحقق
أمره وكذلك المبين أي البين أمره وإلهيته بان وأبان بمعنى ويكون بمعنى
المبين لعباده أمر دينهم ومعادهم وسمى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
بذلك في كتابه فقال حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال وقل إني
أنا النذير المبين وقال تعالى قد جاءكم الحق من ربكم وقال تعالى فقد كذبوا

بالحق لما جاءهم قيل محمد وقيل القرآن ومعناه هنا ضد الباطل والمتحقق
صدقه وأمره وهو بمعنى الأول والمبين البين أمره ورسالته أو المبين
عن الله تعالى ما بعثه به كما قال تعالى لتبين للناس ما نزل إليهم ومن أسمائه تعالى
النور ومعناه ذو النور أي خالقه أو هو منور السموات والأرض بالأنوار
ومنور قلوب المؤمنين بالهداية وسماه نورا فقال تعالى قد جاءكم من الله
نور وكتاب مبين قيل محمد عليه السلام وقيل القرآن وقال
فيه وسراجا منيرا سمي بذلك لوضوح أمره وبيان نبوته وتنوير قلوب
المؤمنين والعارفين بما جاء به ومن أسمائه تعالى الشهيد ومعناه العالم
وقيل الشاهد على عباده يوم القيمة وسماه صلى الله تعالى عليه وسلم
شهيدا وشاهدا وقال تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا وهو بمعنى
الأول ومن أسمائه تعالى الكريم ومعناه الكثير الخير وقيل المفضل
وقيل العفو وقيل العلي وفي الحديث المروي في أسمائه تعالى الأكرم
وسماه صلى الله تعالى عليه وسلم كريما بقوله تعالى إنه لقول رسول كريم
قيل محمد عليه السلام وقيل جبريل عليه السلام أنا أكرم ولد آدم ومعاني الاسم
صحيحة في حقه عليه السلام ومن أسمائه تعالى العظيم ومعناه الجليل
الشأن الذي كل شيء دونه وقال في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وإنك
لعلى خلق عظيم ووقع في أول سفر من التورية عن إسمعيل عليه السلام
وسيلد عظيما لأمة عظيمة فهو صلى الله تعالى عليه وسلم عظيم وعلى خلق
عظيم ومن أسمائه تعالى الجبار ومعناه المصلح وقيل القاهر وقيل العلي
العظيم الشأن وقيل المتكبر وسمي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في
كتاب داود عليه السلام بجبار فقال تقلد أيها الجبار سيفك فإن ناموسك وشرائعك
مقرونة بهيبة يمينك ومعناه في حق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إما لإصلاحه
الأمة بالهداية والتعليم أو لقهره أعداءه أو لعلو منزلته على البشر وعظيم
خطره ونفى عنه تعالى في القرآن جبرية التكبر التي لا تليق به فقال تعالى وما
أنت عليهم بجبار ومن أسمائه تعالى الخبير ومعناه المطلع بكنه الشيء العالم

بحقيقته وقيل معناه المخبر وقال الله تعالى الرحمن فسئل به خبيرا قال القاضي
بكر بن العلاء المأمور بالسؤال غير النبي صلى الله عليه وسلم والمسؤول الخبير هو النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وقال غيره بل السائل النبي صلى الله عليه وسلم والمسؤول
هو الله تعالى فالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم خبير بالوجهين المذكورين قيل لأنه
عالم على غاية من العلم بما أعلمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته مخبر لأمته
بما أذن له في إعلامهم به ومن أسمائه تعالى الفتاح ومعناه الحاكم بين
عباده أو فاتح أبواب الرزق والرحمة والمنغلق من أمورهم عليهم أو يفتح
قلوبهم وبصائرهم لمعرفة الحق ويكون أيضا بمعنى الناصر كقوله تعالى إن تستفتحوا
فقد جاءكم الفتح أي إن تستنصروا فقد جاءكم النصر وقيل معناه مبتدئ
الفتح والنصر وسمى الله تعالى نبيه محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بالفاتح في
حديث الإسراء الطويل من رواية الربيع بن أنس عن أبي العالية وغيره عنه من قوله
صلى الله تعالى عليه وسلم في ثنائه على ربه وتعديد مراتبه ورفع لي ذكري وجعلني
فاتحا وخاتما فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم أو الفاتح لأبواب الرحمة على أمته
والفاتح لبصائرهم لمعرفة الحق والإيمان بالله أو الناصر للحق أو المبتدئ
بهداية الأمة أو المبتدأ المقدم في الأنبياء والخاتم لهم كما قال عليه السلام
كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث ومن أسمائه تعالى في الحديث
الشكور ومعناه المثيب على العمل القليل وقيل المثني على المطيعين
ووصف بذلك نبيه نوحا صلى الله تعالى عليه وسلم فقال تعالى إنه كان عبدا شكورا
وقد وصف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نفسه بذلك فقال أفلا أكون عبدا
شكورا أي معترفا بنعم ربي عارفا بقدر ذلك مثنيا عليه مجهدا نفسي
في الزيادة من ذلك لقوله تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم ومن أسمائه تعالى العليم
والعلام وعالم الغيب والشهادة ووصف نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم
بالعلم وخصه بمزية منه فقال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك
عظيما وقال تعالى ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ومن
أسمائه تعالى الأول والآخر ومعناهما السابق للأشياء قبل وجودها والباقي

بعد فنائها وتحقيقه أنه ليس له أول ولا آخر وقال صلى الله تعالى عليه وسلم
كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث وفسر بهذا قوله تعالى وإذ أخذنا
من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فقدم محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم
وقد أشار إلى نحو منه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ومنه قوله عليه السلام
نحن الآخرون السابقون وقوله عليه السلام أنا أول من تنشق عنه الأرض
وأول من يدخل الجنة وأول شافع وهو صلى الله تعالى عليه وسلم خاتم النبيين
وآخر الرسل صلى الله تعالى عليه وسلم ومن أسمائه تعالى القوي وذو القوة
المتين ومعناه القادر وقد وصفه الله تعالى بذلك فقال ذي قوة عند
ذي العرش مكين قيل محمد عليه السلام وقيل جبريل عليه السلام ومن أسمائه
الصادق في الحديث المأثور وورد في الحديث أيضا اسمه عليه السلام بالصادق
المصدوق ومن أسمائه تعالى الولي والمولى ومعناهما الناصر وقد قال
الله تعالى إنما وليكم الله ورسوله وقال عليه السلام أنا ولي كل مؤمن وقال
الله تعالى النبي أولى بالمؤمنين وقال عليه السلام من كنت مولاه فعلي مولاه
ومن أسمائه تعالى العفو ومعناه الصفوح وقد وصف الله تعالى بهذا نبيه
محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم وقال تعالى فاعف عنهم واصفح وقال له
جبريل عليه السلام وقد سأله عن قوله خذ العفو قال أن تعفو عمن ظلمك
وقال في التوراة والإنجيل في الحديث المشهور في صفته صلى الله تعالى عليه وسلم
ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح ومن أسمائه تعالى الهادي وهو بمعنى
توفيق الله لمن أراد من عباده وبمعنى الدلالة والدعاء قال الله تعالى والله
يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وأصل الجميع
من الميل وقيل من التقديم وقيل في تفسير طه إنه يا طاهر يا هادي يعني
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال تعالى له وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم
وقال تعالى فيه وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا فالله تعالى مختص بالمعنى
الأول قال الله تعالى إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء
وبمعنى الدلالة ينطلق على غيره تعالى ومن أسمائه تعالى المؤمن المهيمن وقيل

بمعنى واحد فمعنى المؤمن في حقه تعالى المصدق وعده عباده والمصدق
قوله الحق والمصدق لعباده المؤمنين ورسله وقيل الموحد نفسه
وقيل المؤمن عباده في الدنيا من ظلمه والمؤمنين في الآخرة من عذابه
وقيل المهيمن بمعنى الأمين مصغر منه فقلبت الهمزة هاء وقد قيل
ان قولهم في الدعاء آمين انه اسم من اسماء الله تعالى ومعناه معنى المؤمن
وقيل المهيمن بمعنى الشاهد والحافظ والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم أمين
ومهيمن ومؤمن وقد سماه الله أمينا فقال مطاع ثم أمين وكان
صلى الله عليه وسلم يعرف بالأمين واشتهر به قبل النبوة وبعدها و
سماه العباس في شعره مهيمنا في قوله ثم احتوى بيتك المهيمن من خندف
علياء تحتها النطق قيل المراد يا ايها المهيمن قاله القتيبي والإمام ابو
القاسم القشيري وقال تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين اي يصدق
وقال صلى الله تعالى عليه وسلم انا امنة لاصحابي واصحابي امنة لامتي
فهذا بمعنى المؤمن ومن اسمائه تعالى القدوس ومعناه المنزه عن النقائص
المطهر من سمات الحدث وسمي بيت المقدس لانه يتطهر فيه من الذنوب
ومنه الوادي المقدس وروح القدس ووقع في كتب الانبياء في اسمائه
عليه السلام المقدس اي المطهر من الذنوب كما قال تعالى ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تأخر او الذي يتطهر به من الذنوب ويتنزه باتباعه عنها
كما قال تعالى ويزكيهم وقال تعالى ويخرجهم من الظلمات الى النور او يكون مقدسا
بمعنى مطهرا من الاخلاق الذميمة والاوصاف الدنية ومن اسمائه تعالى العزيز
ومعناه الممتنع الغالب او الذي لا نظير له او المعز لغيره وقال تعالى ولله
العزة ولرسوله اي الامتناع وجلالة القدر فقد وصف الله تعالى نفسه
بالبشارة والنذارة وقال تعالى يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وقال
ان الله يبشرك بيحيى وسماه الله تعالى عز وجل مبشرا ونذيرا وبشيرا اي مبشرا لاهل طاعته
ونذيرا لاهل معصيته ومن اسمائه تعالى فيما ذكره بعض المفسرين طه ويس
وقد ذكر بعضهم ايضا انهما من اسماء محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم فصل

فصل قال القاضي ابو الفضل المصنف رحمه الله وههنا اذكر نكتة
اذيل بها هذا الفصل واختم بها هذا القسم وازيح الاشكال بها فيما تقدم
عن كل ضعيف الوهم تخلصه من مهاوي التشبيه وتزحزحه عن شبه
التمويه وهو ان يعتقد ان الله تعالى جل اسمه في عظمته وكبريائه وملكوته
وحسنى اسمائه وعلى صفاته لا يشبه شيئا من مخلوقاته ولا يشبه
وان ما جاء مما اطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق فلا تشابه بينهما
في المعنى الحقيقي اذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق فكما ان ذاته
تعالى لا تشبه الذوات كذلك صفاته عز وجل لا تشبه صفات المخلوقين
اذ صفاتهم لا تنفك عن الاعراض والاغراض وهو تعالى منزه عن ذلك
بل لم يزل بصفاته واسمائه وكفى في هذا قوله الحق ليس كمثله شيء ولله
در من قال من العلماء العارفين المحققين التوحيد اثبات ذات غير
مشبهة للذوات ولا معطلة من الصفات وزاد هذه النكتة الواسطي
رحمه الله تعالى بيانا وهي مقصودنا فقال ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم
ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة الا من جهة موافقة اللفظ اللفظ
وجلت الذات القديمة ان يكون لها صفة حديثة كما استحال ان يكون
للذات المحدثة صفة قديمة وهذا كله مذهب اهل الحق والسنة والجماعة
رضي الله تعالى عنهم وقد فسر الامام ابو القاسم القشيري رحمه الله
قوله هذا ليزيده بيانا فقال هذه الحكاية تشتمل على جوامع مسائل
التوحيد وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات وهي بوجودها مستغنية
وكيف يشبه فعله فعل الخلق وهو لغير جلب انس او دفع نقص حصل
بخواطر واغراض وجد ولا بمباشرة ومعالجة ظهر وفعل الخلق لا يخرج عن
هذه الوجوه وقال آخر من مشايخنا ما توهمتموه باوهامكم او ادركتموه
بعقولكم فهو محدث مثلكم وقال الامام ابو المعالي الجويني من اطمأن
الى موجود انتهى اليه فكره فهو مشبه ومن اطمأن الى النفي المحض فهو معطل
وان قطع بموجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد وما احسن

قول ذي النون المصري حقيقة التوحيد أن تعلم أن قدرة الله تعالى في الأشياء بلا علاج وصنعه لها بلا مزاج وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه وما تصور في فهمك فالله تعالى بخلافه. وهذا كلام عجيب نفيس محقق والفصل الأخير تفسير لقوله لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون والثالث لقوله عز وجل إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون. ثبتنا الله وإياك على التوحيد والإثبات والتنزيه وجنبنا طرفي الضلالة والغواية من التعطيل والتشبيه بمنه ورحمته

الباب الرابع

فيما أظهره الله تعالى على يديه من المعجزات وشرفه به من الخصائص والكرامات

قال القاضي أبو الفضل رحمه الله تعالى حسب المتأمل أن يحقق أن كتابنا هذا لم نجمعه لمنكر نبوة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ولا لطاعن في معجزاته عليه السلام فنحتاج إلى نصب البراهين عليها وتحصين حوزتها حتى لا يتوصل المطاعن إليها ونذكر شروط المعجزة والتحدي وحده وفساد قول من أبطل نسخ الشرائع ورده بل ألفناه لأهل ملته الملبين لدعوته المصدقين لنبوته ليكون تأكيدا في محبتهم له ومنماة لأعمالهم وليزدادوا إيمانا مع إيمانهم. ونيتنا أن نثبت في هذا الباب أمهات معجزاته ومشاهير آياته لتدل على عظيم قدره عند ربه. وأتينا منها بالمحقق والصحيح الإسناد وأكثره مما بلغ القطع أو كاد وأضفنا إليها بعض ما وقع في مشاهير كتب الأئمة. وإذا تأمل المتأمل المنصف ما قدمناه من جميل أثره وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله وشاهد حاله وصواب مقاله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يمتر في صحة نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم وصدق دعوته. وقد كفى هذا غير واحد في إسلامه والإيمان به. فروينا عن الترمذي وابن قانع وغيرهما بأسانيدهم أن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال لما قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة جئته لأنظر إليه فلما استبنت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب. حدثنا القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله قال ثنا أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل بن خيرون عن أبي يعلى البغدادي عن أبي علي السنجي عن ابن محبوب عن الترمذي ثنا محمد بن بشار ثنا عبد الوهاب الثقفي ومحمد بن جعفر وابن أبي عدي ويحيى بن سعيد عن عوف عن أبي جميلة الأعرابي عن زرارة بن أبي أوفى عن عبد الله بن سلام الحديث. وعن أبي رمثة التيمي قال أتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومعي ابن لي فأريته فلما رأيته قلت هذا نبي الله. وروى مسلم وغيره أن ضمادا لما وفد عليه وقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إن الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله. قال له أعد علي كلماتك هؤلاء فلقد بلغن قاموس البحر هات يدك أبايعك. وقال جامع بن شداد كان رجل منا يقال له طارق فأخبر أنه رأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة فقال هل معكم شيء تبيعونه قلنا هذا البعير قال بكم قلنا بكذا وكذا وسقا من تمر فأخذ بخطامه وسار إلى المدينة فقلنا بعنا من رجل لا ندري من هو ومعنا ظعينة فقالت أنا ضامنة لثمن البعير رأيت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر لا يخيس بكم فأصبحنا فجاء رجل بتمر فقال أنا رسول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إليكم يأمركم أن تأكلوا من هذا التمر وتكتالوا حتى تستوفوا ففعلنا. وفي خبر الجلندى ملك عمان لما بلغه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدعوه إلى الإسلام قال الجلندى والله لقد دلني على هذا النبي الأمي أنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به ولا ينهى عن شيء إلا كان أول تارك له وأنه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويفي بالعهد وينجز الموعود وأشهد أنه نبي. وقال نفطويه في قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار هذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يقول يكاد منظره يدل على نبوته وإن لم يتل قرآنا كما قال ابن رواحة رحمه الله لو لم تكن فيه آيات مبينة لكان منظره ينبيك بالخبر. وقد آن أن نأخذ في ذكر النبوة والوحي والرسالة وبعده في معجزة القرآن وما فيه من برهان ودلالة

فصل اعلم أن الله

جل اسمه قادر على خلق المعرفة في قلوب عباده والعلم بذاته واسمائه وصفاته وجميع تكليفاته ابتداء ودون واسطة لو شاء كما حكي عن سنته في بعض الانبياء وذكره بعض اهل التفسير في قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا وجائز ان يوصل اليهم جميع ذلك بواسطة تبلغهم كلامه وتكون تلك الواسطة اما من غير البشر كالملائكة مع الانبياء او من جنسهم كالانبياء مع الامم ولا مانع لهذا من دليل العقل واذا جاز هذا ولم يستحل وجاءت الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم وجب تصديقهم في جميع ما اتوا به لان المعجز مع التحدي من النبي قائم مقام قول الله تعالى صدق عبدي فاطيعوه واتبعوه وشاهد على صدقه فيما يقول له وهذا كاف والتطويل فيه خارج عن الغرض فمن اراد تتبعه وجده مستوفا في مصنفات ائمتنا رحمهم الله تعالى والنبوة في لغة من همز ماخوذة من النباء وهو الخبر وقد لا يهمز على هذا التاويل تسهيلا والمعنى ان الله تعالى اطلعه على غيبه واعلمه انه نبيه فيكون نبيء منباء بمعنى مفعول او يكون مخبرا عما بعثه الله تعالى به ومنبئا بما اطلعه الله عليه فعيل بمعنى فاعل ويكون عند من لم يهمزه من النبوة وهو ما ارتفع من الارض معناه ان له رتبة شريفة ومكانة نبيهة عند مولاه منيفة فالوصفان في حقه موتلفان واما الرسول فهو المرسل ولم يات فعول بمعنى مفعل في اللغة الا نادرا وارساله امر الله له بالابلاغ الى من ارسله اليه واشتقاقه في اللغة من التتابع ومنه قولهم جاء الناس ارسالا اذا تبع بعضهم بعضا فكانه الزم تكرير التبليغ او الزمت الامة اتباعه واختلف العلماء هل النبي والرسول بمعنى او بمعنيين فقيل هما سواء واصله من الانباء وهو الاعلام واستدلوا بقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي فقد اثبت لهما معنى الارسال قال ولا يكون النبي الا رسولا ولا الرسول الا نبيا وقيل هما مفترقان من وجه اذ قد اجتمعا في النبوة التي هي الاطلاع على الغيب والاعلام بخواص النبوة او الرفعة لمعرفة ذلك وحوز درجتها وافترقا في زيادة الرسالة التي للرسول وهو الامر بالانذار والاعلام كما قلنا وحجتهم من الاية نفسها التفريق بين الاسمين ولو كانا شيئا واحدا لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ قالوا والمعنى وما ارسلنا من رسول الى امة او نبي ليس بمرسل الى احد وقد ذهب بعضهم الى ان الرسول من جاء بشرع مبتدء ومن لم يات به نبي غير رسول وان امر بالابلاغ والانذار والصحيح والذي عليه الجم الغفير ان كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا واول الرسل ادم عليه السلام واخرهم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وفي حديث ابي ذر عنه عليه الصلوة والسلام ان الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الف نبي وذكر ان الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر اولهم ادم عليه السلام فقد بان لك معنى النبوة و الرسالة وليستا عند المحققين ذاتا للنبي ولا وصف ذات خلافا للكرامية في تطويل لهم وتهويل ليس عليه تعويل واما الوحي فاصله الاسراع فلما كان النبي عليه السلام يتلقى ما ياتيه من ربه بعجل سمي وحيا وسميت انواع الالهامات وحيا تشبيها بالوحي الى النبي وسمي الخط وحيا لسرعة حركة يد كاتبه ووحي الحاجب واللحظ سرعة اشارتهما ومنه قوله تعالى فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا اي اوما ورمز وقيل كتب ومنه قولهم الوحا الوحا اي السرعة وقيل اصل الوحي السر والاخفاء ومنه سمي الالهام وحيا ومنه قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم اي يوسوسون في صدورهم ومنه قوله تعالى واوحينا الى ام موسى اي القي في قلبها وقد قيل ذلك في قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اي يلقيه في قلبه دون واسطة

فصل

اعلم ان معنى تسميتنا ما جاءت به الانبياء عليهم السلام معجزة هو ان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها وهي على ضربين ضرب هو من نوع قدرة البشر فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه فعل لله دل على صدق نبيه كصرفهم عن تمني الموت و تعجيزهم عن الاتيان بمثل القران على راي بعضهم ونحوه وضرب هو خارج عن قدرتهم فلم يقدروا على الاتيان بمثله كاحياء الموتى وقلب العصا حية و اخراج ناقة من صخرة وكلام شجرة ونبع الماء من بين الاصابع وانشقاق

القمر مما لا يمكن ان يفعله احد الا الله فكون ذلك على يد النبي من فعل
الله تعالى وتحديه من يكذبه ان يأتي بمثله تعجيز له ○ واعلم ان المعجزات
التي ظهرت على يد نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ودلائل نبوته وبراهين
صدقه من هذين النوعين معا وهو اكثر الرسل معجزة وابهرهم اية و
اظهرهم برهانا كما سنبينه ○ وهي في كثرتها لا يحيط بها ضبط فان
واحدا منها وهو القرآن لا يحصى عدد معجزاته بالف ولا الفين ولا اكثر
لان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد تحدى بسورة منه فعجز عنها ○ قال
اهل العلم واقصر السور انا اعطيناك الكوثر فكل اية او ايات منه بعددها
وقدرها معجزة ○ ثم فيها نفسها معجزات على ما نفصله فيما انطوى عليه
من المعجزات ○ ثم معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم على قسمين ○ قسم
منها علم قطعا ونقل الينا متواترا كالقرآن فلا مرية ولا خلاف في مجيء
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وظهوره من قبله واستدلاله بحجته وان
انكر هذا معاند جاحد فهو كانكاره وجود محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
في الدنيا ○ وانما جاء اعتراض الجاحدين في الحجة به فهو في نفسه وجميع
ما تضمنه من معجز معلوم ضرورة ووجه اعجازه معلوم ضرورة ونظرا
كما سنشرحه ○ قال بعض ائمتنا ويجري هذا المجرى على الجملة انه قد جرى
على يديه عليه السلام ايات وخوارق عادات ان لم يبلغ واحد منها معينا القطع
فيبلغه جميعها فلا مرية في جريان معانيها على يديه ○ ولا يختلف مؤمن
ولا كافر انه جرت على يديه عجائب ○ وانما خلاف المعاند في كونها من قبل الله
وقد قدمنا كونها من قبل الله وان ذلك بمثابة قوله تعالى صدقت عبدي
فقد علم وقوع مثل هذا ايضا من نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ضرورة لاتفاق
معانيها كما نعلم ضرورة جود حاتم ○ وشجاعة عنترة وحلم احنف لاتفاق
الاخبار الواردة عن كل واحد منهم على كرم هذا وشجاعة هذا وحلم هذا وان
كان كل خبر بنفسه لا يوجب العلم ولا يقطع بصحته ○ والقسم الثاني
ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع وهو على نوعين نوع مشتهر منتشر رواه

العدد وشاع الخبر به عند المحدثين والرواة ونقلة السير والاخبار كنبع
الماء من بين الاصابع وتكثير الطعام ○ ونوع منه اختص به الواحد و
الاثنان ورواه العدد اليسير ولم يشتهر اشتهار غيره لكنه اذا جمع الى
مثله اتفقا في المعنى واجتمعا على الاتيان بالمعجز كما قدمنا ○ قال القاضي
ابو الفضل المصنف وانا اقول صدعا بالحق ان كثيرا من هذه الايات المأثورة
عنه صلى الله تعالى عليه وسلم معلومة بالقطع ○ اما انشقاق القمر فالقرآن
نص بوقوعه واخبر عن وجوده ولا يعدل عن ظاهر الا بدليل وجاء برفع
احتماله صحيح الاخبار من طرق كثيرة فلا يوهن عزمنا خلاف اخرق
منحل عرى الدين ولا يلتفت الى مبتدع يلقي الشك على قلوب ضعفاء
المؤمنين بل نرغم بهذا انفه وننبذ بالعراء سخفه ○ وكذلك قصة
نبع الماء وتكثير الطعام رواها الثقات والعدد الكثير عن الجم الغفير
عن العدد الكثير من الصحابة رضي الله عنهم ○ ومنها ما رواه الكافة عن
الكافة متصلا عمن حدث بها من جملة الصحابة رضي الله عنهم واخبارهم ان ذلك
كان في موطن اجتماع الكثير منهم في يوم الخندق وفي غزوة بواط وعمرة
الحديبية وغزوة تبوك وامثالها من محافل المسلمين ومجمع العساكر
ولم يؤثر عن احد من الصحابة مخالفة للراوي فيما حكاه ولا انكار لما
ذكر عنهم انهم رأوه كما رآه فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق اذ هم
المنزهون عن السكوت على باطل والمداهنة في كذب وليس هناك رغبة
ولا رهبة تمنعهم ولو كان ما سمعوه منكرا عندهم وغير معروف لديهم لانكروه
كما انكر بعضهم على بعض اشياء رواها من السنن والسير وحروف القرآن
وخطأ بعضهم بعضا ووهمه في ذلك مما هو معلوم ○ فهذا النوع كله يلحق
بالقطعي من معجزاته لما بيناه وايضا فان امثال الاخبار التي لا اصل لها وبنيت
على باطل لا بد مع مرور الزمان وتداول الناس واهل البحث من انكشاف ضعفها
وخمول ذكرها كما يشاهد في كثير من الاخبار الكاذبة والاراجيف الطارئة
واعلام نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم هذه الواردة من طريق الآحاد لا تزداد

مع مرور الزمان إلا ظهورا ومع تداول الفرق وكثرة طعن العدو وحرصه على توهينها وتضعيف أصلها واجتهاد الملحد على إطفاء نورها إلا قوة وقبولا وللطاعن عليها إلا حسرة وغليلا وكذلك إخباره صلى الله تعالى عليه وسلم عن الغيوب وإنباؤه بما كان ويكون معلوم من آياته على الجملة بالضرورة وهذا حق لا غطاء عليه وقد قال بهذا من أئمتنا القاضي والأستاذ أبو بكر وغيرهما رحمهما الله وما عندي أوجب قول القائل إن هذه القصص المشهورة من باب خبر الواحد إلا قلة مطالعته للأخبار وروايتها وشغله بغير ذلك من المعارف وإلا فمن اعتنى بطرق النقل وطالع الأحاديث والسير لم يرتب في صحة هذه القصص المشهورة على الوجه الذي ذكرنا ولا يبعد أن يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند آخر فإن أكثر الناس يعلمون بالخبر كون بغداد موجودة وأنها مدينة عظيمة ودار الإمامة والخلافة وآحاد من الناس لا يعلمون اسمها فضلا عن وصفها وهكذا يعلم الفقهاء من أصحاب مالك بالضرورة وتواتر النقل عنه أن مذهبه إيجاب قراءة أم القرآن في الصلاة للمنفرد والإمام وإجزاء النية في أول ليلة من رمضان عما سواه وأن الشافعي رحمه الله تعالى يرى تجديد النية كل ليلة والاقتصار في المسح على بعض الرأس وأن مذهبهما القصاص في القتل بالمحدد وغيره وإيجاب النية في الوضوء واشتراط الولي في النكاح وأن أبا حنيفة يخالفهما في هذه المسائل وغيرهم ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولا روى أقوالهم لا يعرف هذا من مذاهبهم فضلا عمن سواه وعند ذكرنا آحاد هذه المعجزات نزيد الكلام فيها بيانا إن شاء الله تعالى

فصل في إعجاز القرآن

اعلم وفقنا الله وإياك أن كتاب الله العزيز منطو على وجوه من الإعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها في أربعة وجوه أولها حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب وذلك أنهم كانوا أرباب هذا الشأن وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة والحكم ما لم يخص به غيرهم من الأمم وأوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت إنسان ومن فصل الخطاب ما يقيد الألباب جعل الله ذلك لهم طبعا وخلقة وفيهم غريزة وقوة يأتون منه على البديهة بالعجب ويدلون به إلى كل سبب فيخطبون بديها في المقامات وشديد الخطب ويرتجزون به بين الطعن والضرب ويمدحون ويقدحون ويتوسلون ويتوصلون ويرفعون ويضعون فيأتون من ذلك بالسحر الحلال ويطوقون من أوصافهم أجمل من سمط اللآلي فيخدعون الألباب ويذللون الصعاب ويذهبون الإحن ويهيجون الدمن ويجرئون الجبان ويبسطون يد الجعد البنان ويصيرون الناقص كاملا ويتركون النبيه خاملا منهم البدوي ذو اللفظ الجزل والقول الفصل والكلام الفخم والطبع الجوهري والمنزع القوي ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة والألفاظ الناصعة والكلمات الجامعة والطبع السهل والتصرف في القول القليل الكلفة الكثير الرونق الرقيق الحاشية وكلا البابين فلهما في البلاغة الحجة البالغة والقوة الدامغة والقدح الفالج والمهيع الناهج لا يشكون أن الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم قد حووا فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا من كل باب من أبوابها وعلوا صرحا لبلوغ أسبابها فقالوا في الخطير والمهين وتفننوا في الغث والسمين وتقاولوا في القل والكثر وتساجلوا في النظم والنثر فما راعهم إلا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد أحكمت آياته وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول وتظافر إيجازه وإعجازه وتظاهرت حقيقته ومجازه وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه وحوت كل البيان جوامعه وبدائعه واعتدل مع إيجازه حسن نظمه وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه وهم أفسح ما كانوا في هذا الباب مجالا وأشهر في الخطابة رجالا وأكثر في السجع والشعر ارتجالا وأوسع في الغريب واللغة مقالا بلغتهم التي بها يتحاورون ومنازعهم التي عنها يتناضلون صارخا بهم في كل حين ومقرعا لهم بضعا وعشرين عاما على رؤوس الملأ أجمعين أم يقولون

افتراه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم
صادقين ● وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الى قوله ولن تفعلوا
وقل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله
وقل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات ● وذلك ان المفترى اسهل
ووضع الباطل والمختلق على الاختيار اقرب ● واللفظ اذا تبع المعنى الصحيح
كان اصعب ● ولهذا قيل فلان يكتب كما يقال له وفلان يكتب كما يريد
وللاول على الثاني فضل وبينهما شاو بعيد ● فلم يزل يقرعهم صلى الله عليه وسلم
اشد التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه احلامهم ويحط اعلامهم
ويشتت نظامهم ويذم الهتهم واباءهم ● ويستبيح ارضهم وديارهم و
اموالهم ● وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته محجمون عن مماثلته يخادعون
انفسهم بالتشغيب بالتكذيب والاغراء بالافتراء وقولهم ان هذا الا سحر يؤثر
وسحر مستمر ● وافك افتراه واساطير الاولين والمباهتة والرضى
بالدنية ● كقولهم قلوبنا غلف ● وفي اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر
ومن بيننا وبينك حجاب ● ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون
والادعاء مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا ● وقد قال لهم الله ولن
تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا ومن تعاطى ذلك من سخفائهم كمسيلمة لعنه
الله كشف عواره لجميعهم وسلبهم الله ما الفوه من فصيح كلامهم والا فلم
يخف على اهل الميز منهم انه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم بل
ولوا عنه مدبرين ● واتوا مذعنين من بين مهتد وبين مفتون ● ولهذا لما
سمع الوليد بن المغيرة من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله يامر بالعدل
والاحسان الاية ● قال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة ● وان اسفله
لمغدق وان اعلاه لمثمر وما يقول هذا بشر ● وذكر ابو عبيد ان اعرابيا
سمع رجلا يقرا فاصدع بما تؤمر الاية فسجد وقال سجدت لفصاحته وسمع
رجلا يقرا فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر
على مثل هذا الكلام ● وحكي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يوما نائما في المسجد

فاذا هو بقائم على راسه يتشهد شهادة الحق فاستخبره فاعلمه انه من بطارقة
الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها وانه سمع رجلا من اسرى المسلمين يقرا
اية من كتابكم فتاملتها فاذا هي قد جمع فيها ما انزل الله على عيسى بن مريم
من احوال الدنيا والاخرة ● وهي قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله
ويتقه الاية ● وحكى الاصمعي انه سمع كلام جارية فقال لها قاتلك الله
ما افصحك فقالت او يعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى واوحينا الى ام موسى
ان ارضعيه الاية ● فجمع في اية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين
فهذا نوع من اعجازه منفرد بذاته غير مضاف الى غيره على التحقيق والصحيح
من القولين وكون القرآن من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وانه اتى به معلوم
ضرورة وكونه عليه السلام متحديا به معلوم ضرورة وعجز العرب عن الاتيان
بمثله معلوم ضرورة وكونه في فصاحته خارقا للعادة معلوم ضرورة للعالمين
بالفصاحة ووجوه البلاغة وسبيل من ليس من اهلها علم ذلك بعجز المنكرين
من اهلها عن معارضته ● واعتراف المقرين باعجاز بلاغته وانت اذا
تاملت قوله تعالى ولكم في القصاص حيوة ● وقوله تعالى ولو ترى اذ فزعوا
فلا فوت واخذوا من مكان قريب ● وقوله تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي
بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم ● وقوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك
ويا سماء اقلعي الاية ● وقوله تعالى فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه
حاصبا الاية واشباهها من الاي بل اكثر القرآن حققت ما بينته من ايجاز
الفاظه وكثرة معانيها وديباجة عبارتها وحسن تاليف حروفها وتلاؤم
كلمها وان تحت كل لفظة منها جملا كثيرة وفصولا جمة وعلوما زواخر ملئت
الدواوين من بعض ما استفيد منها وكثرت المقالات في الاستنباط عنها ●
ثم هو في سرد القصص الطوال واخبار القرون السوالف التي يضعف في
عادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان اية لمتامله من ربط الكلام
بعضه ببعض والتئام سرده وتناصف وجوهه كقصة يوسف عليه السلام على طولها
ثم اذا ترددت قصصه ● اختلفت العبارة عنها على كثرة ترددها حتى

تكاد كل واحدة تنسي في البيان صاحبتها وتناصف في الحسن وجه مقابلتها
ولا نفوراً للنفوس من ترددها ولا معاداة لمعادها
من إعجازه صورة نظمه العجيب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام
العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت مقاطع آيه وانتهت
فواصل كلماته إليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع أحد
مماثلة شيء منه بل حارت فيه عقولهم وتولهت دونه أحلامهم ولم يهتدوا
إلى مثله في جنس كلامهم من نثر أو نظم أو سجع أو رجز أو شعر ● ولما سمع
كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم ● الوليد بن المغيرة وقرأ عليه القرآن رق فجاءه
أبو جهل لعنه الله منكراً عليه ● قال والله ما منكم من أحد أعلم بالأشعار مني
والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا وفي خبره الآخر حين جمع قريشاً عند
حضور الموسم ● وقال إن وفود العرب ترد فأجمعوا فيه رأياً لا يكذب بعضكم
بعضاً فقالوا نقول كاهن قال والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه
قالوا مجنون ● قال ما هو بمجنون ● ولا بخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول
شاعر قال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه
ومقبوضه ما هو بشاعر ● قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا
عقده قالوا فما نقول قال ما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا وأنا أعرف أنه باطل
وإن أقرب القول فيه أنه ساحر وإنه يفرق بين المرء وابنه والمرء وأخيه
والمرء وزوجه وعشيرته فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس فأنزل
الله تعالى في الوليد ذرني ومن خلقت وحيداً الآيات ● وقال عتبة بن ربيعة
حين سمع القرآن يا قوم قد علمتم أني لم أترك شيئاً إلا وقد علمته وقرأته و
قلته والله لقد سمعت قولاً ما سمعت مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر
ولا بالكهانة ● وقال النضر بن الحارث نحوه وفي حديث إسلام أبي ذر
ووصف أخاه أنيساً فقال والله ما سمعت بأشعر من أخي أنيس لقد ناقض
اثنا عشر شاعراً في الجاهلية أنا أحدهم وإنه انطلق إلى مكة وجاء إلى أبي ذر
بخبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قلت فما يقول الناس قال يقولون شاعر كاهن

ساحر لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته على أقراء الشعر
فلم يلتئم وما يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر وإنه لصادق وإنهم لكاذبون
والأخبار في هذا صحيحة كثيرة ● والإعجاز بكل واحد من النوعين الإيجاز
والبلاغة بذاتها والأسلوب الغريب بذاته كل واحد منهما نوع إعجاز على التحقيق
لم تقدر العرب على الإتيان بواحد منهما إذ كل واحد خارج عن قدرتها مباين
لفصاحتها وكلامها وإلى هذا ذهب غير واحد من أئمة المحققين
● وذهب بعض المقتدى بهم إلى أن الإعجاز في مجموع البلاغة والأسلوب
وأتى على ذلك بقول تمجه الأسماع وتنفر منه القلوب والصحيح ما قدمناه
● والعلم بهذا كله ضرورة وقطعاً ومن تفنن في علوم البلاغة وأرهف
خاطره ولسانه أدب هذه الصناعة لم يخف عليه ما قلناه ● وقد اختلف
أئمة أهل السنة في وجه عجزهم عنه فأكثرهم يقول إنه مما جمع في قوة جزالته
ونصاعة ألفاظه وحسن نظمه وإيجازه وبديع تأليفه وأسلوبه لا يصح أن
يكون في مقدور البشر وإنه من باب الخوارق الممتنعة عن أقدار الخلق عليها
كإحياء الموتى وقلب العصا وتسبيح الحصى ● وذهب الشيخ أبو الحسن القابسي
إلى أنه مما يمكن أن يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله عليه ولكنه
لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله تعالى هذا وعجزهم عنه ● وقال به جماعة من أصحابه
وعلى الطريقين فعجز العرب عنه ثابت وإقامة الحجة عليهم بما يصح أن يكون
في مقدور البشر وتحديهم بأن يأتوا بمثله قاطع وهو أبلغ في التعجيز وأحرى بالتقريع
والاحتجاج بمجيء بشر مثلهم بشيء ليس من قدرة البشر لازم وهو أبهر آية
وأقمع دلالة وعلى كل حال فما أتوا في ذلك بمقال بل صبروا على الجلاء والقتل
وتجرعوا كاسات الصغار والذل ● وكانوا من شموخ الأنف وإباية الضيم بحيث
لا يؤثرون ذلك اختياراً ولا يرضونه إلا اضطراراً ● وإلا فالمعارضة لو كانت
من قدرهم والشغل بها أهون عليهم وأسرع بالنجح وقطع العذر وإفحام الخصم
لديهم ● وهم ممن لهم قدرة على الكلام وقدوة في المعرفة به لجميع الأنام ●
وما منهم إلا من جهد جهده واستنفد ما عنده في إخفاء ظهوره وإطفاء نوره

فما جنوا في ذلك خيبة من بنات شفاههم ولا أتوا بنطفة من معين مياههم
مع طول الأمد وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل أبلسوا فما نبسوا
ومنعوا فانقطعوا فهذان نوعان من إعجازه

فصل الوجه الثالث من الإعجاز

ما انطوى عليه من الأخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد وعلى
الوجه الذي أخبر كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين
وقوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون وقوله ليظهره على الدين كله ولو كره
المشركون وقوله وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية وقوله إذا جاء
نصر الله إلى آخرها فكان جميع هذا كما قال فغلبت الروم فارس في بضع سنين
ودخل الناس في الإسلام أفواجا فما مات عليه السلام وفي بلاد العرب كلها
موضع لم يدخله الإسلام واستخلف المؤمنين في الأرض ومكن فيها دينهم
وملكهم إياها من أقصى المشارق إلى أقصى المغارب كما قال عليه السلام زويت
لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها وقوله
إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون فكان كذلك لا يكاد يعد من سعى
في تغييره وتبديل محكمه من الملحدة والمعطلة لا سيما القرامطة فأجمعوا كيدهم
وحولهم وقوتهم اليوم نيفا على خمسمائة عام فما قدروا على إطفاء شيء من
نوره ولا تغيير كلمة من كلامه ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه والحمد لله
ومنه قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله
بأيديكم الآية وقوله تعالى هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق الآية وقوله تعالى
لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار الآية فكان كل ذلك وما فيه
من كشف أسرار المنافقين واليهود ومقالهم وكذبهم في حلفهم وتقريعهم بذلك
كقوله تعالى ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول وقوله تعالى يخفون في
أنفسهم ما لا يبدون لك الآية وقوله تعالى من الذين هادوا سماعون للكذب الآية
وقوله تعالى من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه إلى قوله طعنا في الدين وقد
قال مبديا ما قدره الله واعتقده المؤمنون يوم بدر وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين
أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ومنه قوله إنا كفيناك المستهزئين

ولما نزلت بشر النبي أصحابه بذلك بأن الله كفاه إياهم وكان المستهزئون
نفرا بمكة ينفرون الناس عنه ويؤذونه فهلكوا وقوله تعالى والله يعصمك
من الناس فكان كذلك على كثرة من رام ضره وقصد قتله والأخبار بذلك معروفة

كثيرة صحيحة فصل الوجه الرابع

ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والأمم
البائدة والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أحبار
أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
على وجهه ويأتي به على نصه فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه وأن مثله
لم ينله بتعليم وقد علموا أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أمي لا يقرأ ولا يكتب
ولا اشتغل بمدارسة ولا مثافنة لم يغب عنهم ولا جهل حاله أحد منهم وقد
كان أهل الكتاب كثيرا ما يسألونه صلى الله عليه وسلم عن هذا فينزل عليه من القرآن
ما يتلو عليهم منه ذكرا كقصص الأنبياء مع قومهم وخبر موسى والخضر عليهما السلام
ويوسف وإخوته عليهم السلام وأصحاب الكهف وذي القرنين ولقمان وابنه
وأشباه ذلك من الأنباء عليهم السلام وبدء الخلق وما في التوراة والإنجيل والزبور
وصحف إبراهيم وموسى صلى الله عليهما وسلم مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا
على تكذيب ما ذكر منها بل أذعنوا لذلك فمن موفق آمن بما سبق له من خير
ومن شقي معاند حاسد ومع هذا فلم يحك عن واحد من النصارى واليهود على شدة
عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه عليه السلام وطول احتجاجه عليه السلام عليهم بما في
كتبهم وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سؤالهم له عليه السلام وتعنيتهم
إياه عن أخبار أنبيائهم وأسرار علومهم ومستودعات سيرهم وإعلامه لهم بمكتوم
شرائعهم ومضمنات كتبهم مثل سؤالهم عن الروح وذي القرنين وأصحاب الكهف
وعيسى وحكم الرجم وما حرم إسرائيل على نفسه وما حرم عليهم من الأنعام ومن طيبات
كانت أحلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم وقوله تعالى ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل
وغير ذلك من أمورهم التي نزل فيها القرآن فأجابهم وعرفهم بما أوحي إليه من ذلك أنه أنكر
ذلك أو كذبه بل أكثرهم صرح بصحة نبوته وصدق مقالته واعترف بعناده
وحسدهم إياه كأهل نجران وابن صوريا وابني أخطب وغيرهم

ومن باهت في ذلك بعض المباهتة وادعى أن فيما عندهم من ذلك لما حكاه مخالفة
دعي إلى إقامة حجته وكشف دعوته فقيل له فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم
صادقين إلى قوله الظالمون فقرع ووبخ ودعا إلى إحضار ممكن غير
ممتنع فمن معترف بما جحده ومتواقح يلقي على فضيحته من كتابه يده ولم يؤثر
أن أحدا منهم أظهر خلاف قوله من كتبه ولا أبدى صحيحا ولا سقيما من صحفه
قال الله تعالى يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم
تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير الآيتين **فصل** هذه الوجوه الأربعة
من إعجازه بينة لا نزاع فيها ولا مرية ومن الوجوه البينة في إعجازه من
غير هذه الوجوه آي وردت بتعجيز قوم في قضايا وإعلامهم أنهم لا يفعلونها
فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله تعالى لليهود قل إن كانت لكم الدار
الآخرة عند الله خالصة الآية قال أبو إسحق الزجاج في هذه الآية أعظم حجة
وأظهر دلالة على صحة الرسالة لأنه قال لهم فتمنوا الموت وأعلمهم أنهم
لن يتمنوه أبدا فلم يتمنه واحد منهم وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
والذي نفسي بيده لا يقولها رجل منهم إلا غص بريقه يعني يموت مكانه فصرفهم الله
عن تمنيه وجزعهم ليظهر صدق رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وصحة ما
أوحي إليه إذ لم يتمنه أحد منهم وكانوا على تكذيبه أحرص لو قدروا ولكن الله
يفعل ما يريد فظهرت بذلك معجزته وبانت حجته قال أبو محمد الأصيلي
من أعجب أمرهم أنه لا يوجد منهم جماعة ولا واحد من يوم أمر الله بذلك نبيه
يقدم عليه ولا يجيب إليه وهذا موجود مشاهد لمن أراد أن يمتحنه منهم
وكذلك آية المباهلة من هذا المعنى حيث وفد عليه أساقفة نجران وأبوا الإسلام
فأنزل الله تعالى عليه آية المباهلة بقوله تعالى فمن حاجك فيه الآية فامتنعوا منها
ورضوا بأداء الجزية وذلك أن العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم أنه نبي وأنه
ما لاعن قوما نبي قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم ومثله قوله تعالى وإن كنتم
في ريب مما نزلنا على عبدنا إلى قوله فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فأخبرهم تعالى
أنهم لا يفعلون فكان كما قال وهذه الآية أدخل في باب الإخبار عن الغيب ولكن

فيها نوع من التعجيز ما في التي قبلها **فصل** ومنها الروعة التي تلحق قلوب
سامعيه وأسماعهم عند سماعه والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله
وإنافة خطره وهي على المكذبين به أعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم
نفورا كما قال تعالى ويودون انقطاعه لكراهتهم له ولهذا قال عليه السلام
إن القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم وأما المؤمن
فلا تزال روعته به وهيبته إياه مع تلاوته توليه انجذابا وتكسبه هشاشة
لميل قلبه إليه وتصديقه به قال تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون
ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله وقال لو أنزلنا هذا
القرآن على جبل الآية ويدل على أن هذا شيء خص به أنه يعتري من لا يفهم
معانيه ولا يعلم تفاسيره كما روي عن نصراني أنه مر بقارئ فوقف يبكي
فقيل له مم بكيت قال للشجا والنظم وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل
الإسلام وبعده فمنهم من أسلم لها لأول وهلة وآمن به ومنهم من كفر
فحكي في الصحيح عن جبير بن مطعم قال سمعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون
إلى قوله المصيطرون كاد قلبي أن يطير وفي رواية وذلك أول ما وقر الإيمان
في قلبي وعن عتبة بن ربيعة أنه كلم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيما
جاء به من خلاف قومه فتلا عليهم حم فصلت إلى قوله صاعقة مثل صاعقة
عاد وثمود فأمسك عتبة بيده على في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وناشده
الرحم أن يكف وفي رواية فجعل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ وعتبة
مصغ ملق يديه خلف ظهره معتمد عليهما حتى انتهى إلى السجدة فسجد النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم وقام عتبة لا يدري بما يراجعه ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى
قومه حتى أتوه فاعتذر لهم وقال والله لقد كلمني بكلام والله ما
سمعت أذناي بمثله قط فما دريت ما أقول له وقد حكي عن غير واحد ممن
رام معارضته أنه اعترته روعة وهيبة كف بها عن ذلك فحكي أن ابن
المقفع طلب ذلك ورامه وشرع فيه فمر بصبي يقرأ وقيل يا أرض ابلعي ماءك

فرجع ومحا ما قد عمل وقال أشهد أن هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر
وكان من أفصح أهل وقته • وكان يحيى بن حكم الغزال بليغ الأندلس في زمنه
فحكي أنه رام شيئا من هذا فنظر في سورة الإخلاص ليحذو مثالها وينسج
بزعمه على منوالها قال فاعترتني خشية ورقة حملتني على التوبة والإنابة
والاستغفار **فصل ومن وجوه إعجازه المعدودة** كونه آية باقية لا تعدم
ما بقيت الدنيا مع تكفل الله تعالى بحفظه فقال تعالى إنا نحن نزلنا الذكر وإنا
له لحافظون • وقال تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل
من حكيم حميد • وسائر معجزات الأنبياء عليهم السلام انقضت بانقضاء
أوقاتها فلم يبق إلا خبرها • والقرآن العزيز الباهرة آياته الظاهرة معجزاته
على ما كان عليه اليوم مدة خمس مائة عام وخمسة وثلثين سنة لأول
نزوله إلى وقتنا هذا حجته قاهرة ومعارضته ممتنعة والأعصار كلها
طافحة بأهل البيان وحملة علم اللسان وأئمة البلاغة وفرسان الكلام و
جهابذة البراعة والملحد فيهم كثير والمعادي للشرع عتيد • فما منهم من أتى
بشيء يؤثر في معارضته ولا ألف كلمتين في مناقضته ولا قدر فيه على مطعن صحيح
ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك إلا بزند شحيح بل المأثور عن كل من رام ذلك
إلقاؤه في العجز بيديه والنكوص على عقبيه **فصل** وقد عد جماعة من الأئمة
ومقلدي الأمة في إعجازه وجوها كثيرة • منها أن قارئه لا يمله وسامعه
ولا يمجه بل الإكباب على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة لا يزال
غضا طريا وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد
ويعادى إذا أعيد • وكتابنا يستلذ به في الخلوات ويؤنس بتلاوته في
الأزمات • وسواه من الكتب لا يوجد فيه ذلك حتى أحدث أصحابها لها لحونا
وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها • ولهذا وصف رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم القرآن بأنه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عبره
ولا تفنى عجائبه • هو الفصل ليس بالهزل ولا يشبع منه العلماء • ولا تزيغ
الأهواء • ولا تلتبس به الألسنة وهو الذي لم تلبث الجن حين سمعته أن قالوا

إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به • ومنها جمعه لعلوم و
معارف لم تعهد العرب عامة ولا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم قبل نبوته
خاصة بمعرفتها ولا القيام بها • ولا يحيط بها أحد من علماء الأمم •
ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرائع والتنبيه
على طرق الحجج العقليات والرد على فرق الأمم ببراهين قوية وأدلة بينة
سهلة الألفاظ موجزة المقاصد رام المتحذلقون بعد أن ينصبوا أدلة
مثلها فلم يقدروا عليها • لقوله تعالى أوليس الذي خلق السموات والأرض
بقادر على أن يخلق مثلهم • وقل يحييها الذي أنشأها أول مرة • ولو كان
فيهما آلهة إلا الله لفسدتا إلى ما حواه من علوم السير وأنباء الأمم
والمواعظ والحكم وأخبار الدار الآخرة ومحاسن الآداب والشيم • قال
الله جل اسمه ما فرطنا في الكتاب من شيء • وأنزلنا عليك الكتاب
تبيانا لكل شيء • ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل • وقال
عليه الصلوة والسلام إن الله أنزل هذا القرآن آمرا وزاجرا وسنة خالية
ومثلا مضروبا • فيه نبؤكم وخبر ما كان قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم
ما بينكم لا يخلقه طول الرد ولا تنقضي عجائبه هو الحق ليس بالهزل من قال
به صدق • ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج ومن قسم به أقسط ومن
عمل به أجر ومن تمسك به هدي إلى صراط مستقيم • ومن طلب الهدى
من غيره أضله الله ومن حكم بغيره قصمه الله هو الذكر الحكيم
والنور المبين • والصراط المستقيم • وحبل الله المتين • والشفاء النافع
عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب
ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد • ونحوه عن ابن مسعود رضي
وقال فيه ولا يختلف ولا يتشان فيه نبأ الأولين والآخرين • وفي الحديث
قال الله تعالى لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم إني منزل عليك توراة حديثة تفتح
بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا فيها ينابيع العلم وفهم الحكمة وربيع
القلوب • وعن كعب عليكم بالقرآن فإنه فهم العقول ونور الحكمة • وقال

الله تعالى إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون
وقال تعالى هذا بيان للناس وهدى الآية فجمع فيه مع وجازة ألفاظه وجوامع
كلمه أضعاف ما في الكتب قبله التي ألفاظها على الضعف منه مرات ومنها
جمعه فيه بين الدليل والمدلول وذلك أنه احتج بنظم القرآن وحسن وصفه
وإيجازه وبلاغته وأثناء هذه البلاغة أمره ونهيه ووعده ووعيده
فالتالي له يفهم موضع الحجة والتكليف معا من كلام واحد وسورة منفردة
ومنها أن جعله في حيز المنظوم الذي لم يعهد ولم يكن في حيز المنثور لأن
المنظوم أسهل على النفوس وأوعى للقلوب وأسمح في الآذان وأحلى على
الأفهام فالناس إليه أميل والأهواء إليه أسرع ومنها تيسيره تعالى حفظه
لمتعلميه وتقريبه على متحفظيه قال الله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر
فهل من مدكر وسائر الأمم لا يحفظ كتبها الواحد منهم فكيف الجماء على مرور
السنين عليهم والقرآن ميسر حفظه للغلمان في أقرب مدة ومنها مشاكلة
بعض أجزائه بعضا وحسن ائتلاف أنواعها والتئام أقسامها وحسن التخلص
من قصة إلى أخرى والخروج من باب إلى غيره على اختلاف معانيه وانقسام
السورة الواحدة على أمر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد وإثبات نبوة
وتوحيد وتقرير وترغيب وترهيب إلى غير ذلك من فوائده دون خلل يتخلل
فصوله والكلام الفصيح إذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته ولانت
جزالته وقل رونقه وتقلقلت ألفاظه فتأمل أول ص وما جمع فيها
من أخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم بإهلاك القرون من قبلهم وما ذكر
من تكذيبهم لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وتعجبهم مما أتى به والخبر عن
اجتماع ملئهم على الكفر وما ظهر من الحسد في كلامهم وتعجيزهم وتوهينهم
ووعيدهم بخزي الدنيا والآخرة وتكذيب الأمم قبلهم وإهلاك الله لهم
ووعيد هؤلاء مثل مصابهم وتصبير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على أذاهم
وتسليته بكل ما تقدم ذكره ثم أخذ في ذكر داود عليه السلام وقصص الأنبياء
عليهم السلام كل هذا في أوجز كلام وأحسن نظام ومنه الجملة الكثيرة التي

انطوت عليها الكلمات القليلة وهذا كله وكثير مما ذكرنا أنه ذكر في إعجاز
القرآن إلى وجوه كثيرة ذكرها الأئمة لم نذكرها أكثرها داخل في بلاغته
فلا يجب أن يعد فنا منفردا في إعجازه إلا في باب تفصيل فنون البلاغة
وكذلك كثير مما قدمنا ذكره عنهم يعد في خواصه وفضائله لا في إعجازه
وحقيقة الإعجاز الوجوه الأربعة التي ذكرنا فليعتمد عليها وما بعدها
من خواص القرآن وعجائبه التي لا تنقضي وبالله التوفيق وهو المستعان

فصل في انشقاق القمر ورد الشمس

قال الله تعالى اقتربت الساعة وانشق
القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر أخبر تعالى بوقوع انشقاقه
بلفظ الماضي وإعراض الكفرة عن آياته وأجمع المفسرون وأهل السنة
على وقوعه أخبرنا الحسين بن محمد الحافظ من كتابه ثنا القاضي سراج
ابن عبد الله ثنا الأصيلي ثنا المروزي ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا
مسدد ثنا يحيى عن شعبة وسفين عن الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عن
ابن مسعود رضي الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اشهدوا
وفي بعض طرق الأعمش بمنى ورواه أيضا عن ابن مسعود رضي الله عنه الأسود
وقال حتى رأيت الجبل بين فرجتي القمر ورواه عنه مسروق أنه كان
بمكة وزاد فقال كفار قريش سحركم ابن أبي كبشة فقال رجل منهم إن محمدا
إن كان سحر القمر فإنه لا يبلغ من سحره أن يسحر الأرض كلها فسلوا من يأتيكم
من بلد آخر هل رأوا هذا فأتوا فسألوهم فأخبروهم أنهم رأوه مثل ذلك
وحكى السمرقندي عن الضحاك نحوه وقال فقال أبو جهل هذا سحر فابعثوا
إلى أهل الآفاق حتى تنظروا أرأوا ذلك أم لا فأخبر أهل الآفاق أنهم رأوه
منشقا فقالوا يعني الكفار هذا سحر مستمر ورواه أيضا عن ابن مسعود رضي الله عنه
علقمة فهؤلاء أربعة عن عبد الله وقد رواه غير ابن مسعود كما رواه ابن
مسعود منهم أنس وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير بن مطعم رضي الله عنهم
فقال علي من رواية أبي حذيفة الأرحبي انشق القمر ونحن مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

وعن أنس رضي الله عنه سأل أهل مكة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين حتى رأوا حراء بينهما رواه عن أنس قتادة وفي رواية معمر وغيره عن قتادة عنه أراهم القمر مرتين انشقاقه فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد ورواه عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله بن عتبة رضي الله عنهم ورواه عن ابن عمر مجاهد ورواه عن حذيفة أبو عبد الرحمن السلمي ومسلم بن أبي عمران الأزدي وأكثر طرق هذه الأحاديث صحيحة والآية مصرحة ولا يلتفت إلى اعتراض مخذول بأنه لو كان هذا لم يخف على أهل الأرض إذ هو شيء ظاهر لجميعهم إذ لم ينقل لنا عن أهل الأرض أنهم رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق ولو نقل إلينا عمن لا يجوز تمالؤهم لكثرتهم على الكذب لما كانت به علينا حجة إذ ليس القمر في حد واحد لجميع أهل الأرض فقد يطلع على قوم قبل أن يطلع على آخرين وقد يكون من قوم بضد ما هو من مقابليهم من أقطار الأرض أو يحول بين قوم وبينه سحاب أو جبال ولهذا نجد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض وفي بعضها كلية وفي بعضها جزئية وفي بعضها لا يعرفها إلا المدعون لعلمها ذلك تقدير العزيز العليم وآية القمر كانت ليلا والعادة من الناس بالليل الهدو والسكون وإيجاف الأبواب وقطع التصرف ولا يكاد يعرف من أمور السماء شيئا إلا من رصد ذلك واهتبل به ولذلك ما يكون الكسوف القمري كثيرا في البلاد وأكثرهم لا يعلم به حتى يخبر وكثيرا ما يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها من أنوار ونجوم طوالع عظام تظهر في الأحيان بالليل في السماء ولا علم عند أحد منها وخرج الطحاوي في مشكل الحديث عن أسماء بنت عميس من طريقين أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوحى إليه ورأسه في حجر علي رضي الله تعالى عنه فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أصليت يا علي قال لا فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت أسماء فرأيتها غربت

ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت ووقفت على الجبال والأرض وذلك بالصهباء في خيبر قال وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات وحكى الطحاوي أن أحمد بن صالح كان يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء لأنه من علامات النبوة وروى يونس بن بكير في زيادة المغازي في روايته عن ابن إسحق لما أسري برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا متى تجيء قال يوم الأربعاء فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجئ فدعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس

فصل في نبع الماء من بين أصابعه وتكثيره ببركته صلى الله عليه وسلم

قال المصنف رحمه الله أما الأحاديث في هذا فكثيرة جدا روى حديث نبع الماء من بين أصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم جماعة من الصحابة منهم أنس وجابر وابن مسعود رضي الله عنهم حدثنا أبو إسحق إبراهيم بن جعفر الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه ثنا القاضي عيسى بن سهل ثنا أبو القاسم حاتم بن محمد ثنا أبو عمر بن الفخار ثنا أبو عيسى ثنا يحيى ثنا مالك عن إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك رضي الله عنه رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحانت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأتي النبي صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الإناء يده وأمر الناس أن يتوضؤوا منه قال فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم ورواه أيضا عن أنس قتادة وقال بإناء فيه ماء يغمر أصابعه أو لا يكاد يغمر قال كم كنتم قال زهاء ثلاثمائة وفي رواية عنه وهم بالزوراء عند السوق ورواه أيضا حميد وثابت والحسن عن أنس رضي الله عنه وفي رواية حميد قلت كم كانوا قال ثمانين ونحوه عن ثابت رضي الله عنه وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم أيضا وهم نحو سبعين رجلا وأما ابن مسعود ففي الصحيح عنه من رواية علقمة بينما نحن مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اطلبوا من معه فضل ماء فأتي بماء فصبه في إناء

ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين أصابع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وفي الصحيح عن سالم بن أبي الجعد عن جابر رضي الله عنه عطش الناس يوم الحديبية
ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضأ منها وأقبل الناس
نحوه وقالوا ليس عندنا ماء إلا ما في ركوتك فوضع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون ● وفيه
فقلت كم كنتم قال لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة ● وروي
مثله عن أنس عن جابر وفيه أنه كان بالحديبية ● وفي رواية الوليد بن
عبادة بن الصامت عنه في حديث مسلم الطويل في ذكر غزوة بواط قال
قال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا جابر ناد الوضوء وذكر الحديث
بطوله وأنه لم يجد إلا قطرة في عزلاء شجب فأتي به النبي صلى الله عليه وسلم
فغمزه وتكلم بشيء لا أدري ما هو وقال ناد بجفنة الركب ● فأتيت بها
فوضعتها بين يديه وذكر أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بسط يده في
الجفنة وفرق أصابعه وصب جابر عليه وقال بسم الله قال
فرأيت الماء يفور من بين أصابعه ● ثم فارت الجفنة واستدارت حتى
امتلأت وأمر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقي أحد
له حاجة فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملأى ●
وعن الشعبي أتي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في بعض أسفاره بإداوة ماء
وقيل ما معنا يا رسول الله عليه السلام ماء غيرها فسكبها في ركوة ووضع إصبعه
وسطها وغمسها في الماء وجعل الناس يجيئون ويتوضؤون ثم يقومون ● قال
الترمذي وفي الباب عن عمران بن حصين ● ومثل هذا في هذه المواطن الحفلة
والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة إلى المحدث به لأنهم كانوا أسرع شيء
إلى تكذيبه لما جبلت عليه النفوس من ذلك ولأنهم كانوا ممن لا يسكت على
باطل فهؤلاء قد رووا هذا وأشاعوه ونسبوا حضور الجماء الغفير له ولم
ينكر أحد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم أنهم فعلوه وشاهدوه فصار كتصديق
جميعهم له ● **فصل** ومما يشبه هذا من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم تفجير الماء

ببركته وابتعاثه بمسه ودعوته عليه السلام مما روي في الموطأ عن معاذ بن جبل
رضي الله تعالى عنه في غزوة تبوك وأنهم وردوا العين وهي تبض بشيء من
ماء مثل الشراك فغرفوا من العين بأيديهم حتى اجتمع في شيء ثم غسل رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيه وجهه ويديه وأعاده فيها فجرت بماء
كثير فاستقى الناس ● قال في حديث ابن إسحاق فانخرق من الماء ما له
حس كحس الصواعق ● ثم قال يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى
ما هاهنا قد ملئ جنانا ● وفي حديث البراء وسلمة بن الأكوع وحديثه
أتم في قصة الحديبية وهم أربع عشرة مائة وبئرها لا تروي خمسين
شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
على جباها ● قال البراء وأتي بدلو منها فبصق ودعا ● وقال سلمة
فإما دعا وإما بصق فيها فجاشت فأرووا أنفسهم وركابهم ● وفي غير
هذه الرواية في هذه القصة من طريق ابن شهاب في الحديبية فأخرج
سهما من كنانته فوضع في قعر قليب ليس فيه ماء فروي الناس حتى ضربوا
بعطن ● وعن أبي قتادة وذكر أن الناس شكوا إلى رسول الله صلى الله
العطش في بعض أسفاره فدعا بالميضأة فجعلها في ضبنه ثم التقم فمها
فالله تعالى أعلم نفث فيها أم لا فشرب الناس حتى رووا وملؤوا كل إناء
معهم فخيل إلي أنها كما أخذها مني وكانوا اثنين وسبعين رجلا وروى مثله
عمران بن حصين ● وذكر الطبري حديث أبي قتادة على غير ما ذكره أهل
الصحيح وأن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خرج بهم ممدا لأهل مؤتة عند
ما بلغه قتل الأمراء ● وذكر حديثا طويلا فيه معجزات وآيات للنبي عليه السلام
وفيه إعلامه إياهم أنهم يفقدون الماء في غد وذكر حديث الميضأة قال
والقوم زهاء ثلاثمائة ● وفي كتاب مسلم أنه قال لأبي قتادة احفظ علي
ميضأتك فإنه سيكون لها نبأ وذكر نحوه ● وروى مثله عمران بن حصين
حين أصاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه عطش في بعض أسفارهم فوجه
رجلين من أصحابه وأعلمهما أنهما يجدان امرأة بمكان كذا معها بعير عليه

مزادتان الحديث فوجدناها وأتينا بها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فجعل
في إناء من مزادتيها وقال فيه ما شاء الله أن يقول ثم أعاد الماء في
المزادتين ● ثم فتحت عزاليهما وأمر الناس فملؤوا أسقيتهم حتى لم يدعوا
شيئا إلا ملؤوه ● قال عمران ويخيل إلي أنهما لم تزدادا إلا امتلاء ثم أمر
فجمع للمرأة من الأزواد حتى ملأ ثوبها وقال اذهبي فإنا لم نأخذ من مائك
شيئا ولكن الله تعالى سقانا الحديث بطوله ● وعن سلمة بن الأكوع قال
نبي الله صلى الله تعالى عليه وسلم هل من وضوء فجاء رجل بإداوة فيها نطفة
فأفرغها في قدح فتوضأنا كلنا ندغفقه دغفقة أربع عشرة مائة ●
وفي حديث عمر في جيش العسرة وذكر ما أصابهم من العطش حتى إن الرجل
لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ● فرغب أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم
في الدعاء فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فانسكبت فملؤوا ما معهم
من آنية ولم تجاوز العسكر ● وعن عمرو بن شعيب أن أبا طالب قال
للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو رديفه بذي المجاز عطشت وليس عندي
ماء فنزل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ● وضرب بقدمه الأرض فخرج الماء
فقال اشرب والحديث في هذا الباب كثيرة ● ومنه الإجابة بدعاء الاستسقاء
وما جانسه **فصل ومن معجزاته** صلى الله تعالى وسلم تكثير الطعام القليل ببركته
ودعائه ثنا القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله تعالى ثنا العذري ثنا الرازي
ثنا الجلودي ثنا ابن سفين ثنا مسلم بن الحجاج ● ثنا سلمة بن شبيب ثنا
الحسن بن أعين ثنا معقل عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه أن رجلا أتى النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم يستطعمه فأطعمه شطر وسق شعير فما زال يأكل
منه وامرأته وضيفه حتى كاله فأتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبره
فقال له لو لم تكله لأكلتم منه ولقام لكم ● ومن ذلك حديث أبي طلحة
المشهور وإطعامه صلى الله تعالى عليه وسلم ثمانين أو سبعين رجلا من أقراص
من شعير جاء بها أنس تحت يده أي إبطه فأمر بها ففتت وقال فيها ما شاء الله
أن يقول ● وحديث جابر رضي الله عنه في إطعامه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق

ألف رجل من صاع شعير وعناق وقال جابر رضي الله عنه فأقسم بالله لأكلوا حتى
تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغط وإن عجيننا ليخبز وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بصق في العجين والبرمة وبارك ورواه عن جابر سعيد بن ميناء وأيمن ● وعن
ثابت مثله عن رجل من الأنصار وامرأته ولم يسمهما قال وجيء بمثل الكف
فجعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يبسطها في الإناء ويقول ما شاء الله فأكل
من في البيت والحجرة والدار وكان ذلك قد امتلأ ممن قدم معه عليه السلام
لذلك وبقي بعد ما شبعوا مثل ما كان في الإناء ● وحديث أبي أيوب رضي الله عنه
أنه صنع لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولأبي بكر رضي الله عنه من الطعام زهاء
ما يكفيهما فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ادع ثلاثين من أشراف الأنصار
فدعاهم فأكلوا حتى تركوه ● ثم قال ادع ستين فكان مثل ذلك ثم قال ادع
سبعين فأكلوا حتى تركوه وما خرج منهم أحد حتى أسلم وبايع قال أبو أيوب
فأكل من طعامي مائة وثمانون رجلا ● وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه
أتي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل
يقوم قوم ويقعد آخرون ● ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما
كنا مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثين ومائة وذكر في الحديث أنه عجن
صاع من طعام وصنعت شاة فشوي سواد بطنها قال وايم الله ما من الثلاثين
ومائة إلا وقد حز له حزة من سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين فأكلنا أجمعون
وفضل في القصعتين فحملته على البعير ● ومن ذلك حديث عبد الرحمن
بن أبي عمرة الأنصاري عن أبيه ● ومثله لسلمة بن الأكوع وأبي هريرة وعمر بن
الخطاب رضي الله عنهم فذكروا مخمصة أصابت الناس مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
في بعض مغازيه فدعا ببقية الأزواد فجاء الرجل بالحثية من الطعام وفوق
ذلك وأعلاهم الذي أتى بالصاع من التمر فجمعه على نطع ● قال سلمة رضي الله عنه
فحزرته كربضة العنز ثم دعا الناس بأوعيتهم فما بقي في الجيش وعاء إلا ملؤوه
وبقي منه قدر ما جعل أو لا ولو ورده أهل الأرض لكفاهم ● وعن أبي هريرة
رضي الله عنه قال أمرني النبي صلى الله عليه وسلم أن أدعو له أهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم

فوضعت بين أيدينا صحفة فأكلنا ما شئنا وفرغنا وهي مثلها حين وضعت
إلا أن فيها أثر الأصابع ● وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بني عبد المطلب وكانوا أربعين منهم قوم يأكلون الجذعة ويشربون
الفرق فصنع لهم مدًّا من الطعام فأكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو ● ثم دعا
بعس فشربوا حتى رووا وبقي كأنه لم يشرب منه ● وقال أنس رضي الله عنه
إن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حين ابتنى بزينب أمره أن يدعو له قومًا
سماهم وكل من لقيت حتى امتلأ البيت والحجرة وقدم إليهم تورًا فيه
قدر مد من تمر جعل حيسًا فوضعه قدامه وغمس ثلاث أصابعه وجعل
القوم يتغدون ويخرجون وبقي التور نحوًا مما كان وكان القوم أحدًا
أو اثنين وسبعين رجلًا ● وفي رواية أخرى في هذه القصة أو مثلها أن
القوم كانوا زهاء عن ثلثمائة وأنهم أكلوا حتى شبعوا وقال لي ارفع فلا أدري
حين وضعت كانت أكثر أم حين رفعت ● وفي حديث جعفر بن محمد عن
أبيه عن علي رضي الله عنه أن فاطمة رضي الله عنها طبخت قدرًا لغدائهما ووجهت عليًّا رضي الله عنه
إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليتغدى معهما فأمرها فغرفت منها لجميع نسائه
صحفة صحفة ثم له صلى الله تعالى عليه وسلم ولعلي رضي الله عنه ثم لها ثم رفعت
القدر وإنها لتفيض قالت فأكلنا منها ما شاء الله ● وأمر صلى الله عليه وسلم
عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يزود أربعمائة راكب من أحمس فقال يا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما هي إلا أصوع قال اذهب فذهب فزودهم
منه وكان قدر الفصيل البارك الرابض من التمر وبقي بحاله من رواية
دكين الأحمسي ومن رواية جرير ● ومثله من رواية النعمان بن مقرن
المزني بعينه إلا أنه قال أربعمائة راكب من مزينة ● ومن ذلك
حديث جابر رضي الله عنه في دين أبيه بعد موته وقد كان بذل لغرماء أبيه أصل
ماله فلم يقبلوه ولم يكن في ثمرها سنين كفاف دينهم فجاءه النبي صلى الله
عليه وسلم بعد أن أمره بجدها وجعلها بيادر في أصولها فمشى فيها ودعا
فأوفى منه جابر غرماء أبيه وفضل مثل ما كانوا يجدون كل سنة وفي

رواية مثل ما أعطاهم قال وكان الغرماء يهود فعجبوا من ذلك ● وقال
أبو هريرة رضي الله تعالى عنه أصاب الناس مخمصة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
هل من شيء فقلت نعم شيء من التمر في المزود قال فأتني به فأدخل يده صلى
الله تعالى عليه وسلم فأخرج قبضة فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع عشرة
فأكلوا حتى شبعوا ثم عشرة كذلك حتى أطعم الجيش كلهم وشبعوا قال
خذ ما جئت به وأدخل يدك واقبض منه شيئًا ولا تكبه فقبضت على أكثر
مما جئت به فأكلت منه وأطعمت حياة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وأبي بكر وعمر إلى أن قتل عثمان فانتهبت مني فذهب ● وفي رواية فقد
حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله ● وذكرت مثل هذه
الحكاية في غزوة تبوك وأن التمر كان بضع عشرة تمرة ● ومنه أيضًا
حديث أبي هريرة رضي الله عنه حين أصابه الجوع فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم
فوجد لبنًا في قدح قد أهدي إليه وأمره أن يدعو أهل الصفة قال فقلت
ما هذا اللبن فيهم كنت أحق أن أصيب منه شربة أتقوى بها فدعوتهم
وذكر أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له أن يسقيهم فجعلت أعطي الرجل
فيشرب حتى يروى ● ثم يأخذه الآخر حتى روي جميعهم قال فأخذ النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم القدح وقال بقيت أنا وأنت اقعد فاشرب
فشربت ثم قال اشرب وما زال يقول لها وأشرب حتى قلت لا والذي
بعثك بالحق ما أجد له مسلكًا فأخذ القدح فحمد الله تعالى وسمى وشرب الفضلة
● وفي حديث خالد بن عبد العزى أنه أجزر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
شاة وكان عيال خالد كثيرًا يذبح الشاة فلا تبد عياله عظمًا عظمًا ●
وأن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أكل من هذه الشاة وجعل فضلتها في
دلو خالد ودعا له بالبركة فنثر ذلك لعياله فأكلوا وأفضلوا ذكر خبره
الدولابي ● ومن حديث الآجري في إنكاح النبي صلى الله عليه وسلم
لعلي فاطمة رضي الله عنها أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أمر بلالًا بقصعة
من أربعة أمداد أو خمسة ويذبح جزورًا لوليمتها قال فأتيته بذلك فطعن

فى رأسها ثم أدخل الناس رفقة رفقة يأكلون منها حتى فرغوا وبقيت
منها فضلة فبرك فيها وردها الى الذى جاء به وقال كلن وأطعمن من شئتن
وفى حديث أنس رضى الله عنه تزوج النبى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فصنعت
أمى أم سليم حيسا فجعلته فى تور فذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ضعه وادع لى فلانا وفلانا ومن لقيت فدعوتهم ولم أدع أحدا
لقيته الا دعوته وذكر أنهم كانوا زهاء ثلاثمائة حتى ملؤا الصفة
والحجرة فقال لهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تحلقوا عشرة عشرة ووضع
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يده فى الطعام فدعا فيه وقال ما شاء الله
أن يقول فأكلوا حتى شبعوا كلهم فقال لى ارفع فما أدرى حين وضعت
كان أكثر أم حين رفعت وأكثر أحاديث هذه الفصول الثلاثة فى الصحيح
● وقد اجتمع على معنى هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة رواه عنهم
أضعافهم من التابعين ثم من لا يعد بعدهم وأكثرها فى قصص مشهورة
ومجامع مشهودة لا يمكن التحدث عنها الا بالحق ولا يسكت الحاضر لها
على ما أنكر منها **فصل فى كلام الشجر** وشهادتها له بالنبوة واجابتها دعوته
ثنا أحمد بن محمد بن غلبون الشيخ الصالح فيما أجازنيه عن أبى عمر الطلمنكى
عن أبى بكر بن المهندس عن أبى القاسم البغوى ثنا أحمد بن عمران الأخنسى
ثنا أبو حيان التيمى وكان صدوقا عن مجاهد عن ابن عمر رضى الله عنهما
قال كنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى سفر فدنا منه أعرابى
فقال يا أعرابى أين تريد قال الى أهلى قال هل لك الى خير قال وما هو
تشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله قال من
يشهد لك على ما تقول قال هذه الشجرة السمرة وهى بشاطئ الوادى فادعها
فانها تجيبك قال فدعوتها فأقبلت تخد الأرض حتى قامت بين يديه
فاستشهدها ثلاثا فشهدت أنه كما قال ثم رجعت الى مكانها ● وعن بريدة سأل أعرابى
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم آية فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله
يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت

عروقها ثم جاءت تخد الأرض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدى رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم ● فقالت السلام عليك يا رسول الله عليه السلام
قال الأعرابى مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها فى ذلك
الموضع فاستوت فقال الأعرابى ائذن لى أسجد لك قال لو أمرت أحدا
أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها قال فائذن لى أن أقبل يديك
ورجليك فأذن له ● وفى الصحيح فى حديث جابر بن عبد الله الطويل ذهب
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ● يقضى حاجته فلم ير شيئا يستتر به
فاذا بشجرتين بشاطئ الوادى فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احداهما
فأخذ غصنا من أغصانها فقال انقادى على باذن الله فانقادت معه
كالبعير المخشوش الذى يصانع قائده ● وذكر أنه فعل بالأخرى مثل ذلك
حتى اذا كان بالمنصف بينهما قال التئما على باذن الله فالتأمتا ● وفى
رواية أخرى فقال يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ● الحقى بصاحبتك حتى أجلس خلفكما ففعلت فرجعت حتى
لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما فخرجت أحضر وجلست أحدث نفسى
فالتفت فاذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مقبلا والشجرتان
قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقفة فقال برأسه هكذا يمينا وشمالا ● وروى أسامة بن زيد رضى الله عنه نحوه
قال قال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى بعض مغازيه هل تعنى
مكانا لحاجة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ● فقلت ان الوادى ما فيه
موضع بالناس فقال هل ترى من نخل أو حجارة قلت أرى نخلات متقاربات
قال انطلق وقل لهن ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ● يأمركن أن تأتين
لمخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقل للحجارة مثل ذلك فقلت ذلك
لهن فوالذى بعثه بالحق لقد رأيت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة
يتعاقدن حتى صرن ركاما خلفهن ● فلما قضى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
حاجته قال لى قل لهن يفترقن فوالذى نفسى بيده لرأيتهن والحجارة يفترقن

حتى عدن الى مواضعهن ● وقال يعلى بن سيابة كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم
في مسير وذكر نحوا من هذين الحديثين ● وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم مثله في غزاة حنين ● وعن يعلى بن مرة وهو ابن سيابة
ايضا وذكر اشياء رآها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ان طلحة
او سمرة جاءت فاطافت به ثم رجعت الى منبتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انها استأذنت ان تسلم علي ● وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه آذنت
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له شجرة ● وعن مجاهد
عن ابن مسعود رضي الله عنه في هذا الحديث ان الجن قالوا من يشهد لك قال هذه
الشجرة تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع ● وذكر مثل الحديث الاول
او نحوه ● قال القاضي ابو الفضل رحمه الله فهذا ابن عمر وبريدة وجابر وابن
مسعود ويعلى بن مرة واسامة بن زيد وانس بن مالك وعلي بن ابي طالب
وابن عباس وغيرهم رضي الله عنهم قد اتفقوا على هذه القصة نفسها او معناها
ورواها عنهم من التابعين اضعافهم فصارت في انتشارها من القوة
حيث هي ● وذكر ابن فورك انه صلى الله تعالى عليه وسلم سار في غزوة
الطائف ليلا وهو وسن فاعترضته سدرة فانفرجت له نصفين حتى جاز
بينهما وبقيت على ساقين الى وقتنا وهي هناك معروفة معظمة ● ومن
ذلك حديث انس ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم الخ
من وراء الوادي فقال ادع تلك الشجرة فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه
قال مرها فلترجع فعادت الى مكانها ● وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه نحو هذا
ولم يذكر فيها جبريل عليه السلام ● قال اللهم ارني آية لا ابالي من كذبني بعدها
فدعا شجرة وذكر مثله ● وحزنه صلى الله تعالى عليه وسلم لتكذيب قومه
وطلبه الآية لهم لا له ● وذكر ابن اسحق ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ارى ركانة مثل هذه الآية في شجرة دعاها فاتت حتى وقفت بين يديه ثم
قال ارجعي فرجعت ● وعن الحسن عليه السلام انه شكى الى ربه من قومه وانهم
يخوفونه فسأله آية يعلم بها ان لا مخافة عليه فاوحى الله تعالى اليه ان ائت

وادي كذا فيه شجرة فادع غصنا منها يأتك ففعل فجاء يخط الارض خطا
حتى انتصب بين يديه فحبسه ما شاء الله ثم قال له ارجع كما جئت فرجع
فقال يا رب علمت ان لا مخافة علي ● ونحو منه عن عمر وقال فيه ارني آية
لا ابالي من كذبني بعدها وذكر نحوه ● وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم
قال لاعرابي أرأيت ان دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتشهد اني
رسول الله قال نعم فدعاه فجعل ينقز حتى اتاه فقال ارجع فعاد الى مكانه
وخرجه الترمذي وقال هذا حديث صحيح

فصل في قصة حنين الجذع

ويعضد هذه الاخبار حديث انين الجذع وهو في نفسه مشهور منتشر
والخبر به متواتر خرجه اهل الصحيح ورواه من الصحابة رضي الله عنهم بضعة
عشر منهم ابي بن كعب وجابر بن عبد الله وانس بن مالك وعبد الله بن عمر
وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد وابو سعيد الخدري وبريدة وام سلمة
والمطلب بن ابي وداعة كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث ● قال الترمذي
وحديث انس صحيح ● قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه كان المسجد مسقوفا على
جذوع نخل فكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا خطب يقوم الى جذع منها
فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار ● وفي رواية
انس رضي الله عنه حتى ارتج المسجد بخواره ● وفي رواية سهل وكثر بكاء الناس
لما رأوا به ● وفي رواية المطلب وابي حتى تصدع وانشق حتى جاء النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت ● زاد غيره فقال النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم ان هذا بكى لما فقد من الذكر وزاد غيره والذي
نفسي بيده لو لم التزمه لم يزل هكذا الى يوم القيمة تحزنا على رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فامر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدفن
تحت المنبر كذا في حديث المطلب وسهل بن سعد واسحق عن انس ● وفي
بعض الروايات عن سهل فدفن تحت منبره او جعلت في السقف
وفي حديث ابي فكان اذا صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلى اليه فلما هدم
المسجد اخذه ابي فكان عنده حتى اكلته الارض وعاد رفاتا ● وذكر

الاسفرائني أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم دعاه الى نفسه فجاء يخرق
الأرض فالتزمه ثم أمره فعاد الى مكانه ● وفي حديث بريدة فقال
بعثنا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إن شئت أردك الى الحائط الذي
كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمرة وإن
شئت أغرسك في الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك ● ثم أصغى له
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يستمع ما يقول فقال بل تغرسني في الجنة
فيأكل مني أولياء الله وأكون في مكان لا أبلى فيه فسمعه من يليه فقال
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد فعلت ثم قال اختار دار البقاء على
دار الفناء فكان الحسن إذا حدث بهذا بكى ● وقال يا عباد الله الخشبة
تحن الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شوقا اليه لمكانه فأنتم
أحق أن تشتاقوا الى لقائه ● رواه عن جابر حفص بن عبيد الله
ويقال عبيد الله بن حفص وأيمن وأبو نضرة وابن المسيب وسعيد بن
أبي كرب وكريب وأبو صالح ● ورواه عن أنس بن مالك الحسن وثابت
وإسحق بن أبي طلحة ● ورواه عن ابن عمر نافع وأبو حية ورواه أبو
نضرة وأبو الوداك عن أبي سعيد وعمار بن أبي عمار عن ابن عباس
وأبو حازم وعباس بن سهل بن سعد عن سهل بن سعد وكثير بن زيد
عن المطلب وعبد الله بن بريدة عن أبيه والطفيل بن أبي عن أبيه
قال القاضي أبو الفضل رحمه الله تعالى فهذا حديث كما تراه خرجه أهل الصحة
ورواه من الصحابة من ذكرنا وغيرهم من التابعين ضعفهم الى من لم
نذكره وبدون هذا العدد يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب والله المثبت للصواب

فصل ومثل هذا في سائر الجمادات حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى
التميمي ثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن المرابط ثنا المهلب أبو القاسم ثنا
أبو الحسن القابسي ثنا المروزي ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا محمد بن المثنى
ثنا أبو أحمد الزبيري ● قال ثنا اسرائيل عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن
عبد الله قال لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل ● وفي غير هذه عن

ابن مسعود كنا نأكل مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الطعام ونحن
نسمع تسبيحه ● وقال أنس رضي الله تعالى عنه أخذ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كفا
من حصى فسبحن في يد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح
ثم صبهن في يد أبي بكر فسبحن ثم في أيدينا فما سبحن ● وروى مثله
أبو ذر وذكر أنهن سبحن في كف عمر وعثمان وقال علي رضي الله تعالى عنه كنا بمكة
مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فخرج الى بعض نواحيها فما استقبله
شجر ولا جبل إلا قال السلام عليك يا رسول الله ● وعن جابر بن سمرة
عنه عليه السلام إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قيل إنه الحجر الأسود
● وعن عائشة لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر
إلا قال السلام عليك يا رسول الله ● وعن جابر بن عبد الله لم يكن رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر إلا سجد له ● وفي حديث العباس
إذ اشتمل عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى بنيه بملاءة ودعا
لهم بالستر من النار كستره إياهم بملاءته فأمنت أسكفة الباب وحوائط
البيت آمين آمين ● وعن جعفر بن محمد عن أبيه مرض النبي صلى الله
فأتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فأكل منه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فسبح ● وعن أنس صعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان
أحدا فرجف بهم فقال اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان
● ومثله عن أبي هريرة في حراء وزاد ومعه علي وطلحة والزبير وقال
فإنما عليك نبي أو صديق أو شهيد ● والخبر في حراء أيضا عن عثمان قال
ومعه عشرة من أصحابه أنا فيهم وزاد نفسه ● وقد روي أنه صلى الله عليه وسلم
حين طلبته قريش قال له ثبير اهبط يا رسول الله فإني أخاف أن يقتلوك
على ظهري فيعذبني الله فقال حراء إلي يا رسول الله ● وروى ابن عمر رضي الله عنه
● أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ على المنبر وما قدروا الله حق قدره
ثم قال يمجد الجبار نفسه أنا الجبار أنا الجبار أنا الكبير المتعال فرجف
المنبر حتى قلنا ليخرن عنه ● وعن ابن عباس كان حول البيت ستون

وثلاثمائة صنم مثبتة الارجل بالرصاص في الحجارة فلما دخل رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب في يده
اليها ولا يمسها ويقول جاء الحق وزهق الباطل الآية فما اشار الى
وجه صنم الا وقع لقفاه ولا لقفاه الا وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم
● ومثله في حديث ابن مسعود وقال فجعل يطعنها ويقول جاء الحق
وما يبدئ الباطل وما يعيد ● ومن ذلك حديثه مع الراهب في ابتداء
امره اذ خرج تاجرا مع عمه وكان الراهب لا يخرج الى احد فخرج وجعل
يتخللهم حتى اخذ بيد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال هذا سيد
العالمين يبعثه الله تعالى رحمة للعالمين ● فقال له اشياخ من قريش ما علمك
قال انه لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا له ولا تسجد الجمادات الا لنبي
● وذكر القصة ثم قال واقبل صلى الله تعالى عليه وسلم وعليه غمامة
تظله فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه الى فيء الشجرة فلما جلس مال
الفيء اليه صلى الله تعالى عليه وسلم

فصل في الآيات في ضروب الحيوانات

حدثنا سراج بن عبد الملك ابو الحسين الحافظ ثنا ابي ثنا القاضي يونس
ثنا ابو الفضل الصقلي ثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده قالا
حدثنا ابو العلاء احمد بن عمران ثنا محمد بن فضيل ثنا يونس بن عمرو ثنا
مجاهد عن عائشة رضي الله عنها قالت كان عندنا داجن فاذا كان عندنا رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم قر وثبت مكانه فلم يجئ ولم يذهب واذا
خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جاء وذهب ● وروي عن عمر
رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان في محفل من اصحابه
اذ جاء اعرابي قد صاد ضبا فقال من هذا قالوا نبي الله فقال واللات
والعزى لا امنت بك او يؤمن هذا الضب وطرحه بين يدي النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يا ضب فاجابه
بلسان مبين يسمعه القوم جميعا لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة
● قال من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر

سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه قال فمن انا قال رسول الله
رب العالمين ● وخاتم النبيين وقد افلح من صدقك وخاب من كذبك
فاسلم الاعرابي ● ومن ذلك قصة كلام الذئب المشهورة عن ابي سعيد
الخدري قال بينا راع يرعى غنمه عرض الذئب لشاة منها فاخذها الراعي
منه فاقعى الذئب وقال للراعي الا تتقي الله حلت بيني وبين رزقي قال
الراعي العجب من ذئب يتكلم بكلام الآدميين ● فقال الذئب الا اخبرك
باعجب من ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبره فقال النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم قم فحدثهم ثم قال صدق والحديث فيه قصص
وفي بعضه طول ● وروى حديث الذئب عن ابي هريرة رضي الله عنه وفي
بعض الطرق عن ابي هريرة فقال الذئب انت اعجب واقفا على غنمك
وتركت نبيا لم يبعث الله نبيا قط اعظم منه عنده قدرا قد فتحت له
ابواب الجنة ● واشرف اهلها على اصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه
الا هذا الشعب فتصير في جنود الله ● قال الراعي من لي بغنمي قال الذئب
انا ارعاها حتى ترجع فاسلم الرجل اليه غنمه ومضى وذكر قصته واسلامه
ووجوده النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقاتل ● فقال له النبي عليه السلام
عد الى غنمك فانك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذئب شاة منها
● وعن اهبان بن اوس وانه كان صاحب القصة والمحدث بها ومكلم الذئب
وعن سلمة بن عمرو بن الاكوع وانه كان صاحب هذه القصة ايضا وسبب اسلامه
بمثل حديث ابي سعيد ● وقد روى ابن وهب مثل هذا انه جرى لابي سفيان
بن حرب وصفوان بن امية مع ذئب وجداه اخذ ظبيا فدخل الظبي الحرم
فانصرف الذئب فعجبا من ذلك فقال الذئب اعجب من ذلك محمد بن عبد الله
بالمدينة يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار ● فقال ابو سفيان واللات
والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفا ● وقد روي مثل هذا الخبر و
انه جرى لابي جهل واصحابه ● وعن عباس بن مرداس لما تعجب من كلام ضماد
صنمه وانشاده الشعر الذي ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم فاذا طائر سقط

فقال يا عباس رضي الله عنه من كلام ضماد ولا يعجب من نفسك أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدعوا إلى الإسلام وأنت جالس فكان سبب إسلامه

● وعن جابر بن عبد الله عن رجل أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وآمن به وهو على بعض حصون خيبر وكان في غنم يرعاها لهم فقال يا رسول الله كيف بالغنم فقال احصب وجوهها فإن الله سيؤدي عنك أمانتك وردها إلى أهلها ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت إلى أهلها ● وعن أنس رضي الله عنه دخل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حائط أنصاري وأبو بكر وعمر ورجل من الأنصار وفي الحائط غنم فسجدت له الغنم فقال أبو بكر نحن أحق بالسجود لك منها الحديث ● وعن أبي هريرة رضي الله عنه دخل النبي عليه السلام حائطا فجاء بعير فسجد له وذكر مثله ● ومثله في الجمل عن ثعلبة بن مالك وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر ● قال وكان لا يدخل أحد الحائط إلا شد عليه الجمل فلما دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم دعاه فوضع مشفره في الأرض وبرك بين يديه فخطمه ● وقال صلى الله عليه وسلم ما بين السماء والأرض شيء إلا يعلم أني رسول الله إلا عاصي الجن والإنس ● ومثله عن عبد الله بن أبي أوفى وفي خبر آخر في حديث الجمل أن النبي صلى الله عليه وسلم سألهم عن شأنه فأخبروه أنهم أرادوا ذبحه ● وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم إنه شكا كثرة العمل وقلة العلف ● وفي رواية أنه شكا إلي أنكم أردتم ذبحه بعد أن استعملتموه في شاق العمل من صغره فقالوا نعم وقد روي في قصة العضباء وكلامها للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتعريفها له بنفسها ومبادرة العشب إليها في الرعي وتجنب الوحوش عنها وندائهم لها إنك لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وأنها لم تأكل ولم تشرب بعد موته حتى ماتت ذكره الإسفرايني ● وروى ابن وهب أن حمام مكة أظلت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يوم فتحها فدعا لها بالبركة ● وروي عن أنس وزيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهم أن النبي صلى الله تعالى عليه ليلة الغار أمر الله شجرة فنبتت تجاه النبي صلى الله عليه وسلم فسترته وأمر حمامتين فوقفتا بفم الغار

وفي حديث آخر وأن العنكبوت نسجت على بابه فلما أتى الطالبون له ورأوا ذلك قالوا لو كان فيه أحد لم تكن الحمامتان ببابه والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع كلامهم فانصرفوا ● وعن عبد الله بن قرط قرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدنات خمس أو ست أو سبع لينحرها يوم عيد فازدلفن إليه بأيتهن يبدأ

● وعن أم سلمة رضي الله تعالى عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم في صحراء فنادته ظبية يا رسول الله قال ما حاجتك قالت صادني هذا الأعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل فأطلقني حتى أذهب فأرضعهما وأرجع ● قال وتفعلين قالت نعم فأطلقها فذهبت ورجعت فأوثقها فانتبه الأعرابي وقال يا رسول الله ألك حاجة قال تطلق هذه الظبية فأطلقها فخرجت تعدو في الصحراء وتقول أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ● ومن هذا الباب ما روي من تسخير الأسد لسفينة مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إذ وجهه إلى معاذ باليمن فلقي الأسد فعرفه أنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه كتابه فهمهم الأسد وتنحى عن الطريق ● وذكر في منصرفه مثل ذلك وفي رواية أخرى عنه أن سفينة تكسرت به فخرج إلى جزيرة فإذا الأسد فقلت أنا مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجعل يغمزني بمنكبه حتى أقامني على الطريق ● وأخذ صلى الله تعالى عليه وسلم بأذن شاة لقوم من بني عبد القيس بين إصبعيه ثم خلاها فصار لها ميسما وبقي ذلك الأثر فيها وفي نسلها بعد ● وما روي عن إبراهيم بن حماد بسنده من كلام الحمار الذي أصابه بخيبر ● وقال له اسمي يزيد بن شهاب فسماه النبي صلى الله عليه وسلم يعفورا وأنه كان يوجهه إلى دور أصحابه فيضرب عليهم الباب برأسه ويستدعيهم وأن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما مات تردى في بئر جزعا وحزنا فمات ● وحديث الناقة التي شهدت عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لصاحبها أنه ما سرقها وأنها ملكه ● وفي العنز التي أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عسكره وقد أصابهم عطش ونزلوا على غير ماء وهم زهاء ثلاثمائة فحلبها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ● فأروى الجند ثم قال لرافع املكها

وما أريك فربطها فوجدها قد انطلقت رواه ابن قانع وغيره ● وفيه
فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إن الذي جاء بها هو الذي ذهب
بها ● وقال لفرسه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قام إلى الصلاة في بعض
أسفاره لا تبرح بارك الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا وجعله قبلته
فما حرك عضوا حتى صلى صلى الله تعالى عليه وسلم ● ويلتحق بهذا ما رواه
الواقدي أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما وجه رسله إلى الملوك فخرج
ستة نفر منهم في يوم واحد فأصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم
الذي بعثه إليهم ● والحديث في هذا الباب كثير وقد جئنا منه بالمشهور
من ذلك وما وقع في كتب الأئمة ● **فصل في إحياء الموتى وكلامهم**
وكلام الصبيان والمراضع وشهادتهم له بالنبوة صلى الله تعالى عليه وسلم
حدثنا أبو الليث هشام بن أحمد الفقيه بقراءتي عليه والقاضي أبو
الوليد محمد بن رشد والقاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي وغير واحد
سماعا وإذنا ● قالوا ثنا أبو علي الحافظ قال ثنا أبو عمر الحافظ ثنا
أبو زيد عبد الرحمن بن يحيى ● ثنا أحمد بن سعيد ثنا ابن الأعرابي
ثنا أبو داود ثنا وهب بن بقية عن خالد هو الطحان عن محمد بن عمرو
عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن يهودية أهدت للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
بخيبر شاة مصلية سمتها فأكل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ●
وأكل القوم فقال ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة فمات
بشر بن البراء ● وقال لليهودية ما حملك على ما صنعت قالت إن كنت
نبيا لم يضرك الذي صنعت وإن كنت ملكا أرحت الناس منك قال
فأمر بها فقتلت ● وقد روى هذا الحديث أنس وفيه قالت أردت قتلك
فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك فقالوا نقتلها قال لا ● وكذلك
روي عن أبي هريرة من رواية غير وهب قال فما عرض لها ● ورواه أيضا
جابر بن عبد الله وفيه أخبرتني به هذه الذراع قال ولم يعاقبها ● و
في رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن فقالت إني مسمومة ● وفي رواية الحسن

إن فخذها تكلمني أنها مسمومة وكذلك ذكر الخبر ابن إسحق وقال فيه فتجاوز
عنها ● وفي الحديث الآخر عن أنس أنه قال فما زلت أعرفها في لهوات رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال في وجعه الذي مات منه ما زالت أكلة
خيبر تعاودني فالآن أوان قطعت أبهري ● وحكى ابن إسحق إن كان
المسلمون ليرون أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مات شهيدا مع
ما أكرمه الله به من النبوة ● وقال ابن سحنون أجمع أهل الحديث
أن رسول الله صلى الله تعالى عليه قتل اليهودية التي سمته ● وقد ذكرنا
اختلاف الروايات في ذلك عن أبي هريرة وأنس وجابر رضي الله عنهم وفي رواية
ابن عباس رضي الله عنهما أنه دفعها لأولياء بشر بن البراء فقتلوها وكذلك
اختلف في قتله للذي سحره ● قال الواقدي وعفوه عنه أثبت عندنا
وروي أنه قتله وروى الحديث البزار عن أبي سعيد فذكر مثله إلا أنه
قال في آخره بسط يده وقال كلوا بسم الله فأكلنا وذكرنا اسم الله فلم يضر
منا أحدا ● قال القاضي أبو الفضل رحمه الله تعالى وقد خرج حديث الشاة
المسمومة أهل الصحيح وخرجه الأئمة ● وهو حديث مشهور واختلف
أئمة أهل النظر في هذا الباب فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله تعالى في
الشاة الميتة أو الحجر أو الشجرة وحروف وأصوات يحدثها الله فيها ويسمعها
منها دون تغيير أشكالها ونقلها عن هيئتها ● وهو مذهب الشيخ أبي الحسن
والقاضي أبي بكر رحمهما الله تعالى وآخرون ذهبوا إلى إيجاد الحياة بها أولا
ثم الكلام بعدها ● وحكي هذا أيضا عن شيخنا أبي الحسن وكل محتمل و
الله تعالى أعلم إذ لم نجعل الحياة شرطا لوجود الحروف والأصوات إذ لا يستحيل
وجودها مع عدم الحياة بمجردها ● وأما إذا كانت عبارة عن الكلام
النفسي فلا بد من شرط الحياة لها إذ لا يوجد كلام النفس إلا من حي خلافا
للجبائي من بين سائر متكلمي الفرق في إحالته وجود الكلام اللفظي والحروف
والأصوات إلا من حي مركب على تركيب من يصح منه النطق بالحروف والأصوات
والتزم ذلك في الحصى والجذع والذراع ● وقال إن الله تعالى خلق فيها حياة

وخرق لها فما ولسانا وآلة أمكنها بها من الكلام وهذا لو كان لكان
نقله والتهمم به آكد من التهمم بنقل تسبيحه وحنينه ولم أجد من
أهل السير والرواية شيئا من ذلك فدل على سقوط دعواه مع أنه لا ضرورة
إليه في النظر والموفق الله ● وروى وكيع رفعه عن فهد بن عطية أن
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أتي بصبي قد شب لم يتكلم قط فقال من
أنا فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ● وروى عن معرض بن معيقيب
رأيت من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عجبا جيء بصبي يوم ولد فذكر مثله
وهو حديث مبارك اليمامة ● ويعرف بحديث شاصونة اسم راويه وفيه
فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم صدقت بارك الله فيك ثم إن الغلام
لم يتكلم بعدها حتى شب فكان يسمى مبارك اليمامة ● وكانت هذه القصة
بمكة في حجة الوداع ● وعن الحسن أتى رجل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ●
فذكر له أنه طرح بنية له في وادي كذا فانطلق معه إلى الوادي وناداها
باسمها يا فلانة أجيبي بإذن الله فخرجت وهي تقول لبيك وسعديك
فقال لها إن أبويك قد أسلما فإن أحببت أن أردك عليهما فقالت لا حاجة لي
فيهما وجدت الله خيرا لي منهما ● وعن أن شابا من الأنصار توفي وله أم
عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها فقالت مات ابني قلنا نعم قالت اللهم إن
كنت تعلم أني هاجرت إليك وإلى نبيك رجاء أن تعينني على كل شدة فلا تحملن
على هذه المصيبة فما برحنا أن كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا
وروي عن عبد الله بن عبد الله الأنصاري كنت فيمن دفن ثابت بن قيس
بن شماس وكان قتل باليمامة فسمعناه حين أدخلناه القبر يقول
محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان البر الرحيم فنظرنا
فإذا هو ميت ● وذكر عن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه أن زيد بن
خارجة خر ميتا في بعض أزقة المدينة فرفع وسجي إذ سمعوه بين العشاءين
والنساء يصرخن حوله يقول أنصتوا أنصتوا فحسر عن وجهه فقال محمد
رسول الله النبي الأمي وخاتم النبيين كان ذلك في الكتاب الأول ثم

ثم قال صدق صدق وذكر أبا بكر وعمر وعثمان ثم قال السلام عليك
يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا كما كان

فصل في إبراء المرضى

وذوي العاهات أخبرنا أبو الحسن علي بن مشرف فيما أجازنيه وقرأته
على غيره ● قال ثنا أبو إسحق الحبال قال ثنا أبو محمد بن النحاس ثنا
ابن الورد عن البرقي عن ابن هشام عن زياد البكائي عن محمد بن إسحق
ثنا ابن هشام وعاصم بن عمر بن قتادة وجماعة ذكرهم بقصة أحد
بطولها قال وقاتلوا قال سعد بن أبي وقاص إن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليناولني السهم لا نصل له فيقول ارم به وقد رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يومئذ عن قوسه حتى اندقت وأصيبت يومئذ عين قتادة يعني ابن
النعمان حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت أحسن عينيه
● وروى قصة قتادة عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن عياض عن ابن عمر بن
قتادة ورواها أبو سعيد الخدري عن قتادة ● وبصق على أثر سهم في وجه أبي
قتادة في يوم ذي قرد قال فما ضرب علي ولا قاح ● وروى النسائي عن عثمان
بن حنيف أن أعمى قال يا رسول الله ادع الله أن يكشف لي عن بصري قال
فانطلق فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم إني أسألك وأتوجه إليك
بنبيي محمد صلى الله تعالى عليه وسلم نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك أن
يكشف عن بصري اللهم شفعه في فرجع وقد كشف الله عن بصره ● وروي
أن ابن ملاعب الأسنة أصابه استسقاء فبعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم
فأخذ بيده حثوة من الأرض فتفل عليها ثم أعطاها رسوله فأخذها متعجبا
يرى أن قد هزئ به فأتاه بها وهو على شفا هلكة فشربها فشفاه الله
وذكر العقيلي عن حبيب بن فديك ويقال فريك أن أباه ابيضت عيناه
فكان لا يبصر بهما شيئا فنفث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيه فأبصر ●
وتفل صلى الله تعالى عليه وسلم في عيني علي يوم خيبر وكان رمدا فأصبح بارئا ●
وتفل على شجة عبد الله بن أنيس فلم تمد ● ونفث صلى الله تعالى عليه وسلم
على ضربة بساق سلمة بن الأكوع يوم خيبر فبرئت ● وفي رجل زيد بن معاذ

حين اصابها السيف الى الكعب حين قتل ابن الاشرف فبرئت • وعلى
ساق علي بن الحكم يوم الخندق اذ انكسرت فبرئ مكانه وما نزل عن
عن فرسه • واشتكى علي بن ابي طالب رضي الله عنه فجعل يدعو فقال
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم اشفه او عافه ثم ضربه برجله فما اشتكى
ذلك الوجع بعد وقطع ابو جهل يوم بدر يد معوذ بن عفراء فجاء يحمل يده
فبصق عليها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والصقها فلصقت رواه ابن
وهب • ومن روايته ايضا ان خبيب بن يساف اصيب يوم بدر مع رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم بضربة على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ونفث عليه حتى صح • واتته صلى الله تعالى عليه وسلم
امراة من خثعم معها صبي به بلاء لا يتكلم فاتي بماء فمضمض فاه وغسل
يديه ثم اعطاها اياه وامرها بسقيه ومسه به فبرأ الغلام وعقل
عقلا يفضل عقول الناس • وعن ابن عباس جاءت امراة بابن
لها به جنون فمسح صدره فثع ثعة فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود
فشفي وانكفات القدر على ذراع محمد بن حاطب وهو طفل فمسح عليه و
دعا له وتفل فيه فبرئ لحينه • وكانت في كف شرحبيل الجعفي سلعة
تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة فشكاها للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فما زال صلى الله تعالى عليه وسلم يطحنها بكفه حتى رفعها ولم يبق لها اثر
وسألته جارية طعاما وهو ياكل فناولها من بين يديه
فكانت قليلة الحياء فقالت انما اريد من الذي في فيك فناولها ما في فيه
ولم يكن يسأل شيئا فيمنعه فلما استقر في جوفها القي عليها من الحياء ما
لم تكن امراة بالمدينة اشد حياء منها

فصل في اجابة دعائه

صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا باب واسع جدا واجابة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم
لجماعة بما دعا لهم وعليهم متواتر على الجملة معلوم ضرورة • وقد جاء في حديث
حذيفة كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دعا لرجل ادركت الدعوة
ولده وولد ولده • ثنا ابو محمد العتابي بقراءتي عليه ثنا ابو القاسم حاتم بن
محمد ثنا ابو الحسن القابسي ثنا ابو زيد المروزي ثنا محمد بن يوسف ثنا

محمد بن اسمعيل ثنا عبد الله بن ابي الاسود ثنا حرمي • انا شعبة عن قتادة
عن انس رضي الله عنه قال قالت امي يا رسول الله خادمك انس ادع الله له
قال اللهم اكثر ماله وولده وبارك له فيما آتيته • ومن رواية عكرمة
قال انس فوالله ان مالي لكثير وان ولدي وولد ولدي ليعادون اليوم
على نحو المائة • وفي رواية وما اعلم احدا اصاب من رخاء العيش ما اصبت
ولقد دفنت بيدي هاتين مائة من ولدي لا اقول سقطا ولا ولد ولد
• ومنه دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف بالبركة قال عبد الرحمن فلو رفعت
حجرا لرجوت ان اصيب تحته ذهبا • وفتح الله عليه ومات فحفر
الذهب من تركته بالفؤوس حتى مجلت فيه الايدي واخذت كل زوجة ثمانين
الفا وكن اربعا وقيل مائة الف • وقيل بل صولحت احداهن لانه طلقها
في مرض موته على نيف وثمانين الفا واوصى بخمسين الفا بعد صدقاته
الفاشية في حياته وعوارفه العظيمة اعتق يوما ثلثين عبدا وتصدق
مرة بعير فيها سبعمائة بعير وردت عليه تحمل من كل شيء فتصدق بها
وبما عليها وباقتابها واحلاسها • ودعا لمعاوية بالتمكين في البلاد
فنال الخلافة ولسعد ابن ابي وقاص ان يجيب الله تعالى دعوته فما دعا على
احد الا استجيب له • ودعا بعز الاسلام بعمر او بابي جهل فاستجيب له
في عمر • قال ابن مسعود رضي الله عنه ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر رضي الله عنه
اصاب الناس في بعض مغازيه عطش فسأله عمر الدعاء فدعا فجاءت
سحابة فسقتهم حاجتهم ثم اقلعت • ودعا صلى الله تعالى عليه وسلم في الاستسقاء
فسقوا ثم شكوا اليه المطر فدعا فصحوا • وقال صلى الله تعالى عليه وسلم
للنابغة لا يفضض الله فاك فما سقطت له سن • وفي رواية فكان احسن
الناس ثغرا اذا سقطت له سن نبتت له اخرى وعاش عشرين ومائة سنة
وقيل اكثر من هذا • وقال لابي قتادة رضي الله عنه افلح وجهك اللهم بارك له
في شعره وبشره فمات وهو ابن سبعين سنة وكانه ابن خمس عشرة •
ودعا صلى الله عليه وسلم لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل فسمي

بعد ذلك الحبر وترجمان القرآن ● ودعا صلى الله تعالى عليه وسلم لعبد الله
بن جعفر بالبركة في صفقة يمينه فما اشترى شيئا الا ربح فيه ● ودعا
صلى الله تعالى عليه وسلم للمقداد بالبركة فكانت عنده غرائر من المال
ودعا صلى الله تعالى عليه وسلم لعروة بن أبي الجعد فقال كنت أقوم بالكناسة
فما أرجع حتى أربح أربعين ألفا ● وقال البخاري في حديثه فكان اذا
اشترى التراب ربح فيه ● وروي مثل هذا لغرقدة أيضا وندت له ناقة
فجاءه بها إعصار ريح حتى ردها عليه ● ودعا صلى الله تعالى عليه وسلم
لأم أبي هريرة فأسلمت ● ودعا صلى الله تعالى عليه وسلم لعلي رضي الله تعالى عنه
أن يكفى الحر والقر فكان يلبس في الشتاء ثياب الصيف وفي الصيف
ثياب الشتاء ولا يصيبه حر ولا برد ● ودعا صلى الله تعالى عليه وسلم
لفاطمة ابنته رضي الله عنها أن لا يجيعها الله تعالى قالت فما جعت بعد ●
وسأله الطفيل بن عمرو آية لقومه فقال اللهم نور له بين عينيه فقال
يا رب أخاف أن يقولوا مثلة فتحول إلى طرف سوطه فكان يضيء في الليلة
الظلماء فسمي ذا النور ● ودعا صلى الله تعالى عليه وسلم على مضر فقحطوا
حتى استعطفته قريش فدعا لهم فسقوا ● ودعا صلى الله تعالى عليه وسلم
على كسرى حين مزق كتابه أن يمزق الله ملكه فلم تبق له باقية ولا بقيت
لفارس رياسة في أقطار الدنيا ● ودعا صلى الله تعالى عليه وسلم على صبي
قطع عليه الصلاة أن يقطع الله تعالى أثره فأقعد ● وقال صلى الله تعالى عليه وسلم
لرجل رآه يأكل بشماله كل بيمينك فقال لا أستطيع فقال لا استطعت فلم
يرفعها إلى فيه ● وقال لابن امرأة أكلك الأسد فأكله ● وقال لعتبة
بن أبي لهب اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فأكله الأسد ● وحديثه
صلى الله تعالى عليه وسلم المشهور من رواية عبد الله بن مسعود في دعائه
على قريش حين وضعوا السلا على رقبته وهو ساجد مع الفرث والدم
وسماهم قال فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر ● ودعا صلى الله تعالى عليه وسلم
على الحكم بن أبي العاص وكان يتخلج بوجهه ويغمز عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

أي لأقره فقال كذلك كن فلم يزل يختلج إلى أن مات ● ودعا صلى الله عليه
على محلم بن جثامة فمات لسبع فلفظته الأرض ثم دفن فلفظته الأرض
مرات فألقوه بين صدين ورضموا عليه بالحجارة ● الصد جانب الوادي
وجحده رجل بيع فرس وهي التي شهد فيها خزيمة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فرد الفرس بعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على الرجل وقال اللهم إن
كان كاذبا فلا تبارك له فيها فأصبحت شاصية برجلها أي رافعة وهذا
الباب أكثر أن يحاط به

فصل في كراماته وبركاته

وانقلاب الأعيان
له فيما لمسه أو باشره صلى الله تعالى عليه وسلم أخبرنا أحمد بن محمد ثنا
أبو ذر الهروي إجازة ثنا القاضي أبو علي سماعا والقاضي أبو عبد الله
محمد بن عبد الرحمن وغيرهما قالوا ثنا أبو الوليد القاضي ثنا أبو ذر ثنا
أبو محمد وأبو إسحق وأبو الهيثم ● ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا يزيد
بن زريع ● ثنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك أن أهل المدينة فزعوا
مرة فركب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فرسا لأبي طلحة كان
يقطف أو به قطاف وقال غيره بطاء فلما رجع قال وجدنا فرسك
بحرا فكان بعد لا يجارى ● ونخس جمل جابر وكان قد أعيى فنشط
حتى كان ما يملك زمامه ● وصنع صلى الله تعالى عليه وسلم مثل ذلك
بفرس لجعيل الأشجعي خفقها بمخفقة معه وبرك عليها فلم يملك رأسها
نشاطا وباع من بطنها باثني عشر ألفا ● وركب صلى الله تعالى عليه وسلم
حمارا قطوفا لسعد بن عبادة فرده هملاجا لا يساير ● وكانت شعرات
من شعره في قلنسوة خالد بن الوليد فلم يشهد بها قتالا إلا رزق النصر
● وفي الصحيح عن أسماء بنت أبي بكر أنها أخرجت جبة رقيعة طيالسة
وقالت كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى
نستشفي بها ● وحدثنا القاضي أبو علي عن شيخه أبي القاسم بن المأمون
قال كانت لنا قصعة من قصاع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فكنا نجعل فيها الماء
للمرضى فيستشفون بها ● وأخذ جهجاه الغفاري القضيب من يد عثمان

ليكثرة على ركبته فصاح الناس به فأخذ ثمّ فيها الأكلة فقطعها ومات
قبل الحول ● وبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم من فضل وضوئه في بئر قبا فما نزفت
بعد ● وبصق صلى الله عليه وسلم في بئر كانت في دار أنس فلم يكن بالمدينة أعذب
منها ● ومر صلى الله تعالى عليه وسلم على ماء فسأل عنه فقيل له اسمه بيسان
وماؤه ملح فقال بل هو نعمان وماؤه طيب فطاب ● وأتي صلى الله عليه وسلم
بدلو من ماء زمزم فمجّ فيه فعاد أطيب من المسك ● وأعطى الحسن و
الحسين عليهما السلام لسانه صلى الله عليه وسلم فمصّاه وكانا يبكيان عطشًا
فسكتا ● وكانت لأم مالك عكة تهدي فيها للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
سمنًا فأمرها صلى الله عليه وسلم أن لا تعصرها ثم دفعها إليها فإذا هي مملوءة
سمنًا فيأتيها بنوها يسألونها الأدم وليس عندهم شيء فتعمد إليها فتجد
فيها سمنًا فكانت تقيم أدمها حتى عصرتها ● وكان صلى الله تعالى عليه وسلم
يتفل في أفواه الصبيان المراضيع فيجزيهم ريقه إلى الليل ● ومن ذلك بركة
يده عليه السلام فيما لمسه وغرسه لسلمان حين كاتبه مواليه على ثلاثمائة ودية
يغرسها لهم كلها تعلق وتطعم وعلى أربعين أوقية من ذهب فقام صلى الله عليه وسلم
فغرسها له بيده إلا واحدة غرسها غيره فأخذت كلها إلا تلك الواحدة فقلعها
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وردها فأخذت ● وفي كتاب البزار فأطعم
النخل من عامه إلا الواحدة فقلعها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وغرسها
فأطعمت من عامها ● وأعطاه مثل بيضة الدجاجة من ذهب بعد أن
أدارها على لسانه فوزن منها لمواليه أربعين أوقية وبقي عنده مثل ما أعطاهم
● وفي حديث حنش بن عقيل سقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة من سويق
شربت أولها وشربت آخرها فما برحت أجد شبعها إذا جعت وريّها إذا عطشت
وبردها إذا ظمئت ● وأعطى صلى الله تعالى عليه وسلم قتادة ابن النعمان
وصلى معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة عرجونًا وقال انطلق به فإنه
سيضيء لك من بين يديك عشرًا ومن خلفك عشرًا فإذا دخلت بيتك فسترى
سوادًا فاضربه حتى يخرج فإنه الشيطان فانطلق فأضاء له العرجون

حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج ● ومنها دفعه صلى الله عليه وسلم
لعكاشة جذل حطب وقال اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر فعاد في
يده سيفًا صارمًا طويل القامة أبيض شديد المتن فقاتل به ثم لم يزل
عنده يشهد به المواقف إلى أن استشهد في قتال أهل الردة وكان هذا
السيف يسمى العون ● ودفعه لعبد الله بن جحش يوم أحد وقد ذهب
سيفه عسيب نخل فرجع في يده سيفًا ● ومنه بركته صلى الله تعالى عليه وسلم
في درور الشياه الحوائل باللبن الكثير كقصة شاة أم معبد وأعنز معاوية
بن ثور وشاة أنس وغنم حليمة مرضعته وشارفها وشاة عبد الله بن مسعود
وكانت لم ينز عليها فحل وشاة المقداد ● ومن ذلك تزويده صلى الله عليه وسلم
أصحابه رضي الله عنهم سقاء ماء بعد أن أوكاه ودعا فيه فلما حضرتهم الصلاة
نزلوا فحلّوه فإذا به لبن حليب طيب وزبدة في فيه من رواية حماد بن سلمة
ومسح صلى الله تعالى عليه وسلم على رأس عمير بن سعد وبرّك فمات وهو ابن
ثمانين فما شاب ● وروي مثل هذه القصص عن غير واحد منهم السائب بن
يزيد ومدلوك وكان يوجد لعتبة بن فرقد طيب يغلب طيب نسائه لأن
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مسح بيديه على بطنه وظهره ● وسلت
الدم عن وجه عائذ بن عمرو وكان جرح يوم حنين ودعا له صلى الله عليه وسلم
فكانت له غرة كغرة الفرس ● ومسح صلى الله تعالى عليه وسلم على رأس
قيس بن زيد الجذامي ودعا له فهلك ابن مائة سنة ورأسه أبيض وموضع
كف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وما مرت يده عليه من شعره أسود وكان يدعى الأغر
● وروي مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني ● ومسح صلى الله تعالى عليه
وجه آخر فما زال على وجهه نور ● ومسح صلى الله تعالى عليه وسلم وجه قتادة
بن ملحان فكان لوجهه بريق حتى كان ينظر في وجهه كما ينظر في المرآة ●
ووضع يده صلى الله تعالى عليه وسلم على رأس حنظلة بن حذيم وبرّك عليه
فكان حنظلة يؤتى بالرجل قد ورم وجهه والشاة قد ورم ضرعها فيوضع
على موضع كف النبي صلى الله عليه وسلم فيذهب الورم ● ونضح صلى الله تعالى عليه وسلم

في وجه زينب بنت أم سلمة نضحة من ماء فما يعرف كان في وجه امرأة من الجمال ما بها ● ومسح صلى الله تعالى عليه وسلم على رأس صبي به عاهة فبرئ واستوى شعره ● وروي مثله في خبر المهلب بن قبالة وعلى غير واحد من الصبيان المرضى والمجانين فبرؤوا ● وأتاه صلى الله تعالى عليه وسلم رجل به أدرة فأمره أن ينضحها بماء من عين مج فيها ففعل فبرأ ● وعن طاووس قال لم يؤت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بأحد به مس فصك صدره إلا ذهب المس ● ومج صلى الله تعالى عليه وسلم في دلو من بئر ثم صب فيها ففاح منها ريح المسك ● وأخذ صلى الله تعالى عليه وسلم قبضة من تراب يوم حنين ورمى بها في وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه فانصرفوا يمسحون القذى عن أعينهم ● وشكى إليه صلى الله تعالى عليه وسلم أبو هريرة النسيان فأمره ببسط ثوبه وغرف بيده فيه ثم أمره بضمه ففعل فما نسي شيئا بعد ● وضرب صلى الله تعالى عليه وسلم صدر جرير بن عبد الله ودعا له وكان لا يثبت على الخيل فصار من أفرس العرب وأثبتهم ● ومسح صلى الله عليه وسلم رأس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو صغير وكان دميما ودعا له بالبركة ففرع الرجال طولا وتماما

فصل ومن ذلك ما أطلع عليه صلى الله عليه وسلم من الغيوب وما يكون والأحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره ● وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب ● ثنا الإمام أبو بكر محمد بن الوليد الفهري إجازة وقراءة على غيره قال أبو بكر ثنا أبو علي التستري ● ثنا أبو عمر الهاشمي ثنا اللؤلؤي ثنا أبو داود ثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا جرير عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة رضي الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدثه حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابي هؤلاء وإنه ليكون منه الشيء فأعرفه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه ● ثم قال حذيفة ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوه والله ما ترك

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعدا إلا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه وقبيلته ● وقال أبو ذر لقد تركنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكرنا منه علما ● وقد خرج أهل الصحيح والأئمة ما أعلم به أصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم مما وعدهم به من الظهور على أعدائه وفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق وظهور الأمن حتى تظعن المرأة من الحيرة إلى مكة لا تخاف إلا الله وأن المدينة ستغزى وتفتح خيبر على يدي علي رضي الله عنه في غد يومه وما يفتح الله على أمته من الدنيا ويؤتون من زهرتها وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر ● وما يحدث بينهم من الفتن والاختلاف والأهواء وسلوك سبيل من قبلهم وافتراقهم على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منها واحدة وأنهم سيكون لهم أنماط ويغدو أحدهم في حلة ويروح في أخرى ويوضع بين يديه صحفة وترفع أخرى ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة ● ثم قال آخر الحديث وأنتم اليوم خير منكم يومئذ وأنهم إذا مشوا المطيطاء وخدمتهم بنات فارس والروم رد الله بأسهم بينهم وسلط شرارهم على خيارهم وقتالهم الترك والخزر والروم وذهاب كسرى وفارس حتى لا كسرى ولا فارس بعده وذهاب قيصر حتى لا قيصر بعده ● وذكر أن الروم ذات قرون إلى آخر الدهر وبذهاب الأمثل فالأمثل من الناس وتقارب الزمان وقبض العلم وظهور الجهل والهرج ● وقال ويل للعرب من شر قد اقترب وأنه زويت له الأرض فأري مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمته ما زوي له منها ● فكذلك كان امتدت في المشارق والمغارب ما بين أرض الهند أقصى المشرق إلى بحر طنجة حيث لا عمارة وراءه ● وذلك ما لم تملكه أمة من الأمم ولم تمتد في الجنوب ولا في الشمال مثل ذلك ● وقوله صلى الله عليه وسلم لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ● ذهب ابن المديني إلى أنهم العرب لأنهم المختصون بالسقي بالغرب وهي الدلو وغيره يذهب

إلى انهم أهل المغرب ● وقد ورد المغرب كذا في الحديث بمعناه وفي حديث
آخر من رواية أبي أمامة لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق قاهرين
لعدوهم حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك ● قيل يا رسول الله وأين هم
قال ببيت المقدس وأخبر صلى الله تعالى عليه وسلم بملك بني أمية وولاية
معاوية ووصاه واتخاذ بني أمية مال الله دولا ● وخروج ولد العباس
بالرايات السود وملكهم أضعاف ما ملكوا ● وخروج المهدي وما ينال
أهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم وقتل علي رضي الله عنه وأن أشقاها الذي يخضب
هذه من هذه أي لحيته من رأسه وأنه قسيم النار يدخل أولياؤه الجنة
وأعداؤه النار فكان فيمن عاداه الخوارج والناصبة وطائفة ممن
ينسب إليه من الروافض كفروه ● وقال صلى الله عليه وسلم يقتل عثمان
رضي الله تعالى عنه وهو يقرأ في المصحف وأن الله عسى أن يلبسه قميصا
وأنهم يريدون خلعه وأنه سيقطر دمه على قوله تعالى فسيكفيكهم الله
وأن الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا وبمحاربة الزبير لعلي رضي الله عنهما و
بنباح كلاب الحوأب على بعض أزواجه وأنه يقتل حولها قتلى كثيرة وتنجو بعد
ما كادت فنبحت على عائشة رضي الله عنها عند خروجها إلى البصرة وأن عمارا تقتله
الفئة الباغية فقتله أصحاب معاوية ● وقال صلى الله تعالى عليه وسلم لعبد الله
بن الزبير ويل للناس منك وويل لك من الناس ● وقال صلى الله عليه وسلم
في قزمان وقد أبلى مع المسلمين إنه من أهل النار فقتل نفسه ● وقال في جماعة
فيهم أبو هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة آخركم موتا في النار فكان بعضهم
يسأل عن بعض وكان سمرة آخرهم موتا هرم وخرف فاصطلى بالنار فاحترق
فيها ● وقال صلى الله تعالى عليه وسلم في حنظلة الغسيل رضي الله عنه سلوا زوجته
عنه فإني رأيت الملائكة تغسله فقالت إنه خرج جنبا وأعجله الحال عن الغسل
قال أبو سعيد رضي الله عنه فوجدنا رأسه يقطر ماء ● وقال صلى الله عليه وسلم الخلافة
في قريش ولن يزال هذا الأمر في قريش ما أقاموا الحق ● وقال صلى الله عليه وسلم
يكون في ثقيف كذاب ومبير فرأوهما الحجاج والمختار وبأن مسيلمة يعقره

الله تعالى وأن فاطمة رضي الله عنها أول أهله لحوقا به ● وأنذر بالردة وبأن
الخلافة بعده ثلاثون سنة ● ثم ملكا فكانت كذلك بمدة الحسن بن علي
● وقال صلى الله تعالى عليه وسلم إن هذا الأمر بدأ نبوة ورحمة ثم يكون رحمة
وخلافة ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون عتوا وجبروتا وفسادا في الأمة
● وأخبر صلى الله تعالى عليه وسلم بشأن أويس القرني وبأمراء يؤخرون
الصلاة عن وقتها وسيكون في أمته ثلاثون كذابا فيهم أربع نسوة ●
وفي حديث آخر ثلاثون دجالا كذابا آخرهم الدجال الكذاب كلهم يكذب
على الله ورسوله ● وقال صلى الله تعالى عليه وسلم يوشك أن يكثر فيكم
العجم يأكلون فيئكم ويضربون رقابكم ولا تقوم الساعة حتى يسوق
الناس بعصاه رجل من قحطان ● وقال عليه السلام خيركم قرني ثم الذين
يلونهم ثم يأتي بعد ذلك قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون
ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ● وقال صلى الله تعالى عليه وسلم لا يأتي
زمان إلا والذي بعده شر منه ● وقال صلى الله تعالى عليه وسلم هلاك أمتي
على يدي أغيلمة من قريش قال أبو هريرة رضي الله عنه راويه لو شئت سميتهم لكم بنو فلان وبنو فلان
والرافضة وسب آخر هذه الأمة أولها وقلة الأنصار حتى يكونوا كالملح في
الطعام فلم يزل أمرهم يتبدد حتى لم يبق لهم جماعة وأنهم سيلقون
بعده أثرة ● وأخبر صلى الله تعالى عليه وسلم بشأن الخوارج و
صفتهم والمخدج الذي فيهم وأن سيماهم التحليق ويرى رعاء الغنم رؤس
الناس والعراة الحفاة يتبارون في البنيان وأن تلد الأمة ربتها وأن قريشا
والأحزاب لا يغزونه أبدا وأنه هو صلى الله تعالى عليه وسلم يغزوهم ● و
أخبر صلى الله تعالى عليه وسلم بالموتان الذي يكون بعد فتح بيت المقدس وما
وعد صلى الله عليه وسلم من سكنى البصرة وأنهم يغزون في البحر كالملوك على الأسرة
وأن الدين لو كان منوطا بالثريا لناله رجال من أبناء فارس ● وهاجت ريح
في غزاته صلى الله عليه وسلم فقال هاجت لموت منافق فلما رجعوا إلى المدينة وجدوا
ذلك ● وقال صلى الله تعالى عليه وسلم لقوم من جلسائه ضرس أحدكم في النار

أعظم من أحد قال أبو هريرة رضي الله عنه فذهب القوم يعني ماتوا وبقيت
أنا ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامة ● وأعلم عليه السلام بالذي غل خرزا
من خرز يهود فوجدت في رحله وبالذي غل الشملة وحيث هي ناقته
عليه السلام حين ضلت وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها وبشأن كتاب حاطب
إلى أهل مكة وبقضية عمير مع صفوان حين ساره وشارطه على قتل
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ● فلما جاء عمير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
قاصدا لقتله وأطلعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الأمر والسر
أسلم ● وأخبر صلى الله تعالى عليه وسلم بالمال الذي ترك عمه العباس
عند أم الفضل بعد أن كتمه فقال ما علمه غيري وغيرها فأسلم ● وأعلم
صلى الله تعالى عليه وسلم بأنه سيقتل أبي بن خلف وفي عتبة بن أبي لهب
أنه يأكله كلب الله وعن مصارع أهل بدر فكان كما قال ● وقال صلى الله
تعالى عليه وسلم في الحسن رضي الله عنه إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به
بين فئتين عظيمتين ولسعد لعلك أن تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويستضر بك
آخرون ● وأخبر عليه السلام بقتل أهل مؤتة يوم قتلوا وبينهم مسيرة
شهر أو أزيد ● وبموت النجاشي يوم مات وهو بأرضه وأخبر
فيروز إذ ورد عليه رسولا من كسرى بموت كسرى ذلك اليوم فلما
حقق فيروز القصة أسلم ● وأخبر عليه السلام أبا ذر بتطريده كما كان
ووجده في المسجد نائما فقال له كيف بك إذا أخرجت منه قال أسكن المسجد
الحرام قال فإذا أخرجت منه الحديث وبعيشه وحده وبموته وحده
● وأخبر صلى الله تعالى عليه وسلم أن أسرع أزواجه لحوقا به أطولهن يدا
فكانت زينب لطول يدها في الصدقة ● وأخبر صلى الله تعالى عليه وسلم
بقتل الحسين بالطف وأخرج عليه السلام بيده تربة وقال فيها مضجعه
● وقال في زيد بن صوحان يسبقه عضو منه إلى الجنة فقطعت يده
في الجهاد ● وقال صلى الله عليه وسلم في الذين كانوا معه على حراء اثبت حراء فإنما
عليك نبي وصديق وشهيد فقتل علي وعمر وعثمان وطلحة والزبير وطعن سعد

سعد رضي الله تعالى عنهم ● وقال لسراقة كيف بك إذا لبست سواري كسرى
فلما أتي بهما عمر ألبسهما إياه وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى وألبسهما
سراقة ● وقال صلى الله تعالى عليه وسلم تبنى مدينة بين دجلة ودجيل و
قطربل والصراة تجبى إليها خزائن الأرض يخسف بها يعني بغداد ● وقال
صلى الله تعالى عليه وسلم سيكون في هذه الأمة رجل يقال له الوليد هو شر
لهذه الأمة من فرعون لقومه ● وقال صلى الله تعالى عليه وسلم لا تقوم
الساعة حتى تقتتل فئتان دعواهما واحدة ● وقال صلى الله تعالى عليه وسلم
لعمر رضي الله عنه في سهيل بن عمرو وعسى أن يقوم مقاما يسرك يا عمر وكان
كذلك قام بمكة مقام أبي بكر رضي الله عنه يوم بلغهم موت النبي صلى الله عليه وسلم
وخطبهم بنحو خطبته وثبتهم وقوى بصائرهم ● وقال صلى الله عليه وسلم
لخالد رضي الله تعالى عنه حين وجهه لأكيدر إنك تجده يصيد البقر فوجدت
هذه الأمور كلها في حياته وبعد موته كما قال فقال صلى الله عليه وسلم إلى
ما أخبر به جلساءه من أسرارهم وبواطنهم واطلع عليه من أسرار المنافقين
وكفرهم وقولهم فيه وفي المؤمنين حتى إن كان بعضهم يقول لصاحبه اسكت
فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لأخبرته حجارة البطحاء ● وإعلامه
صلى الله تعالى عليه وسلم بصفة السحر الذي كان سحره به لبيد بن الأعصم
وكونه في مشط ومشاطة في جف طلع نخلة ذكر وأنه ألقي في بئر ذروان
فكان كما قال عليه السلام ووجد على الصفة ● وإعلامه صلى الله عليه وسلم قريشا
بأكل الأرضة ما في صحيفتهم التي تظاهروا بها على بني هاشم وقطعوا بها رحمهم
وأنها أبقت فيها كل اسم لله فوجدوها كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم ● ووصفه
صلى الله تعالى عليه وسلم لكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه في خبر الإسراء
ونعته إياه نعت من عرفه ● وإعلامهم بعيرهم التي مر عليها في طريقه
وإنذارهم بوقت وصولها فكان كله كما قال صلى الله عليه وسلم ● إلى ما أخبر به
من الحوادث التي تكون ولم تأت بعد منها ما ظهرت مقدماتها ● كقوله صلى الله عليه وسلم
عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة

فتح قسطنطينية • ومن اشراط الساعة وآيات حلولها وذكر النشر والحشر
واخبار الابرار والفجار والجنة والنار وعرصات القيمة • وبحسب هذا
الفصل ان يكون ديوانا مفردا يشتمل على اجزاء وحده • وفيما اشرنا اليه
من نكت الاحاديث التي ذكرناها كفاية واكثرها في الصحيح وعند الائمة والله
المستعان • **فصل في عصمة الله تعالى من الناس** وكفايته عليه السلام من
اذاه قال الله تعالى والله يعصمك من الناس وقال تعالى واصبر لحكم ربك فانك
باعيننا وقال تعالى اليس الله بكاف عبده قيل بكاف محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم اعداءه
المشركين وقيل غير هذا • وقال تعالى انا كفيناك المستهزئين وقال تعالى
واذ يمكر بك الذين كفروا الاية • انا القاضي الشهيد ابو علي الصدفي بقراءتي
عليه والفقيه الحافظ ابو بكر محمد بن عبد الله المعافري قالا ثنا ابو الحسين
الصيرفي • قال ثنا ابو يعلى البغدادي ثنا ابو علي السنجي ثنا ابو العباس
المروزي ثنا ابو عيسى الحافظ • ثنا عبد بن حميد ثنا مسلم بن ابرهيم ثنا
الحرث بن عبيد عن سعيد الجريري عن عبد الله بن شقيق • عن عائشة رضي الله عنها
قالت كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الاية والله
يعصمك من الناس فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة فقال لهم
يا ايها الناس انصرفوا فقد عصمني ربي عز وجل • وروي ان النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اختار له اصحابه رضي الله عنهم شجرة
يقيل تحتها فاتاه اعرابي فاخترط سيفه ثم قال من يمنعك مني فقال الله
فرعدت يد الاعرابي وسقط السيف وضرب براسه الشجرة حتى سال دماغه
فنزلت الاية • وقد رويت هذه القصة في الصحيح وان غورث بن الحارث
صاحب هذه القصة وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عفا عنه فرجع الى
قومه وقال جئتكم من عند خير الناس • وقد حكيت مثل هذه الحكاية
انها جرت له يوم بدر وقد انفرد من اصحابه لقضاء حاجته فتبعه رجل من
المنافقين وذكر مثله • وقد روي انه وقع له مثلها في غزوة غطفان
بذي امر مع رجل اسمه غورث بن الحارث وان الرجل اسلم فلما رجع الى قومه

الذين

الذين اغراه وكان سيدهم واشجعهم قالوا له اين ما كنت تقول وقد
امكنك فقال اني نظرت الى رجل ابيض طويل دفع في صدري فوقعت
لظهري وسقط السيف من يدي فعرفت انه ملك فاسلمت • قيل وفيه
نزلت يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا
اليكم ايديهم الاية • وفي رواية الخطابي ان غورث بن الحارث المحاربي
اراد ان يفتك بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يشعر به الا وهو قائم على
راسه منتضيا سيفه • فقال اللهم اكفنيه بما شئت فانكب لوجهه
من زلخة زلخها بين كتفيه وندر سيفه من يده الزلخة وجع الظهر •
وقيل في قصته غير هذا • وذكر ان فيه نزلت يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمت
الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم الاية • وقيل كان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم يخاف قريشا فلما نزلت هذه الاية استلقى ثم قال
من شاء ان يخذلني • وذكر عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب تضع
العضاه وهي جمرة على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم • فكانما
يطاها كثيبا اهيل • وذكر ابن اسحق عنها انها لما بلغها نزول تبت يدا
ابي لهب وذكرها بما ذكرها الله تعالى مع زوجها من الذم اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو جالس في المسجد ومعه ابو بكر رضي الله عنه وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت
عليهما لم تر الا ابا بكر واخذ الله ببصرها عن نبيه صلى الله عليه وسلم • فقالت
يا ابا بكر اين صاحبك فقد بلغني انه يهجوني والله لو وجدته لضربت
بهذا الفهر فاه • وعن الحكم بن ابي العاص تواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم
حتى اذا رايناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا انه بقي بتهامة احد فوقعنا
مغشيا علينا فما افقنا حتى قضى صلاته ورجع الى اهله • ثم تواعدنا ليلة
اخرى فجئنا حتى اذا رايناه جاءت الصفا والمروة فحالت بيننا وبينه •
وعن عمر رضي الله عنه قال تواعدت انا وابو جهم بن حذيفة ليلة قتل رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فجئنا منزله فتسمعنا له فافتتح وقرا الحاقة ما الحاقة
الى فهل ترى لهم من باقية فضرب ابو جهم على عضد عمر وقال انج وفرا هاربين

فكانت من مقدمات اسلام عمر ● ومنه العبرة المشهورة والكفاية
التامة عندما اخافته قريش واجمعت على قتله صلى الله تعالى عليه وسلم ●
وبيتوه فخرج عليهم من بيته فقام على رؤسهم وقد ضرب الله تعالى على ابصارهم
وذر التراب على رؤسهم وخلص منهم ● وحمايته عن رؤيتهم في الغار
بما هيأ الله له من الايات ومن العنكبوت الذي نسج عليه حتى قال امية
بن خلف حين قالوا ندخل الغار ما اربكم فيه وعليه من نسج العنكبوت
ما ارى انه لمن قبل ان يولد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ووقفت
حمامتان على فم الغار ● فقالت قريش لو كان فيه احد لما كانت هناك
الحمام ● وقصته صلى الله تعالى عليه وسلم مع سراقة بن مالك بن جعشم
حين الهجرة وقد جعلت قريش فيه وفي ابي بكر الجعائل فانذر به مالك
فركب فرسه واتبعه حتى قرب منه دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فساخت
قوايم فرسه فخر عنها واستقسم بالازلام فخرج له ما يكره ثم ركب
ودنى حتى سمع قراءة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر
يلتفت فقال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم أُتينا فقال لا تحزن ان الله معنا
فساخت ثانية الى ركبتيها وخر عنها فزجرها فنهضت ولقوايمها مثل
الدخان فناداهم بالامان فكتب له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم امانا كتبه
ابن فهيرة وقيل ابو بكر واخبرهم بالاخبار وامره النبي صلى الله عليه وسلم
ان لا يترك احدا يلحق بهم فانصرف يقول للناس كفيتم ما هاهنا وقيل
بل قال لهما اراكما دعوتما علي فادعوا لي فنجا ● ووقع في نفسه ظهور النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم ● وفي خبر آخر ان راعيا عرف خبرهما فخرج ليشتد
ليعلم قريشا فلما ورد مكة ضرب الله على قلبه فما يدري ما يصنع
وانسي ما خرج له حتى رجع الى موضعه ● وجاءه صلى الله تعالى عليه وسلم
فيما ذكر ابن اسحق وغيره ابو جهل بصخرة وهو ساجد وقريش ينظرون
ليطرحها عليه فلزقت بيده ويبست يداه الى عنقه واقبل يرجع القهقرى
الى خلفه ثم سأله ان يدعو له ففعل فانطلقت يداه وكان قد تواعد

مع قريش بذلك وحلف لئن رآه ليدمغنه فسألوه عن شأنه فذكر
انه عرض له دونه فحل ما رأيت مثله قط هم بي ان يأكلني فقال
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ذاك جبريل ولو دنا لاخذه ● وذكر
السمرقندي ان رجلا من بني المغيرة اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وسمع قوله فرجع الى اصحابه ولم يرهم حتى نادوه ● وذكر ان في
هاتين القصتين نزلت انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الايتين ● ومن
ذلك ما ذكره ابن اسحق في قصته اذ خرج الى بني قريظة في اصحابه
فجلس الى جدار بعض آطامهم فانبعث عمرو بن جحاش احدهم
ليطرح عليه رحى فقام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فانصرف
الى المدينة واعلمهم بقصتهم ● وقد قيل ان قوله تعالى يا ايها الذين
آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم في هذه القصة نزلت
وحكى السمرقندي انه خرج الى بني النضير يستعين في عقل الكلابيين
اللذين قتل عمرو بن امية فقال له حيي بن اخطب اجلس يا ابا القاسم
حتى نطعمك ونعطيك ما سألتنا فجلس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
مع ابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما وتوامر حيي معهم على قتله فاعلم جبريل
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فقام كأنه يريد حاجة حتى دخل
المدينة ● وذكر اهل التفسير ومعنى الحديث عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه
ان ابا جهل وعد قريشا لئن رأى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم يصلي ليطأن
رقبته فلما صلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اعلموه فاقبل فلما قرب
منه ولى هاربا ناكصا على عقبيه متقيا بيديه ● فسئل فقال لما دنوت
منه اشرفت على خندق مملوء نارا كدت اهوي فيه وابصرت هولا
عظيما وخفق اجنحة قد ملأت الارض فقال صلى الله تعالى عليه وسلم
تلك الملائكة لو دنا لاختطفته عضوا عضوا ● ثم انزل على النبي صلى الله عليه وسلم
كلا ان الانسان ليطغى الى آخر السورة ● ويروى ان رجلا يعرف بشيبة
ادركه يوم حنين وكان حمزة رضي الله عنه قد قتل اباه وعمه فقال اليوم ادرك

صوابه النضير

الكلابيين

بلغ مقابلة

ابن عثمان الجمحي

فانطلقن

ليعلم

ثاري من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ● فلما اختلط الناس أتاه من خلفه
ورفع سيفه ليصبه قال فلما دنوت منه ارتفع إلي شواظ من نار
أسرع من البرق فوليت هاربا وأحس بي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فدعاني فوضع يده على صدري وهو أبغض الخلق إلي فما رفعها إلا وهو
أحب الخلق إلي ● وقال لي ادن فقاتل فتقدمت أمامه أضرب بسيفي
وأقيه بنفسي ولو لقيت أبي تلك الساعة لأوقعت به دونه وعن فضالة
بن عمرو ● قال أردت قتل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عام الفتح وهو
يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال أفضالة قلت نعم قال ما كنت
تحدث به نفسك قلت لا شيء فضحك واستغفر لي ووضع يده على صدري
فسكن قلبي فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله شيئا أحب إلي منه ●
ومن مشهور ذلك خبر عامر بن الطفيل وأربد بن قيس حين وفدا على النبي
صلى الله عليه وسلم وكان عامر قال له أنا أشغل عنك وجه محمد صلى الله عليه وسلم
فاضربه أنت فلم يره فعل شيئا من ذلك فلما كلمه في ذلك قال له والله
ما هممت أن أضربه إلا وجدتك بيني وبينه أفأضربك ● ومن عصمته
له تعالى أن كثيرا من اليهود والكهنة أنذروا به وعينوه لقريش وأخبروهم
بسطوته بهم وحضوهم على قتله فعصمه الله حتى بلغ فيه أمره ● ومن ذلك
نصره بالرعب مسيرة شهر كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم **فصل ومن معجزاته
الباهرة** ما جمعه الله تعالى له من المعارف والعلوم وخصه به من الاطلاع
على جميع مصالح الدنيا والدين ● ومعرفته صلى الله تعالى عليه وسلم بأمور
شرائعه وقوانين دينه وسياسة عباده ومصالح أمته وما كان في الأمم
قبله وقصص الأنبياء والرسل والجبابرة والقرون الماضية من لدن
آدم عليه السلام إلى زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم وحفظ شرائعهم وكتبهم
ووعي سيرهم وسرد أنبائهم وأيام الله فيهم وصفات أعيانهم واختلاف
آرائهم والمعرفة بأعمارهم ومددهم وحكم حكمائهم ومحاجة كل أمة من الكفرة
ومعارضة كل فرقة من الكتابيين بما في كتبهم وإعلامهم بأسرارها ومخبآت

اختلف ن
عصمة الله ن

علومها

علومها وأخبارهم بما كتموه من ذلك وغيروه إلى الاحتواء على لغات العرب
وغريب ألفاظ فرقها والإحاطة بضروب فصاحتها والحفظ لأيامها و
أمثالها وحكمها ومعاني أشعارها والتخصيص بجوامع كلمها إلى المعرفة بضرب
الأمثال الصحيحة والحكم البينة لتقريب التفهيم للغامض والتبيين للمشكل
إلى تمهيد قواعد الشرع الذي لا تناقض فيه ولا تخاذل مع اشتمال شريعته
على محاسن الأخلاق ومحامد الآداب ● وكل شيء مستحسن مفضل لم ينكر
منه ملحد ذو عقل سليم شيئا إلا من جهة الخذلان بل كل جاحد له وكافر
من الجاهلية به إذا سمع ما يدعو إليه صوبه واستحسنه دون إقامة
برهان عليه ثم ما أحل لهم من الطيبات وحرم عليهم من الخبائث وصان به
أنفسهم وأعراضهم وأموالهم من المعاقبات والحدود عاجلا والتخويف بالنار
آجلا إلى الاحتواء على ضروب العلوم وفنون المعارف كالطب والعبارة
والفرائض والحساب والنسب وغير ذلك من العلوم مما اتخذ أهل هذه
المعارف كلامه عليه السلام فيها قدوة وأصولا في علمهم ● كقوله عليه السلام
الرؤيا لأول عابر وهي على رجل طائر ● وقوله عليه السلام الرؤيا ثلاث
رؤيا حق ورؤيا يحدث بها المرء نفسه ورؤيا تحزين من الشيطان ●
وقوله إذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب ● وقوله أصل
كل داء البردة ● وما روي عنه في حديث أبي هريرة من قوله المعدة حوض
البدن والعروق إليها واردة وإن كان هذا حديثا لا نصححه لضعفه وكونه
موضوعا تكلم عليه الدارقطني ● وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم خير
ما تداويتم به السعوط واللدود والحجامة والمشي وخير الحجامة يوم
سبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين ● وفي العود الهندي
سبعة أشفية ● وقوله عليه السلام ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن إلى
قوله فإن كان لا بد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس وقوله
عليه السلام وقد سئل عن سبأ أرجل هو أم امرأة أو أرض ● فقال رجل ولد عشرة
تيامن منهم ستة وتشاءم أربعة الحديث بطوله ● وكذلك جوابه في نسب

برهان ن
الرجل ن

قضاعة وغير ذلك مما اضطرت العرب على شغلها بالنسب الى سؤاله عليه السلام
عما اختلفوا فيه من ذلك ● وقوله عليه السلام حمير رأس العرب ونابها
ومذحج هامتها وغلصمتها والازد كاهلها وجمجمتها وهمدان غاربها وذروتها
● وقوله عليه السلام ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات
والارض ● وقوله عليه السلام في الحوض زواياه سواء ● وقوله عليه السلام
في حديث الذكر وان الحسنة بعشر فتلك مائة وخمسون على اللسان والف
وخمس مائة في الميزان ● وقوله عليه السلام وهو بموضع نعم موضع الحمام
هذا ● وقوله عليه السلام ما بين المشرق والمغرب قبلة ● وقوله عليه السلام
لعيينة او الاقرع انا افرس بالخيل منك ● وقوله عليه السلام لكاتبه ضع القلم
على اذنك فانه اذكر للممل هذا مع انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يكتب
ولكنه عليه السلام اوتي علم كل شيء حتى قد وردت آثار بمعرفته حروف الخط
وحسن تصويرها ● كقوله عليه السلام لا تمدوا بسم الله الرحمن الرحيم
رواه ابن شعبان من طريق ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ● وقوله في الحديث الآخر
الذي يروى عن معوية انه كان يكتب بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم
فقال له الق الدواة وحرف القلم واقم الباء وفرق السين ● ولا تعور
الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم ● وهذا وان لم تصح الرواية
انه عليه السلام كتب فلا يبعد ان يرزق علم هذا ويمنع الكتابة والقراءة
واما علمه عليه السلام بلغات العرب وحفظه معاني اشعارها فامر مشهور وقد [وحفظ معاني ن]
نبهنا على بعضه اول الكتاب ● وكذلك حفظه لكثير من لغات الامم كقوله
عليه السلام سنه سنه وهي حسنة بالحبشية ● وقوله عليه السلام في حديث ابي هريرة
اشكنب درد اي وجع البطن بالفارسية الى غير ذلك مما لا يعلم بعض هذا [دردم ن]
ولا يقوم به ولا ببعضه الا من مارس الدرس والعكوف على الكتب ومثافنة [الدروس ن]
اهلها عمره وهو رجل كما قال الله تعالى امي لم يكتب ولم يقرأ ولا عرف بصحبة
من هذه صفته ولا نشأ بين قوم لهم علم ولا قراءة لشيء من هذه الامور
ولا عرف هو قبل بشيء منها ● قال الله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه

بيمينك

بيمينك الآية ● انما كانت غاية معارف العرب النسب واخبار اوائلها
والشعر والبيان وانما حصل ذلك لهم بعد التفرغ لعلم ذلك والاشتغال
بطلبه ومباحثة اهله عنه وهذا الفن نقطة من بحر علمه صلى الله عليه وسلم
ولا سبيل الى جحد الملحد لشيء مما ذكرناه ولا وجد الكفرة حيلة في دفع
ما نصصناه الا قولهم الا قولهم اساطير الاولين ● وانما يعلمه بشر [قصصناه ن]
فرد الله تعالى قولهم بقوله لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي
مبين ● ثم ما قالوه مكابرة العيان فان الذي نسبوا تعليمه اليه اما
سلمان او العبد الرومي وسلمان انما عرفه بعد الهجرة ونزول الكثير من
القرآن وظهور ما لا ينعد من الآيات ● واما الرومي فكان اسلم وكان
يقرأ على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ● واختلف في اسمه وقيل بل كان
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يجلس عنده عند المروة وكلاهما اعجمي اللسان
وهم الفصحاء اللد والخطباء اللسن ● قد عجزوا عن معارضة ما اتى به
والاتيان بمثله بل عن فهم وصفه وصورة تأليفه ونظمه فكيف باعجمي الكن
نعم وقد كان سلمان او بلعام الرومي او يعيش او جبر او يسار على اختلافهم [يكلمونه ن]
في اسمه بين اظهرهم يكلمونهم مدى اعمارهم فهل حكي عن واحد منهم شيء
من مثل ما كان يجيء به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهل عرف واحد منهم بمعرفة
شيء من ذلك ● وما منع العدو حينئذ على كثرة عدده ودؤوب طلبه وقوة [طائفته ن]
حسده ان يجلس الى هذا فيأخذ عنه ايضا ما يعارض به ويتعلم منه ما يحتج به
على شيعته كفعل النضر بن الحارث بما كان يمخرق به من اخبار كتبه ● ولا [شيعته ن]
غاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن قومه ولا كثرت اختلافاته الى بلاد
اهل الكتاب فيقال انه استمد منهم بل لم يزل بين ظهورهم يرعى في صغره [بلاده ن]
وشبابه على عادة ابنائهم ● ثم لم يخرج عن بلادهم الا في سفرة او سفرتين
لم يطل فيها مكثه مدة يحتمل فيها تعليم القليل فكيف الكثير بل كان في سفره في [فيهما ن]
صحبة قومه ورفاقة عشيرته لم يغب عنهم ● ولا خالف حاله مدة مقامه
بمكة من تعليم او اختلاف الى حبر او قس او منجم او كاهن بل لو كان هذا بعد

كله لكان مجيء ما أتى به في معجز القرآن قاطعاً لكل عذر ومدحضاً لكل
حجة ومجلياً لكل أمر **فصل ومن خصائصه** صلى الله تعالى عليه وسلم
وكراماته وباهر آياته أنباؤه مع الملائكة والجن وإمداد الله له بالملائكة
وطاعة الجن له ورؤية كثير من أصحابه لهم ● قال الله تعالى وإن تظاهرا
عليه فإن الله هو مولاه وجبريل الآية ● وقال تعالى إذ يوحي ربك إلى
الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا ● وقال تعالى إذ تستغيثون ربكم
فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة الآيتين ● وقال تعالى وإذ صرفنا
إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن الآية ● حدثنا سفين بن العاصي
الفقيه بسماعي عليه ثنا أبو الليث السمرقندي قال ثنا عبد الغافر الفارسي
ثنا أبو أحمد الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا مسلم ثنا عبيد الله بن معاذ ثنا
أبي ثنا شعبة عن سليمان الشيباني سمع زر بن حبيش عن عبد الله ● قال
لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح ●
والخبر في محادثته مع جبريل وإسرافيل عليهما السلام وغيرهما من الملائكة
وما شاهده من كثرتهم وعظم صور بعضهم ليلة الإسراء مشهور
وقد رآهم بحضرته جماعة من أصحابه في مواطن مختلفة فرأى أصحابه
جبريل عليه السلام في صورة رجل يسأله عن الإيمان والإسلام ● ورأى ابن
عباس وأسامة وغيرهما عنده جبريل في صورة دحية ● ورأى سعد
على يمينه ويساره جبريل وميكائيل عليهما السلام في صورة رجلين عليهما
ثياب بيض ● ومثله عن غير واحد وسمع بعضهم زجر الملائكة خيلها
يوم بدر ● وبعضهم رأى تطاير الرؤوس من الكفار ولا يرون الضارب
● ورأى أبو سفين بن الحارث يومئذ رجالاً بيضاً على خيل بلق بين السماء
والأرض ما يقوم لها شيء وقد كانت الملائكة تصافح عمران بن الحصين
● وأرى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لحمزة جبريل عليه السلام في الكعبة فخر
مغشياً عليه ● ورأى عبد الله بن مسعود الجن ليلة الجن وسمع كلامهم
وشبههم برجال الزط ● وذكر ابن سعد رضي الله عنه أن مصعب بن عمير لما قتل

يوم أحد أخذ الراية ملك على صورته فكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
يقول له تقدم يا مصعب فقال له الملك لست بمصعب فعلم أنه ملك
● وقد ذكر غير واحد من المصنفين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال
بينا نحن جلوس مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ● إذ أقبل شيخ بيده عصا
فسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فرد عليه وقال نغمة الجن من أنت
قال أنا هامة بن الهيم بن لاقيس بن إبليس فذكر أنه لقي نوحاً ومن بعده
في حديث طويل وأن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم علمه سوراً من القرآن
● وذكر الواقدي قتل خالد عند هدمه العزى للسوداء التي خرجت له
ناشرة شعرها عرياً نة فجزلها بسيفه وأعلم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فقال له تلك العزى ● وقال عليه السلام إن شيطاناً تفلت علي البارحة
ليقطع علي صلاتي فأمكنني الله منه فأخذته فأردت أن أربطه إلى
سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم فذكرت دعوة أخي سليمان
رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي الآية فرده الله خاسئاً
● وهذا باب واسع ● صحيح فيما يحدث به
رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم ما ترادفت به الأخبار عن الرهبان والأحبار
وعلماء أهل الكتب من صفته صلى الله تعالى عليه وسلم وصفة أمته واسمه
وعلاماته وذكر الخاتم الذي بين كتفيه صلى الله تعالى عليه وسلم ● وما وجد
من ذلك في أشعار الموحدين المتقدمين من شعر تبع والأوس بن حارثة
وكعب بن لؤي وسفيان بن مجاشع وقس بن ساعدة وما ذكر عن سيف
بن ذي يزن وغيرهم ● وما عرف به من أمره زيد بن عمرو بن نفيل وورقة
بن نوفل وعثكلان الحميري وعلماء يهود وشامول عالمهم صاحب تبع من
صفته وخبره وما ألفي من ذلك في التوراة والإنجيل مما قد جمعه العلماء
وبينوه ونقله عنها ثقات من أسلم منهم مثل ابن سلام وابني سعية وابن
يامين ومخيريق وكعب وأشباههم ممن أسلم من علماء يهود وبحيرا ونصطورا
الحبشة وصاحب بصرى ● وضغاطر وأسقف الشام والجارود وسلمان

والنجاشي ونصارى الحبشة واساقف نجران وغيرهم ممن اسلم من علماء
النصارى ● وقد اعترف بذلك هرقل وصاحب رومة عالما النصارى
ورئيساهم ومقوقس صاحب مصر ● والشيخ صاحبه وابن صوريا
وابن اخطب واخوه وكعب بن اسد والزبير بن باطيا وغيرهم من علماء
اليهود ممن حمله الحسد والنفاسة على البقاء على الشقاء والاخبار
في هذا كثيرة لا تنحصر ● وقد قرع صلى الله تعالى عليه وسلم اسماع يهود
والنصارى بما ذكر انه في كتبهم من صفته وصفة اصحابه واحتج عليهم
بما انطوت عليه من ذلك صحفهم وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه وليهم
السنتهم ببيان امره ودعوتهم المباهلة على الكاذب فما منهم الا من
نفر عن معارضته وابداء ما الزمهم من كتبهم اظهاره ولو وجدوا خلاف
قوله لكان اظهاره اهون عليهم من بذل النفوس والاموال وتخريب
الديار ونبذ القتال ● وقد قال لهم قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان
كنتم صادقين ● الى ما انذر به الكهان مثل شافع بن كليب وشق
وسطيح وسواد بن قارب وخنافر وافعى نجران ● وجذل بن جذل
الكندي وابن خلصة الدوسي وسعد بن بنت كريز وفاطمة بنت النعمان
ومن لا يعد كثرة الى ما ظهر على السنة الاصنام من نبوته وحلول وقت
رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم ● وسمع من هواتف الجان ومن ذبايح
النصب واجواف الصور ● وما وجد من اسم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
والشهادة له بالرسالة مكتوبا في الحجارة والقبور بالخط القديم وما اكثره
مشهور واسلام من اسلم بسبب ذلك معلوم مذكور
فصل ومن ذلك
ما ظهر من الايات عند مولده صلى الله تعالى عليه وسلم وما حكته امه ومن
حضره من العجايب وكونه رافعا راسه عندما وضعته شاخصا ببصره
الى السماء وما راته من النور الذي خرج معه عند ولادته وما راته اذ ذاك
ام عثمان بن ابي العاص من تدلي النجوم وظهور النور عند ولادته حتى ما
تنظر الا النور ● وقول الشفا ام عبد الرحمن بن عوف لما سقط عليه السلام

بلغ مقابلة

على يدي واستهل سمعت قايلا يقول رحمك الله واضاء لي ما بين المشرق
والمغرب حتى نظرت الى قصور الروم وما تعرفت حليمة وزوجها ظئراه من
بركته ودرور لبنها له ولبن شارفها وخصب غنمها وسرعة شبابه وحسن
نشاته ● وما جرى من العجايب ليلة مولده من ارتجاج ايوان كسرى
وسقوط شرفاته وغيض بحيرة طبرية وخمود نار فارس وكان لها الف
سنة لم تخمد وانه كان اذا اكل معه عمه ابو طالب واله وهو صغير شبعوا
ورووا فاذا غاب واكلوا في غيبته عليه السلام لم يشبعوا وكان ساير ولد
ابي طالب يصبحون شعثا ويصبح هو صلى الله تعالى عليه وسلم صقيلا دهينا
كحيلا ● قالت ام ايمن حاضنته ما رايته صلى الله تعالى عليه وسلم شكا جوعا
ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا ● ومن ذلك حراسة السماء بالشهب وقطع
رصد الشياطين ومنعهم استراق السمع ● وما نشا عليه صلى الله عليه وسلم
من بغض الاصنام والعفة عن امور الجاهلية وما خصه الله به من ذلك
وحماه حتى في ستره في الخبر المشهور عند بناء الكعبة اذ اخذ ازاره
ليجعله على عاتقه ليحمل عليه الحجارة وتعرى فسقط الى الارض حتى رد ازاره
عليه فقال له عمه ما بالك قال اني نهيت عن التعري ● ومن ذلك
اظلال الله له بالغمام في سفره وفي رواية ان خديجة ونساءها راينه لما
قدم وملكان يظلانه فذكرت ذلك لميسرة فاخبرها انه راى ذلك منذ
خرج معه في سفره ● وقد روي ان حليمة رضي الله عنها رات غمامة تظله وهو
عندها ● وروي ذلك عن اخيه من الرضاعة ● ومن ذلك انه صلى الله عليه وسلم
نزل في بعض اسفاره قبل مبعثه تحت شجرة يابسة فاعشوشب ما حولها
وايتعت هي فاشرقت وتدلت عليه اغصانها بمحضر من راه وميل فيء الشجرة
اليه في الخبر الاخر حتى اظلته ● وما ذكر انه كان لا ظل لشخصه صلى الله عليه وسلم
في شمس ولا قمر لانه كان نورا وان الذباب كان لا يقع على جسده ولا ثيابه
● ومن ذلك تحبيب الخلوة اليه صلى الله عليه وسلم حتى اوحي اليه صلى الله عليه وسلم
ثم اعلامه بموته ودنو اجله وان قبره في المدينة وفي بيته وان بين بيته

وَمِنْبَرِهِ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ ● وَتَخْيِيرُ اللّٰهِ لَهُ عِنْدَ مَوْتِهِ وَمَا اشْتَمَلَ
عَلَيْهِ حَدِيثُ الْوَفَاةِ مِنْ كَرَامَاتِهِ وَتَشْرِيفِهِ وَصَلَاةُ الْمَلٰئِكَةِ عَلَى جَسَدِهِ عَلَى مَا
رَوَيْنَاهُ فِي بَعْضِهَا ● وَاسْتِيذَانِ مَلَكِ الْمَوْتِ عَلَيْهِ وَلَمْ يَسْتَأْذِنْ عَلَى غَيْرِهِ
قَبْلَهُ وَنِدَائِهِمُ الَّذِي سَمِعُوهُ أَنْ لَا تَنْزِعُوا الْقَمِيصَ عَنْهُ عِنْدَ غَسْلِهِ وَرُوِيَ
مِنْ تَعْزِيَةِ الْخَضِرِ وَالْمَلٰئِكَةِ أَهْلَ بَيْتِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ صَلَّى اللّٰهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ●
إِلَى مَا ظَهَرَ عَلَى أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ مِنْ كَرَامَتِهِ وَبَرَكَتِهِ فِي حَيَاتِهِ وَمَوْتِهِ كَاسْتِسْقَاءِ
عُمَرَ بِعَمِّهِ صَلَّى اللّٰهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَضِيَ عَنْهُمَا وَتَبَرُّكِ غَيْرِ وَاحِدٍ بِذُرِّيَّتِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

فَصْلٌ قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ رَحِمَهُ اللّٰهُ قَدْ أَتَيْنَا فِي هٰذَا الْبَابِ عَلَى نُكَتٍ مِنْ
مُعْجِزَاتِهِ صَلَّى اللّٰهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاضِحَاتٍ وَجُمَلٍ مِنْ عَلَامَاتِ نُبُوَّتِهِ مُقْنِعَةٍ فِي وَاحِدٍ
مِنْهَا الْكِفَايَةُ وَالْغُنْيَةُ وَتَرَكْنَا الْكَثِيرَ سِوَى مَا ذَكَرْنَا وَاقْتَصَرْنَا مِنَ الْأَحَادِيثِ الْ
غَرِيبِهَا عَلَى مَا صَحَّ وَاشْتَهَرَ إِلَّا يَسِيرًا مِنْ غَرِيبِهِ مِمَّا ذَكَرَهُ مَشَاهِيرُ الْأَئِمَّةِ وَحَذَفْنَا
الْإِسْنَادَ فِي جُمْهُورِهَا طَلَبًا لِلْاِخْتِصَارِ وَبِحَسْبِ هٰذَا الْبَابِ لَوْ تُقُصِّيَ أَنْ يَكُونَ دِيوَانًا
جَامِعًا يَشْتَمِلُ عَلَى مُجَلَّدَاتٍ عِدَّةٍ ● وَمُعْجِزَاتُ نَبِيِّنَا صَلَّى اللّٰهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَظْهَرُ مِنْ مُعْجِزَاتِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بِوَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا كَثْرَتُهَا وَأَنَّهُ لَمْ يُؤْتَ
نَبِيٌّ مُعْجِزَةً إِلَّا وَعِنْدَ نَبِيِّنَا صَلَّى اللّٰهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلُهَا أَوْ مَا هُوَ أَبْلَغُ مِنْهَا
وَقَدْ نَبَّهَ النَّاسُ عَلَى ذٰلِكَ فَإِنْ أَرَدْتَهُ فَتَأَمَّلْ فُصُولَ هٰذَا الْبَابِ وَمُعْجِزَاتِ
مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ تَقِفْ عَلَى ذٰلِكَ إِنْ شَاءَ اللّٰهُ تَعَالَى وَأَمَّا
كَوْنُهَا كَثِيرَةً فَهٰذَا الْقُرْآنُ وَكُلُّهُ مُعْجِزٌ وَأَقَلُّ مَا يَقَعُ الْإِعْجَازُ فِيهِ عِنْدَ بَعْضِ
أَئِمَّةِ الْمُحَقِّقِينَ ● سُورَةُ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ أَوْ آيَةٌ فِي قَدْرِهَا وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ
إِلَى أَنَّ كُلَّ آيَةٍ كَيْفَ كَانَتْ مُعْجِزَةٌ ● وَزَادَ آخَرُونَ أَنَّ كُلَّ جُمْلَةٍ مُنْتَظِمَةٍ مِنْهُ
مُعْجِزَةٌ وَإِنْ كَانَتْ مِنْ كَلِمَةٍ أَوْ كَلِمَتَيْنِ وَالْحَقُّ مَا ذَكَرْنَاهُ أَوَّلًا ● لِقَوْلِهِ تَعَالَى
فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ● فَهُوَ أَقَلُّ مَا تَحَدَّاهُمْ بِهِ مَعَ مَا يَنْصُرُ هٰذَا مِنْ نَظَرٍ
وَتَحْقِيقٍ يَطُولُ بَسْطُهُ وَإِذَا كَانَ هٰذَا فَفِي الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ مِنَ الْكَلِمَاتِ نَحْوٌ مِنْ
سَبْعَةٍ وَسَبْعِينَ أَلْفَ كَلِمَةٍ وَنَيِّفٍ عَلَى عَدَدِ بَعْضِهِمْ ● وَعَدَدُ كَلِمَاتِ إِنَّا
أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ عَشْرُ كَلِمَاتٍ فَيُجَزَّأُ الْقُرْآنُ عَلَى نِسْبَةِ عَدَدِ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال نعى لنا نبينا عليه السلام وحبيبنا بنفسه فابى ونفسي له الفداء قبل موته بشهر جمعنا في بيت امنا عائشة رضي الله عنها ثم نظر الينا فدمعت عيناه ثم تشوق فقال مرحبا بكم حياكم الله حفظكم الله نفعكم الله آواكم الله نصركم الله رفعكم الله قبلكم الله لا اخذكم الله اوصيكم بتقوى الله عز وجل اوصى الله بكم واستخلفه عليكم واذكركم الله واشهدكم انى لكم منه نذير وبشير ان لا تعلوا على عباده وبلاده فان الله تعالى قال لي ولكم تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين وقال اليس في جهنم مثوى للمتكبرين قلنا يا رسول الله متى اجلك قال دنى الاجل والمنقلب الى الله عز وجل والى سدرة المنتهى والى جنة المأوى والفردوس الاعلى والكأس الاوفى والعيش والحظ المهنى قلنا يا رسول الله فمن يغسلك قال رجل من اهل بيتي الادنى فالادنى قلنا ففيم نكفنك يا رسول الله قال في ثيابي هذه ان شئتم او في بياض مصر او في حلة يمانية قلنا فمن يصلي عليك قال وبكينا فقال مهلا يرحمكم الله وجزاكم عن نبيكم خيرا اذا انتم غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري ثم اخرجوا عني ساعة فان اول من يصلي علي جليسي وخليلي جبريل وميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت ثم جنوده بأجمعهم مع الملائكة عليهم السلام وليبدأ بالصلوة علي اهل بيتي رجالهم ونساؤهم ثم انتم بعد صلوا علي وسلموا تسليما ولا يؤذيكم احد وادخلوا علي فوجا فوجا ولا تؤذوني بتزكية ولا صوت وارفعوا انفسكم مني السلام ومن غاب عني من اصحابي فابلغوه مني السلام واشهدكم اني قد سلمت على من تبعني من اليوم الى يوم القيمة قلنا فمن يدخلك قبرك يا رسول الله قال رجال يتبعهم ملائكة كثيرة يرونكم من حيث لا ترونهم انتهى

كذا من الشفا

بعضهم الى ان كل آية

أَزْيَدَ مِنْ سَبْعَةِ آلَافِ جُزْءٍ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا مُعْجِزٌ فِي نَفْسِهِ ● ثُمَّ إِعْجَازُهُ
كَمَا تَقَدَّمَ بِوَجْهَيْنِ طَرِيقِ بَلَاغَتِهِ وَطَرِيقِ نَظْمِهِ فَصَارَ فِي كُلِّ جُزْءٍ مِنْ هٰذَا
الْعَدَدِ مُعْجِزَتَانِ فَتَضَاعَفَ الْعَدَدُ مِنْ هٰذَا الْوَجْهِ ● ثُمَّ فِيهِ وُجُوهُ إِعْجَازٍ
أُخَرَ مِنَ الْإِخْبَارِ بِعُلُومِ الْغَيْبِ فَقَدْ يَكُونُ فِي السُّورَةِ الْوَاحِدَةِ مِنْ هٰذِهِ
التَّجْزِئَةِ الْخَبَرُ عَنْ أَشْيَاءَ مِنَ الْغَيْبِ كُلُّ خَبَرٍ مِنْهَا بِنَفْسِهِ مُعْجِزَةٌ فَتَتَضَاعَفُ
الْعَدَدُ كَرَّةً أُخْرَى ● ثُمَّ وُجُوهُ الْإِعْجَازِ الْأُخَرُ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا تُوجِبُ التَّضْعِيفَ
هٰذَا فِي حَقِّ الْقُرْآنِ فَلَا يَكَادُ يَأْخُذُ الْعَدُّ مُعْجِزَاتِهِ وَلَا يَحْوِي الْحَصْرُ بَرَاهِينَهُ
● ثُمَّ الْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ وَالْأَخْبَارُ الصَّادِرَةُ عَنْهُ عَلَيْهِ الصَّلٰوةُ وَالسَّلَامُ
فِي هٰذِهِ الْأَبْوَابِ وَعَمَّنْ دَلَّ عَلَى أَمْرِهِ مِمَّا أَشَرْنَا إِلَى جُمْلَتِهِ يَبْلُغُ نَحْوًا مِنْ هٰذَا
● الْوَجْهُ الثَّانِي وُضُوحُ مُعْجِزَاتِهِ صَلَّى اللّٰهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ مُعْجِزَاتِ
الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كَانَتْ بِقَدْرِ هِمَمِ أَهْلِ زَمَانِهِمْ وَبِحَسَبِ الْفَنِّ الَّذِي سَمَا
فِيهِ قَرْنُهُ ● فَلَمَّا كَانَ زَمَنُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ غَايَةَ عِلْمِ أَهْلِهِ السِّحْرَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ
مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمُعْجِزَةٍ تُشْبِهُ مَا يَدَّعُونَ قُدْرَتَهُمْ عَلَيْهِ فَجَاءَهُمْ مِنْهَا مَا خَرَقَ
عَادَتَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ فِي قُدْرَتِهِمْ وَأَبْطَلَ سِحْرَهُمْ ● وَكَذٰلِكَ زَمَنُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ
أَغْنَى مَا كَانَ الطِّبُّ وَأَوْفَرَ مَا كَانَ أَهْلُهُ فَجَاءَهُمْ أَمْرٌ لَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ وَأَتَاهُمْ
مَا لَمْ يَحْتَسِبُوهُ مِنْ إِحْيَاءِ الْمَيِّتِ وَإِبْرَاءِ الْأَكْمَهِ وَالْأَبْرَصِ دُونَ مُعَالَجَةٍ وَلَا
طِبٍّ ● وَهٰكَذَا سَائِرُ مُعْجِزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ثُمَّ إِنَّ اللّٰهَ تَعَالَى بَعَثَ
مُحَمَّدًا صَلَّى اللّٰهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجُمْلَةُ مَعَارِفِ الْعَرَبِ وَعُلُومِهَا أَرْبَعَةٌ الْبَلَاغَةُ
وَالشِّعْرُ وَالْخَبَرُ وَالْكِهَانَةُ ● فَأَنْزَلَ اللّٰهُ تَعَالَى عَلَيْهِ الْقُرْآنَ الْخَارِقَ لِهٰذِهِ
الْأَرْبَعَةِ فُصُولٍ مِنَ الْفَصَاحَةِ وَالْإِيجَازِ وَالْبَلَاغَةِ الْخَارِجَةِ عَنْ نَمَطِ كَلَامِهِمْ
● وَمِنَ النَّظْمِ الْغَرِيبِ وَالْأُسْلُوبِ الْعَجِيبِ الَّذِي لَمْ يَهْتَدُوا فِي الْمَنْظُومِ
إِلَى طَرِيقِهِ وَلَا عَلِمُوا فِي أَسَالِيبِ الْأَوْزَانِ مَنْهَجَهُ ● وَمِنَ الْأَخْبَارِ عَنِ الْكَوَائِنِ
وَالْحَوَادِثِ وَالْأَسْرَارِ وَالْمُخَبَّآتِ وَالضَّمَائِرِ فَتُوجَدُ عَلَى مَا كَانَتْ وَيَعْتَرِفُ
الْمُخْبَرُ عَنْهَا بِصِحَّةِ ذٰلِكَ وَصِدْقِهِ وَإِنْ كَانَ أَعْدَى الْعَدُوِّ ● فَأَبْطَلَ الْكِهَانَةَ
الَّتِي تَصْدُقُ مَرَّةً وَتَكْذِبُ عَشْرًا ثُمَّ اجْتَثَّهَا مِنْ أَصْلِهَا بِرَجْمِ الشُّهُبِ ● وَ

من الكتب التي وقفها الفقير الى الله ربه ذي المواهب محمد عزيز بن الصدر

ورصد النجوم ● وجاء من الاخبار عن القرون السالفة وانباء الانبياء
والامم البائدة والحوادث الماضية ما يعجز من تفرغ لهذا العلم عن بعضه
على الوجوه التي بسطناها وبيّنا المعجز فيها ● ثم بقيت هذه المعجزة الجامعة
لهذه الوجوه الى الفصول الاخر التي ذكرناها في معجزات القرآن ثابتة الى
يوم القيمة بيّنة الحجة لكل امة تاتي لا تخفى وجوه ذلك على من نظر فيه
وتامل وجوه اعجازه الى ما اخبر به من الغيوب على هذه السبيل فلا يمر
عصر ● ولا زمن الا ويظهر فيه صدقه بظهور مخبره على ما اخبر فيتجدد
الايمان ويتظاهر البرهان وليس الخبر كالعيان وللمشاهدة زيادة في اليقين
والنفس اشد طمانينة الى عين اليقين منها الى علم اليقين ● وان كان
كل عندها حقا ● وسائر معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم وعدمت
بعدم ذواتها ● ومعجزة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم لا تبيد ولا تنقطع
واياته تتجدد ولا تضمحل ● ولهذا اشار صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله
فيما حدثنا القاضي الشهيد ابو علي نا القاضي ابو الوليد ثنا ابو ذر ● ثنا
ابو محمد وابو اسحق وابو الهيثم ● قالوا ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا
عبد العزيز بن عبد الله ثنا الليث عن سعيد عن ابيه عن ابي هريرة عن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم ● قال ما من الانبياء نبي الا اعطي من الايات
ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي اوتيت وحيا اوحاه الله الي
فارجو اني اكثرهم تابعا يوم القيمة هذا معنى الحديث عند بعضهم وهو
الظاهر والصحيح ان شاء الله ● وذهب غير واحد من العلماء في تاويل
هذا الحديث وظهور معجزة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم الى معنى اخر من ظهورها
بكونها وحيا وكلاما لا يمكن التخييل فيه ● ولا التحيل عليه والتشبيه فان
غيرها من معجزات الرسل قد رام المعاندون لها باشياء طمعوا في التخييل
بها على الضعفاء كالقاء السحرة حبالهم وعصيهم وشبه هذا مما يخيله
الساحر او يتحيل فيه ● والقرآن كلام ليس للحيلة ولا للسحر في التخييل
فيه عمل فكان من هذا الوجه عندهم اظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم

لشاعر

لشاعر ولا خطيب ان يكون شاعرا او خطيبا بضرب من الحيل والتمويه
والتاويل الاول اخلص وارضى وفي هذا التاويل الثاني ما يغمض الخفي
عليه ويغضي ● ووجه ثالث ثابت على مذهب من قال بالصرفة وان
المعارضة كانت في مقدور البشر فصرفوا عنها او على احد مذهبي اهل
السنة من ان الاتيان بمثله من جنس مقدورهم ولكن لم يكن ذلك قبل
ولا يكون بعد لان الله لم يقدرهم ولا يقدرهم ● وبين المذهبين
فرق بين وعليهما جميعا فترك العرب الاتيان بما في مقدورهم او ما هو
من جنس مقدورهم ورضاهم بالبلاء والجلاء والسباء والاذلال
وتغير الحال وسلب النفوس والاموال والتقريع والتوبيخ والتعجيز
والتهديد والوعيد ابين اية للعجز عن الاتيان بمثله والنكول عن معارضته
وانهم منعوا عن شيء هو من جنس مقدورهم ● والى هذا ذهب ابو المعالي
الجويني وغيره ● قال وهذا عندنا ابلغ في خرق العادة بالافعال البديعة
في انفسها كقلب العصا حية ونحوها فانه قد يسبق الى بال الناظر بدارا
ان ذلك من اختصاص صاحب ذلك بمزية معرفة في ذلك الفن وفضل
علم الى ان يرد ذلك صحيح النظر ● واما التحدي للخلائق في المئين
من السنين بكلام من جنس كلامهم لياتوا بمثله فلم ياتوا فلم يبق بعد
توفر الدواعي على المعارضة ثم عدمها الا منع الله الخلق عنها بمثابة ما
لو قال نبي ايتي ان يمنع الله القيام عن الناس مع مقدرتهم عليه
وارتفاع الزمانة عنهم فكان ذلك وعجزهم الله عن القيام لكان ذلك
من ابهر اية واظهر دلالة وبالله التوفيق ● وقد غاب عن بعض العلماء
وجه ظهور اياته على سائر ايات الانبياء عليهم السلام حتى احتاج للعذر
عن ذلك بدقة افهام العرب وذكاء البابها ووفور عقولها فانهم ادركوا
المعجزة فيه بفطنتهم وجاءهم من ذلك بحسب ادراكهم وغيرهم من القبط
وبني اسرائيل وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة
بحيث جوز عليهم فرعون انه ربهم وجوز عليهم السامري ذلك في العجل

بعد إيمانهم وعبدوا المسيح بعد إجماعهم على صلبه وما قتلوه وما صلبوه
ولكن شبه لهم فجاءتهم من الآيات الظاهرة البينة للأبصار بقدر
غلظ أفهامهم مما لا يشكون فيه ومع هذا فقالوا لن نؤمن لك حتى
نرى الله جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا الذي هو
أدنى بالذي هو خير ● والعرب على جاهليتها أكثرها تعترف بالصانع
وإنما كانت تتقرب بالأصنام إلى الله زلفى ● ومنهم من آمن بالله وحده
من قبل الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بدليل عقله وصفاء لبه ● ولما
جاءهم الرسول بكتاب الله فهموا حكمته وتبينوا بفضل إدراكهم لأول وهلة
معجزته فآمنوا به وازدادوا كل يوم إيمانا ورفضوا الدنيا كلها في صحبته
وهجروا ديارهم وأموالهم وقتلوا آباءهم وأبناءهم في نصرته ● وأتى
في معنى هذا بما يلوح له رونق ويعجب منه زبرج لو احتيج إليه وحقق
لكلامنا من بيان معجزة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ● وظهورها ما يغني
عن ركوب بطون هذه المسالك وظهورها وبالله أستعين **القسم الثاني**
فيما يجب على الأنام من حقوقه صلى الله تعالى عليه وسلم ● قال القاضي
أبو الفضل رحمه الله تعالى وهذا قسم لخصنا فيه الكلام في أربعة أبواب
على ما ذكرناه أول الكتاب ومجموعها في وجوب تصديقه واتباعه ●
وطاعته ومحبته ومناصحته وتوقيره وبره وحكم الصلاة عليه والتسليم
وزيارة قبره صلى الله تعالى عليه وسلم **الباب الأول في فرض الإيمان به**
ووجوب طاعته واتباع سنته صلى الله تعالى عليه وسلم إذا تقرر بما قدمناه
ثبوت نبوته وصحة رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم وجب الإيمان به وتصديقه
فيما أتى به قال الله تعالى فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا ● وقال
تعالى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله ● وقال تعالى
فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الآية ● فالإيمان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم
واجب متعين لا يتم إيمان إلا به ولا يصح إسلام إلا معه ● قال الله تعالى
ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا ● ثنا أبو محمد

[margin: ما ذلك]
[margin: هذا نصف الكتاب]

الخشني

الخشني الفقيه بقراءتي عليه ثنا الإمام أبو علي الطبري ثنا عبد الغافر
الفارسي ● ثنا ابن عمرويه ثنا ابن سفين ثنا أبو الحسين ثنا أمية بن
بسطام ثنا يزيد بن زريع ثنا روح عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب
عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال أمرت
أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت
به فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم
على الله تعالى ● قال القاضي أبو الفضل رضي الله تعالى عنه والإيمان به صلى الله عليه وسلم هو
تصديق نبوته ورسالة الله له وتصديقه في جميع ما جاء به وما قاله
ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان بأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فإذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة بذلك باللسان
تم الإيمان به والتصديق له كما ورد في هذا الحديث نفسه من رواية
عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله
إلا الله وأن محمدا رسول الله ● وقد زاده وضوحا في حديث جبريل عليه السلام
إذ قال أخبرني عن الإسلام فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن تشهد
أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ● وذكر أركان الإسلام ثم سأله
عن الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله الحديث ●
وقد قرر أن الإيمان به محتاج إلى العقد بالجنان ● والإسلام به مضطر
إلى النطق باللسان ● وهذه الحال المحمودة التامة ● وأما الحال المذمومة
فالشهادة باللسان دون تصديق القلب وهذا هو النفاق قال الله تعالى
إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله
والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ● أي كاذبون في قولهم ذلك عن
اعتقادهم وتصديقهم وهم لا يعتقدونه فلما لم تصدق ذلك ضمائرهم
لم ينفعهم أن يقولوا بألسنتهم ما ليس في قلوبهم فخرجوا عن اسم الإيمان
ولم يكن لهم في الآخرة حكمه إذ لم يكن معهم ولحقوا بالكافرين في الدرك
الأسفل من النار ● وبقي عليهم حكم الإسلام بإظهار شهادة اللسان

فى أحكام الدنيا المتعلقة بالأئمة وحكام المسلمين الذين أحكامهم على الظواهر
بما أظهروه من علامة الإسلام إذ لم يجعل للبشر سبيل إلى السرائر
ولا أمروا بالبحث عنها بل نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها
وذم ذلك ● وقال صلى الله تعالى عليه وسلم هلا شققت عن قلبه ●
والفرق بين القول والعقد ما جعل فى حديث جبريل عليه السلام ● الشهادة
من الإسلام والتصديق من الإيمان وبقيت حالتان أخريان بين هذين
أحدهما أن يصدق بقلبه ● ثم يخترم قبل اتساع وقت الشهادة بلسانه
فاختلف فيه فشرط بعضهم من تمام الإيمان القول والشهادة به ورآه
بعضهم مؤمنا مستوجبا للجنة لقوله عليه السلام ● يخرج من النار من كان
فى قلبه مثقال ذرة من إيمان فلم يذكر سوى ما فى القلب وهذا مؤمن
بقلبه غير عاص ولا مفرط بترك غيره ● وهذا هو الصحيح فى هذا الوجه
الثانية أن يصدق بقلبه ويطول مهله وعلم ما يلزمه من الشهادة فلم
ينطق بها جملة ولا استشهد فى عمره ولا مرة ● فهذا اختلف فيه أيضا فقيل
هو مؤمن لأنه مصدق والشهادة من جملة الأعمال فهو عاص بتركها غير
مخلد ● وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن عقده شهادة إذ الشهادة إنشاء عقد
والتزام إيمان وهى مرتبطة مع العقد ولا يتم التصديق مع المهلة إلا بها
وهذا هو الصحيح ● وهذا نبذ يفضى إلى متسع من الكلام فى الإسلام والإيمان
وأبوابهما وفى الزيادة فيهما والنقصان وهل التجزى ممتنع على مجرد التصديق
لا يصح فيه جملة ● وإنما يرجع إلى ما زاد عليه من عمل أو قد يعرض فيه ونبذة ن
لاختلاف صفاته وتباين حالاته من قوة يقين ● وتصميم اعتقاد و
وضوح معرفة ودوام حالة وحضور قلب وفى بسط هذا خروج عن غرض
التأليف وفيما ذكرنا غنية فيما قصدنا إن شاء الله تعالى **فصل وأما وجوب** بلغ مقابلة
طاعته صلى الله تعالى عليه وسلم فإذا وجب الإيمان به وتصديقه فيما جاء به وجبت
طاعته لأن ذلك مما أتى به ● قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله
ورسوله ● وقال تعالى قل أطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون ● وقال تعالى

وإن تطيعوه تهتدوا ● وقال تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله وقال تعالى
وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال تعالى ومن يطع الله
والرسول فأولئك الآية ● وقال تعالى وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله قرئ ٤
● فجعل تعالى طاعة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم طاعته بطاعته ووعد
على ذلك بجزيل الثواب وأوعد على مخالفته بسوء العقاب وأوجب امتثال
أمره واجتناب نهيه ● قال المفسرون والأئمة طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم
فى التزام سنته والتسليم لما جاء به وقالوا وما أرسل الله من رسول إلا
فرض طاعته على من أرسله إليه وقالوا من يطع الرسول فى سنته يطع الله فرائضه ن
فى فريضته ● وسئل سهل بن عبد الله عن شرائع الإسلام فقال وما آتاكم
الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ● وقال السمرقندى يقال أطيعوا
الله فى فرائضه والرسول فى سنته ● وقيل أطيعوا الله فيما حرم عليكم سننه ن
والرسول فيما بلغكم ● ويقال أطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية
والنبى بالشهادة له بالنبوة ● حدثنا أبو محمد بن عتاب بقراءتى عليه ثنا
حاتم بن محمد ثنا أبو الحسن على بن محمد بن خلف ثنا محمد بن أحمد ثنا محمد بن
يوسف ثنا البخارى ثنا عبدان ● أخبرنا عبد الله أنا يونس عن الزهرى
أخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن أنه سمع أبا هريرة يقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن أطاع أميرى
فقد أطاعنى ومن عصى أميرى فقد عصانى ● فطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم
من طاعة الله إذ الله تعالى أمر بطاعته ● فطاعته امتثال لما أمر الله به وطاعة له
وقد حكى الله تعالى عن الكفار فى دركات جهنم يوم تقلب وجوههم فى النار
يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا فتمنوا طاعته حيث لا ينفعهم
التمنى ● وقال صلى الله تعالى عليه وسلم إذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بامر ن
بشىء فأتوا منه ما استطعتم وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم كل أمتى
يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا ومن يأبى قال من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى
فقد أبى ● وفى الحديث الآخر الصحيح عنه عليه السلام مثلى ومثل ما بعثنى الله به

كمثل رجل أتى قوماً فقال يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان
فالنجاء فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت
طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل
من أطاعني واتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق
وفي الحديث الآخر في مثله كمثل من بنى داراً وجعل فيها مأدبة وبعث
داعياً فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل
الدار ولم يأكل من المأدبة فالدار الجنة والداعي محمد صلى الله عليه وسلم
فمن أطاع محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم فقد أطاع الله تعالى ومن عصى محمداً صلى الله عليه وسلم
فقد عصى الله تعالى ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فرق بين الناس

فصل

وأما وجوب اتباعه وامتثال سنته والاقتداء بهديه صلى الله عليه وسلم فقد قال تعالى
قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال
فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون
وقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم إلى قوله تسليما
أي ينقادون لحكمك يقال سلم واستسلم وأسلم إذا انقاد وقال تعالى
لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر
الآية قال محمد بن علي الترمذي الأسوة في الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم
الاقتداء به والاتباع لسنته وترك مخالفته في قول أو فعل وقال غير
واحد من المفسرين بمعناه وقيل هو عتاب للمتخلفين عنه وقال سهل
في قوله تعالى صراط الذين أنعمت عليهم بمتابعة السنة فأمرهم تعالى بذلك ووعدهم
الاهتداء باتباعه لأن الله تعالى أرسله بالهدى ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب
والحكمة ويهديهم إلى صراط مستقيم ووعدهم محبته تعالى في الآية الأخرى
ومغفرته إذا اتبعوه وآثروه على أهوائهم وما تجنح إليه نفوسهم وأن صحة
إيمانهم بانقيادهم له ورضاهم بحكمه وترك الاعتراض عليه وروي عن الحسن
أن أقواماً قالوا يا رسول الله إنا نحب الله فأنزل الله تعالى قل إن كنتم تحبون الله الآية
وروي أن الآية نزلت في كعب بن الأشرف وغيره وأنهم قالوا نحن أبناء الله

وأحباؤه ونحن أشد حباً لله فأنزل الله الآية وقال الزجاج معناه
إن كنتم تحبون الله أن تقصدوا طاعته فافعلوا ما أمركم به إذ محبة العبد
لله والرسول طاعته لهما ورضاه بما أمرا ومحبة الله لهم عفوه عنهم و
إنعامه عليهم برحمته ويقال الحب من الله عصمة وتوفيق ومن العباد
طاعة كما قال القائل تعصي الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمري في القياس
بديع لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع و
يقال محبة العبد لله تعظيمه له وهيبته منه ومحبة الله له رحمته له و
إرادته الجميل له وتكون بمعنى مدحه له وثنائه عليه قال القشيري
فإذا كان بمعنى الرحمة والإرادة والمدح كان من صفات الذات وسيأتي بعد
في ذكر محبة العبد غير هذا بحول الله تعالى حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر
الفقيه قال ثنا أبو الأصبغ عيسى بن سهل وثنا أبو الحسن يونس بن مغيث الفقيه
بقراءتي عليه قالا ثنا حاتم بن محمد قال ثنا أبو حفص الجهني ثنا أبو بكر الآجري
ثنا إبراهيم بن موسى الجوزي ثنا داود بن رشيد ثنا الوليد بن مسلم عن ثور بن
يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر الكلاعي عن العرباض
بن سارية في حديثه في موعظة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال فعليكم
بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم و
محدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة زاد في حديث
جابر بمعناه وكل ضلالة في النار وفي حديث أبي رافع عنه عليه السلام
لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت
عنه فيقول لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه وفي حديث عائشة رضي الله عنها
صنع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شيئاً ترخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ
ذلك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فحمد الله ثم قال ما بال قوم يتنزهون عن الشيء
أصنعه فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية وروي عنه صلى الله عليه وسلم
أنه قال القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم فمن استمسك بحديثي
وفهمه وحفظه جاء مع القرآن ومن تهاون بالقرآن وحديثي خسر الدنيا

الأسلمي

والآخرة أمرت أمتي أن يأخذوا بقولي ويطيعوا أمري ويتبعوا سنتي فمن
رضي بقولي فقد رضي بالقرآن ● قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه الآية
● وقال عليه السلام من اقتدى بي فهو مني ومن رغب عن سنتي فليس مني ●
وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال إن أحسن الحديث كتاب
الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها — الهدى ن
● وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم ● العلم ثلاثة
فما سوى ذلك فهو فضل آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة ● وعن
الحسن بن أبي الحسن قال صلى الله تعالى عليه وسلم عمل قليل في سنة خير من عمل كثير
في بدعة ● وقال صلى الله تعالى عليه وسلم إن الله يدخل العبد الجنة بالسنة تمسك
بها ● وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ● قال المتمسك بسنتي
عند فساد أمتي له أجر مائة شهيد ● وقال صلى الله تعالى عليه وسلم إن بني إسرائيل
افترقوا على اثنين وسبعين ملة وإن أمتي تفترق على ثلاث وسبعين كلها
في النار إلا واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله قال الذي أنا عليه اليوم وأصحابي
● وعن أنس رضي الله عنه قال عليه السلام من أحيا سنتي فقد أحياني ومن أحياني كان معي
وعن عمرو بن عوف المزني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لبلال بن الحارث
من أحيا سنة من سنتي قد أميتت بعدي فإن له من الأجر مثل من عمل بها من غير
أن ينقص من أجورهم شيئا ● ومن ابتدع بدعة ضلالة لا ترضي الله ورسوله
كان عليه مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيئا **فصل**
وأما ما قد ورد من السلف والأئمة من اتباع سنته والاقتداء بهديه وسيرته صلى الله عليه وسلم
فحدثنا الشيخ أبو عمران موسى بن عبد الرحمن بن أبي تليد الفقيه سماعا عليه
قال ثنا أبو عمر الحافظ ثنا سعيد بن نصر ثنا قاسم بن أصبغ ووهب بن مسرة — مسرة ن
قالا ثنا محمد بن وضاح ثنا يحيى بن يحيى ثنا مالك عن ابن شهاب عن رجل من آل
خالد بن أسيد أنه سأل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فقال يا أبا عبد الرحمن إنا نجد صلاة
الخوف وصلاة الحضر في القرآن ولا نجد صلاة السفر فقال ابن عمر رضي الله عنهما
يا ابن أخي إن الله بعث إلينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولا نعلم شيئا وإنما نفعل كما

رأيناه

رأيناه يفعل ● وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه سن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وولاة الأمر بعده سننا الأخذ بها تصديق لكتاب الله تعالى واستعمال لطاعة
الله وقوة على دين الله ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في رأي من
خالفها ● من اقتدى بها مهتد ومن انتصر بها منصور ومن خالفها واتبع
غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا ●
وقال الحسن بن أبي الحسن عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة ● وقال ابن
شهاب بلغنا عن رجال من أهل العلم قالوا الاعتصام بالسنة نجاة ● وكتب
عمر بن الخطاب رضي الله عنه بتعلم السنة والفرائض واللحن أي اللغة ● وقال إن — لعمالين
ناسا يجادلونكم يعني بالقرآن فخذوهم بالسنن فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب
الله تعالى ● وفي خبره حين صلى بذي الحليفة ركعتين فقال أصنع كما رأيت رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصنع ● وعن علي رضي الله عنه حين قرن فقال له عثمان رضي الله عنه
ترى أني أنهى الناس عنه وتفعله قال لم أكن أدع سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
لقول أحد من الناس ● وعنه ألا إني لست بنبي ولا يوحى إلي ولكني أعمل
بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ما استطعت ● وكان ابن
مسعود رضي الله عنه يقول القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة ● وقال
ابن عمر رضي الله عنهما صلاة السفر ركعتان من خالف السنة كفر ● وقال أبي بن
كعب عليكم بالسبيل والسنة فإنه ما على الأرض من عبد على السبيل والسنة
ذكر الله في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله إلا كان مثله كمثل شجرة قد يبس
ورقها إلا حط الله عنه خطاياه كما تحات عن الشجرة ورقها فإن اقتصادا في
سبيل الله وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة وانظروا أن يكون
عملكم إن كان اجتهادا أو اقتصادا أن يكون على منهاج الأنبياء وسنتهم ●
وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز إلى عمر بحال بلده وكثرة لصوصه هل
نأخذهم بالظنة أو نحملهم على البينة وما جرت عليه السنة فكتب إليه عمر
خذهم بالبينة وما جرت عليه السنة فإن لم يصلحهم الحق فلا أصلحهم الله تعالى
● وعن عطاء في قوله تعالى فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول

ذكر الله ففاضت عيناه من خشية الله فيعذبه الله أبدا وما على الأرض من عبد على السبيل والسنة صح صح
فهو كذلك إذا أصابتها ريح شديدة فتحات عنها ورقها

أي إلى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ● وقال الشافعي
رضي الله تعالى عنه ليس في سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلا اتباعها
● وقال عمر رضي الله عنه ونظر إلى الحجر الأسود والله إنك حجر لا تنفع ولا
تضر ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقبلك ما قبلتك
ثم قبله ● ورئي عبد الله بن عمر يدير ناقته في مكان فسئل فقال لا أدري
إلا أني رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فعله ففعلته ● وقال
أبو عثمان الحيري من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة
ومن أمر الهوى على نفسه نطق بالبدعة ● وقال سهل التستري أصول
مذهبنا ثلاثة الاقتداء بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الأخلاق والأفعال
والأكل من الحلال وإخلاص النية في جميع الأعمال ● وجاء في تفسير قوله
والعمل الصالح يرفعه أنه الاقتداء برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحكي
عن أحمد بن حنبل رضي الله عنه قال كنت يوما مع جماعة تجردوا ودخلوا الماء
فاستعملت الحديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمئزر
ولم أتجرد فرأيت تلك الليلة قائلا لي ● يقول يا أحمد أبشر فإن الله تعالى
قد غفر لك باستعمالك السنة وجعلك إماما يقتدى بك قلت من أنت
قال جبريل **فصل في مخالفة أمره** وتبديل سنته صلى الله عليه وسلم ضلال
وبدعة متوعد من الله عليه بالخذلان والعذاب ● قال الله تعالى فليحذر الذين
يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ● وقال تعالى
ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين
نوله ما تولى الآية ● ثنا أبو محمد عبد الله بن أبي جعفر وعبد الرحمن بن
عتاب بقراءتي عليهما ● قالا أنا أبو القاسم حاتم بن محمد ثنا أبو الحسن
القابسي ثنا أبو الحسن بن مسرور الدباغ ● ثنا أحمد بن أبي سليمان ثنا سحنون بن
سعيد ثنا أبو القاسم ثنا مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ● خرج إلى المقبرة وذكر الحديث في صفة أمته
وفيه فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال فأناديهم ألا هلم

صوابه الحيري ن

ألا هلم ألا هلم فيقال إنهم قد بدلوا بعدك فأقول فسحقا فسحقا فسحقا
● وروى أنس أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال من رغب عن سنتي
فليس مني ● وقال صلى الله تعالى عليه وسلم من أدخل في أمرنا ما ليس منه
فهو رد ● وروى ابن أبي رافع عن أبيه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
قال لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو
نهيت عنه فيقول لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه زاد في حديث
المقدام ألا وإن ما حرم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مثل ما حرم الله
● وقال صلى الله تعالى عليه وسلم وجيء بكتاب في كتف كفى بقوم حمقا
أو قال ضلالا أن يرغبوا عما جاء به نبيهم أو كتاب غير كتابهم فنزلت أولم
يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب الآية ● وقال صلى الله تعالى عليه وسلم هلك
المتنطعون ● وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لست تاركا شيئا كان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يعمل به إلا عملت به إني أخشى إن تركت شيئا من أمره
أن أزيغ **الباب الثاني في لزوم محبته** صلى الله تعالى عليه وسلم قال الله تعالى
قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها الآية
● فكفى بهذا حضا وتنبيها ودلالة وحجة على إلزام محبته صلى الله عليه وسلم
ووجوب فرضها وعظم خطرها واستحقاقه لها صلى الله تعالى عليه وسلم إذ قرع الله
من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله وأوعدهم بقوله
فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ● ثم فسقهم بتمام الآية وأعلمهم أنهم ممن ضل
ولم يهده الله ● ثنا أبو علي الغساني الحافظ فيما أجازنيه وهو مما قرأته
على غير واحد قال ثنا سراج بن عبد الله القاضي ثنا أبو محمد الأصيلي المروزي
ثنا أبو عبد الله محمد بن يوسف ● ثنا محمد بن إسماعيل ثنا يعقوب بن إبراهيم ثنا
ابن علية عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين
وعن أبي هريرة نحوه ● وعن أنس عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاث من كن
فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن

من أحدث ن
هذا ن

جمقا ن
إلى غير نبيهم ن

وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها
أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله
فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين

يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يقذف في
النار ● وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
لانت احب الي من كل شيء الا نفسي التي بين جنبي ● فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
لن يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه فقال عمر والذي انزل
عليك الكتاب لانت احب الي من نفسي التي بين جنبي ● فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
الان يا عمر ● قال سهل من لم ير ولاية الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم
عليه في جميع الاحوال ويرى نفسه في ملكه عليه السلام لا يذوق حلاوة سنته
لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه
الحديث **فصل في ثواب محبته** صلى الله تعالى عليه وسلم ثنا ابو محمد بن
عتاب بقراءتي عليه ثنا ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن علي بن خلف
ثنا ابو زيد المروزي ثنا محمد بن يوسف ● ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عبدان
ثنا ابي نا شعبة عن عمرو بن مرة عن سالم بن ابي الجعد عن انس بن مالك رضي الله عنه
ان رجلا اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال متى الساعة يا رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما اعددت لها قال ما اعددت لها من كثير صلاة ولا صيام ولا صدقة
ولكني احب الله ورسوله قال انت مع من احببت ● وعن صفوان بن قدامة
قال هاجرت الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاتيته فقلت يا رسول الله ناولني
يدك ابايعك فناولني يده فقلت يا رسول الله اني احبك قال المرء مع
من احب ● وروى هذا اللفظ عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عبد الله بن
مسعود وابو موسى وانس رضي الله عنهم وعن ابي ذر بمعناه ● وعن علي كرم الله وجهه
ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اخذ بيد الحسن والحسين رضي الله عنهما فقال من احبني
واحب هذين واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيمة ● وروي ان
رجلا اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله لانت احب الي من
اهلي ومالي واني لاذكرك فما اصبر حتى اجيء فانظر اليك واني ذكرت موتي
وموتك فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وان دخلتها فلا اراك
● فانزل الله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم

من

من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا فدعا به
فقراها عليه ● وفي حديث اخر كان رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم ينظر اليه
ولا يطرف ● فقال ما بالك فقال بابي انت وامي اتمتع من النظر اليك فاذا
كان يوم القيمة رفعك الله تعالى بتفضيله فانزل الله تعالى الاية ● وفي حديث
انس رضي الله عنه ومن احبني كان معي في الجنة **فصل فيما روي عن السلف** والائمة من محبتهم
للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وشوقهم له ● ثنا القاضي الشهيد ثنا العذري
ثنا الرازي ثنا الجلودي ثنا ابن سفين ثنا مسلم ثنا قتيبة ثنا يعقوب
بن عبد الرحمن عن سهيل عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من اشد امتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود احدهم لو رآني باهله وماله
● ومثله عن ابي ذر رضي الله عنه ● وقد تقدم حديث عمر رضي الله عنه وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم
لانت احب الي من نفسي ● وما تقدم عن الصحابة في مثله وعن عمرو بن العاص
ما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ● وعن عبدة بنت خالد بن
معدان قالت ما كان خالد ياوي الى فراش الا وهو يذكر من شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
والى اصحابه من المهاجرين والانصار يسميهم ويقول هم اصلي وفصلي واليهم يحن
قلبي طال شوقي اليهم فعجل ربي قبضي اليك حتى يغلبه النوم ● وروي عن
ابي بكر رضي الله عنه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق لاسلام ابي طالب
كان اقر لعيني من اسلامه يعني اباه ابا قحافة وذلك ان اسلام ابي طالب كان
اقر لعينك ونحوه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه للعباس رضي الله عنه ان تسلم احب الي من
ان يسلم الخطاب لان ذلك احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ● وعن ابن اسحق
ان امراة من الانصار قتل ابوها واخوها وزوجها يوم احد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا هو بحمد الله كما تحبين قالت ارنيه
حتى انظر اليه فلما راته قالت كل مصيبة بعدك جلل ● وسئل علي بن ابي طالب رضي الله عنه
كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال كان احب الينا من اموالنا وابنائنا
واولادنا وامهاتنا ومن الماء البارد على الظماء ● وعن زيد بن اسلم خرج عمر رضي الله عنه
ليلة يحرس فراى مصباحا في بيت فاذا عجوز تنفش صوفا وتقول على

محمدٍ صلى الله عليه وسلم صلاةُ الابرارِ صلى عليه الطيبون الاخيار قد كنتَ قوّاماً
بكّاءً بالاسحارِ يا ليتَ شعري وللمنايا اطوارٌ هل تجمعني وحبيبي الدارُ
تعني النبيَّ صلى الله تعالى عليه وسلم فجلس عمرُ رضي الله عنه يبكي وفي الحكاية طولٌ
ويُروى انَّ عبدَ الله بنَ عمرَ رضي الله عنهما خدِرتْ رجلُه فقيل له اذكرْ
احبَّ الناسِ اليك يزولْ عنك فصاح يا محمداه فانتشرتْ ولما احتُضِرَ
بلالٌ نادتْ امرأتُه واحزناه فقال واطرباه غداً القى الاحبةَ محمداً وحزبَه
ويُروى انَّ امرأةً قالتْ لعائشةَ رضي الله عنها اكشفي لي قبرَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم
فكشفتْه لها فبكتْ حتى ماتتْ ولما اخرجَ اهلُ مكةَ زيدَ بنَ الدَّثِنَةِ
من الحرمِ ليقتلوه قال له ابو سفيانَ بنُ حربٍ انشدُك اللهَ يا زيدُ اتحبُّ انَّ
محمداً الآنَ عندنا مكانَك نضربُ عنقَه وانك في اهلِك فقال زيدٌ واللهِ ما احبُّ
انَّ محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم الآنَ في مكانِه الذي هو فيه تصيبُه شوكةٌ
واني جالسٌ في اهلي فقال ابو سفيانَ ما رأيتُ من الناسِ احداً يحبُّ احداً كحبِّ
اصحابِ محمدٍ صلى الله تعالى عليه وسلم وعن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما كانت المرأةُ اذا
اتتِ النبيَّ صلى الله تعالى عليه وسلم حلّفها باللهِ ما خرجتْ من بغضِ زوجٍ ولا
رغبةٍ بارضٍ عن ارضٍ وما خرجتْ الّا حبّاً للهِ ورسولِه ووقفَ ابنُ عمرَ
على ابنِ الزبيرِ رضي الله عنهما بعدَ قتلِه فاستغفرَ له وقال كنتَ واللهِ ما علمتُ
صوّاماً قوّاماً تحبُّ اللهَ ورسولَه صلى الله تعالى عليه وسلم

فصلٌ في علامةِ محبتِه

صلى الله تعالى عليه وسلم اعلمْ انَّ من احبَّ شيئاً آثرَه وآثرَ موافقتَه والّا لم
يكنْ صادقاً في حبِّه وكان مدّعياً فالصادقُ في حبِّ النبيِّ صلى الله تعالى عليه وسلم
من تظهرُ علاماتُ ذلك عليه فاولُها الاقتداءُ به صلى الله عليه وسلم واستعمالُ
سنّتِه واتباعُ اقوالِه وافعالِه وامتثالُ اوامرِه واجتنابُ نواهيه والتأدّبُ
بآدابِه في عسرِه ويسرِه ومنشطِه ومكرهِه وشاهدُ هذا قولُه تعالى قل انْ
كنتم تحبّون اللهَ فاتبعوني يحببكم اللهُ وايثارُ ما شرعَه وحضَّ عليه على هوى
نفسِه وموافقةِ شهوتِه قال اللهُ تعالى والذين تبوّؤا الدارَ والايمانَ من قبلِهم
يحبّون من هاجرَ اليهم ولا يجدون في صدورِهم حاجةً مما اوتوا ويؤثرون على انفسِهم

ولو كان

وأحرباه ن

بيان علومت محبة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

وأوّلها ن

لا تجسّسوا ولا تحسّسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عبادَ اللهِ اخواناً

ولو كان بهم خصاصةٌ واسخاطُ العبادِ في رضى اللهِ عزّ وجلّ ثنا القاضي
ابو علي الحافظ ثنا ابو الحسينِ الصيرفي وابو الفضلِ بنُ محبوبٍ ثنا ابو عيسى
ثنا مسلمُ بنُ حاتمٍ ثنا محمدُ بنُ عبدِ اللهِ الانصاريُّ عن ابيه عن عليِّ بنِ زيدٍ
عن سعيدِ بنِ المسيّبِ قال قال لي انسُ بنُ مالكٍ رضي الله عنه قال لي رسولُ
اللهِ صلى الله تعالى عليه وسلم يا بُنيَّ انْ قدرتَ انْ تصبحَ وتمسي ليس في قلبك
غشٌّ لاحدٍ فافعلْ ثم قال لي يا بنيَّ وذلك من سنّتي ومن احيا سنّتي فقد
احبّني ومن احبّني كان معي في الجنةِ فمن اتّصفَ بهذه الصفةِ فهو
كاملُ المحبةِ للهِ ورسولِه ومن خالفَها في بعضِ هذه الامورِ فهو ناقصُ المحبةِ
ولا يخرجُ عن اسمِها ودليلُه قولُه صلى الله تعالى عليه وسلم للذي حُدَّ
في الخمرِ فلعنَه بعضُهم وقال ما اكثرَ ما يُؤتى به فقال صلى الله تعالى عليه وسلم
لا تلعنْه فانه يحبُّ اللهَ ورسولَه ومن علاماتِ محبةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم
كثرةُ ذكرِه له فمن احبَّ شيئاً اكثرَ من ذكرِه ومنها كثرةُ شوقِه الى لقائِه
فكلُّ حبيبٍ يحبُّ لقاءَ حبيبِه وفي حديثِ الاشعريّين عند قدومِهم
المدينةَ كانوا يرتجزون غداً نلقى الاحبة محمداً وصحبَه وتقدّم قولُ بلالٍ
ومثلُه قولُ عمّارٍ قبلَ قتلِه وما ذكرناه من قصةِ خالدِ بنِ معدانَ ومن
علاماتِه مع كثرةِ ذكرِه له تعظيمُه له وتوقيرُه عند ذكرِه واظهارُ الخشوعِ
والانكسارِ مع سماعِ اسمِه قال اسحقُ التجيبيُّ كان اصحابُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم
بعدَه لا يذكرونَه الّا خشعوا واقشعرّتْ جلودُهم وبكوا وكذلك كثيرٌ
من التابعين منهم من يفعلُ ذلك محبةً له وشوقاً اليه صلى الله عليه وسلم
ومنهم من يفعلُه تهيّباً وتوقيراً ومنها محبتُه لمن احبَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم
ومن هو بسببِه من آلِ بيتِه وصحابتِه من المهاجرين والانصارِ وعداوةُ من
عاداهم وبغضُ من ابغضَهم وسبَّهم فمن احبَّ شيئاً احبَّ من يحبُّ و
قد قال صلى الله تعالى عليه وسلم في الحسنِ والحسينِ رضي الله عنهما اللهمَّ اني احبُّهما
فاحبَّهما وفي روايةٍ في الحسنِ واحبَّ من يحبُّه وقال صلى الله عليه وسلم
من احبّهما فقد احبّني ومن احبّني فقد احبَّ اللهَ ومن ابغضَهما فقد ابغضني ومن ابغضني

تغضبني لا اله وانت تظهر حبه هذا لعمري في الفعال بديع لو كان حبك صادقا لاطعته فان المحب لمن يحب مطيع

خلقه ابدرى تواضع كر شريف كر وضيع نفس طبراق كبي الحق كو كلى صو كبي طرو

وكما قال

وتعظيمه انما يكون باتباع ما دعا اليه من الشريعة

والانكسار

اسامة بن زيد
أو قال الحديث هذان ابناي أو ابنا ابنتي اللهم آه

لا تسبوا اصحابي فان احدكم لو انفق مثل احد
ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه

عبد الله بن مغفل

فقد ابغض الله ● وقال صلى الله تعالى عليه وسلم الله الله في اصحابي لا تتخذوهم
غرضا فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد
اذاني ومن اذاني فقد اذى الله تعالى ومن اذى الله يوشك ان ياخذه ● وقال
صلى الله تعالى عليه وسلم في فاطمة رضي الله عنها انها بضعة مني يغضبني ما اغضبها
● وقال صلى الله تعالى عليه وسلم لعايشة في اسامة بن زيد رضي الله عنهم
احبيه فاني احبه ● وقال صلى الله تعالى عليه وسلم اية الايمان حب الانصار
واية النفاق بغضهم ● وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما من احب العرب
فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ● فبالحقيقة من احب شيئا
احب كل شيء يحبه ● وهذه سيرة السلف رحمهم الله في المباحات وشهوات
النفس ● وقد قال انس حين راى النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء
من حوالي القصعة فما زلت احب الدباء من يومئذ ● وهذا الحسن بن علي
وعبد الله بن عباس وابن جعفر رضي الله عنهم اتوا سلمى وسالوها ان تصنع
لهم طعاما مما كان يحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ● وكان ابن عمر
رضي الله عنهما يلبس النعال السبتية ويصبغ بالصفرة اذ راى النبي صلى الله عليه وسلم
يفعل نحو ذلك ● ومنها بغض من ابغض الله ورسوله ومعادات من عاداه
ومجانبة من خالف سنته وابتدع في دينه واستثقاله كل امر يخالف
شريعته قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من
حاد الله ورسوله ● وهؤلاء اصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم قد قتلوا
احباءهم وقاتلوا اباءهم وابناءهم في مرضاته ● وقال له عبد الله بن عبد الله
بن ابي لو شئت لاتيتك براسه يعني اباه ● ومنها ان يحب القران الذي
اتى به عليه السلام وهدى به واهتدى وتخلق به حتى قالت عايشة رضي الله عنها
كان خلقه القران وحبه للقران تلاوته والعمل به وتفهمه ● ويحب سنته
ويقف عند حدودها ● قال سهل بن عبد الله علامة حب الله حب القران
وعلامة حب الله وحب القران حب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلامة حب النبي عليه السلام
حب السنة وعلامة حب السنة حب الاخرة ● وعلامة حب الاخرة بغض الدنيا

ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم
او عشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم الايمان
وايدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا
عنه اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون

وعلامة

خلقی زحیمه ایدن عالمه ● کندی زحمته اولور صوك دمده
برامز لق ایدن ایلك بولمز ● آخره عاقبتی خیر اولماز
سندخی دکلمیجور اتمه ● ظالملر نار وجحیم کتمه
ظالمی جهنمه ایدر خلق ضرر ● ضرری کشی کندو نیه ایدر

وعلامة بغض الدنيا الا يدخر منها الا زادا وبلغة الى الاخرة ● وقال ابن
مسعود لا يسئل احد عن نفسه الا القران فان كان يحب القران فهو يحب
الله ورسوله ● ومن علامة حبه للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم شفقته
على امته ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم ودفع المضار عنهم كما كان
صلى الله تعالى عليه وسلم بالمؤمنين رؤفا رحيما ● ومن علامة تمام محبته
زهد مدعيها في الدنيا وايثاره الفقر واتصافه به ● وقد قال عليه السلام
لابي سعيد الخدري ان الفقر الى من يحبني منكم اسرع من السيل من اعلى
الجبل الى اسفله ● وفي حديث عبد الله بن مغفل قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم
اني احبك فقال له انظر ما تقول قال والله اني احبك ثلاث مرات
قال ان كنت تحبني فاعد للفقر تجفافا ● ثم ذكر نحو حديث ابي سعيد بمعناه

فصل في معنى المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم وحقيقتها اختلف الناس في تفسير
محبة الله ومحبة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكثرت عباراتهم في ذلك و
ليست ترجع بالحقيقة الى اختلاف مقال ولكنها اختلاف احوال ● فقال
سفيان المحبة اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم كانه التفت الى قوله تعالى قل ان
كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الاية ● وقال بعضهم محبة الرسول
صلى الله تعالى عليه وسلم اعتقاد نصرته والذب عن سنته والانقياد لها و
هيبة مخالفته ● وقال بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب ● وقال اخر
ايثار المحبوب ● وقال بعضهم المحبة الشوق الى المحبوب ● وقال بعضهم المحبة
مواطاة القلب لمراد الرب يحب ما احب ويكره ما يكره ● وقال اخر المحبة
ميل القلب الى موافق له واكثر العبارات المتقدمة اشارة الى ثمرات
المحبة دون حقيقتها ● وحقيقة المحبة الميل الى ما يوافق الانسان وتكون
موافقته له ● اما لاستلذاذه بادراكه كحب الصور الجميلة والاصوات
الحسنة والاطعمة والاشربة اللذيذة واشباهها مما كل طبع سليم مائل اليها
لموافقتها له ● او لاستلذاذه بادراكه بحاسة عقله وقلبه معاني باطنة
شريفة كمحبة الصالحين والعلماء واهل المعروف ● والماثور عنهم السير

السير الجميلة والأفعال الحسنة فإن طبع الإنسان مائل إلى الشغف بأمثال
هؤلاء حتى يبلغ التعصب بقوم لقوم والتشيع من أمة في آخرين ما يؤدي
إلى الجلاء عن الأوطان وهتك الحرم واخترام النفوس أو يكون حبه إياه
لموافقته له من جهة إحسانه له وإنعامه عليه فقد جبلت النفوس
على حب من أحسن إليها ● فإذا تقرر لك هذا نظرت هذه الأسباب كلها
في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم فعلمت أنه عليه السلام جامع لهذه المعاني الثلاثة
الموجبة للمحبة ● أما جمال الصورة والظاهر وكمال الأخلاق والباطن
فقد قررنا منها قبل فيما مر من الكتاب ما لا يحتاج إلى زيادة ● وأما إحسانه
وإنعامه على أمته فكذلك قد مر منه في أوصاف الله تعالى له من رأفته بهم
ورحمته لهم وهدايته إياهم وشفقته عليهم واستنقاذهم به من النار
وأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم ● ورحمة للعالمين ● ومبشرا ونذيرا و
داعيا إلى الله بإذنه ويتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة
ويهديهم إلى صراط مستقيم ● فأي إحسان أجل قدرا وأعظم خطرا من
إحسانه صلى الله تعالى عليه وسلم إلى جميع المؤمنين وأي إفضال أعم منفعة
وأكثر فائدة من إنعامه على كافة المسلمين ● إذ كان ذريعتهم إلى الهداية
ومنقذهم من العماية وداعيهم إلى الفلاح والكرامة ووسيلتهم إلى ربهم و
شفيعهم والمتكلم عنهم والشاهد لهم والموجب لهم البقاء الدائم والنعيم السرمد
● فقد استبان لك أنه صلى الله تعالى عليه وسلم مستوجب للمحبة الحقيقية
شرعا بما قدمناه من صحيح الآثار وعادة وجبلة بما ذكرناه آنفا لإفاضته الإحسان
وعمومه الإجمال فإذا كان الإنسان يحب من منحه في دنياه مرة أو مرتين
معروفا أو استنقذه من هلكة أو مضرة مدة التأذي بها قليل منقطع
فمن منحه ما لا يبيد من النعيم ● ووقاه ما لا يفنى من عذاب الجحيم أولى بالحب
وإذا كان يحب بالطبع ملك لحسن سيرته أو حاكم لما يؤثر عنه من قوام
طريقته أو قاض بعيد الدار لما يشاد من علمه أو كرم شيمته فمن جمع هذه
الخصال على غاية مراتب الكمال أحق بالحب وأولى بالميل ● وقد قال علي

للإحسان ن
للإجمال ن
مرة ن
جمع ن

في صفته صلى الله تعالى عليه وسلم من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة
أحبه وذكرنا عن بعض الصحابة أنه كان لا يصرف بصره عنه محبة فيه
فصل في مناصحته صلى الله تعالى عليه وسلم ● قال الله تعالى ولا على الذين لا يجدون
ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور
رحيم ● قال أهل التفسير إذا نصحوا لله ورسوله إذا كانوا مخلصين مسلمين
في السر والعلانية ● حدثنا الفقيه أبو الوليد بقراءتي عليه ثنا حسين
بن محمد ثنا يوسف بن عبد الله ثنا ابن عبد المؤمن ثنا أبو بكر التمار ثنا
أبو داود ثنا أحمد بن يونس ثنا زهير ثنا سهيل بن أبي صالح عن عطاء بن
يزيد عن تميم الداري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الدين النصيحة
إن الدين النصيحة إن الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه
ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ● قال أئمتنا رحمهم الله النصيحة لله ولرسوله
ولأئمة المسلمين وعامتهم واجبة قال الإمام أبو سليمان البستي النصيحة
كلمة يعبر بها عن جملة إرادة الخير للمنصوح له وليس يمكن أن يعبر عنها
بكلمة واحدة تحصرها ومعناها في اللغة الإخلاص من قولهم نصحت العسل
إذا خلصته من شمعه ● وقال أبو بكر بن أبي إسحاق الخفاف النصح
فعل الشيء الذي به الصلاح والملاءمة مأخوذ من النصاح وهو الخيط
الذي يخاط به الثوب ● وقال أبو إسحاق الزجاج نحوه ● فنصيحة الله
صحة الاعتقاد له بالوحدانية ووصفه بما هو أهله وتنزيهه عما لا
يجوز عليه والرغبة في محابه والبعد عن مساخطه والإخلاص في عبادته
● والنصيحة لكتابه العزيز الإيمان به والعمل بما فيه وتحسين تلاوته
والتخشع عنده والتعظيم له وتفهمه والتفقه فيه والذب عنه
من تأويل الغالين وطعن الملحدين ● والنصيحة لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم
التصديق بنبوته وبذل الطاعة له فيما أمر به ونهى عنه ● قاله أبو سليمان
قال أبو بكر ومؤازرته ونصرته وحمايته حيا وميتا ● وإحياء سنته بالطلب
والذب عنها ونشرها والتخلق بأخلاقه الكريمة وآدابه الجميلة صلى الله عليه وسلم

وذكرن
خلصته ن
وتعظيمه ن
ونصرته ن

وقال ابو ابرهيم اسحق التجيبي نصيحة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
التصديق بما جاء به والاعتصام بسنته ونشرها والحض عليها والدعوة
الى الله والى كتابه والى رسوله واليها والى العمل بها وقال احمد بن محمد
من مفروضات القلوب اعتقاد النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال الاجري وغيره
النصح له يقتضي نصحين نصحا في حياته ونصحا بعد مماته ففي حياته صلى الله عليه وسلم
نصح اصحابه له بالنصر له والمحاماة عنه والمعاداة لمن عاداه والسمع والطاعة له
وبذل النفوس والاموال دونه كما قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله
عليه الاية وقال تعالى وينصرون الله ورسوله الاية واما نصيحة المسلمين
له بعد وفاته فالتزام التوقير والاجلال وشدة المحبة له والمثابرة على
تعلم سنته والتفقه في شريعته ومحبة آل بيته واصحابه ومجانبة من
رغب عن سنته وانحرف عنها وبغضه والتحذير منه والشفقة على امته
والبحث عن تعرف اخلاقه وسيره وادابه والصبر على ذلك فعلى
ما ذكره تكون النصيحة احدى ثمرات المحبة وعلامة من علاماتها كما قدمنا
وحكى الامام ابو القاسم القشيري ان عمرو بن الليث احد ملوك خراسان
ومشاهير الثوار المعروف بالصفار روي في النوم فقيل له ما فعل الله بك
فقال غفر لي فقيل بماذا قال صعدت ذروة جبل يوما فاشرفت على جنودي
واعجبتني كثرتهم فتمنيت اني حضرت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فاعنته ونصرته فشكر الله لي ذلك وغفر لي واما النصيحة لائمة
المسلمين فطاعتهم في الحق ومعونتهم فيه وامرهم به وتذكيرهم اياه على
احسن وجه وتنبيههم على ما غفلوا عنه وكتم عنهم من امور المسلمين
وترك الخروج عليهم وتضريب الناس وافساد قلوبهم عليهم والنصح
لعامة المسلمين ارشادهم الى مصالحهم ومعونتهم في امر دينهم ودنياهم
بالقول والفعل وتنبيه غافلهم وتبصير جاهلهم ورفد محتاجهم وستر
عوراتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع اليهم الباب الثالث في
وجوب توقيره وبره قال الله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا و

ومعاداة من

بلغ مقابلة

ونذيرا

ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة واصيلا
وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ويا ايها
الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الثلاث الايات
وقال الله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا
فاوجب تعالى تعزيره وتوقيره والزم اكرامه وتعظيمه قال ابن عباس
تعزروه تجلوه وقال المبرد تعزروه تبالغوا في تعظيمه وقال
الاخفش تنصرونه وقال الطبري تعينونه وقرئ تعززوه بزائين
من العز ونهى عن التقدم بين يديه بالقول وسوء الادب بسبقه
بالكلام على قول ابن عباس وغيره وهو اختيار ثعلب وقال سهل بن
عبد الله لا تقولوا قبل ان يقول واذا قال فانصتوا له واستمعوا ونهوا
عن التقدم والتعجل بقضاء امر قبل قضائه فيه وان يفتاتوا بشيء في
ذلك من قتال او غيره من امر دينهم الا بامره ولا يسبقوه به الى هذا
يرجع قول الحسن ومجاهد والضحاك والسدي والثوري ثم وعظهم
وحذرهم مخالفة ذلك فقال تعالى واتقوا الله ان الله سميع عليم قال
الماوردي اتقوه يعني في التقدم وقال السلمي اتقوا الله في اهمال حقه
وتضييع حرمته انه سميع لقولكم عليم بفعلكم ثم نهاهم عن رفع
الصوت فوق صوته والجهر له بالقول كما يجهر بعضهم لبعض ويرفع صوته
وقيل كما ينادي بعضهم بعضا باسمه قال ابو محمد مكي اي لا تسابقوه
بالكلام ولا تغلظوا له بالخطاب ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم لبعض
ولكن عظموه ووقروه ونادوه باشرف ما يحب ان ينادى به يا رسول الله يا نبي الله
وهذا كقوله في الاخرى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم
بعضا على احد التاويلين وقال غيره لا تخاطبوه الا مستفهمين
ثم خوفهم الله تعالى بحبط اعمالهم ان هم فعلوا ذلك وحذرهم منه قيل
نزلت الاية في وفد بني تميم وقيل في غيرهم اتوا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فنادوه يا محمد يا محمد اخرج الينا فذمهم الله تعالى بالجهل ووصفهم بان اكثرهم

لا يعقلون ● وقيل نزلت الآية الأولى في محاورة كانت بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما
بين يدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واختلاف جرى بينهما حتى ارتفعت
أصواتهما ● وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس خطيب النبي صلى الله عليه وسلم
في مفاخرة بني تميم وكان في أذنيه صمم فكان يرفع صوته فلما نزلت هذه
الآية أقام في منزله وخشي أن يكون حبط عمله ● ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا نبي الله لقد خشيت أن أكون هلكت نهانا الله أن نجهر بالقول
وأنا امرؤ جهير الصوت فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ● يا ثابت أما
ترضى أن تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقتل يوم اليمامة ● و
روي أن أبا بكر لما نزلت هذه الآية قال والله يا رسول الله لا أكلمك بعدها
إلا كأخي السرار وأن عمر كان إذا حدثه حدثه كأخي السرار ما كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد هذه الآية حتى يستفهمه فأنزل الله تعالى فيهم إن الذين يغضون أصواتهم
عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم
● وقيل نزلت إن الذين ينادونك من وراء الحجرات في غير بني تميم نادوه
باسمه ● وروى صفوان بن عسال بينا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في
سفر إذ ناداه أعرابي بصوت له جهوري أيا محمد أيا محمد فقلنا له اغضض
من صوتك فإنك قد نهيت عن رفع الصوت ● وقال الله تعالى يا أيها الذين
آمنوا لا تقولوا راعنا ● قال بعض المفسرين هي لغة كانت في الأنصار نهوا
عن قولها تعظيما للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتبجيلا له لأن معناها ارعنا
نرعك فنهوا عن قولها إذ مقتضاها كأنهم لا يرعونه إلا برعايته لهم بل
حقه أن يرعى على كل حال ● وقيل كانت اليهود تعرض بها للنبي صلى الله عليه وسلم
للرعونة فنهى المسلمين عن قولها قطعا للذريعة ومنعا للتشبه بهم في قولها بالرعونة
لمشاركة اللفظة ● وقيل غير هذا **فصل في عادة الصحابة رضي الله عنهم**
في تعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم وتوقيره وإجلاله ● ثنا القاضي أبو علي
الصدفي وأبو بحر الأسدي سماعا عليهما في آخرين قالوا ثنا أحمد بن عمر ● ثنا
أحمد بن الحسن ثنا محمد بن عيسى ثنا إبراهيم بن سفين ثنا مسلم ثنا محمد بن المثنى محمد بن الحسن

وأبو

وأبو معين الرقاشي وإسحق بن منصور ثنا الضحاك بن مخلد ثنا حيوة بن
شريح حدثني يزيد بن أبي حبيب عن ابن شماسة المهري قال حضرنا عمرو بن
العاص فذكر حديثا طويلا فيه عن عمرو ● وقال ما كان أحد أحب إلي
من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا أجل في عيني منه وما كنت أطيق
أن أملأ عيني منه إجلالا له ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأني لم
أكن أملأ عيني منه ● وروى الترمذي عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما
فلا يرفع أحد منهم إليه بصره إلا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فإنهما كانا ينظران
إليه وينظر إليهما ويتبسمان إليه ويتبسم إليهما ● وروى أسامة بن
شريك أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه حوله كأنما على رؤوسهم الطير
● وفي حديث صفته إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير
وقال عروة بن مسعود حين وجهته قريش عام القضية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورأى من تعظيم الصحابة له صلى الله تعالى عليه وسلم ما رأى وأنه لا يتوضأ إلا
ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم
نخامة إلا تلقوها بأكفهم فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم ولا تسقط
منه شعرة إلا ابتدروها وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره وإذا تكلم خفضوا
أصواتهم عنده وما يحدون إليه النظر تعظيما له ● فلما رجع إلى قريش
قال يا قريش إني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه يا معشر قريش
وإني والله ما رأيت ملكا في قوم قط مثل محمد عليه السلام في أصحابه ● وفي رواية
إن رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم محمدا أصحابه وقد رأيت قوما
لا يسلمونه أبدا ● وعن أنس لقد رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
والحلاق يحلق رأسه وقد طاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة إلا
في كف يد رجل ● ومن هذا لما أذنت قريش لعثمان رضي الله عنه في الطواف بالبيت
حين وجهه النبي صلى الله عليه وسلم إليهم في القضية أبى وقال ما كنت لأفعل حتى
يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم ● وفي حديث طلحة أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

قالوا لاعرابي جاهل سله عمن قضى نحبه وكانوا يهابونه ويوقرونه فسأله
فاعرض عنه اذ طلع طلحة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا ممن
قضى نحبه ● وفي حديث قيلة فلما رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جالسا
القرفصاء ارعدت من الفرق وذلك هيبة له وتعظيما ● وفي حديث المغيرة
كان اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقرعون بابه بالاظافير وقال
البراء بن عازب لقد كنت اريد ان اسأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
عن الامر فاخره سنين من هيبته صلى الله تعالى عليه وسلم **فصل واعلم ان حرمة النبي**
صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته
وذلك عند ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه
وسيرته ومعاملة آله وعترته وتعظيم اهل بيته وصحابته ● قال
ابو ابراهيم التجيبي واجب على كل مؤمن متى ذكره او ذكر عنده ان يخضع
ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ في هيبته واجلاله بما كان
يأخذ به نفسه لو كان بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم ويتأدب بما ادبنا
الله به ● قال القاضي ابو الفضل المصنف رحمه الله تعالى وهذه كانت سيرة
سلفنا الصالح وائمتنا الماضين رضي الله تعالى عنهم ● ثنا القاضي ابو عبد الله
محمد بن عبد الرحمن الاشعري وابو القاسم احمد بن بقي الحاكم وغير واحد
فيما اجازونيه ● قالوا ثنا ابو العباس احمد بن عمر بن دلهاث قال انا
ابو الحسن علي بن فهر ثنا ابو بكر محمد بن احمد بن الفرج ثنا ابو الحسن عبيد الله
بن المنتاب ثنا يعقوب بن اسحق بن ابي اسرائيل ثنا ابن حميد ● قال ناظر
ابو جعفر امير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له
مالك يا امير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله تعالى عز وجل
ادب قوما فقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الاية وذم قوما فقال ان الذين
ينادونك من وراء الحجرات الاية ● ومدح قوما فقال ان الذين يغضون اصواتهم
الاية ● وان حرمته صلى الله عليه وسلم ميتا كحرمته حيا فاستكان لها ابو جعفر وقال
يا ابا عبد الله استقبل القبلة وادعو ام استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

حرمة النبي صلى الله عليه وسلم

وكم

ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك آدم عليه السلام
الى الله تعالى عز وجل يوم القيمة بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله تعالى
قال الله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك الاية ● وقال مالك وقد سئل
عن ايوب السختياني ما حدثتكم عن احد الا وايوب افضل منه ● قال وحج
حجتين فكنت ارمقه ولا اسمع منه غير انه اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم
بكى حتى ارحمه فلما رأيت منه ما رأيت واجلاله للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم كتبت عنه
● وقال مصعب بن عبد الله كان مالك اذا ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه فقيل له يوما في ذلك فقال
لو رأيتم ما رأيت لما انكرتم علي ما ترون ● لقد كنت ارى محمد بن المنكدر
وكان سيد القراء لا نكاد نسأله عن حديث ابدا الا يبكي حتى نرحمه ● و
كنت ارى جعفر بن محمد الصادق وكان كثير الدعابة والتبسم فاذا ذكر
عنده النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اصفر وما رأيته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا على طهارة ● ولقد اختلفت اليه زمانا فما كنت اراه الا على ثلث خصال
اما مصليا واما صامتا واما يقرأ القرآن ولا يتكلم فيما لا يعنيه وكان
من العلماء والعباد الذين يخشون الله عز وجل ● ولقد كان عبد الرحمن
بن القاسم يذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فينظر الى لونه كأنه نزف منه الدم
وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ● ولقد كنت
آتي عامر بن عبد الله بن الزبير فاذا ذكر عنده النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع ● ولقد رأيت الزهري وكان من اهنأ الناس
واقربهم فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه ما عرفك ولا عرفته ●
ولقد كنت آتي صفوان بن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين فاذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم
بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه ● وروي عن قتادة رحمه الله
انه كان اذا سمع الحديث اخذه العويل والزويل ● ولما كثر على مالك الناس
قيل له لو جعلت مستمليا يسمعهم فقال قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي وحرمته صلى الله عليه وسلم حيا وميتا سواء ● وكان

عبد الرحمن بن مهدي اذا قرأ حديث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أمرهم بالسكوت
وقال لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ويتأول أنه يجب له من الانصات
عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله صلى الله تعالى عليه وسلم

فصل في سيرة السلف في تعظيم رواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسنته ثنا الحسين بن محمد الحافظ ثنا أبو الفضل بن خيرون ثنا أبو بكر
البرقاني وغيره ثنا أبو الحسن الدارقطني ثنا علي بن مبشر ثنا أحمد بن سنان
القطان ثنا يزيد بن هارون ثنا المسعودي عن مسلم البطين عن عمرو بن
ميمون قال اختلفت الى ابن مسعود سنة فما سمعته يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا أنه حدث يوما فجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم علاه كرب حتى رأيت
العرق يتحدر من جبهته ثم قال هكذا ان شاء الله أو فوق ذا أو ما دون ذا
أو قريب من ذا وفي رواية فتربد وجهه وفي رواية وقد تغرغرت
عيناه وانتفخت أوداجه وقال ابرهيم بن عبد الله بن قريم الأنصاري
قاضي المدينة مر مالك بن أنس على أبي حازم وهو يحدث فجازه وقال اني
لم أجد موضعا أجلس فيه فكرهت أن آخذ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأنا قائم وقال مالك جاء رجل الى ابن المسيب فسأله عن حديث
وهو مضطجع فجلس وحدثه فقال له الرجل وددت أنك لم تتعن فقال
اني كرهت أن أحدثك عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا مضطجع
وروي عن محمد بن سيرين أنه قد يكون يضحك فاذا ذكر عنده حديث النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم خشع وقال أبو مصعب كان مالك بن أنس رضي الله عنه
لا يحدث بحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو على وضوء اجلالا له
وحكى مالك ذلك عن جعفر بن محمد وقال مصعب بن عبد الله كان مالك
ابن أنس رضي الله عنه اذا حدث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم توضأ وتهيأ
ولبس ثيابه ثم يحدث قال مصعب فسئل عن ذلك فقال انه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال مطرف كان اذا أتى الناس مالكا خرجت اليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم
الشيخ تريدون الحديث أو المسائل فان قالوا المسائل خرج اليهم وان قالوا

الحديث

الحديث دخل مغتسله واغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا ولبس ساجه وتعمم
ووضع على رأسه رداءه وتلقى له منصة فيخرج ويجلس عليها وعليه الخشوع
ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال غيره ولم يكن يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث عن رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ابن أبي أويس فقيل لمالك في ذلك فقال
اني أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا أحدث به
الا على طهارة متمكنا قال وكان يكره أن يحدث في الطريق أو وهو قائم أو
مستعجل وقال أحب أن أفهم حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وقال ضرار بن مرة كانوا يكرهون أن يحدثوا الحديث على غير وضوء ونحوه
عن قتادة وكان الأعمش اذا أراد أن يحدث وهو على غير وضوء تيمم
وقال قتادة لا يحدث الا على طهارة قال عبد الله بن المبارك كنت عند
مالك وهو يحدثنا فلدغته عقرب ست عشرة مرة وهو يتغير لونه و
يصفر ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من
المجلس وتفرق عنه الناس قلت له يا أبا عبد الله لقد رأيت اليوم منك
عجبا قال نعم انما صبرت اجلالا لحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
قال ابن مهدي مشيت يوما مع مالك الى العقيق فسألته عن حديث
فانتهرني وقال لي كنت في عيني أجل من أن تسأل عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونحن نمشي وسأله جرير بن عبد الحميد القاضي عن حديث وهو قائم
فأمر بحبسه فقيل له انه قاض قال القاضي أحق من أدب وذكر أن هشام
بن الغازي سأل مالكا عن حديث وهو قائم فضربه عشرين سوطا ثم
أشفق عليه فحدثه عشرين حديثا فقال هشام وددت لو زادني سياطا ويزيدني
حديثا قال عبد الله بن صالح كان مالك والليث لا يكتبان الحديث الا
وهما طاهران وكان قتادة يستحب أن لا يقرأ أحاديث النبي صلى الله عليه
فصل ومن توقيره صلى الله تعالى عليه وسلم وبره بر آله وذريته وأمهات
المؤمنين أزواجه كما حض صلى الله تعالى عليه وسلم وسلكه السلف الصالح رضي الله عنهم

الساج الطيلسان الأخضر وضرب من الشجر صح

القاري

قال الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الاية ● وقال تعالى
وازواجه امهاتهم ● اخبرنا الشيخ ابو محمد بن احمد العدل من كتابه وكتبته
من اصله ● ثنا ابو الحسن المقرئ الفرغاني حدثتني ام القاسم بنت الشيخ
ابي بكر الخفاف ثني ابي ثنا حاتم هو ابن عقيل ثنا يحيى هو ابن اسمعيل
ثنا يحيى هو الحماني ثنا وكيع عن ابيه عن سعيد بن مسروق عن يزيد بن حيان
عن زيد بن ارقم قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انشدكم الله
في اهل بيتي ثلاثا قلنا لزيد من اهل بيته قال آل علي وآل جعفر وآل عقيل
وآل العباس ● وقال صلى الله تعالى عليه وسلم اني تارك فيكم ما ان اخذتم
به لن تضلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما ●
وقال عليه السلام معرفة آل محمد براءة من النار ● وحب آل محمد جواز على الصراط
والولاية لآل محمد امان من العذاب ● قال بعض العلماء معرفتهم هي معرفة
مكانهم من النبي صلى الله عليه وسلم ● واذا عرفهم بذلك عرف وجوب حقهم و
حرمتهم بسببه ● وعن عمر بن ابي سلمة لما نزلت انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت الاية وذلك في بيت ام سلمة دعا فاطمة وحسنا
وحسينا فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره ثم قال اللهم هؤلاء اهل بيتي
فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ● وعن سعد بن ابي وقاص رضي الله تعالى عنه
لما نزلت آية المباهلة دعا النبي صلى الله عليه وسلم عليا وحسنا وحسينا وفاطمة عليهم
وقال اللهم هؤلاء اهلي ● وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في علي رضي الله عنه
من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ● وقال
فيه لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق ● وقال صلى الله عليه وسلم للعباس رضي الله عنه
والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله ومن
اذى عمي فقد اذاني وانما عم الرجل صنو ابيه ● وقال للعباس رضي الله تعالى عنه
اغد علي يا عم مع ولدك فجمعهم وجللهم بملاءته وقال هذا عمي وصنو ابي
وهؤلاء اهل بيتي فاسترهم من النار كستري اياهم فامنت اسكفة الباب
وحوائط البيت آمين آمين ● وكان يأخذ اسامة بن زيد والحسن ويقول

اسمعيل

يا نساء النبي لستن كاحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا ● وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى واقمن الصلاة وآتين الزكوة واطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا

اللهم

اللهم اني احبهما فاحبهما ● وقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم
في اهل بيته ● وقال ايضا والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم
احب الي ان اصل من قرابتي ● وقال صلى الله تعالى عليه وسلم احب الله من
احب حسنا وحسينا ● وقال صلى الله عليه وسلم من احبني واحب هذين
واشار الى الحسن وحسين واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيمة ●
وقال صلى الله تعالى عليه وسلم من اهان قريشا اهانه الله ● وقال صلى الله عليه وسلم
قدموا قريشا ولا تقدموها وقال صلى الله عليه وسلم لام سلمة لا تؤذيني في عائشة
● وعن عقبة بن الحارث رايت ابا بكر رضي الله عنه وجعل الحسن على عنقه
وهو يقول بابي شبيه بالنبي ليس شبيها بعلي وعلي رضي الله عنه يضحك ● و
روى عبد الله بن حسن بن حسن قال اتيت عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال
اذا كانت لك حاجة فارسل الي او اكتب فاني استحيي من الله ان يراك
على بابي ● وعن الشعبي قال صلى زيد بن ثابت على جنازة امه ثم قربت
له بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فاخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هكذا نفعل بالعلماء ● فقبل زيد يد ابن عباس رضي الله عنه
وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ورأى
ابن عمر محمد بن اسامة بن زيد ● فقال ليت هذا عبدي فقيل له هو محمد بن
اسامة فطاطا ابن عمر راسه ونقر بيده الارض وقال لو رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم
لاحبه ● وقال الاوزاعي دخلت بنت اسامة بن زيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ومعها مولى لها يمسك بيدها فقام لها عمر
ومشى اليها حتى جعل يدها بين يديه ويداه في ثيابه ومشى بها حتى اجلسها
على مجلسه وجلس بين يديها وما ترك لها حاجة الا قضاها ● ولما فرض
عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابنه عبد الله في ثلاثة الاف ولاسامة بن زيد
في ثلاثة الاف وخمس مائة قال عبد الله لابيه لم فضلته فوالله ما سبقني
الى مشهد فقال له لان زيدا كان احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم على حتى
وبلغ معوية ان كابس بن ربيعة يشبه برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

تعظيم العلماء

كان ابيك واسامة احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابيك

فلما دخل عليه من باب الدار قام عن سريره وتلقاه وقبل بين عينيه وأقطعه
المرغاب لشبهه صورة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ● وروي أن مالكا
رحمه الله تعالى لما ضربه جعفر بن سليمان ونال منه ما نال وحمل مغشيا عليه دخل
عليه الناس فأفاق فقال أشهدكم أني جعلت ضاربي في حل ● فسئل بعد
ذلك فقال خفت أن أموت فألقى النبي صلى الله عليه وسلم فأستحيي منه أن يدخل
بعض آله النار بسببي ● وقيل إن المنصور أقاده من جعفر فقال له
أعوذ بالله والله ما ارتفع منها سوط عن جسمي إلا وقد جعلته في حل لقرابته
من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ● وقال أبو بكر بن عياش لو أتاني
أبو بكر وعمر وعلي رضي الله تعالى عنهم لبدأت بحاجة علي قبلهما لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولأن أخر من السماء إلى الأرض أحب إلي من أن أقدمه عليهما ● وقيل
لابن عباس رضي الله عنه ماتت فلانة لبعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فسجد فقيل له
أتسجد هذه الساعة فقال أليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم
آية فاسجدوا وأي آية أعظم من ذهاب أزواج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ●
وكان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يزوران أم أيمن مولاة النبي صلى الله عليه وسلم
ويقولان كان النبي صلى الله عليه وسلم يزورها ● ولما دخلت حليمة السعدية
على النبي صلى الله عليه وسلم بسط لها رداءه وقضى حاجتها ● فلما توفي صلى الله عليه وسلم
وفدت على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فصنعا بها مثل ذلك

فصل ومن توقيره وبره

صلى الله عليه وسلم توقير أصحابه وبرهم ومعرفة حقهم والاقتداء بهم
وحسن الثناء عليهم والاستغفار لهم والإمساك عما شجر بينهم ومعاداة
من عاداهم والإضراب عن أخبار المؤرخين وجهلة الرواة وضلال الشيعة
والمبتدعين القادحة في واحد منهم ● وأن يلتمس لهم فيما نقل من مثل ذلك
فيما كان بينهم من الفتن أحسن التأويلات ويخرج لهم أصوب المخارج إذ هم
أهل ذلك ولا يذكر أحد منهم بسوء ولا يغمص عليه أمر بل تذكر حسناتهم و
فضائلهم وحميد سيرتهم ويسكت عما وراء ذلك ● كما قال عليه السلام إذا ذكر
أصحابي فأمسكوا وقال الله تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء

أقرب

عن علي بن حسين أتى قوم لجماعة فخاضوا في
أبي بكر وعمر وعثمان الآخر وقال أنتم المهاجرون
الأولون الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم
يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله
ورسوله أولئك هم الصادقون ● قالوا لا قال
فأنتم الذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون
من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة
مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم
خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون
قالوا لا قال أما أنتم فقد برئتم أن تكونوا في
أحد هذين الفريقين وأنا أشهد أنكم لستم
من الذين قال الله فيهم والذين جاؤوا من بعدهم
يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا
بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا
إنك رؤوف رحيم ●

بحبهم

أبي ذر أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله ● لا يجد العبد صريح الإيمان حتى يحب
لله ويبغض لله فإذا أحب لله وأبغض لله فقد استحق الولاية ● هل الدين إلا الحب والبغض

بينهم إلى آخر السورة ● وقال تعالى والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار
الآية ● وقال تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ● و
قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية ● ثنا القاضي أبو علي ● ثنا
أبو الحسين وأبو الفضل قالا ● ثنا أبو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب ثنا الترمذي
ثنا الحسن بن الصباح ثنا سفيان بن عيينة عن زائدة عن عبد الملك بن
عمير عن ربعي بن خراش عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
اقتدوا باللذين من بعدي أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ● وقال صلى الله عليه وسلم
أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ● وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثل أصحابي كمثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام إلا به ● وقال صلى الله عليه وسلم
الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن
أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله
ومن آذى الله يوشك أن يأخذه ● وقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فلو
أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه ● وقال صلى الله عليه وسلم
من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله تعالى منه صرفا
ولا عدلا ● وقال صلى الله عليه وسلم إذا ذكر أصحابي فأمسكوا وقال صلى الله عليه وسلم في حديث جابر إن الله اختار أصحابي على
جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين ● واختار لي منهم أربعة أبا بكر
وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير أصحابي وفي أصحابي كلهم خير ● وقال صلى الله عليه وسلم
من أحب عمر فقد أحبني ومن أبغض عمر فقد أبغضني ● وقال مالك بن
أنس رضي الله عنه وغيره من أبغض الصحابة وسبهم فليس له في فيء المسلمين حق ونزع
بآية الحشر والذين جاؤوا من بعدهم الآية وقال من غاظه أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
فهو كافر ● قال الله تعالى ليغيظ بهم الكفار ● وقال عبد الله بن المبارك خصلتان
من كانتا فيه نجا الصدق وحب أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ● وقال أيوب
السختياني من أحب أبا بكر فقد أقام الدين ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل
ومن أحب عثمان فقد استضاء بنور الله ومن أحب عليا فقد استمسك بالعروة
الوثقى ومن أحسن الثناء على أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ● فقد برئ من النفاق
ومن انتقص أحدا منهم فهو مبتدع مخالف للسنة وللسلف الصالح وأخاف
أن لا يصعد له عمل إلى السماء حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه سليما ● وفي

وفي أصحابي

حديث خالد بن سعيد رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ايها الناس اني راض عن
ابي بكر فاعرفوا له ذلك ايها الناس اني راض عن عمر وعن علي وعن عثمان
وعن طلحة والزبير وعن سعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف فاعرفوا لهم
ذلك ● ايها الناس ان الله غفر لاهل بدر والحديبية ايها الناس
احفظوني في اصحابي واصهاري واختاني لا يطالبنكم احد منهم بمظلمة فانها
مظلمة لا توهب في القيمة غدا ● وقال رجل للمعافى بن عمران اين عمر بن عبد
العزيز من معاوية فغضب وقال لا يقاس باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ●
احد معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وامينه على وحي الله عز وجل ● واتي
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل عليه وقال كان يبغض
عثمان فابغضه الله ● وقال صلى الله تعالى عليه وسلم في الانصار اعفوا عن
عن مسيئهم واقبلوا من محسنهم وقال صلى الله عليه وسلم احفظوني في اصحابي و
اصهاري فانه من حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والاخرة ومن لم يحفظني
فيهم تخلى الله منه ومن تخلى الله منه يوشك ان ياخذه ● وعنه صلى الله عليه وسلم
قال من حفظني في اصحابي كنت له حافظا يوم القيمة ● وقال صلى الله عليه وسلم
من حفظني في اصحابي ورد على الحوض ومن لم يحفظني في اصحابي لم يرد على
الحوض ولم يرني الا من بعيد ● قال مالك رحمه الله هذا النبي صلى الله عليه وسلم
مؤدب الخلق الذي هدانا الله به وجعله رحمة للعالمين يخرج في جوف الليل
الى البقيع فيستغفر لهم ويدعو كالمودع لهم وبذلك امره الله وامر النبي صلى الله عليه وسلم
بحبهم وموالاتهم ومعادات من عاداهم ● ويروى عن كعب ليس احد من اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم الا له شفاعة يوم القيمة ● وطلب من المغيرة بن نوفل
ان يشفع له يوم القيمة ● قال سهل التستري لم يؤمن بالرسول صلى الله عليه وسلم
من لم يوقر اصحابه ولم يعز اوامره **فصل ومن اعظامه واكباره** صلى الله عليه وسلم
اعظام جميع اسبابه واكرام مشاهده وامكنته من مكة والمدينة ومعاهده
وما لمسه عليه السلام او عرف به ● وروي عن صفية بنت نجدة قالت كانت لابي
محذورة قصة في مقدم راسه اذا قعد وارسلها اصابت الارض فقيل له الا تحلقها

وروى

ابن عبد

اعظام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

فقال

فقال لم اكن بالذي احلقها وقد مسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ● وكانت
في قلنسوة خالد بن الوليد شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم فسقطت قلنسوته
في بعض حروبه فشد عليها شدة انكر عليه اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كثرة
من قتل فيها فقال لم افعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمنته من شعره صلى الله عليه وسلم
لئلا اسلب بركتها وتقع في ايدي المشركين ● وروي ابن عمر رضي الله عنهما
واضعا يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه
ولهذا كان مالك رحمه الله لا يركب بالمدينة دابة وكان يقول استحيي من الله ان اطأ
تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة ● وروي انه وهب للشافعي
رضي الله عنهما كراعا كثيرا كان عنده فقال له الشافعي امسك منها دابة فاجابه
بمثل هذا الجواب ● وقد حكى ابو عبد الرحمن السلمي عن احمد بن فضلويه
الزاهد وكان من الغزاة الرماة ● قال ما مسست القوس بيدي الا على
طهارة منذ بلغني ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اخذ القوس بيده ●
وقد افتى مالك فيمن قال تربة المدينة ردية بضرب ثلثين درة وامر
بحبسه وكان له قدر وقال ما احوجه الى ضرب عنقه تربة دفن فيها
الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يزعم انها غير طيبة ● وفي الصحيح انه
قال صلى الله تعالى عليه وسلم في المدينة من احدث فيها حدثا او اوى محدثا فعليه
لعنة الله والملئكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا ● وحكي
ان جهجاها الغفاري اخذ قضيب النبي صلى الله عليه وسلم من يد عثمان رضي الله عنه
وتناوله ليكسره على ركبته فصاح الناس به فاخذته الاكلة في ركبته
فقطعها ومات قبل الحول ● وقال صلى الله تعالى عليه وسلم من حلف على منبري
كاذبا فليتبوأ مقعده من النار ● وحدثت ان ابا الفضل الجوهري لما ورد
المدينة زايرا وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا ولما راينا رسم
من لم يدع لنا فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا ●● نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة
لمن بان عنه ان نلم به ركبا ●● وحكي عن بعض المريدين انه لما اشرف
على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم انشا ● يقول متمثلا رفع الحجاب لنا

النبي

هذان البيتان للتنبيه

هذه الابيات لابي نواس الحسن هانئ في محمد الامين بن الرشيد

فلاح لناظر • فمن تقطع دونه الأوهام وإذا المطي بنا بلغن محمدا فظهورهن على الرجال حرام • قربننا من خير من وطئ الثرى فلها علينا حرمة وذمام • وحكي عن بعض المشايخ أنه حج ماشيا فقيل له في ذلك فقال العبد الآبق يأتي إلى بيت مولاه راكبا لو قدرت أن أمشي على رأسي ما مشيت على قدمي • قال القاضي وجدير لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل وتردد بها جبريل وميكائيل وعرجت منها الملائكة والروح وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح • واشتملت تربتها على جسد سيد المرسلين • وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ما انتشر مدارس آيات • ومساجد وصلوات ومشاهد الفضائل والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات ومناسك الدين ومشاعر المسلمين • ومواقف سيد المرسلين ومتبوأ خاتم النبيين حيث انفجرت النبوة وأين فاض عبابها ومواطن مهبط الرسالة وأول أرض مس جلد المصطفى ترابها أن تعظم عرصاتها وتتنسم نفحاتها وتقبل ربوعها وجدراتها • وأنشد يا دار خير المرسلين ومن به هدي الأنام وخص بالآيات • عندي لأجلك لوعة وصبابة • وتشوق متوقد الجمرات • وعلي عهد إن ملأت محاجري • من تلكم الجدرات والعرصات • لأعفرن مصون شيبي بينها • من كثرة التقبيل والرشفات • لولا العوادي والأعادي زرتها • أبدا ولو سحبا على الوجنات • لكن سأهدي من حفيل تحيتي • لقطين تلك الدار والحجرات • أذكى من المسك المفتق نفحة تغشاه بالآصال والبكرات • وتخصه بزواكي الصلوات • ونوامي التسليم والبركات

الباب الرابع في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته

قال الله تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبي الآية • قال ابن عباس معناه إن الله تبارك وتعالى وملائكته يباركون على النبي صلى الله عليه وسلم • وقيل إن الله يترحم على النبي وملائكته يدعون له • قال المبرد وأصل الصلاة الترحم فهي من الله رحمة ومن الملائكة رقة واستدعاء للرحمة من الله • وقد ورد في الحديث صفة صلاة الملائكة على من جلس ينتظر الصلاة اللهم اغفر له اللهم ارحمه

فهذا

فهذا دعاء • وقال بكر القشيري الصلاة من الله لمن دون النبي صلى الله عليه وسلم رحمة وللنبي صلى الله تعالى عليه وسلم تشريف وزيادة تكرمة • وقال أبو العالية صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء • قال القاضي أبو الفضل رحمه الله وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم في حديث تعليم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة ولفظ البركة فدل أنهما بمعنيين • وأما التسليم الذي أمر الله عز وجل به عباده فقال القاضي أبو بكر بن بكير نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم • فأمر الله تعالى أصحابه أن يسلموا عليه وكذلك من بعدهم أمروا أن يسلموا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عند حضورهم قبره وعند ذكره • وفي معنى السلام عليه ثلاثة وجوه أحدها السلامة لك ومعك وتكون السلامة مصدرا كاللذاذ واللذاذة الثاني أي السلام على حفظك ورعايتك متول له وكفيل به ويكون هنا السلام اسم الله تعالى • الثالث أن السلام بمعنى المسالمة له والانقياد • كما قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما

فصل اعلم أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض على الجملة غير محدد بوقت لأمر الله تعالى بالصلاة عليه صلى الله وسلم عليه وحمل الأئمة والعلماء له على الوجوب وأجمعوا عليه • وحكى أبو جعفر الطبري أن محمل الآية عنده على الندب وادعى فيه الإجماع ولعله فيما زاد على مرة • والواجب منه الذي يسقط به الحرج ومأثم ترك الفرض مرة كالشهادة له بالنبوة وما عدا ذلك فمندوب مرغب فيه من سنن الإسلام وشعار أهله • قال القاضي أبو الحسن بن القصار المشهور عن أصحابنا أن ذلك واجب في الجملة على الإنسان وفرض عليه أن يأتي بها مرة من دهره مع القدرة على ذلك • وقال القاضي أبو بكر بن بكير افترض الله على خلقه أن يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما • ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب أن يكثر المرء منها ولا يغفل عنها • قال القاضي أبو محمد بن نصر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم واجبة في الجملة • قال القاضي أبو عبد الله

Marginal notes:

البشر ن

عنها من دين الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ما انتشر صح

يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ... وقولوا السلام عليك أيها النبي وقيل وانقادوا لأوامره وقيل عقب الصلاة كلما جرى ذكره ق

يترحم على النبي صلى الله عليه وسلم صح

تعليم ن

وحكى عن أبي جعفر

بلغ مقابلة

الحان

محمد بن سعيد ذهب مالك واصحابه وغيرهم من اهل العلم ان الصلوة على
النبي صلى الله عليه وسلم فرض بالجملة بعقد الايمان لا يتعين في الصلوة و
ان من صلى عليه مرة واحدة من عمره سقط الفرض عنه ● وقال اصحاب
الشافعي رضي الله عنه الفرض منها الذي امر الله به ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم
هو في الصلوة وقالوا واما في غيرها فلا خلاف انها غير واجبة ● واما
في الصلوة فحكى الامامان ابو جعفر الطبري والطحاوي وغيرهما اجماع
جميع المتقدمين والمتاخرين من علماء الامة على ان الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم
في التشهد غير واجبة ● وشذ الشافعي رحمه الله في ذلك فقال من لم يصل
على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من بعد التشهد الاخير وقبل السلام
فصلاته فاسدة وان صلى عليه قبل ذلك لم تجزه ولا سلف له في هذا
القول ولا سنة يتبعها ● وقد بالغ في انكار هذه المسئلة عليه لمخالفته
فيها من تقدمه جماعة وشنعوا عليه الخلاف فيها منهم الطبري والقشيري
وغير واحد ● وقال ابو بكر بن المنذر يستحب ان لا يصلي احد صلوة الا
صلى فيها على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فان ترك ذلك تارك فصلاته
مجزية في مذهب مالك واهل المدينة وسفيان الثوري واهل الكوفة
من اصحاب الرأي وغيرهم وهو قول جل اهل العلم ● وحكي عن مالك
وسفيان انها في التشهد الاخير مستحبة وان تاركها في التشهد مسيء وشذ
الشافعي رحمه الله تعالى فاوجب على تاركها في الصلوة الاعادة ● واوجب
اسحق الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان ● وحكى ابو محمد ابن ابي زيد
عن محمد ابن المواز ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فريضة قال ابو محمد يريد
ليست من فرائض الصلاة ● وقاله محمد بن عبد الحكم وغيره ● وحكى ابن
القصار وعبد الوهاب ان محمد بن المواز يراها فريضة في الصلاة كقول
الشافعي ● وحكى ابو يعلى العبدي المالكي عن المذهب فيها ثلاثة اقوال
في الصلاة الوجوب والندب والسنة ● وقد خالف الخطابي من اصحاب الشافعي
وغيره الشافعي في هذه المسئلة ● قال الخطابي وليست بواجبة في الصلاة

وهو

ابواه

٢

قوله

صلاته مجزية في مذهب مالك واهل المدينة وسفيان الثوري

وهو قول جماعة الفقهاء الا الشافعي ولا اعلم له فيها قدوة والدليل
على انها ليست من فروض الصلوة عمل السلف الصالح قبل الشافعي واجماعهم
عليه ● وقد شنع الناس عليه هذه المسئلة جدا وهذا تشهد ابن مسعود
الذي اختاره الشافعي وهو الذي علمه له النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه الصلوة
على النبي صلى الله عليه وسلم ● وكذلك كل من روى التشهد عن النبي صلى الله عليه وسلم
كابي هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وابي سعيد الخدري وابي موسى
الاشعري وعبد الله بن الزبير لم يذكروا فيه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
● وقد قال ابن عباس وجابر كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ● يعلمنا
التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن ونحوه عن ابي سعيد ● وقال ابن
عمر كان ابو بكر رضي الله عنه يعلمنا التشهد على المنبر كما تعلمون الصبيان
في المكاتب وعلمه ايضا على المنبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفي الحديث
لا صلاة لمن لم يصل علي ● قال ابن القصار معناه كاملة او لمن لم يصل
علي مرة في عمره وضعف اهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث ● و
في حديث ابي جعفر عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة
لم يصل فيها علي وعلى اهل بيتي لم يقبل منه قال الدارقطني الصواب انه
من قول ابي جعفر محمد بن الحسين لو صليت صلاة لم اصل فيها على
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ● ولا على اهل بيته لرأيت انها لا تتم ●

فصل في المواطن التي تستحب

فيها الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم
ويرغب من ذلك في تشهد الصلاة كما قدمناه وذلك بعد التشهد وقبل
الدعاء ● حدثنا القاضي ابو علي رحمه الله تعالى بقراءتي عليه قال ثنا الامام
ابو القاسم البلخي قال ثنا الفارسي عن ابي القاسم الخزاعي عن ابي سعيد
الهيثم بن كليب عن ابي عيسى الحافظ قال ثنا محمود بن غيلان ● ثنا
عبد الله بن يزيد المقرئ ثنا حيوة بن شريح حدثني ابو هانئ الخولاني
ان عمرو بن مالك الجنبي اخبره انه سمع فضالة بن عبيد يقول سمع
النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم

كذا في اصول هذا الكتاب الذي اختاره الشافعي في تشهد ابن عباس

الكتاب

فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له ولغيره اذا صلى
احدكم فليبدأ بتحميد الله تعالى والثناء عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم
ليدع بعد ما شاء ● ويروى من غير هذا السند بتحميد الله وهو اصح
وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال الدعاء والصلاة معلق بين السماء
والارض ولا يصعد الى الله منه شيء حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم
وعن علي رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بمعناه وقال وعلى
آل محمد ● وروي ان الدعاء محجوب حتى يصلي الداعي على النبي صلى الله عليه وسلم
وعن ابن مسعود رضي الله عنه اذا اراد احدكم ان يسأل الله تعالى حاجة فليبدأ
بمدحه والثناء عليه بما هو اهله ثم يصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ثم ليسأل حاجته فانه اجدر ان ينجح ● وعن جابر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تجعلوني كقدح الراكب فان الراكب يملأ قدحه ثم يضعه ويرفع
متاعه فان احتاج الى شراب شربه او الوضوء توضأ والا اهراقه ولكن اجعلوني
في اول الدعاء واوسطه وآخره ● وقال ابن عطاء للدعاء اركان و
اجنحة واسباب واوقات فان وافق اركانه قوي وان وافق اجنحته طار
في السماء وان وافق مواقيته فاز وان وافق اسبابه نجح ● فاركانه
حضور القلب والرقة والاستكانة والخشوع وتعلق القلب بالله وقطعه
من الاسباب ● واجنحته الصدق ومواقيته الاسحار واسبابه الصلوة
على محمد صلى الله عليه وسلم ● وفي الحديث الدعاء بين الصلاتين على لا يرد
وفي حديث آخر كل دعاء محجوب دون السماء فاذا جاءت الصلاة على
صعد الدعاء ● وفي دعاء ابن عباس رضي الله عنهما الذي رواه عنه حنش فقال في آخره
واستجب دعائي ● ثم تبدأ بالصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فتقول اللهم
اني اسألك ان تصلي على محمد عبدك ونبيك ورسولك افضل ما صليت على
احد من خلقك اجمعين آمين ● ومن مواطن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عند
ذكره وسماع اسمه او كتابه او عند الاذان وقد قال عليه السلام رغم انف رجل
ذكرت عنده فلم يصل علي وكره ابن حبيب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عند الذبح

شيئا ن

شروط دعاء ن

وكره سحنون الصلاة عليه عند التعجب وقال لا يصلى عليه الا على طريق
الاحتساب وطلب الثواب ● قال اصبغ عن ابن القاسم موطنان لا يذكر
فيهما الا الله الذبيحة والعطاس فلا تقل فيهما بعد ذكر الله محمد رسول الله
ولو قال بعد ذكر الله صلى الله تعالى على محمد لم تكن تسمية له مع الله تعالى ●
وقاله اشهب ● قال ولا ينبغي ان تجعل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
فيه استنانا ● وروى النسائي عن اوس بن اوس عن النبي صلى الله عليه وسلم
الامر بالاكثار من الصلوة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الجمعة ● و
من مواطن الصلوة عليه عليه السلام دخول المسجد قال ابو اسحق بن شعبان
وينبغي لمن دخل المسجد ان يصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله
ويترحم عليه وعلى آله ويبارك عليه وعلى آله ويسلم تسليما ● ويقول
اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك ● واذا خرج فعل مثل ذلك
ويقول موضع رحمتك فضلك ● وقال عمرو بن دينار في قوله تعالى
فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم قال ان اذا لم يكن في البيت احد فقل
السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
السلام على اهل البيت ورحمة الله وبركاته ● قال ابن عباس المراد بالبيوت
هنا المساجد ● وقال النخعي اذا لم يكن في البيت احد فقل السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين ● وعن علقمة اذا دخلت اقول السلام عليك
ايها النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله على محمد ● ونحوه عن كعب اذا
دخل المسجد واذا خرج ولم يذكر الصلوة ● واحتج ابن شعبان لما ذكره
بحديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يفعله اذا دخل المسجد ● ومثله عن ابي بكر بن عمرو بن حزم وذكر السلام
والرحمة ● وقد ذكرنا هذا الحديث آخر القسم والاختلاف في الفاظه ● ومن
مواطن الصلاة عليه ايضا الصلاة على الجنائز ● وذكر عن ابي امامة انها
من السنة ومن مواطن الصلاة التي مضى عليها عمل الامة ولم تنكرها الصلاة
على النبي وآله في الرسائل وما يكتب بعد البسملة ولم يكن هذا في الصدر الاول

تسميته ن

عليه وعلى آله ن

وملئكته ن

وأحدث عنده ولاية بني هاشم فمضى به العمل في أقطار الأرض ومنهم من يختم
به أيضا الكتب ● وقال صلى الله تعالى عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل
الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب ● ومن مواطن السلام
على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تشهد الصلاة ثنا أبو القاسم خلف بن
إبرهيم المقرئ الخطيب رحمه الله تعالى وغيره قال حدثتني كريمة بنت
أحمد قالت ثنا أبو الهيثم ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسمعيل ثنا أبو نعيم
ثنا الأعمش عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال إذا صلى أحدكم فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات السلام
عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
فإنكم إذا قلتموها أصابت كل عبد صالح لله في السماء والأرض هذا أحد
مواطن التسليم عليه ● وسنته أول التشهد ● وقد روى مالك عن
ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يقول ذلك إذا فرغ من تشهده وأراد أن يسلم
واستحب مالك في المبسوط أن يسلم بمثل ذلك قبل السلام ● قال
محمد بن سلمة أراد ما جاء عن عائشة وابن عمر رضي الله عنهما أنهما كانا يقولان
عند سلامهما السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم ● واستحب أهل العلم
أن ينوي الإنسان حين سلامه كل عبد صالح في السماء والأرض من الملائكة
وبني آدم والجن ● قال مالك في المجموعة وأحب للمأموم إذا سلم
إمامه أن يقول السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم **فصل في كيفية الصلاة عليه**
صلى الله عليه وسلم ● ثنا أبو إسحق إبرهيم بن جعفر الفقيه بقراءتي عليه
ثنا القاضي أبو الأصبغ عيسى بن سهل ثنا أبو عبد الله ثنا يحيى ثنا مالك عن
عبد الله بن أبي بكر بن حزم عن أبيه عن عمرو بن سليم الزرقي أنه قال
أخبرني أبو حميد الساعدي أنهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال
قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبرهيم وبارك

على

على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبرهيم إنك حميد مجيد
وفي رواية مالك عن أبي مسعود الأنصاري قال قولوا اللهم صل على محمد
وعلى آله كما صليت على آل إبرهيم ● وبارك على محمد كما باركت على آل إبرهيم
في العالمين إنك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم ● وفي رواية كعب بن
عجرة اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبرهيم وبارك على محمد
وآل محمد كما باركت على إبرهيم إنك حميد مجيد ● وعن عقبة بن عمرو
في حديثه اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد ● وفي رواية أبي سعيد
الخدري ● اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وذكر معناه ● وحدثنا
القاضي أبو عبد الله التميمي سماعا عليه وأبو علي الحسن بن طريف النحوي
بقراءتي عليه قالا ثنا عبد الله بن سعدون الفقيه قال أخبرنا أبو بكر
المطوعي قال ثنا أبو عبد الله الحاكم عن أبي بكر بن أبي دارم الحافظ
عن علي بن أحمد العجلي عن حرب بن الحسن عن يحيى بن المساور عن عمرو بن
خالد عن زيد بن علي بن الحسين عن أبيه علي عن أبيه الحسين عن أبيه
علي بن أبي طالب رضي الله عنهم قال عدهن في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال عدهن في يدي جبريل عليه السلام ● وقال هكذا أنزلت من عند رب
العزة تبارك وتعالى ● اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على
إبرهيم وعلى آل إبرهيم إنك حميد مجيد ● اللهم بارك على محمد وعلى
آل محمد كما باركت على إبرهيم وعلى آل إبرهيم إنك حميد مجيد ● اللهم وترحم
على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على إبرهيم وعلى آل إبرهيم إنك حميد مجيد
● اللهم وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على إبرهيم وعلى آل إبرهيم
إنك حميد مجيد ● اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على إبرهيم
وعلى آل إبرهيم إنك حميد مجيد ● وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا أهل البيت فليقل ● اللهم
صل على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت
على إبرهيم إنك حميد مجيد ● وفي رواية زيد بن خارجة الأنصاري سألت النبي

كيف نصلي عليك فقال صلوا واجتهدوا في الدعاء ثم قولوا اللهم بارك
على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابرهيم انك حميد مجيد ● وعن سلامة
الكندي كان علي رضي الله عنه يعلمنا الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ●
اللهم داحي المدحوات وبارئ المسموكات اجعل شرائف صلواتك ونوامي
بركاتك ورأفة تحننك على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما اغلق ● و
الخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق ● والدامغ لجيشات الاباطيل ● كما حمل
فاضطلع بامرك بطاعتك مستوفزا في مرضاتك واعيا لوحيك ● حافظا
لعهدك ماضيا على نفاذ امرك حتى اورى قبسا لقابس الاء الله تصل باهله
اسبابه به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والاثم ● وابهج موضحات الاعلام
ونائرات الاحكام ومنيرات الاسلام ● فهو امينك المأمون وخازن علمك
المخزون وشهيدك يوم الحشر وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة ●
اللهم افسح له في عدنك واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهنات له
غير مكدرات من فوز ثوابك المعلول وجزيل عطائك المأمول ● اللهم
اعل على بناء الناس بناءه واكرم مثواه لديك ونزله واتمم له نوره
واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة ومرضي المقالة ذا منطق عدل
وخطة فصل وبرهان عظيم ● وعنه ايضا في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله وملئكته يصلون على النبي الاية ● لبيك اللهم ربي وسعديك ●
صلوات الله البر الرحيم ● والملئكة المقربين والنبيين والصديقين والشهداء
والصالحين ● وما سبح لك من شيء يا رب العالمين ● على محمد بن عبد الله
خاتم النبيين وسيد المرسلين ● وامام المتقين ورسول رب العالمين ●
الشاهد البشير الداعي اليك باذنك السراج المنير ● وعن عبد الله بن مسعود
انه كان يقول اذا صليتم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاحسنوا الصلاة عليه
فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه وقولوا ● اللهم اجعل صلواتك وبركاتك
ورحمتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك
امام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون

تحيتك ن

لعهودك ن

ومنيرات ن

يوم الدين ن

وعليه السلام ن

والآخرون

والآخرون ● اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابرهيم انك
حميد مجيد ● وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابرهيم
وآل ابرهيم انك حميد مجيد ● وكان الحسن البصري يقول من اراد
ان يشرب بالكاس الاوفى من حوض المصطفى فليقل ● اللهم صل على
محمد وعلى آله واصحابه واولاده وازواجه وذريته واهل بيته واصهاره
وانصاره واشياعه ومحبيه وامته وعلينا معهم اجمعين يا ارحم الراحمين
● وعن طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان يقول اللهم تقبل شفاعة
محمد الكبرى وارفع درجته العليا وآته سؤله في الآخرة والاولى ● كما
آتيت ابرهيم وموسى ● وعن وهيب بن الورد انه كان يقول في دعائه
اللهم اعط محمدا افضل ما سألك لنفسه واعط محمدا افضل ما سألك
له احد من خلقك واعط محمدا افضل ما انت مسؤول له الى يوم القيمة ●
وما يؤثر في تطويل الصلاة وتكثير الثناء عن اهل البيت وغيرهم كثير
● وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم كما قد علمتم هو ما علمه في التشهد من قوله
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد
الله الصالحين ● وفي تشهد علي رضي الله تعالى عنه السلام على نبي الله
السلام على انبياء الله ورسله السلام على رسول الله السلام على محمد
بن عبد الله السلام علينا وعلى المؤمنين والمؤمنات من غاب منهم ومن
شهد اللهم اغفر لمحمد وتقبل شفاعته واغفر لاهل بيته ● اللهم
اغفر لي ولوالدي وما ولدا وارحمهما السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته جاء في هذا الحديث عن علي
الدعاء للنبي صلى الله عليه وسلم بالغفران ● وفي حديث الصلاة عليه ايضا
قبل الدعاء له بالرحمة ولم يات في غيره من الاحاديث المرفوعة المعروفة
وقد ذهب ابو عمر بن عبد البر وغيره الى انه لا يدعى للنبي صلى الله عليه وسلم
بالرحمة ● وانما يدعى له بالصلاة والبركة التي يختص بها ويدعى لغيره
بالرحمة والمغفرة ● وقد ذكر ابو محمد بن ابي زيد في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

على ن

ومعنى الصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم عظمه في الدنيا باعلاء ذكره
واظهار دعوته وابقاء شريعته وفي الآخرة بشفاعته في امته وتضعيف اجره ومثوبته

اللهم ارحم محمدا وآل محمد كما ترحمت على ابرهيم وآل ابرهيم ولم يأت
هذا في حديث صحيح ● وحجته قوله عليه السلام السلام عليك ايها النبي ورحمة
الله وبركاته **فصل في فضيلة الصلوة على النبي** والتسليم عليه والدعاء له عليه السلام
ثنا احمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه ثنا القاضي يونس بن مغيث ثنا ابو بكر
بن معاوية ثنا النسائي ● انا سويد بن نصر انا عبد الله عن حيوة بن شريح
قال اخبرني كعب بن علقمة انه سمع عبد الرحمن بن جبير مولى نافع انه
سمع عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ● يقول
وصلوا علي فانه من صلى علي مرة صلى الله تعالى عليه عشرا ● ثم سلوا الله
لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا ينبغي الا لعبد من عباد الله وارجوا ان
اكون انا هو فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة ● وروى انس بن
مالك رضي الله عنه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال من صلى علي صلوة صلى الله عليه
عشرا وحط عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات ● وفي رواية
وكتب له عشر حسنات ● وعن انس عنه عليه السلام ان جبريل عليه السلام ناداني
فقال من صلى عليك صلاة صلى الله تعالى عليه عشرا ورفعه عشر درجات ●
ومن رواية عبد الرحمن بن عوف عنه عليه السلام لقيت جبريل عليه السلام فقال اني
ابشرك ان الله تعالى يقول من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك صليت
عليه ● ونحوه من رواية ابي هريرة ومالك بن اوس بن الحدثان وعبد الله بن
ابي طلحة ● وعن زيد بن الحباب قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من قال
اللهم صل على محمد وانزله المنزل المقرب عندك يوم القيمة وجبت له شفاعتي
● وعن ابن مسعود رضي الله عنه اولى الناس بي يوم القيمة اكثرهم علي صلوة ● وعن
ابي هريرة رضي الله عنه عنه عليه السلام من صلى علي في كتاب لم تزل الملئكة تستغفر له ما بقي
اسمي في ذلك الكتاب فليقلل من ذلك او ليكثر ● وعن عامر بن ربيعة رضي الله عنه
سمعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من صلى علي صلاة صلت عليه الملئكة ما
ما صلى علي فليقلل من ذلك او ليكثر ● وعن ابي بن كعب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا ذهب ربع الليل قام فقال يا ايها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها

الرادفة

عشر صلوات ن

صلوات ربيع بن ثابت الانصاري

الرادفة فجاء الموت بما فيه فقال ابي بن كعب يا رسول الله اني اكثر الصلاة
عليك فكم اجعل لك من صلاتي قال ما شئت قال الربع قال ما شئت وان
زدت فهو خير لك قال النصف قال ما شئت وان زدت فهو خير قال
الثلثين قال ما شئت وان زدت فهو خير قال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجعل
صلاتي كلها لك قال اذا يكفي ويغفر ذنبك ● وعن ابي طلحة دخلت
على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فرأيت من بشره وطلاقته ما لم اره قط
فسألته فقال وما يمنعني وقد خرج جبريل عليه السلام آنفا فأتاني ببشارة
من ربي عز وجل ان الله تعالى بعثني اليك ابشرك انه ليس احد من امتك يصلي
عليك الا صلى الله عليه بها عشرا ● وعن جابر بن عبد الله قال النبي صلى الله عليه وسلم
من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة
آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له
الشفاعة يوم القيمة ● وعن سعد بن ابي وقاص من قال حين يسمع المؤذن
وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله ●
رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا غفر له ● وروى ابن وهب ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال من سلم علي عشرا فكأنما اعتق رقبة ● وفي بعض
الآثار ليردن علي اقوام ما اعرفهم الا بكثرة صلاتهم علي ● وفي آخر
ان انجاكم يوم القيمة من اهوالها ومواطنها اكثركم علي صلوة ● وعن
ابي بكر رضي الله عنه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم امحق للذنوب من الماء البارد
للنار والسلام عليه افضل من عتق الرقاب **فصل في ذم من لم يصل على النبي**
صلى الله عليه وسلم واثمه ثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله ثنا ابو الفضل بن خيرون
وابو الحسن الصيرفي قالا ثنا ابو يعلى ثنا السنجي ثنا محمد بن محبوب ● ثنا
ابو عيسى ثنا احمد بن ابرهيم الدورقي ثنا ربعي بن ابرهيم عن عبد الرحمن بن اسحق
عن سعيد بن ابي سعيد عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ●
رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ● ورغم انف رجل دخل شهر رمضان
ثم انسلخ قبل ان يغفر له ● ورغم انف رجل ادرك عنده ابواه الكبر فلم يدخلاه

قال الثلث قال ما شئت وان زدت فهو خير مع

بلغ مقابلة

صلاة ن

وبمحمد نبيا ورسولا صح

اخبرنا ن

الجنة ● قال عبد الرحمن واظنه قال او احدهما وفي حديث آخر ان النبي صلى الله عليه وسلم
صعد المنبر فقال آمين ثم صعد فقال آمين ● ثم صعد فقال آمين ●
فسئله معاذ عن ذلك فقال ان جبريل عليه السلام اتاني فقال يا محمد صلى الله عليه وسلم
من سميت بين يديه فلم يصل عليك فمات فدخل النار فابعده الله قل آمين
● وقال فمن ادرك رمضان فلم يقبل منه فمات مثل ذلك ومن ادرك
ابويه او احدهما فلم يبرهما فمات مثله ● وعن علي بن ابي طالب رضي الله
عنه عليه السلام انه قال البخيل الذي ذكرت عنده فلم يصل علي ● وعن جعفر بن
محمد عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من ذكرت عنده
فلم يصل علي اخطئ به طريق الجنة ● وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان البخيل كل البخيل من ذكرت عنده فلم
يصل علي ● وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال ابو القاسم صلى الله عليه وسلم
ايما قوم جلسوا مجلسهم ثم تفرقوا قبل ان يذكروا الله ويصلوا على النبي ●
صلى الله عليه وسلم كانت عليهم من الله ترة ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم ●
● وعن ابي هريرة رضي الله عنه من نسي الصلوة علي نسي طريق الجنة ● وعن قتادة
عنه عليه السلام من الجفا ان اذكر عند الرجل فلا يصلي علي ● وعن جابر رضي الله
عنه عليه السلام ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا على غير صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
الا تفرقوا عن انتن من ريح الجيفة ● وعن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا يجلس قوم مجلسا لا يصلون فيه على النبي صلى الله عليه وسلم الا كان عليهم حسرة
وان لو دخلوا الجنة لما يرون من الثواب ● وحكى ابو عيسى الترمذي عن بعض
اهل العلم قال اذا صلى الرجل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مرة في المجلس اجزاء
عنه ما كان في ذلك المجلس **فصل في تخصيصه** صلى الله عليه وسلم بتبليغ
صلاة من صلى عليه او سلم من الانام ● ثنا القاضي ابو عبد الله التميمي ● ثنا
الحسين بن محمد ثنا ابو عمر الحافظ ثنا ابن عبد المؤمن ثنا ابن داسة ثنا
ابو داود ثنا ابن عوف ثنا المقرئ ثنا حيوة عن ابي صخر حميد بن زياد عن يزيد
بن عبد الله بن قسيط عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يسلم

فادخل ن

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ن

على

على الا رد الله تعالى على روحي حتى ارد عليه السلام ● وذكر ابو بكر بن ابي شيبة
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ● من صلى علي
عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا بلغته ● وعن ابي مسعود ان لله
ملائكة سياحين في الارض يبلغوني عن امتي السلام ونحوه عن ابي هريرة
● وعن ابن عمر رضي الله عنهما اكثروا من السلام على نبيكم كل جمعة فانه يؤتى به
منكم في كل جمعة ● وفي رواية فان احدا لا يصلي علي الا عرضت صلاته
علي حين يفرغ منها ● وعن الحسن عنه عليه السلام حيث ما كنتم فصلوا
علي فان صلاتكم تبلغني وعن ابن عباس رضي الله عنهما ليس احد من امة محمد صلى الله عليه وسلم
يسلم عليه ويصلي عليه الا بلغه ● وذكر بعضهم ان العبد اذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم
عرض عليه اسمه ● وعن الحسن بن علي اذا دخلت المسجد فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم
فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتي عيدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا
وصلوا علي حيث كنتم فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم ● وفي حديث اوس
اكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة فان صلاتكم معروضة علي ● وعن سليمن بن
سحيم رايت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء
الذين ياتونك فيسلمون عليك اتفقه سلامهم قال نعم وارد عليهم
● وعن ابن شهاب بلغنا ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ● قال اكثروا
من الصلاة علي في الليلة الزهراء واليوم الازهر فانهما يؤديان عنكم
وان الارض لا تاكل اجساد الانبياء ● وما من مسلم يصلي الا حملها ملك
حتى يؤديها الي ويسميه حتى انه ليقول ان فلانا يقول كذا وكذا **فصل
في الاختلاف في الصلاة** على غير النبي وسائر الانبياء عليهم السلام قال القاضي رضي الله عنه
● عامة اهل العلم متفقون على جواز الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم
وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه لا يجوز الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم ● وروي
عنه لا تنبغي الصلاة على احد الا النبيين ● وقال سفيان يكره ان يصلى الا
على نبي ● ووجدت بعض شيوخي مذهب مالك انه لا يجوز ان يصلى على احد
من الانبياء سوى محمد صلى الله عليه وسلم ● وهذا غير معروف من مذهبه وقد

ومن ن

صلى الله عليه وسلم ن

فائدة اسم الملك الذي يبلغه الصلاة سنطروس

قال مالك في المبسوط ليحيى بن إسحق أكره الصلاة على غير الأنبياء
وما ينبغي لنا أن نتعدى ما أمرنا به ● قال يحيى بن يحيى لست آخذ بقوله
ولا بأس بالصلاة على الأنبياء كلهم وعلى غيرهم ● واحتج بحديث ابن
عمر رضي الله عنهما وبما جاء في حديث تعليم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الصلاة عليه
وفيه وعلى أزواجه وعلى آله ● وقد وجدت معلقاً عن أبي عمران الفاسي
● وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما كراهة الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم
قال وبه نقول ولم يكن يستعمل فيما مضى ● وقد روى عبد الرزاق
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا على
أنبياء الله ورسله فإن الله تعالى بعثهم كما بعثني ● قالوا والأسانيد عن ابن
عباس رضي الله عنهما لينة والصلاة في لسان العرب بمعنى الترحم والدعا وذلك
على الإطلاق حتى يمنع منه حديث صحيح أو إجماع وقد قال تعالى هو الذي يصلي
عليكم وملائكته الآية ● وقال عز وجل خذ من أموالهم صدقة تطهرهم
وتزكيهم بها وصل عليهم الآية ● وقال تعالى أولئك عليهم صلوات من ربهم
ورحمة ● وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى ● وكان
صلى الله عليه وسلم إذا أتاه قوم بصدقتهم ● قال اللهم صل على آل فلان ● وفي
حديث الصلاة اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته ● وفي آخر وعلى
آل محمد قيل أتباعه ● وقيل أمته وقيل آل بيته وقيل الأتباع والرهط
والعشيرة وقيل آل الرجل ولده وقيل قومه وقيل أهله الذين حرمت عليهم
الصدقة ● وفي رواية أنس رضي الله عنه سئل النبي صلى الله عليه وسلم من آل محمد قال
كل تقي ويجيء على مذهب الحسن أن المراد بآل محمد محمد نفسه فإنه كان يقول في صلاته
● اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد يريد نفسه الشريفة صلى الله عليه وسلم
لأنه كان لا يخل بالفرض ويأتي بالنفل لأن الفرض الذي أمر الله به هو الصلاة
على محمد نفسه عليه السلام ● وهذا مثل قوله عليه السلام لقد أوتي مزماراً من
مزامير آل داود يريد من مزامير داود عليه السلام ● وفي حديث أبي حميد
الساعدي في الصلاة اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته ● وفي حديث ابن عمر

كراهية ن

أنه

أنه كان يصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما
ذكره مالك في الموطأ من رواية يحيى بن يحيى الأندلسي ● والصحيح من رواية
غيره ويدعو لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ● وروى ابن وهب عن أنس بن
مالك رضي الله عنه كنا ندعو لأصحابنا بالغيب فنقول اللهم اجعل منك على فلان
صلوات قوم أبرار الذين يقومون بالليل ويصومون بالنهار ● قال
القاضي رحمه الله والذي ذهب إليه المحققون وأميل إليه ما قاله مالك
وسفيان رحمهما الله ● وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما واختاره غير واحد من
الفقهاء والمتكلمين أنه لا يصلى على غير الأنبياء عند ذكرهم بل يختص به
الأنبياء عليهم السلام توقيراً لهم وتعزيراً كما يخص الله تعالى عند ذكره
بالتنزيه والتقديس والتعظيم ولا يشاركه فيه غيره كذلك يجب تخصيص
النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء عليهم السلام بالصلاة والتسليم ولا
يشارك فيه سواهم كما أمر الله به بقوله تعالى صلوا عليه وسلموا تسليماً ●
ويذكر من سواهم من الأئمة وغيرهم بالغفران والرضا كما قال تعالى يقولون
ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ● وقال عز وجل
والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم وأيضاً فهو أمر لم يكن معروفاً في الصدر
الأول كما قال أبو عمران ● وإنما أحدثته الرافضة والمتشيعة في بعض
الأئمة فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلاة وساووهم بالنبي صلى الله عليه وسلم
في ذلك ● وأيضاً فإن التشبه بأهل البدع منهي عنه فتجب مخالفتهم فيما
التزموه من ذلك ● وذكر الصلاة على الآل والأزواج مع النبي صلى الله عليه وسلم
بحكم التبع والإضافة إليه لا على التخصيص قالوا وصلاة النبي صلى الله عليه وسلم
على من صلى عليه مجراها مجرى الدعا والمواجهة ليس فيها معنى التعظيم والتوقير
● قالوا وقد قال الله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً
فكذلك يجب أن يكون الدعاء له مخالفاً لدعاء الناس بعضهم لبعض وهذا
اختيار الإمام أبي المظفر الإسفرايني من شيوخنا **فصل في حكم زيارة قبره**
صلى الله عليه وسلم وفضيلة من زاره وسلم عليه وكيف يسلم ويدعو وزيارة قبره

هو شيخ ح

والتابعين ن

سنة من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها ● روي عن ابن عمر رضي الله عنهما
قال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي ● وعن انس بن مالك رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارني في المدينة محتسبا كان في جواري
وكنت له شفيعا يوم القيمة ● وفي حديث آخر من زارني بعد موتي فكانما
زارني في حياتي وكره مالك ان يقال زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم ● وقد
اختلف في معنى ذلك فقيل كراهة الاسم لما ورد من قوله عليه السلام لعن الله
زوارات القبور وهذا يرده قوله كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها
وقوله صلى الله عليه وسلم من زار قبري فقد اطلق اسم الزيارة ● وقيل لان
ذلك لما قيل ان الزائر افضل من المزور ● وهذا ايضا ليس بشيء اذ ليس
كل زائر بهذه الصفة وليس عموما وقد ورد في حديث اهل الجنة زيارتهم لربهم
تعالى ولم يمنع هذا اللفظ في حقه تعالى ● قال ابو عمران انما كره مالك ان يقال
طواف الزيارة وزرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم لاستعمال الناس ذلك بينهم بعضهم
لبعض ● وكره تسوية النبي صلى الله عليه وسلم مع الناس بهذا اللفظ وان يخص
بان يقال سلمنا على النبي صلى الله عليه وسلم ● وايضا فان الزيارة مباحة بين
الناس وواجب شد المطي الى قبره صلى الله عليه وسلم يريد بالوجوب هنا
وجوب ندب وترغيب وتأكيد والاولى عندي ان منعه وكراهة مالك له
لاضافته الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم لم يكرهه لقوله صلى الله عليه وسلم اللهم
لا تجعل قبري وثنا يعبد بعدي اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور
انبيائهم مساجد فحمى اضافة هذا اللفظ الى القبر والتشبه بفعل اولئك
قطعا للذريعة وحسما للباب والله تعالى اعلم ● قال اسحق بن ابرهيم الفقيه
ومما لم يزل من شأن من حج المرور بالمدينة والقصد الى الصلاة في مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم والتبرك برؤية روضته ومنبره وقبره ومجلسه
وملامس يديه ومواطئ قدميه والعمود الذي كان يستند اليه وينزل جبريل عليه السلام
بالوحي فيه عليه صلى الله عليه وسلم وبمن عمره وقصده من الصحابة وائمة المسلمين
والاعتبار بذلك ● قال ابن ابي فديك سمعت بعض من ادركت يقول بلغنا

الرحال

اتخذوا

انه من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية ان الله
وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما
ثم قال صلى الله عليك يا محمد من يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله
عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة ● وعن يزيد بن ابي سعيد المهري
قدمت على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فلما ودعته قال لي اليك حاجة اذا
اتيت المدينة سترى قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاقرأه مني السلام
● قال غيره وكان يبرد اليه البريد من الشام ● قال بعضهم رأيت
انس بن مالك رضي الله عنه اتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى
ظننت انه افتتح الصلاة فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ● ثم انصرف
قال مالك في رواية ابن وهب اذا سلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ودعا
يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده
● وقال في المبسوط لا ارى ان يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم
يدعو ولكن يسلم ويمضي ● وقال ابن ابي مليكة من احب ان يقوم وجاه
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فليجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر
على رأسه ● وقال نافع كان ابن عمر يسلم على القبر رأيته مائة مرة
واكثر فيقول السلام على النبي صلى الله تعالى عليه السلام على ابي بكر السلام
على ابي ثم ينصرف ● وفي الموطا من رواية يحيى بن يحيى الليثي انه كان
يقف على قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيصلي على النبي صلى الله عليه وسلم
وعلى ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وعند ابن القاسم والقعنبي ويدعو لابي بكر وعمر رضي الله عنهما
● قال مالك في رواية ابن وهب يقول المسلم السلام عليك ايها النبي
ورحمة الله وبركاته ● قال في المبسوط ويسلم على ابي بكر وعمر رضي الله عنهما
قال القاضي ابو الوليد الباجي وعندي انه يدعو للنبي صلى الله عليه وسلم بلفظ
الصلوة ولابي بكر وعمر رضي الله عنهما كما جاء في حديث ابن عمر من الخلاف
● وقال ابن حبيب ويقول اذا دخل مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بسم الله
وسلام على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ● السلام علينا من ربنا

بلغ مقابلة

يبرد

القنديل بكسر القاف
واما بفتح القاف فهو عظم
الرأس

وروي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما واصحابه
على مقعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ثم وضعها على وجهه ابي قسيط والعتبي
كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا خلا
المسجد جسوا رمانة المنبر التي تلي القبر
بميامنهم ثم استقبلوا القبلة يدعون

وصلى الله وملائكته على محمد ● اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك
وجنتك واحفظني من الشيطان الرجيم ● ثم اقصد الى الروضة الشريفة
وهي ما بين القبر والمنبر فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر تحمد
الله فيهما وتسأله تمام ما خرجت اليه والعون عليه وان كانت ركعتاك
في غير الروضة اجزأتاك وفي الروضة افضل ● وقد قال عليه السلام ما بين
بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على ترعة من ترع الجنة ●
ثم تقف بالقبر متواضعا متوقرا فتصلي عليه وتثني بما يحضرك وتسلم
على ابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما ● وتدعو لهما واكثر من الصلاة في مسجد
النبي صلى الله عليه وسلم بالليل والنهار ولا تدع ان تاتي مسجد قباء وقبور
الشهداء ● قال مالك في كتاب محمد ويسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
اذا دخل وخرج يعني في المدينة وفيما بين ذلك ● قال محمد واذا خرج
جعل آخر عهده الوقوف بالقبر وكذلك من خرج مسافرا ● وروى ابن
وهب عن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم ● ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال اذا دخلت المسجد فصل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ● وقل اللهم
اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك ● واذا خرجت فصل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك ● وفي رواية اخرى فليسلم
مكان فليصل فيه ويقول اذا خرج اللهم اني اسألك من فضلك ● وفي
اخرى اللهم احفظني من الشيطان الرجيم ● وعن محمد بن سيرين كان الناس
يقولون اذا دخلوا المسجد صلى الله وملائكته على محمد السلام عليك ايها
النبي ورحمة الله وبركاته بسم الله دخلنا وبسم الله خرجنا وعلى الله
توكلنا وكانوا يقولون اذا خرجوا مثل ذلك ● وعن فاطمة ايضا كان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم ● اذا دخل المسجد قال صلى الله على محمد وسلم ● ثم ذكر
مثل حديث فاطمة رضي الله تعالى عنها قبل هذا ● وفي رواية حمد الله وسمى وصلى على النبي
وذكر مثله ● وفي رواية بسم الله والسلام على رسول الله ● وعن غيرها
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال اللهم افتح لي ابواب رحمتك ويسر

ابواب رزقك ● وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه اذا دخل المسجد فليصل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وليقل اللهم افتح لي ● وقال مالك في المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد
وخرج منه من اهل المدينة الوقوف بالقبر وانما ذلك للغرباء ●
وقال فيه ايضا لا باس لمن قدم من سفر او خرج الى سفر ان يقف على
قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي عليه ويدعو له ولابي بكر وعمر رضي الله عنهما
● فقيل له فان ناسا من اهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه
يفعلون ذلك في اليوم مرة او اكثر وربما وقفوا في الجمعة او في الايام
المرة والمرتين او اكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة ● فقال
لم يبلغني هذا عن احد من اهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح
آخر هذه الامة الا ما اصلح اولها ولم يبلغني عن اول هذه الامة وصدرها
انهم كانوا يفعلون ذلك ويكره الا لمن جاء من سفر او اراده ● قال ابن
القاسم ورأيت اهل المدينة اذا خرجوا منها او دخلوها اتوا القبر فسلموا
قال وذلك رأيي ● قال الباجي ففرق بين اهل المدينة والغرباء لان
الغرباء قصدوا لذلك واهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من اجل
القبر والتسليم ● وقال صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا
يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد ● وقال
عليه السلام لا تجعلوا قبري عيدا ومن كتاب احمد بن سعيد الهندي فيمن وقف
بالقبر لا يلصق به ولا يمسه ولا يقف عنده طويلا ● وفي العتبية يبدأ
بالركوع قبل السلام في مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واحب مواضع
التنفل فيه مصلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حيث العمود المخلق واما في الفريضة
فالتقدم الى الصفوف والتنفل فيه للغرباء احب الي من التنفل في البيوت

فصل فيما يلزم من دخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم من الادب سوى ما قدمناه

وفضله وفضل الصلاة فيه وفي مسجد مكة وذكر قبره ومنبره وفضل سكنى
المدينة ومكة قال الله تعالى لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم
فيه ● روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل اي مسجد هو قال مسجدي هذا وهو قول

ابن المسيب وزيد بن ثابت وابن عمر ومالك بن انس وغيرهم رضي الله عنهم
وعن ابن عباس انه مسجد قبا حدثنا هشام بن احمد الفقيه بقراءتي
عليه قال ثنا الحسين بن محمد الحافظ ثنا ابو عمر النمري ثنا ابو محمد بن
عبد المؤمن ثنا ابو بكر بن داسة ثنا ابو داود ثنا مسدد ثنا سفين عن
الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا تشد الرحال الا الى ثلثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد
الاقصى وقد تقدمت الاثار في الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم عند دخول المسجد
وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل
المسجد قال اعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان
الرجيم وقال مالك رحمه الله سمع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه صوتا
في المسجد فدعا بصاحبه فقال ممن انت قال رجل من ثقيف قال لو كنت
من هاتين القريتين لادبتك ان مسجدنا لا يرفع فيه الصوت قال محمد بن
مسلمة لا ينبغي لاحد ان يعتمد المسجد برفع الصوت ولا بشيء من الاذى
وان ينزه عما يكره قال القاضي ابو الفضل حكى ذلك كله القاضي اسمعيل
في مبسوطه في باب فضل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم والعلماء كلهم متفقون
ان حكم ساير المساجد هذا الحكم قال القاضي اسمعيل وقال محمد يعني بن
مسلمة ويكره في مسجد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم الجهر على المصلين
فيما يخلط عليهم صلاتهم وليس مما يخص به المساجد رفع الصوت قد كره
رفع الصوت بالتلبية في مساجد الجماعات الا المسجد الحرام ومسجدنا
وقال ابو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم صلوة في مسجدي هذا خير من الف صلوة
فيما سواه الا المسجد الحرام قال القاضي ابو الفضل اختلف الناس في معنى
هذا الاستثناء على اختلافهم في المفاضلة بين مكة والمدينة فذهب مالك
في رواية اشهب عنه وقاله ابن نافع صاحبه وجماعة اصحابه الى ان معنى الحديث
ان الصلوة في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم افضل من الصلوة في ساير المساجد
بالف صلوة الا المسجد الحرام فان الصلوة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم افضل من

هذا خير من الف صلاة

الصلاة

الصلوة فيه بدون الالف واحتجوا بما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
صلوة في المسجد الحرام خير من مائة صلوة فيما سواه فتاتي فضيلة مسجد الرسول
صلى الله عليه وسلم عليه بتسعمائة وعلى غيره بالف وهذا مبني على تفضيل المدينة
على مكة على ما قدمناه وهو قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومالك واكثر المدنيين
وذهب اهل مكة والكوفة الى تفضيل مكة وهو قول عطاء وابن وهب
وابن حبيب من اصحاب مالك وحكاه الساجي عن الشافعي وحملوا
الاستثناء في الحديث المتقدم على ظاهره وان الصلوة في المسجد الحرام افضل
واحتجوا بحديث عبد الله ابن الزبير رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم
بمثل حديث ابي هريرة وفيه وصلوة في المسجد الحرام افضل من الصلوة
في مسجدي هذا بمائة صلوة وروى قتادة مثله فياتي فضل الصلوة
في المسجد الحرام على هذا على الصلوة في ساير المساجد بمائة الف ولا خلاف
ان موضع قبره عليه السلام افضل بقاع الارض قال القاضي ابو الوليد
الباجي الذي يقتضيه الحديث مخالفة حكم مكة لساير المساجد ولا يعلم
منه حكمها مع المدينة وذهب الطحاوي الى ان هذا التفضيل انما هو في
صلوة الفرض وذهب مطرف من اصحابنا الى ان ذلك في النافلة ايضا
قال وجمعة خير من جمعة ورمضان خير من رمضان وقد ذكر عبد
الرزاق في تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها حديثا نحوه وقال صلى الله عليه وسلم
ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومثله عن ابي هريرة وابي
سعيد رضي الله عنهما وزاد ومنبري على حوضي وفي حديث اخر ومنبري على ترعة من
ترع الجنة قال الطبري فيه معنيان احدهما ان المراد بالبيت بيت سكناه
على الظاهر مع انه روي ما بينه بين حجرتي ومنبري والثاني ان البيت
هنا القبر وهو قول زيد بن اسلم في هذا الحديث كما روي بين قبري ومنبري
قال الطبري واذا كان قبره في بيته اتفقت معاني الروايات ولم يكن
بينهما خلاف لان قبره في حجرته وهو بيته وقوله صلى الله عليه وسلم
منبري على حوضي قيل يحتمل انه منبره بعينه الذي كان في الدنيا وهو اظهر

والثاني ان يكون له هناك منبر ● والثالث ان قصد منبره والحضور
عنده لملازمة الاعمال الصالحة يورد الحوض ويوجب الشرب منه قاله
الباجي ● وقوله صلى الله عليه وسلم روضة من رياض الجنة يحتمل
معنيين احدهما انه موجب لذلك وان الدعاء والصلاة فيه يستحق ذلك
من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال السيوف ● والثاني ان تلك البقعة
قد ينقلها الله فتكون في الجنة بعينها قاله الداودي ● وروى ابن عمر وجماعة
من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال في المدينة
لا يصبر على لأوائها وشدتها احد الا كنت له شهيدا او شفيعا يوم القيمة
● وقال صلى الله عليه وسلم فيمن تحمل عن المدينة والمدينة خير لهم
لو كانوا يعلمون ● وقال صلى الله عليه وسلم انما المدينة كالكير تنفي خبثها
وينصع طيبها ● وقال صلى الله عليه وسلم لا يخرج احد من المدينة رغبة
عنها الا ابدلها الله خيرا منه ● وروي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم
من مات في احد الحرمين حاجا او معتمرا بعثه الله يوم القيمة لا حساب
عليه ولا عذاب ● ومن طريق آخر بعث من الآمنين يوم القيمة ● و
عن ابن عمر عنه عليه السلام من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت بها فاني
اشفع لمن يموت بها ● وقال تعالى ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة
الى قوله تعالى آمنا ● قال بعض المفسرين آمنا من النار وقيل كان يأمن
من الطلب من احدث حدثا ولجأ اليه في الجاهلية وهذا مثل قوله
واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا على قول بعضهم ● وحكي ان قوما
اتوا سعدون الخولاني بالمنستير واعلموه ان كتامة قتلوا رجلا واضرموا
عليه النار طول الليل فلم تعمل فيه وبقي ابيض البدن فقال لعله حج ثلث
حجج قالوا نعم قال حدثت ان من حج حجة ادى فرضه ومن حج ثانية داين
ربه ومن حج ثلث حجج حرم الله شعره وبشره على النار ● ولما نظر
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قال مرحبا بك من بيت ما اعظمك واعظم
حرمتك ● وفي الحديث عنه عليه السلام ما من احد يدعو الله عند الركن

الاسود الا استجاب الله له وكذلك عند الميزاب ● وعنه عليه السلام من صلى
خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيمة
من الآمنين ● قال القاضي ابو الفضل رحمه الله قرأت على القاضي الحافظ
ابي علي رحمه الله حدثك ابو العباس العذري قال ثنا ابو اسامة محمد بن احمد
بن محمد الهروي ثنا الحسن بن رشيق سمعت ابا الحسن محمد بن الحسن بن راشد
سمعت ابا بكر محمد بن ادريس سمعت الحميدي سمعت سفيان بن عيينة قال
سمعت عمرو بن دينار ● قال سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما دعا احد بشيء في هذا الملتزم الا استجيب له قال ابن عباس رضي الله عنهما
وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا استجيب لي ● وقال عمرو بن دينار وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم
منذ سمعت هذا من ابن عباس الا استجيب لي ● وقال الحميدي وانا فما دعوت
الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من سفيان الا استجيب لي ● وقال محمد بن
ادريس وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدي
الا استجيب لي ● وقال ابو الحسن محمد بن الحسن وانا فما دعوت الله بشيء في هذا
الملتزم منذ سمعت هذا من محمد بن ادريس الا استجيب لي ● وقال ابو اسامة وما
اذكر الحسن بن رشيق قال فيه شيئا وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم
منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق الا استجيب لي من امر الدنيا وانا ارجو ان
يستجاب لي من امر الآخرة ● قال العذري وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم
منذ سمعت هذا من ابي اسامة الا استجيب لي ● قال ابو علي وانا فقد دعوت الله
فيه باشياء كثيرة استجيب لي بعضها وارجو من سعة فضله ان يستجيب لي بقيتها
قال القاضي ابو الفضل المصنف رحمه الله ذكرنا نبذا من هذه النكت في هذا الفصل وان لم تكن
من الباب لتعلقها بالفصل الذي قبله حرصا على تمام الفائدة والله الموفق للصواب
برحمته القسم الثالث فيما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم وما يستحيل او يجوز عليه
وما يمتنع او يصح من الاحوال البشرية ان يضاف اليه قال الله وما محمد الا رسول
قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل الآية ● وقال تعالى ما المسيح ابن مريم الا رسول

قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام ● وقال تعالى
وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق
وقال تعالى قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي الآية ● فمحمد صلى الله عليه وسلم
وسائر الأنبياء عليهم السلام من البشر أرسلوا إلى البشر ولولا ذلك
لما أطاق الناس مقاومتهم والقبول عنهم ومخاطبتهم ● قال الله تعالى ولو جعلناه
ملكا لجعلناه رجلا أي لما كان إلا في صورة البشر الذين تمكنهم مخالطتهم
إذ لا تطيقون مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته إذا كان على صورته ● و
قال تعالى قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء
ملكا رسولا أي لا يمكن في سنة الله إرسال الملك إلا لمن هو من جنسه أو من
خصه الله واصطفاه وقواه على مقاومته كالأنبياء والرسل صلوات الله
عليهم ● فالأنبياء والرسل عليهم السلام وسائط بين الله وبين خلقه
يبلغونهم أوامره ونواهيه ووعده ووعيده ويعرفونهم ما لم يعلموه من
أمره وخلقه وجلاله وسلطانه وجبروته وملكوته فظواهرهم وأجسادهم
وبنيتهم متصفة بأوصاف البشر طارئ عليها ما يطرأ على البشر من الأعراض
والأسقام والموت والفناء ونعوت الإنسانية وأرواحهم وبواطنهم
متصفة بأعلى من صفات البشر متعلقة بالملأ الأعلى متشبهة بصفات الملائكة
سليمة من التغير والآفات لا يلحقها غالبا عجز البشرية ولا ضعف الإنسانية
إذ لو كانت بواطنهم خالصة للبشرية كظواهرهم لما أطاقوا الأخذ عن الملائكة
ورؤيتهم ومخاطبتهم ومخالتهم كما لا يطيقه غيرهم من البشر ● ولو كانت
أجسامهم وظواهرهم متسمة بنعوت الملائكة وبخلاف صفات البشر لما
أطاق البشر ومن أرسلوا إليه مخالطتهم كما تقدم من قول الله تعالى فجعلوا من جهة
الأجسام والظواهر مع البشر ومن جهة الأرواح والبواطن مع الملائكة كما قال
صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا من أمتي لاتخذت أبا بكر ولكن أخوة
الإسلام لكن صاحبكم خليل الرحمن ● وكما قال عليه السلام تنام عيناي ولا ينام
قلبي وقال صلى الله تعالى عليه وسلم إني لست كأحدكم إني أظل يطعمني ربي

ويسقين

الذي يمكنكم ن — أوصاف ن — من أمتي ن — صلى الله عليه وسلم ن — كهيئتكم ن — إني أظل ن

ويسقين فبواطنهم منزهة عن الآفات مطهرة من النقائص والاعتلالات
وهذه جملة لن تكتفي بمضمونها كل همة بل الأكثر يحتاج إلى بسط وتفصيل
على ما يأتي به بعد هذا في البابين بعون الله وهو حسبي ونعم الوكيل

الباب الأول فيما يختص بالأمور الدينية والكلام في عصمة نبينا و
سائر الأنبياء صلى الله تعالى عليه وعليهم أجمعين ● قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه
اعلم أن الطوارئ من التغيرات على آحاد البشر لا يخلو أن تطرأ على جسمه
أو على حواسه بغير قصد واختيار كالأمراض والأسقام أو تطرأ بقصد و
اختيار ● وكله في الحقيقة عمل وفعل ولكن جرى رسم المشايخ بتفصيله إلى
ثلاثة أنواع عقد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح ● وجميع البشر
تطرأ عليهم الآفات والتغيرات بالاختيار وبغير الاختيار في هذه الوجوه كلها
● والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وإن كان من البشر على جبلة البشر فقد
قامت البراهين القاطعة وتمت كلمة الإجماع على خروجه عنهم وتنزيهه
عن كثير من الآفات التي تقع على الاختيار وعلى غير الاختيار كما سنبينه إن شاء
الله تعالى فيما نأتي به من التفاصيل **فصل في حكم عقد قلب النبي** صلى الله عليه وسلم
من وقت نبوته اعلم منحنا الله وإياك توفيقه أن ما تعلق منه بطريق التوحيد
والعلم بالله وصفاته والإيمان به تعالى وبما أوحي إليه فعلى غاية المعرفة ووضوح
العلم واليقين والانتفاء عن الجهل بشيء من ذلك أو الشك أو الريب فيه
والعصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك واليقين ● هذا ما وقع إجماع المسلمين
عليه ولا يصح بالبراهين الواضحة أن يكون في عقود الأنبياء سواه ولا يعترض
على هذا بقول إبراهيم صلى الله عليه وسلم ● قال بلى ولكن ليطمئن قلبي إذ لم
يشك إبراهيم عليه السلام في إخبار الله تعالى له بإحياء الموتى ولكن أراد طمأنينة القلب
وترك المنازعة لمشاهدة الإحياء ● فحصل له العلم الأول بوقوعه وأراد العلم
الثاني بكيفيته ومشاهدته ● الوجه الثاني أن إبراهيم عليه السلام إنما أراد اختبار
منزلته عند ربه وعلم إجابة دعوته بسؤال ذلك من ربه فيكون قوله أولم تؤمن
أي تصدق بمنزلتك مني وخلتك واصطفائك ● الوجه الثالث أنه سأل زيادة

بلغ مقابلة ن — أجساد ن — على جبلته ما يجوز — ويجوز ن — منه ن

يقين وقوة طمأنينة وإن لم يكن في الأول شك إذ العلوم الضرورية والنظرية
قد تتفاضل في قوتها وطريان الشكوك على الضروريات ممتنع ومجوز في
النظريات فأراد الانتقال من النظر أو الخبر إلى المشاهدة والترقي من علم
اليقين إلى عين اليقين فليس الخبر كالمعاينة ● ولهذا قال سهل بن عبد الله
سأل كشف غطاء العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا في حاله ● الوجه الرابع
أنه لما احتج على المشركين بأن ربه يحيي ويميت طلب ذلك من ربه احتجاجه
عيانا ● الوجه الخامس قول بعضهم هو سؤال على طريق الأدب المراد أقدرني
على إحياء الموتى ● وقوله ليطمئن قلبي من هذه الأمنية ● الوجه السادس
أنه أراء من نفسه الشك وما شك ليجاوب فيزداد قربة وقول نبينا صلى الله عليه وسلم
نحن أحق بالشك من إبراهيم نفي لأن يكون إبراهيم صلى الله عليه وسلم شك وإبعاد
الخواطر الضعيفة أن تظن هذا بإبراهيم عليه السلام أي نحن موقنون بالبعث
وإحياء الله الموتى ● فلو شك إبراهيم عليه السلام لكنا أولى بالشك منه ● إما
على طريق الأدب أو أن يريد أمته الذين يجوز عليهم الشك أو على طريق التواضع
والإشفاق ● إن حملت قصة إبراهيم عليه السلام على اختبار حاله أو زيادة يقينه
● فإن قلت فما معنى قوله تعالى فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فسئل الذين
يقرؤون الكتاب من قبلك الآيتين ● فاحذر ثبت الله قلبك أن يخطر ببالك
ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس أو غيره من إثبات شك للنبي صلى الله عليه وسلم
فيما أوحى الله عز وجل إليه وأنه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه جملة بل
قد قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسأل ونحوه عن
ابن جبير والحسن ● وحكى قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أشك ولا
أسأل وعامة المفسرين على هذا واختلفوا في معنى الآية ● فقيل المراد قل يا محمد
للشاك إن كنت في شك الآية قالوا وفي السورة نفسها ما دل على هذا التأويل
● قوله تعالى قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني الآية ● وقيل المراد
بالخطاب العرب وغير النبي صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك
الآية الخطاب له والمراد غيره ● ومثله فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء

ليصحح صح
تمكن ن
أرى ن
الآية
أوحى ن
وغيره ن

ونظيره

ونظيره كثير ● قال بكر بن العلاء ألا تراه يقول ولا تكونن من الذين كذبوا
بآيات الله وهو عليه السلام كان المكذب فيما يدعو إليه فكيف يكون ممن
كذب به فهذا كله يدل على أن المراد بالخطاب غيره ● ومثل هذه الآية
قوله تعالى الرحمن فسئل به خبيرا ● المأمور هنا غير النبي صلى الله عليه وسلم
ليسأل النبي عليه السلام والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم هو الخبير المسؤول
لا المستخبر السائل ● وقال إن هذا الشك الذي أمر غير النبي صلى الله عليه وسلم
بسؤال الذين يقرؤون الكتاب إنما هو فيما قصه من أخبار الأمم لا فيما
دعا إليه من التوحيد والشريعة ● ومثل هذا قوله تعالى وسئل من
أرسلنا من قبلك من رسلنا الآية المراد به المشركون والخطاب مواجهة
للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قاله القتبي ● وقيل معناه سلنا عمن
أرسلنا من قبلك فحذف الخافض وتم الكلام ثم ابتدأ الكلام أجعلنا
من دون الرحمن إلى آخر الآية على طريق الإنكار أي ما جعلنا حكاه مكي
● وقيل أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن يسأل الأنبياء ليلة الإسراء
عن ذلك فكان أشد يقينا من أن يحتاج إلى السؤال ● فروي أنه قال
صلى الله تعالى عليه وسلم لا أسأل قد اكتفيت قاله ابن زيد ● وقيل سل
أمم من أرسلنا هل جاؤوهم بغير التوحيد وهو معنى قول مجاهد والسدي
والضحاك وقتادة والمراد بهذا والذي قبله إعلامه عليه السلام بما بعثت
به الرسل عليهم السلام وأنه تعالى لم يأذن في عبادة غيره لأحد ردا
على مشركي العرب وغيرهم في قولهم ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى
● وكذلك قوله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك
من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين أي في علمهم بأنك رسول الله وإن لم
يقروا بذلك وليس المراد به شكه فيما ذكر في أول الآية ● وقد يكون أيضا
على مثل ما تقدم أي قل لمن امترى يا محمد في ذلك لا تكونن من الممترين
بدليل قوله تعالى أول الآية أفغير دين الله أبتغي حكما الآية وأن النبي صلى الله عليه وسلم
يخاطب بذلك غيره ● وقيل هو تقرير كقوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي

والتشريع ن
ذكره ن
أفغير الله أبتغي ن

المبين من دون الله وقد علم انه لم يقل ● وقيل معناه ما كنت في شك
فسل تزدد طمانينة وعلما الى علمك ويقينك ● وقيل ان كنت شاكا فيما
شرفناك وفضلناك به فسلهم عن صفتك في الكتب ونشر فضائلك ●
وحكي عن ابي عبيدة ان المراد ان كنت في شك من غيرك فيما انزلنا ●
فان قيل فما معنى قوله حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا على
قراءة التخفيف ● قلنا المعنى في ذلك ما قالته عائشة رضي الله عنها معاذ الله
ان تظن ذلك الرسل بربها ● وانما معنى ذلك ان الرسل صلوات الله عليهم
لما استيأسوا وظنوا ان من وعدهم النصر من اتباعهم كذبوهم وعلى هذا
اكثر المفسرين ● وقيل ان الضمير في ظنوا عائد على الاتباع والامم لا على
الانبياء والرسل عليهم السلام وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما والنخعي وابن
جبير وجماعة من العلماء رضي الله عنهم ● وبهذا المعنى قرأ مجاهد كذبوا بالفتح
فلا تشغل بالك من شاذ التفسير بسواه مما لا يليق بمنصب العلماء فكيف
بالانبياء عليهم السلام ● وكذلك ما ورد في حديث السيرة ومبتدا الوحي
من قوله صلى الله عليه وسلم لخديجة رضي الله عنها لقد خشيت على نفسي ليس
معناه الشك فيما اتاه الله بعد رؤية الملك ولكن لعله خشي ان لا تحتمل قوته
مقاومة الملك واعباء الوحي لينخلع قلبه او تزهق نفسه هذا على ما ورد
في الصحيح انه قاله بعد لقائه الملك او يكون ذلك قبل لقائه الملك واعلام الله تعالى
له بالنبوة لاول ما عرضت عليه من العجائب وسلم عليه الحجر والشجر وبداته
المنامات والتباشير ● كما روي في بعض طرق هذا الحديث ان ذلك كان
اولا في المنام ثم اري في اليقظة مثل ذلك تانيسا له عليه السلام لئلا يفجأه
الامر مشاهدة ومشافهة فلا يحتمله لاول حاله بنية البشرية ● وفي الصحيح
عن عائشة رضي الله عنها اول ما بدئ به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الوحي
الرؤيا الصادقة قالت ثم حبب اليه الخلاء وقالت الى ان جاءه الحق وهو في
غار حراء الحديث ● وعن ابن عباس رضي الله عنهما مكث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى

شيئا

شيئا وثمان سنين يوحى اليه ● وقد روى ابن اسحق عن بعضهم ان
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال وذكر جواره بغار حراء قال فجاءني
وانا نائم فقال اقرأ فقلت ما اقرأ وذكر نحو حديث عائشة في غطه
له واقرائه اقرأ باسم ربك الى السورة ● قال فانصرف عني وهببت
من نومي كانما صورت في قلبي ولم يكن ابغض الي من شاعر او مجنون
ثم قلت لا تحدث عني قريش بهذا ابدا لاعمدن الى حالق من الجبل فلاطرحن
نفسي منه فلاقتلنها فبينا انا عامد لذلك اذ سمعت مناديا ينادي
من السماء يا محمد انت رسول الله وانا جبريل فرفعت راسي فاذا جبريل
على صورة رجل وذكر الحديث ● فقد بين في هذا ان قوله لما قال
وقصده لما قصد انما كان قبل لقاء جبريل عليه السلام وقبل اعلام
الله له بالنبوة واظهاره اصطفاءه له بالرسالة ● ومثله حديث
عمرو بن شرحبيل انه عليه السلام قال لخديجة رضي الله تعالى عنها اني اذا خلوت
وحدي سمعت نداء وقد خشيت والله ان يكون هذا لامر ● ومن رواية
حماد بن سلمة ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لخديجة رضي الله عنها
اني لاسمع صوتا وارى ضوءا واخشى ان يكون بي جنون وعلى هذا يتاول
لو صح قوله في بعض هذه الاحاديث ان الابعد شاعر او مجنون والفاظ يفهم
منها معاني الشك في تصحيح ما راه وانه كان كله في ابتداء امره وقبل
لقاء الملك له واعلام الله عز وجل انه رسوله فكيف وبعض هذه الالفاظ
لا تصح طرقها ● واما بعد اعلام الله تعالى له عليه السلام ولقائه الملك فلا يصح
فيه ريب ولا يجوز عليه شك فيما القي اليه ● وقد روى ابن اسحق عن شيوخه
ان رسول الله صلى الله عليه كان يرقى بمكة من العين قبل ان ينزل عليه فلما
نزل عليه القرآن اصابه نحو ما كان يصيبه فقالت له خديجة رضي الله عنها
اوجه اليك من يرقيك قال اما الآن فلا ● وحديث خديجة رضي الله عنها واختبارها
امر جبريل بكشف راسها الحديث انما ذلك في حق خديجة لتحقق صحة نبوة
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وان الذي ياتيه ملك ويزول الشك عنها

لأنها فعلت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وليختبر هو حاله بذلك بل قد ورد
في حديث عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة عن هشام عن أبيه عن عائشة
أن ورقة أمر خديجة أن تختبر الأمر بذلك وفي حديث إسمعيل بن
أبي حكيم أنها قالت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا ابن عم هل تستطيع
أن تخبرني بصاحبك إذا جاءك قال نعم فلما جاءه جبريل عليه السلام أخبرها
فقالت له اجلس إلى شقي وذكر الحديث إلى آخره وفيه فقالت ما هذا
بشيطان هذا الملك يا ابن عم فاثبت وأبشر وآمنت به فهذا يدل
أنها مستثبتة بما فعلته لنفسها ومستظهرة لإيمانها لا للنبي صلى الله عليه وسلم
وقول معمر في فترة الوحي فحزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا
غدا منه مرارا كي يتردى من شواهق الجبال لا يقدح في هذا الأصل لقول
معمر عنه فيما بلغنا ولم يسنده ولا ذكر رواته ولا من حدث به ولا أن
النبي صلى الله عليه وسلم قاله ولا يعرف هذا إلا من جهة النبي صلى الله عليه وسلم مع أنه قد
يحمل على أنه كان أول الأمر كما ذكرناه أو أنه فعل ذلك لما أحرجه من تكذيب
من بلغه كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا
الحديث ويصحح هذا معنى التأويل حديث رواه شريك عن عبد الله بن محمد بن
عقيل عن جابر بن عبد الله أن المشركين لما اجتمعوا بدار الندوة للتشاور في
شأن النبي صلى الله عليه وسلم واتفق رأيهم على أن يقولوا إنه ساحر اشتد
ذلك عليه وتزمل في ثيابه وتدثر فيها فأتاه جبريل فقال يا أيها المزمل
يا أيها المدثر أو خاف أن الفترة لأمر أو سبب منه فخشي أن يكون عقوبة
من ربه ففعل ذلك بنفسه ولم يرد بعد شرع بالنهي عن ذلك فيعترض
به ونحو هذا فرار يونس عليه السلام خشية تكذيب قومه له لما وعدهم
به من العذاب وقول الله تعالى في يونس فظن أن لن نقدر عليه معناه أن لن
نضيق عليه قال مكي طمع في رحمة الله تعالى وأن لا يضيق عليه مسلكه في
خروجه وقيل حسن ظنه بمولاه أنه لا يقضي عليه العقوبة وقيل نقدر
عليه ما أصابه وقد قرئ نقدر عليه بالتشديد وقيل نؤاخذه بغضبه

وذهابه وقال ابن زيد معناه أفظن أن لن نقدر عليه على الاستفهام
ولا يليق أن يظن بنبي أن يجهل صفة من صفات ربه وكذلك قوله تعالى
إذ ذهب مغاضبا الصحيح مغاضبا لقومه لكفرهم وهو قول ابن عباس
والضحاك وغيرهما لا لربه عز وجل إذ مغاضبة الله معاداة له ومعاداة
الله تعالى كفر لا تليق بالمؤمنين فكيف بالأنبياء عليهم السلام وقيل
مستحييا من قومه أن يسموه بالكذب أو يقتلوه كما ورد في الخبر
وقيل مغاضبا لبعض الملوك فيما أمره به من التوجه إلى أمر أمره الله
به على لسان نبي آخر فقال له يونس غيري أقوى عليه مني فعزم عليه
فخرج لذلك مغاضبا وقد روي عن ابن عباس أن إرسال يونس
ونبوته إنما كان بعد أن نبذه الحوت واستدل من الآية بقوله تعالى
فنبذناه بالعراء وهو سقيم وأنبتنا عليه شجرة من يقطين وأرسلناه
إلى مائة ألف ويستدل أيضا بقوله تعالى ولا تكن كصاحب الحوت
وذكر القصة ثم قال فاجتباه ربه فجعله من الصالحين فتكون هذه
القصة إذا قبل نبوته فإن قيل فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم إنه
ليغان على قلبي فأستغفر الله كل يوم مائة مرة وفي طريق في اليوم
أكثر من سبعين مرة فاحذر أن يقع ببالك أن يكون هذا الغين
وسوسة أو ريبا وقع في قلبه عليه السلام بل أصل الغين في هذا ما
يتغشى القلب ويغطيه قاله أبو عبيد وأصله من غين السماء وهو
إطباق الغيم عليها وقال غيره والغين شيء يغشي القلب ولا يغطيه
كل التغطية كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهواء فلا يمنع ضوء الشمس
وكذلك لا يفهم من الحديث أنه يغان على قلبه مائة مرة أو أكثر من سبعين
في اليوم إذ ليس يقتضيه لفظه الذي ذكرناه وهو أكثر الروايات
وإنما هذا عدد للاستغفار لا للغين فيكون المراد بهذا الغين إشارة
إلى غفلات قلبه وفترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة
الحق بما كان صلى الله عليه وسلم دفع إليه من مقاساة البشر وسياسة الأمة

ومعاناة الأهل ومقاومة الولي والعدو ومصلحة النفس وكلفه من
أعباء أداء الرسالة وحمل الأمانة وهو في كل هذا في طاعة ربه وعبادة
خالقه ولكن لما كان صلى الله تعالى عليه وسلم أرفع الخلق عند الله مكانة
وأعلاهم درجة وأتمهم به معرفة وكانت حاله عند خلوص قلبه وخلو همه
وتفرده بربه وإقباله بكليته عليه ومقامه هنالك أرفع حاليه رأى عليه السلام
حال فترته عنها وشغله بما سواها غضا من علي حاله وخفضا من
رفيع مقامه فاستغفر الله من ذلك هذا أولى وجوه الحديث وأشهرها
وإلى ما أشرنا به مال كثير من الناس وحام حوله فقارب ولم يرد
وقد قربنا غامض معناه وكشفنا للمستفيد محياه وهو مبني على جواز
الفترات والغفلات والسهو في غير طريق البلاغ على ما سيأتي وذهبت
طائفة من أرباب القلوب ومشيخة المتصوفة ممن قال بتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم
عن هذا جملة وأجله أن يجوز عليه في حال سهوا وفترة إلى أن معنى الحديث
ما يهم خاطره ويغم فكره من أمر أمته صلى الله تعالى عليه وسلم لاهتمامه
بهم وكثرة شفقته عليهم فيستغفر لهم قالوا وقد يكون الغين هنا على قلبه
السكينة التي تتغشاه لقوله تعالى فأنزل الله سكينته عليه ويكون
استغفاره عليه السلام عندها إظهارا للعبودية والافتقار وقال ابن عطاء
استغفاره وفعله عليه السلام هذا تعريف للأمة يحملهم على الاستغفار
وقال غيره ويستشعرون الحذر ولا يركنون إلى الأمن وقد يحتمل أن تكون
هذه الإغانة حالة خشية وإعظام تغشى قلبه فيستغفر حينئذ شكرا لله تعالى
وملازمة لعبوديته كما قال في ملازمة العبادة أفلا أكون عبدا شكورا
وعلى هذه الوجوه الأخيرة يحمل ما روي في بعض طرق هذا الحديث عنه عليه السلام
إنه ليغان على قلبي في اليوم أكثر من سبعين مرة فأستغفر الله فإن قلت
فما معنى قوله تعالى لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ولو شاء الله لجمعهم على الهدى
فلا تكونن من الجاهلين وقوله لنوح عليه السلام فلا تسألن ما ليس لك به علم
إني أعظك أن تكون من الجاهلين فاعلم أنه لا يلتفت في ذلك إلى قول

من قال

من قال في نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم لا تكونن ممن يجهل أن الله تعالى لو شاء
لجمعهم على الهدى وفي آية نوح عليه السلام لا تكونن ممن يجهل أن وعد
الله حق لقوله وإن وعدك الحق إذ فيه إثبات الجهل بصفة من صفات
الله وذلك لا يجوز على الأنبياء والمقصود وعظهم أن لا يتشبهوا
في أمورهم بسمات الجاهلين كما قال إني أعظك وليس في آية منها دليل
على كونهم على تلك الصفة التي نهاهم عن الكون عليها فكيف وآية نوح
قبلها فلا تسألن ما ليس لك به علم فحمل ما بعدها على ما قبلها أولى
لأن مثل هذا قد يحتاج إلى إذن وقد تجوز إباحة السؤال فيه ابتداء
فنهاه الله تعالى أن يسأله عما طوى عنه علمه وأكنه من غيبه من السبب
الموجب لهلاك ابنه ثم أكمل الله تعالى نعمته عليه بإعلامه ذلك بقوله
إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح حكى معناه مكي كذلك أمر نبينا
صلى الله تعالى عليه وسلم في الآية الأخرى بالتزام الصبر على إعراض قومه
ولا يحرج عند ذلك فيقارب حال الجاهل بشدة التحسر حكاه أبو بكر بن
فورك وقيل معنى الخطاب لأمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أي فلا تكونوا
من الجاهلين حكاه أبو محمد مكي رحمه الله وقال مثله في القرآن كثير فبهذا
الفصل وجب القول بعصمة الأنبياء منه بعد النبوة قطعا فإن قلت
فإذا قررت عصمتهم من هذا وأنه لا يجوز عليهم شيء من ذلك فما معنى
إذا وعيد الله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم على ذلك إن فعله وتحذيره منه
كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك الآية وقوله ولا تدع من دون الله
ما لا ينفعك ولا يضرك الآية وقوله إذا لأذقناك ضعف الحيوة الآية
وقوله لأخذنا منه باليمين وقوله وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك
عن سبيل الله وقوله فإن يشاء الله يختم على قلبك وقوله فإن لم تفعل
فما بلغت رسالته وقوله اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين
فاعلم وفقنا الله وإياك أنه عليه السلام لا يصح ولا يجوز عليه أن لا يبلغ وأن
يخالف أمر ربه ولا أن يشرك ولا أن يتقول على الله ما لا يجب أو يفتري عليه

أو يضل أو يختم على قلبه أو يطيع الكافرين لكن الله عز وجل يسر أمره
بالمكاشفة والبيان في البلاغ للمخالفين وأن ابلاغه إن لم يكن بهذه السبيل
فكأنه ما بلغ وطيب نفسه وقوى قلبه بقوله تعالى والله يعصمك من الناس
كما قال عز من قائل لموسى وهرون عليهما السلام لا تخافا لتشتد بصائرهم في
الإبلاغ وإظهار دين الله ويذهب عنهم خوف العدو المضعف للنفس
وأما قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الأقاويل الآية وقوله عز وجل إذا لأذقناك
ضعف الحيوة وضعف الممات فمعناه أن هذا جزاء من فعل هذا وجزاؤك لو كنت
ممن يفعله وهو صلى الله عليه وسلم لا يفعله وكذلك قوله تعالى وإن تطع
أكثر من في الأرض فالمراد غيره كما قال سبحانه إن تطيعوا الذين كفروا الآية
وقوله جل جلاله إن يشإ الله يختم على قلبك ولئن أشركت ليحبطن
عملك وما أشبهه فالمراد غيره وأن هذه حال من أشرك والنبي صلى الله عليه وسلم
لا يجوز عليه هذا وقوله عز وجل اتق الله ولا تطع الكافرين فليس
فيه أنه أطاعهم والله تعالى ينهاه عما يشاء ويأمره بما يشاء كما قال سبحانه وتعالى
ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الآية وما كان طردهم صلى الله عليه وسلم
ولا كان من الظالمين **فصل وأما عصمتهم** من هذا الفن قبل النبوة فللناس
فيه خلاف والصواب أنهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله تعالى
وصفاته أو التشكك في شيء من ذلك وقد تعاضدت الأخبار والآثار عن
الأنبياء عليهم السلام بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشأتهم
على التوحيد والإيمان بل على إشراق أنوار المعارف ونفحات ألطاف السعادة
كما نبهنا عليه في الباب الثاني من القسم الأول من كتابنا هذا ولم ينقل أحد
من أهل الأخبار أن أحدا نبئ واصطفي ممن عرف بكفر وإشراك قبل ذلك
ومستند هذا الباب النقل وقد استدل بعضهم بأن القلوب تنفر
عمن كانت هذه سبيله وأنا أقول إن قريشا قد رمت نبينا صلى الله عليه وسلم
بكل ما افترته وعير كفار الأمم أنبياءها بكل ما أمكنها واختلقته مما نقله
الله تعالى عليهم أو نقلته إلينا الرواة ولم نجد في شيء من ذلك تعييرا لواحد منهم
تعييرا لواحد

برفضه

برفضه آلهتهم وتقريعه بذمه بترك ما كان قد جاء معهم عليه ولو كان هذا
لكانوا بذلك مبادرين وبتلونه في معبوده محتجين ولكان توبيخهم له
بنهيهم عما كان يعبد قبل أفظع وأقطع في الحجة من توبيخه بنهيهم عن تركهم
آلهتهم وما كان يعبد آباؤهم من قبل ففي إطباقهم على الإعراض عنه دليل
على أنهم لم يجدوا سبيلا إليه إذ لو كان لنقل وما سكتوا عنه كما لم يسكتوا
عند تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها كما حكاه
الله عز وجل عنهم وقد استدل القاضي القشيري على تنزيههم عن هذا
بقوله تعالى وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك الآية وبقوله تعالى وإذ
أخذ الله ميثاق النبيين إلى قوله عز وجل لتؤمنن به ولتنصرنه قال
فطهره الله في الميثاق وبعيد أن يأخذ منه الميثاق قبل خلقه ثم يأخذ
ميثاق النبيين بالإيمان به ونصره قبل مولده بدهور ويجوز عليه الشرك
أو غيره من الذنوب هذا ما لا يجوزه إلا ملحد هذا معنى كلامه وكيف يكون
ذلك وقد أتاه جبريل وشق قلبه صغيرا واستخرج منه علقة سوداء
وقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله وملأه حكمة وإيمانا كما تظاهرت
به أخبار المبدإ ولا يشبه عليك بقول إبرهيم صلى الله عليه وسلم في الكواكب
والقمر والشمس هذا ربي فإنه قد قيل كان هذا في سن الطفولية و
ابتداء النظر والاستدلال وقبل لزوم التكليف وذهب معظم الحذاق
من العلماء والمفسرين إلى أنه إنما قال ذلك مبكتا لقومه ومستدلا
عليهم وقيل معناه الاستفهام الوارد مورد الإنكار والمراد فهذا ربي
قاله الزجاج وقوله هذا ربي أي على قولكم كما قال تعالى أين شركائي
أي عندكم ويدل على أنه لم يعبد شيئا من ذلك ولا أشرك بالله قط طرفة عين
قول الله تعالى عنه إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ثم قال أفرأيتم
ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لي إلا رب العالمين
وقال تعالى إذ جاء ربه بقلب سليم أي من الشرك وقوله تعالى واجنبني
وبني أن نعبد الأصنام فإن قلت فما معنى قوله لئن لم يهدني ربي

لاكونن من القوم الضالين • قيل انه ان لم يؤيدني بمعونته اكن مثلكم
في ضلالكم وعبادتكم على معنى الاشفاق والحذر والا فهو عليه السلام معصوم
في الازل من الضلال • فان قلت فما معنى قوله تع وقال الذين كفروا
لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا • ثم قال تعا بعد
عن الرسل عليهم السلام قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد
اذ نجانا الله منها فلا تشكل عليك لفظة العود وانها تقتضي انهم وانما
يعودون الى ما كانوا فيه من ملتهم فقد تاتي هذه اللفظة في كلام
العرب لغير ما ليس له ابتداء بمعنى الصيرورة • كما جاء في حديث
الجهنميين عادوا حمما ولم يكونوا قبل ذلك ومثله قول الشاعر تلك
المكارم لا قعبان من لبن • شيبا بماء فعادا بعد ابوالا وما كانا قبل
كذلك • فان قلت فما معنى قوله تع ووجدك ضالا فهدى فليس هو
من الضلال الذي هو الكفر • قيل ضالا عن النبوة فهداك اليها قاله
الطبري • وقيل وجدك بين اهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك
للايمان والى ارشادهم • ونحوه عن السدي وغير واحد وقيل ضالا
عن شريعتك اي تعرفها فهداك اليها والضلال هنا التحير • ولهذا
كان عليه السلام يخلو بغار حراء في طلب ما يتوجه به الى ربه عز وجل •
ويتشرع به حتى هداه الله تعا الاسلام قال معناه القشيري • وقيل
لا تعرف الحق فهداك اليه وهذا مثل قوله وعلمك ما لم تكن تعلم قاله
علي بن عيسى • قال ابن عباس لم تكن له ضلالة معصية وقيل هدى
اي بين امرك بالبراهين • وقيل وجدك ضالا بين مكة والمدينة فهداك
الى المدينة وقيل المعنى وجدك فهدى بك ضالا • وعن جعفر بن محمد
ووجدك ضالا عن محبتي لك في الازل اي لا تعرفها فمننت عليك
بمعرفتي وقرا الحسن ابن علي ووجدك ضال فهدى اي اهتدى بك • وقال
ابن عطاء ووجدك ضالا اي محبا لمعرفتي والضال المحب كما قال تعا انك
لفي ضلالك القديم اي محبتك القديمة ولم يريدوا هاهنا في الدين اذ لو قالوا

والضلال الحب ن

ذلك

ذلك في نبي الله لكفروا • ومثله عند هذا انا لنريها في ضلال مبين اي محبة
بينة • وقال الجنيد ووجدك متحيرا في بيان ما انزل اليك فهداك
لبيانه لقوله تع وانزلنا اليك الذكر الاية • وقيل ووجدك لم يعرفك
احد بالنبوة حتى اظهرك فهدى بك السعداء ولا اعلم احدا قال من
المفسرين فيها ضالا عن الايمان • وكذلك في قصة موسى صلى الله عليه وسلم
قوله فعلتها اذا وانا من الضالين اي من المخطئين الفاعلين شيئا
بغير قصد قاله ابن عرفة • وقال الازهري معناه من الناسين
وقد قيل ذلك في قوله تع ووجدك ضالا فهدى اي ناسيا كما قال تع
ان تضل احديهما • فان قلت فما معنى قوله تع ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الايمان • فالجواب ان السمرقندي قال معناه ما كنت تدري قبل
الوحي ان تقرا القران ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان • وقال بكر
القاضي نحوه قال ولا الايمان الذي هو الفرائض والاحكام • قال فكان
قبل مؤمنا بتوحيده ثم نزلت الفرائض التي لم يكن يدريها قبل فزاد بالتكليف
ايمانا وهو احسن وجوهه • فان قلت فما معنى قوله تع وان كنت
من قبله لمن الغافلين • فاعلم انه ليس بمعنى قوله تع والذين هم عن
اياتنا غافلون • بل حكى ابو عبيد الهروي ان معناه لمن الغافلين عن
قصة يوسف عليه السلام اذ لم تعلمها الا بوحينا • وكذلك الحديث الذي
يرويه عثمان بن ابي شيبة بسنده عن جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قد كان يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه احدهما يقول
لصاحبه اذهب حتى تقوم خلفه فقال الآخر كيف اقوم خلفه وعهده
باستلام الاصنام فلم يشهدهم بعد • فهذا حديث انكره احمد بن حنبل
وقال هذا موضوع او شبيه بالموضوع • وقال الدارقطني يقال ان
عثمان وهم في اسناده والحديث بالجملة منكر غير متفق على اسناده
فلا يلتفت اليه والمعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم خلافه عند اهل
العلم من قوله بغضت الى الاصنام • وقوله في الحديث الآخر الذي

بتوحيد الله ن

بسنده ن

قوله

رؤيته أم أيمن حين كلمه عمه وآله في حضور بعض أعيادهم فعزموا
عليه فيه بعد كراهته لذلك فخرج معهم ورجع مرعوبا فقال كلما
دنوت منها من صنم تمثل لي رجل أبيض يصيح بي وراءك لا تمسه فما طويل ن
شهد بعد هم عيدا ● وقوله في قصة بحيرا حين استحلف النبي صلى الله عليه وسلم
باللات والعزى إذ لقيه بالشام في سفرته مع عمه أبي طالب وهو صبي
ورأى فيه علامات النبوة فاختبره بذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
لا تسئلني بهما فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما فقال له بحيرا فبالله
إلا ما أخبرتني عما أسئلك عنه فقال سل عما بدا لك وكذلك المعروف
من سيرته صلى الله عليه وسلم ● وتوفيق الله تعالى له أنه كان قبل نبوته
صلى الله عليه وسلم يخالف المشركين في وقوفهم بمزدلفة في الحج فكان تخالف ن
يقف هو بعرفة لأنه كان موقف إبرهيم صلى الله تعالى عليه وسلم **فصل**
قال القاضي أبو الفضل رحمه الله تعالى قد بان بما قدمناه عقود الأنبياء عليهم السلام
في التوحيد والإيمان والوحي وعصمتهم في ذلك على ما بيناه فأما ما عدا
هذا الباب من عقود قلوبهم فجماعها أنها مملوءة علما ويقينا على الجملة
وأنها قد احتوت من المعرفة والعلم بأمور الدين والدنيا ما لا شيء
فوقه ومن طالع الأخبار واعتنى بالحديث وتأمل ما قلناه وجده ●
وقد قدمنا منه في حق نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم في الباب الرابع
أول قسم من هذا الكتاب ما ينبه على ما وراءه إلا أن أحوالهم في هذه
المعارف تختلف فأما ما تعلق منها بأمر الدنيا فلا يشترط في حق الأنبياء
عليهم السلام العصمة من عدم معرفة الأنبياء عليهم السلام ببعضها
أو اعتقادها على خلاف ما هي عليه ولا وصم عليهم فيه إذ هممهم متعلقة
بالآخرة وأنبائها وأمر الشريعة وقوانينها وأمور الدنيا تضادها
بخلاف غيرهم من أهل الدنيا الذين يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم
عن الآخرة هم غافلون ● كما سنبين هذا في الباب الثاني إن شاء الله تعالى
ولكنه لا يقال أنهم لا يعلمون شيئا من أمر الدنيا فإن ذلك يؤدي إلى

الغفلة

الغفلة والبله وهم المنزهون عنه بل أرسلوا إلى أهل الدنيا وقلدوا قد ن
سياستهم وهدايتهم والنظر في مصالح دينهم ودنياهم ● وهذا لا يكون
مع عدم العلم بأمور الدنيا بالكلية وأحوال الأنبياء عليهم السلام ●
وسيرهم في الباب معلومة ومعرفتهم بذلك كله مشهورة ● وأما إن
كان هذا العقد مما يتعلق بالدين فلا يصح من النبي عليه السلام إلا العلم به
ولا يجوز عليه جهله جملة لأنه لا يخلوا أن يكون حصل عنده ذلك عن عقده ن
وحي من الله فهو ما لا يصح الشك منه فيه على ما قدمناه فكيف الجهل
بل حصل له العلم اليقين أو يكون فعل ذلك باجتهاده فيما لم ينزل عليه
فيه شيء على القول بتجويز وقوع الاجتهاد منه في ذلك على قول المحققين ●
وعلى مقتضى حديث أم سلمة إني إنما أقضي بينكم برأيي فيما لم ينزل
علي فيه خرجه الثقات وكقصة أسرى بدر والإذن للمتخلفين على رأي
بعضهم فلا يكون أيضا ما يعتقده مما يثمره اجتهاده إلا حقا وصحيحا
هذا هو الحق الذي لا يلتفت إلى خلاف من خالف فيه ممن أجاز عليه الخطأ
في الاجتهاد ● لا على القول بتصويب المجتهدين الذي هو الحق ●
والصواب عندنا ولا على القول الآخر بأن الحق في طرف واحد لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم
من الخطأ في الاجتهاد في الشرعيات ● ولأن القول في تخطية المجتهدين
إنما هو بعد استقرار الشرع ونظر النبي صلى الله عليه وسلم واجتهاده فيما لم
ينزل عليه فيه شيء ولم يشرع له قبل هذا فيما عقد عليه صلى الله عليه وسلم
قلبه ● فأما ما لم يعقد عليه قلبه من أمر النوازل الشرعية فقد كان
لا يعلم منها أولا إلا ما علمه الله تعالى شيئا شيئا حتى استقر علم جملتها عنده
إما بوحي من الله أو إذن أن يشرع في ذلك ويحكم بما أراه الله ● وقد كان بلغ مقابلة
ينتظر الوحي في كثير منها ولكنه لم يمت عليه السلام حتى استفرغ علم جميعها
عنده عليه السلام وتقررت معارفها لديه على التحقيق ● ورفع الشك والريب استقر ن
وانتفاء الجهل وبالجملة فلا يصح منه الجهل بشيء من تفاصيل الشرع الذي
أمر بالدعوة إليه إذ لا يصح دعوته إلى ما لا يعلمه ● وأما ما تعلق بعقده

من ملكوت السموات والارض وخلق الله وتعيين اسمائه الحسنى واياته
الكبرى وامور الاخرة واشراط الساعة واحوال السعداء والاشقياء
وعلم ما كان وما يكون مما لم يعلمه الا بوحي فعلى ما تقدم انه معصوم
فيه لا يأخذه فيما اعلم منه شك ولا ريب بل هو فيه على غاية اليقين
لكنه لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك وان كان عنده من علم ذلك
ما ليس عند جميع البشر لقوله صلى الله عليه وسلم اني لا اعلم الا ما علمني ربي
ولقوله ولا خطر على قلب بشر ولا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين
وقول موسى للخضر عليهما السلام هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا
وقوله صلى الله عليه وسلم اسألك باسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم اعلم
وقوله عليه السلام اسألك بكل اسم سميت به نفسك او استأثرت به
في علم الغيب عندك وقد قال الله تعالى وفوق كل ذي علم عليم
قال زيد بن اسلم وغيره حتى ينتهي العلم الى الله تعالى وهذا ما لا خفاء به
اذ معلوماته تعالى لا يحاط بها ولا منتهى لها هذا حكم عقد النبي صلى الله عليه وسلم
في التوحيد والشرع والمعارف والامور الدينية فصل واعلم ان الامة
مجتمعة على عصمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من الشيطان وكفايته منه لا
في جسمه بانواع الاذى ولا على خاطره بالوساوس وقد اخبرنا القاضي
الحافظ ابو علي رحمه الله قال ثنا ابو الفضل بن خيرون العدل ثنا ابو بكر
البرقاني وغيره ثنا ابو الحسن الدارقطني ثنا اسمعيل الصفار ثنا عباس
الترقفي ثنا محمد بن يوسف ثنا سفين عن منصور عن سالم بن ابي الجعد
عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما منكم من احد الا وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا
واياك يا رسول الله قال واياي ولكن الله تعالى اعانني عليه فاسلم زاد غيره
عن منصور فلا يأمرني الا بخير وعن عائشة رضي الله عنها بمعناه وروي فاسلم
بضم الميم اي فاسلم انا منه وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها وروي
فاسلم يعني القرين انه انتقل عن حال كفره الى الاسلام فصار لا يأمر

الا بخير

الا بخير كالملك وهو ظاهر الحديث ورواه بعضهم فاستسلم قال القاضي
ابو الفضل رحمه الله فاذا كان هذا حكم شيطانه وقرينه المسلط على كل احد
من بني آدم فكيف بمن بعد عنه ولم يلزم صحبته ولا اقدر على الدنو منه
وقد جاءت الآثار بتصدي الشياطين له في غير موطن رغبة في
اطفاء نوره واماتة نفسه وادخال شغل عليه اذ يئسوا من اغوائه
فانقلبوا خاسرين كتعرضه له في الصلاة فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم
واسره ففي الصحاح قال ابو هريرة رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم ان الشيطان عرض لي
قال عبد الرزاق في صورة هر فشد علي يقطع علي صلاتي فامكنني الله
منه فذعته ولقد هممت ان اوثقه الى سارية حتى تصبحوا تنظرون اليه
فذكرت قول اخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا الآية فرده الله خاسئا
وفي حديث ابي الدرداء عنه عليه السلام ان عدو الله ابليس جاء
بشهاب من نار ليجعله في وجهي والنبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة
وذكر تعوذه بالله منه ولعنه له ثم اردت اخذه وذكر نحوه وقال لاصبح
موثقا يتلاعب به ولدان اهل المدينة وكذلك في حديثه في الاسراء
وطلب عفريت له بشعلة نار فعلمه جبريل عليه السلام ما يتعوذ به منه ذكره
في الموطأ ولما لم يقدر على اذاه بمباشرته تسبب بالتوسط الى
عداه كقضيته مع قريش في الائتمار بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وتصوره
في صورة الشيخ النجدي ومرة اخرى في غزوة يوم بدر في صورة سراقة بن
مالك وهو قوله تعالى واذ زين لهم الشيطان اعمالهم الآية ومرة ينذر
بشانه بشانه عند بيعة العقبة وكل هذا فقد كفاه الله امره وعصمه ضره
وشره وقد قال عليه السلام ان عيسى عليه السلام كفي من لمسه فجاء ليطعن بيده
في خاصرته حين ولد فطعن في الحجاب وقال صلى الله تعالى عليه وسلم حين لد
في مرضه وقيل له خشينا ان يكون بك ذات الجنب فقال انها من الشيطان
ولم يكن الله ليسلطه علي فان قيل فما معنى قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان
نزغ فاستعذ بالله الآية فقد قال بعض المفسرين انها راجعة الى قوله

وأعرض عن الجاهلين ● ثم قال وإما ينزغنك أي يستخفنك غضب يحملك
على ترك الإعراض عنهم فاستعذ بالله ● وقيل النزغ هنا الفساد كما قال
من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي ● وقيل ينزغنك يغرينك
ويحركك والنزغ أدنى الوسوسة فأمره الله عز وجل أنه متى تحرك عليه غضب
على عدوه أو رام الشيطان من إغرائه به وخواطر أدنى وساوسه ما لم وسوسته ن
يجعل له سبيل إليه أن يستعيذ منه فيكفى أمره ويكون سبب تمام عصمته
صلى الله تعالى عليه وسلم إذ لم يسلط عليه بأكثر من التعرض له ولم يجعل له
قدرة عليه ● وقد قيل في هذه الآية غير هذا ● وكذلك لا يصح أن
يتصور له الشيطان في صورة الملك ويلبس عليه لا في أول الرسالة
ولا بعدها والاعتماد في ذلك دليل المعجزة بل لا يشك النبي صلى الله عليه وسلم
أن ما يأتيه من الله الملك ورسوله حقيقة إما بعلم ضروري يخلقه الله له
أو ببرهان يظهره لديه لتتم كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته ● على لديه ن
فإن قيل فما معنى قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى
ألقى الشيطان في أمنيته الآية ● فاعلم أن للناس في معنى هذه الآية
أقاويل منها السهل والوعث والسمين والغث وأولى ما يقال فيها ما عليه
الجمهور من المفسرين أن التمني هنا التلاوة وإلقاء الشيطان فيها إشغاله ههنا ن
بخواطر وأذكار من أمور الدنيا للتالي حتى يدخل عليه الوهم والنسيان شغله ن
فيما تلاه أو يدخل غير ذلك على أفهام السامعين من التحريف وسوء التأويل
ما يزيله الله وينسخه ويكشف لبسه ويحكم الله آياته وسيأتي الكلام
على هذه الآية بعد بأشبع من هذا إن شاء الله تعالى ● وقد حكى السمرقندي
إنكار قول من قال بتسلط الشيطان على ملك سليمان وغلبته عليه وأن بتسليط ن
مثل هذا لا يصح ● وقد ذكرنا قصة سليمان عليه السلام مبينة بعد هذا ومن
قال إن الجسد هو الولد الذي ولد له ● وقال أبو محمد مكي في قصة أيوب
عليه السلام وقوله إني مسني الشيطان بنصب وعذاب ● إنه
لا يجوز لأحد أن يتأول أن الشيطان هو الذي أمرضه وألقى الضر في بدنه

ولا

ولا يكون ذلك إلا بفعل الله وأمره ليبتليهم ويثبتهم ● قال مكي وقد ويثبتهم ن
قيل إن الذي أصابه الشيطان ما وسوس به إلى أهله ● فإن قلت فما معنى
قوله تعالى عن يوشع وما أنسانيه إلا الشيطان وقوله تعالى عن يوسف عليه السلام
فأنساه الشيطان ذكر ربه ● وقول نبينا صلى الله عليه وسلم حين نام
عن الصلاة يوم الوادي إن هذا واد به شيطان وقول موسى عليه السلام
في وكزته هذا من عمل الشيطان ● فاعلم أن هذا الكلام قد يرد في
جميع هذا على مورد مستمر كلام العرب في وصفهم كل قبيح من شخص أو
فعل بالشيطان أو فعله كما قال تعالى كأنه رؤوس الشياطين ● وقال صلى الله عليه وسلم
فليقاتله فإنما هو شيطان ● وأيضا فإن قول يوشع لا يلزمنا الجواب عنه إذ لم
يثبت له في ذلك الوقت نبوة مع موسى صلى الله عليه وسلم ● قال الله تعالى وإذ
قال موسى لفتاه والمروي أنه إنما نبئ بعد موت موسى عليهما السلام ●
وقيل قبيل موته وقول موسى كان قبل نبوته بدليل القرآن ● وقصة
يوسف عليه السلام قد ذكر أنها كانت كلها قبل نبوته ● وقد قال المفسرون
في قوله تعالى فأنساه الشيطان ذكر ربه قولين أحدهما أن الذي أنسيه
الشيطان ذكر ربه أحد صاحبي السجن وربه الملك أي أنسيه الشيطان
أن يذكر للملك شأن يوسف عليه السلام وأيضا فإن مثل هذا من فعل الشيطان يذكر الملك ن
ليس فيه تسلط على يوسف عليه السلام ويوشع بوساوس ونزغ وإنما هو بوساوس ن
بشغل خواطرهما بأمور أخر وتذكيرهما من أمورهما ما ينسيهما ما نسيا يشغل خواطرهما ن إشغال ن
● وأما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم إن هذا واد به شيطان فليس فيه
ذكر تسلطه عليه ولا وسوسته له بل إن كان بمقتضى ظاهره فقد بين
أمر ذلك الشيطان بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم إن الشيطان أتى بلالا فلم يزل
يهديه كما يهدأ الصبي حتى نام ● فاعلم أن تسلط الشيطان في ذلك الوادي
إنما كان على بلال الموكل بكلاءة الفجر هذا إن جعلنا قوله صلى الله عليه وسلم
إن هذا واد به شيطان تنبيها على سبب النوم عن الصلاة ● وأما إن
جعلناه تنبيها على سبب الرحيل من الوادي وعلة لترك الصلاة به فهو

دليل مساق حديث زيد بن اسلم فلا اعتراض به في هذا الباب لبيانه وارتفاع
اشكاله **فصل** واما اقواله صلى الله تعالى عليه وسلم فقامت الدلائل الواضحة
بصحة المعجزة على صدقه عليه السلام واجمعت الامة فيما كان طريقه البلاغ انه
معصوم فيه من الاخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به لا قصدا وعمدا
ولا سهوا وغلطا ● اما تعمد الخلف في ذلك فمنتف بدليل المعجزة القائمة
مقام قول الله صدق عبدي فيما قال اتفاقا وباطباق اهل الملة اجماعا
● واما وقوعه على جهة الغلط في ذلك ● فبهذه السبيل عند الاستاذ
ابي اسحق الاسفرايني ومن قال بقوله ومن جهة الاجماع فقط ● وورود
الشرع بانتفاء ذلك وعصمة النبي صلى الله عليه وسلم لا من مقتضى المعجزة نفسها
عند القاضي ابي بكر الباقلاني ● ومن وافقه لاختلاف بينهم في مقتضى
دليل المعجزة فلا نطول بذكره فنخرج عن غرض الكتاب فلنعتمد على ما
وقع عليه اجماع المسلمين ● انه لا يجوز عليه خلف في القول في ابلاغ
الشريعة والاعلام بما اخبر به عن ربه وما اوحاه اليه من وحيه
لا على وجه العمد وعلى غير عمد ولا في حالي الرضى والسخط والصحة و
المرض ● وفي حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قلت يا رسول الله اكتب كل
ما اسمعه منك قال نعم قلت في الرضى والغضب قال نعم فاني لا اقول في
ذلك كله الا حقا ● ولنزد ما اشرنا اليه من دليل المعجزة عليه بيانا ●
فنقول اذا قامت المعجزة على صدقه صلى الله عليه وسلم وانه لا يقول الا حقا
ولا يبلغ عن الله الا صدقا وان المعجزة قائمة مقام قول الله له صدقت
فيما تذكره عني وهو يقول اني رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم لابلغكم ما ارسلت
به اليكم وابين لكم ما نزل عليكم وما ينطق عن الهوى ● ان هو الا وحي
يوحى ● وقد جاءكم الرسول بالحق من ربكم وما آتيكم الرسول فخذوه
وما نهيكم عنه فانتهوا ● فلا يصح ان يوجد منه في هذا الباب خبر بخلاف
مخبره على اي وجه كان فلو جوزنا الغلط والسهو لما تميز لنا من غيره ولا
اختلط الحق بالباطل ● فالمعجزة مشتملة على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص

فتنزيه

واجمعت ن

فتنزيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك كله واجب برهانا واجماعا
كما قاله ابو اسحق **فصل** وقد توجهت ههنا لبعض الطاعنين سؤالات
منها ما روي ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ● لما قرأ سورة والنجم
وقال افرأيتم اللات والعزى ● ومناة الثالثة الاخرى ● قال تلك
الغرانيق العلى ● وان شفاعتها لترتجى ويروى ترتضى ● وفي رواية
ان شفاعتها لترتجى وانها لمع الغرانيق العلى ● وفي اخرى والغرانقة العلى
تلك الشفاعة ترتجى ● فلما ختم السورة سجد وسجد معه المسلمون
والكفار لما سمعوه اثنى على الهتهم ● وما وقع في بعض الروايات
ان الشيطان القاها على لسانه وان النبي صلى الله عليه وسلم كان تمنى
ان لو نزل عليه شيء يقارب بينه وبين قومه ● وفي رواية اخرى
الا ينزل عليه شيء ينفرهم عنه ● وذكر هذه وان جبريل عليه السلام
جاءه فعرض عليه السورة فلما بلغ الكلمتين قال له ما جئتك بهاتين
فحزن لذلك النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تسلية له وما ارسلنا
من قبلك من رسول ولا نبي الاية ● وقوله وان كادوا ليفتنونك
الاية ● فاعلم اكرمك الله ان لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث ماخذين
احدهما في توهين اصله والثاني في تسليمه ● اما الماخذ الاول فيكفيك
ان هذا الحديث لم يخرجه احد من اهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم
متصل ● وانما اولع به وبمثله المفسرون والمورخون المولعون
بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم وصدق القاضي
بكر بن العلاء المالكي حيث قال لقد بلي الناس ببعض اهل الاهواء
والتفسير ● وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب
رواياته وانقطاع اسناده واختلاف كلماته ● فقائل يقول انه في
الصلاة ● وآخر يقول قالها في نادي قومه حين انزلت عليه السورة
● وآخر يقول قالها وقد اصابته سنة وآخر يقول بل حدث نفسه فسها
وآخر يقول ان الشيطان قالها على لسانه وان النبي صلى الله عليه وسلم

القصة ن

قال الجوهري: واولع به فهو مولع بفتح اللام اي مغرى به

قالها في الصلاة ن

قالها ن

لما عرضها على جبريل قال ما هكذا أقرأتك وآخر يقول بل أعلمهم الشيطان
أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قرأها فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم
قال والله ما هكذا نزلت إلى غير ذلك من اختلاف الرواة ● ومن
حكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين والتابعين لم يسندها أحد
منهم ولا رفعها إلى صاحب وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية
والمرفوع منه فيه حديث شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس فيما أحسب الشك في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم
كان بمكة وذكر القصة ● قال أبو بكر البزار هذا الحديث لا نعلمه يروى
عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بإسناد متصل يجوز ذكره إلا هذا ولم
يسنده عن شعبة إلا أمية بن خالد وغيره يرسله عن سعيد بن جبير
وإنما يعرف عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ● فقد بين لك أبو بكر
رحمه الله أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا وفيه من الضعف
ما نبه عليه مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه الذي لا يوثق به ولا حقيقة
معه ● وأما حديث الكلبي فمما لا تجوز الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه
وكذبه كما أشار إليه البزار رحمه الله تعالى والذي منه في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم
قرأ والنجم وهو بمكة فسجد وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس
هذا توهينه من طريق النقل ● فأما من جهة المعنى فقد قامت الحجة
وأجمعت الأمة على عصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة
إما من تمنيه أن ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله وهو كفر
أو أن يتصور عليه الشيطان ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه
ويعتقد النبي صلى الله عليه وسلم أن من القرآن ما ليس منه حتى ينبهه عليه
جبريل عليهما السلام وذلك كله ممتنع في حقه صلى الله عليه وسلم أو يقول ذلك
النبي صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه عمدا وذلك كفر أو سهوا وهو معصوم
من هذا كله وقد قررنا ذلك بالبرهان والإجماع عصمته صلى الله عليه وسلم
من جريان الكفر على قلبه أو لسانه لا عمدا ولا سهوا أو أن يتشبه عليه

كلمات ن
المتقبضة ن
وليشبه ن
يتشور بيان
بالبراهين ن

ما

ما يلقيه الملك مما يلقي الشيطان أو يكون للشيطان عليه سبيل أو
أن يتقول على الله لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل عليه ● وقد قال تعالى
ولو تقول علينا بعض الأقاويل الآية ● وقال تعالى إذا لأذقناك ضعف
الحياة وضعف الممات الآية ● ووجه ثان وهو استحالة هذه القصة
نظرا وعرفا وذلك أن هذا الكلام لو كان كما روي لكان بعيد الالتئام
متناقض الأقسام ممتزج المدح بالذم متخاذل التأليف والنظم
ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين
ممن يخفى عليه ذلك وهذا لا يخفى على أدنى متأمل فكيف بمن رجح
حلمه واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه ● ووجه ثالث
أنه قد علم من عادة المنافقين ومعاندي المشركين وضعفة القلوب
والجهلة من المسلمين نفورهم لأول وهلة وتخليط العدو على النبي صلى الله عليه وسلم
لأقل فتنة وتعييرهم المسلمين ● والشماتة بهم الفينة بعد الفينة
وارتداد من في قلبه مرض ممن أظهر الإسلام لأدنى شبهة ولم يحك أحد
في هذه القصة شيئا سوى هذه الرواية الضعيفة الأصل ولو كان ذلك
لوجدت قريش بها الصولة ولأقامت بها اليهود عليهم الحجة كما فعلوا
مكابرة في قصة الإسراء حتى كانت في ذلك لبعض الضعفاء ردة ● و
كذلك ما روي في قصة القضية ولا فتنة أعظم من هذه البلية لو وجدت
ولا تشغيب للمعادي ح أشد من هذه الحادثة لو أمكنت فما روي عن معاند
فيها كلمة ولا عن مسلم بسببها بنت شفة فدل على بطلها واجتثاث أصلها
ولا شك في إدخال بعض شياطين الإنس والجن هذا الحديث على بعض
مغفلي المحدثين ليلبس به على ضعفاء المسلمين ● ووجه رابع ذكر الرواة
لهذه القضية أن فيها نزلت وإن كادوا ليفتنونك الآيتين ● وهاتان
الآيتان تردان الخبر الذي رووه لأن الله تعالى ذكر أنهم كادوا يفتنونه
حتى يفتري وأنه تعالى لولا أن ثبته لكاد يركن إليهم ● فمضمون هذا
ومفهومه أن الله تعالى عصمه من أن يفتري وثبته حتى لم يركن إليهم قليلا

بما يلقيه ن
قريش من ن
ومعانديه ن
والتماس الفتنة بعد الفتنة ن
على المسلمين ن
ليلبس ن

فكيف كثيراً وهم يروون في اخبارهم الواهية انه زاد على الركون والافتراء
بمدح الهتهم وانه قال صلى الله عليه وسلم افتريت على الله وقلت عليه
ما لم يقل ● وهذا ضد مفهوم الاية وهي تضعف الحديث لو صح فكيف
ولا صحة له ● وهذا مثل قوله في الاية الاخرى ولولا فضل الله عليك
ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك
من شيء ● وقد روي عن ابن عباس كل ما في القرآن كاد فهو ما لم يكن
قال الله يكاد سنا برقه يذهب بالابصار ولم تذهب واكاد اخفيها
ولم يفعل ● قال القشيري القاضي ولقد طالبته قريش وثقيف
اذ مر بالهتهم ان يقبل بوجهه اليها ووعدوه الايمان به ان فعل فما فعل
وما كاد ليفعل ● قال الانباري ما قارب الرسول صلى الله عليه وسلم ولا ركن ●
وقد ذكرت في معنى الاية تفاسير اخر غير ما ذكرناه من نص الله عز وجل
على عصمة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ترد سخفها فلم يبق في الاية
الا ان الله تعالى امتن على رسوله صلى الله عليه وسلم بعصمته وتثبيته بما كاده
به الكفار وراموا من فتنته ومرادنا من ذلك كله فتنزيهه وعصمته
صلى الله عليه وسلم وهو مفهوم الاية ● واما المأخذ الثاني فهو مبني على تسليم
الحديث لو صح وقد اعاذنا الله تعالى من صحته ولكن على ذلك من حال فقد
اجاب على ذلك ائمة المسلمين باجوبة منها الغث والسمين ● فمنها ما روى
قتادة ومقاتل ان النبي صلى الله عليه وسلم اصابته سنة عند قراءته هذه
السورة فجرى هذا الكلام على لسانه بحكم النوم وهذا لا يصح اذ لا يجوز
على النبي صلى الله عليه وسلم مثله في حالة من احواله ولا يخلقه الله على لسانه
ولا يستولي الشيطان عليه في نوم ولا يقظة لعصمته في هذا الباب من
جميع العمد والسهو ● وفي قول الكلبي النبي صلى الله عليه وسلم حدث نفسه
فقال ذلك الشيطان على لسانه ● وفي رواية ابن شهاب عن ابي بكر بن عبد الرحمن
قال وسها فلما اخبر بذلك قال انما ذلك من الشيطان وكل هذا لا يصح
ان يقوله صلى الله عليه وسلم لا سهواً ولا قصداً ولا يتقوله الشيطان

على

على لسانه ● وقيل لعل النبي صلى الله عليه وسلم قاله اثناء تلاوته على
تقدير التقرير والتوبيخ للكفار كقول ابراهيم عليه السلام هذا ربي على احد
التأويلات ● وكقوله بل فعله كبيرهم هذا بعد السكت وبيان
الفصل بين الكلامين ثم رجع الى تلاوته ● وهذا ممكن مع بيان
الفصل وقرينة تدل على المراد وانه ليس من المتلو وهو احد ما ذكره
القاضي ابو بكر ولا يعترض على هذا بما روي انه كان في الصلاة فقد كان
الكلام فيها قبل غير ممنوع والذي يظهر ويترجح في تأويله عنده وعند
غيره من المحققين على تسليمه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان كما امره ربه
يرتل القرآن ترتيلاً ويفصل الايات تفصيلاً في قراءته كما رواه
الثقات عنه عليه السلام فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات و
دسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكياً نغمة النبي صلى الله عليه وسلم
بحيث يسمعه من دنا اليه من الكفار فظنوها من قول النبي صلى الله عليه وسلم
واشاعوها ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ السورة قبل ذلك
على ما انزلها الله تعالى وتحققهم من حال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
في ذم الاوثان وعيبها ما عرف منه ● وقد حكى موسى بن عقبة في مغازيه
نحو ذلك وقال ان المسلمين لم يسمعوها وانما القى الشيطان ذلك
في اسماع المشركين وقلوبهم ويكون ما روي من حزن النبي صلى الله عليه وسلم
لهذه الاشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة ● وقد قال تعالى وما
ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الاية فمعنى تمنى تلا ● قال الله
لا يعلمون الكتاب الا اماني اي تلاوة ● وقوله فينسخ الله ما يلقي
الشيطان اي يذهبه ويزيل اللبس به ويحكم آياته ● وقيل معنى الاية
هو ما يقع للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم من السهو اذا قرأ فيتنبه لذلك
ويرجع عنه وهذا نحو قول الكلبي في الاية انه حدث فيها نفسه وقال
اذا تمنى اي حدث نفسه ● وفي رواية ابي بكر بن عبد الرحمن نحوه
وهذا السهو في القراءات انما يصح فيما ليس طريقه تغيير المعاني وتبديل

الالفاظ وزيادة ما ليس من القرآن بل السهو عن اسقاط آية منه
او كلمة ولكنه لا يقر على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكر به للحين
على ما سنذكره في ما يجوز عليه من السهو وما لا يجوز ● ومما يظهر
في تأويله ايضاً ان مجاهداً روى هذه القصة والغرانقة العلاء ●
فان سلمنا القصة قلنا لا يبعد ان هذا كان قرآنا والمراد بالغرانقة
العلى وان شفاعتهن لترتجى الملائكة على هذه الرواية وبهذا فسر
الكلبي الغرانقة انها الملائكة وذلك ان الكفار كانوا يعتقدون الاوثان
والملائكة بنات الله تعالى عز عن ذلك ● كما حكى الله عز وجل عنهم ورد
عليهم في هذه السورة بقوله الحق ● ألكم الذكر وله الانثى فانكر الله
كل هذا من قولهم ● ورجاء الشفاعة من الملائكة صحيح فلما تأوله
المشركون على ان المراد بهذا الذكر آلهتهم ولبس عليهم الشيطان ذلك
وزينه في قلوبهم وألقاه اليهم نسخ الله ما القاه الشيطان واحكم
آياته ورفع تلاوة تلك اللفظتين اللتين وجد الشيطان بهما سبيلا
للتلبيس كما نسخ كثير من القرآن ورفعت تلاوته وكان في انزال الله
لذلك حكمة وفي نسخه ليضل به من يشاء ويهدي من يشاء وما يضل
به الا الفاسقين ● وليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض
والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين اوتوا العلم
انه الحق من ربك فتخبت له قلوبهم الآية ● وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما قرأ هذه السورة وبلغ ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى
خاف الكفار ان يأتي بشيء من ذمها فسبقوا الى مدحها بتلك الكلمتين
ليخلطوا في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم ويشغبوا عليه على عادتهم وقولهم
لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ● ونسب هذا الفعل الى
الشيطان لحمله لهم عليه واشاعوا ذلك واذاعوه وان النبي صلى الله عليه وسلم
قاله فحزن لذلك من كذبهم وافترائهم عليه فسلاه الله بقوله ● وما
ارسلنا من قبلك الآية ● وبين للناس الحق من ذلك من الباطل وحفظ

القرآن واحكم آياته ودفع ما لبس به العدو كما ضمنه الله من قوله ●
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ● ومن ذلك ما روي في قصة يونس
انه وعد قومه العذاب من ربه تعالى فلما تابوا كشف الله عنهم العذاب فقال
لا ارجع اليهم كذاباً ابداً فذهب مغاضباً ● فاعلم اكرمك الله ان ليس
في خبر من الاخبار الواردة في هذا الباب ان يونس قال لهم ان الله مهلككم
وانما فيه انه دعا عليهم بالهلاك والدعاء ليس بخبر يطلب صدقه من كذبه
لكنه قال لهم ان العذاب مصبحكم وقت كذا وكذا فكان ذلك كما قال ●
ثم رفع الله عنهم العذاب وتداركهم ● قال الله الا قوم يونس لما آمنوا
كشفنا عنهم عذاب الخزي الآية ● وروي في الاخبار انهم رأوا دلائل
العذاب ومخايله ● قال ابن مسعود وقال سعيد بن جبير غشاهم العذاب
كما يغشى الثوب القبر ● فان قلت فما معنى ما روي من ان عبد الله بن
ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتد مشركاً وصار
الى قريش فقال لهم اني كنت اصرف محمداً حيث اريد كان يملي علي
عزيز حكيم فاقول او عليم حكيم فيقول نعم كل صواب ● وفي حديث
آخر فيقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اكتب كذا فيقول اكتب كيف شئت
ويقول له اكتب عليماً حكيماً ● فيقول اكتب سميعاً بصيراً فيقول له اكتب
كيف شئت ● وفي الصحيح عن انس رضي الله عنه ان نصرانياً كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم
بعد ما اسلم ثم ارتد كافراً ويقول ما يدري محمد الا ما كتبت له ● فاعلم
ثبتنا الله واياك على الحق ولا جعل للشيطان وتلبيسه الحق بالباطل الينا
سبيلا ● ان مثل هذه الحكاية اولاً لا توقع في قلب مؤمن ريباً اذ هي
حكاية عمن ارتد وكفر بالله ونحن لا نقبل خبر المسلم المتهم فكيف بكافر
افترى هو ومثله على الله ورسله ما هو اعظم من هذا ● والعجب لسليم العقل
يشغل بمثل هذه الحكاية سره وقد صدرت من عدو كافر مبغض للدين
مفتر على الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم ولم عن احد من المسلمين ولا
ذكر احد من الصحابة رضي الله عنهم انه شاهد ما قاله وافتراه على نبي الله صلى الله عليه وسلم

وانما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون
وما وقع من ذكرها في حديث انس رضي الله عنه وظاهر حكايتها فليس فيه ما يدل حكايتها ن
انه شاهدها ولعله حكى ما سمع وقد علل البزار حديثه ذلك وقال
رواه ثابت عنه ولم يتابع عليه ورواه حميد عن انس رضي الله عنه قال واظن
حميدا انما سمعه من ثابت قال صلى الله عليه وسلم قال القاضي ابو الفضل
رحمه الله ولهذا والله اعلم لم يخرج اهل الصحيح حديث ثابت ولا حميد والصحيح
حديث عبد العزيز بن رفيع عن انس رضي الله عنه الذي خرجه اهل الصحة وذكرناه وليس
فيه عن انس قول شيء من ذلك من قبل نفسه الا من حكايته عن المرتد النصراني
ولو كانت صحيحة لما كان فيها قدح ولا توهيم للنبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي
اليه ولا جواز النسيان والغلط عليه والتحريف فيما بلغه ولا طعن في نظم
القرآن وانه من عند الله اذ ليس فيه لو صح اكثر من ان الكاتب قال له عليم
حكيم او كتبه فقال النبي صلى الله عليه وسلم كذلك هو فسبقه لسانه او قلمه اذن ن
لكلمة او كلمتين مما نزل على الرسول قبل اظهار الرسول صلى الله عليه وسلم لها اذ كان نزلت ن
ما تقدم مما املاه الرسول صلى الله عليه وسلم يدل عليها ويقتضي وقوعها
بقوة قدرة الكاتب على الكلام ومعرفته به وجودة حسه وفطنته كما يتفق
ذلك للعارف اذا سمع البيت ان يسبق الى قافيته او مبتدأ الكلام الحسن
الى ما يتم به ولا يتفق ذلك في جملة الكلام كما لا يتفق في آية ولا سورة
وكذلك قوله عليه السلام ان صح كل صواب فقد يكون هذا فيما كان فيه من مقاطع
الآيات وجهان وقراءتان انزلتا جميعا على النبي صلى الله عليه وسلم فاملى احدهما الاي ن
وتوصل الكاتب بفطنته ومعرفته بمقتضى الكلام الى الاخرى قبل ذكر النبي صلى الله عليه وسلم
لها فذكرها للنبي صلى الله عليه وسلم كما قدمناه فصوبها له النبي صلى الله عليه وسلم
ثم احكم الله من ذلك ما احكم ونسخ ما نسخ كما قد وجد ذلك في بعض مقاطع الآي
مثل قوله تعالى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم
وهذه قراءة الجمهور وقد قرأ جماعة فانك انت الغفور الرحيم وليست من المصحف
وكذلك كلمات جاءت على وجهين في غير المقاطع قرأ بهما معا الجمهور وثبتتا

في المصحف

في المصحف مثل قوله تعالى وانظر الى العظام كيف ننشزها ويقض الحق
ويقص الحق وكل هذا لا يوجب ريبا ولا يسبب للنبي صلى الله عليه وسلم ولا ينسب ن
غلطا ولا وهما وقد قيل ان هذا يحتمل ان يكون فيما يكتبه عن النبي صلى الله عليه وسلم
الى الناس غير القرآن فيصف الله تعالى ويسميه في ذلك كيف شاء فصل
هذا القول فيما طريقه البلاغ واما ما ليس سبيله سبيل البلاغ من
الاخبار التي لا مستند لها الى الاحكام ولا اخبار المعاد ولا تضاف الى وحي
بل في امور الدنيا واحوال نفسه فالذي يجب اعتقاده تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم اعتقاده ن
عن ان يقع خبره في شيء من ذلك بخلاف مخبره لا عمدا ولا سهوا ولا غلطا
وانه معصوم من ذلك في حال رضاه وفي حال سخطه وجده ومزحه وصحته
ومرضه ودليل ذلك اتفاق السلف واجماعهم عليه وذلك انا
نعلم من دين الصحابة وعادتهم مبادرتهم الى تصديق جميع احواله والثقة
بجميع اخباره في اي باب كانت وعن اي شيء وقعت وانه لم يكن لهم توقف
ولا تردد في شيء منها ولا استثبات عن حاله عند ذلك هل وقع فيها سهو ام لا
ولما احتج ابن ابي الحقيق اليهودي على عمر حين اجلاهم عن خيبر باقرار من ن
رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم واحتج عليه عمر بقوله صلى الله عليه وسلم كيف
بك اذا اخرجت من خيبر فقال اليهودي كانت هزيلة من ابي القاسم فقال
عمر كذبت يا عدو الله وايضا فان اخباره وآثاره وسيره وشمائله معتنى
بها مستقصى تفاصيلها ولم يرد في شيء منها استدراكه عليه السلام لغلط في قول
قاله او اعترافه بوهم في شيء اخبر به ولو كان ذلك لنقل كما نقل من قصته عليه السلام من قصته رجوعه ن
رجوعه عما اشار به على الانصار في تلقيح النخل وكان ذلك رأيا لا خبرا وغير
ذلك من الامور التي ليست من هذا الباب كقوله صلى الله عليه وسلم اني والله
لا احلف على يمين فارى غيرها خيرا منها الا فعلت الذي حلفت عليه وكفرت
عن يميني وقوله صلى الله عليه وسلم انكم تختصمون الي الحديث وقوله صلى الله عليه وسلم
اسق يا زبير حتى يبلغ الماء الجدر كما سنبين كل ما في هذا من مشكل في هذا الباب
والذي بعده ان شاء الله مع اشباهها وايضا فان الكذب متى عرف من احد

في شيء من الأخبار بخلاف ما هو على أي وجه كان استريب بخبره واتهم في
حديثه ولم يقع قوله في النفوس موقعا ولهذا ما ترك المحدثون
والعلماء الحديث عمن عرف بالوهم والغفلة وسوء الحفظ وكثرة الغلط
مع ثقته وأيضا فإن تعمد الكذب في أمور الدنيا معصية والإكثار منه
كبيرة بإجماع مسقط للمروءة وكل هذا مما ينزه عنه منصب النبوة والمرة الواحدة
منه فيما يستبشع ويستشنع مما يخل بصاحبها ويزري بقائلها لاحقة بذلك
وأما فيما لا يقع هذا الموقع فإن عددناها من الصغائر فهل تجري على حكمها
في الخلاف فيها مختلف فيه والصواب تنزيه النبوة عن قليله وكثيره سهوه
وعمده إذ عمدة النبوة البلاغ والإعلام والتبيين وتصديق ما جاء به
النبي صلى الله عليه وسلم وتجويز شيء من هذا قادح في ذلك ومشكك فيه مناقض
للمعجزة فلنقطع عن يقين بأنه لا يجوز على الأنبياء عليهم السلام خلف في القول
في وجه من الوجوه لا بقصد ولا بغير قصد ولا نتسامح مع من تسامح في تجويز
ذلك عليهم حال السهو فيما ليس طريقه البلاغ نعم وبأنه لا يجوز عليهم
الكذب قبل النبوة ولا الاتسام به في أمورهم وأمور دنياهم لأن ذلك
كان يزري ويريب بهم وينفر القلوب عن تصديقهم بعد وانظر أحوال
أهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرها من الأمم وسؤالهم
عن حاله في صدق لسانه وما عرفوا به من ذلك واعترفوا به مما عرف
واتفق أهل النقل على عصمة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم منه قبل وبعد
وقد ذكرنا من الآثار فيه في الباب الثاني أول الكتاب ما يبين لك صحة ما
أشرنا إليه **فصل فإن قلت** فما معنى قوله عليه السلام في حديث السهو الذي
ثنا به الفقيه أبو إسحق إبراهيم بن جعفر قال ثنا القاضي أبو الأصبغ بن سهل
قال ثنا حاتم بن محمد ثنا أبو عبد الله بن الفخار ثنا أبو عيسى ثنا عبيد الله
يحيى عن مالك عن داود بن الحصين عن أبي سفيان مولى ابن أبي أحمد أنه قال سمعت
أبا هريرة رضي الله عنه يقول صلى صلى الله عليه وسلم صلاة العصر فسلم في ركعتين فقام ذو اليدين
فقال يا رسول الله أقصرت الصلاة أم نسيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك

لم يكن

يستشنع ن

صلى النبي ع

ولأن

وإنهما لم تكن

بنيته

لم يكن وفي الرواية الأخرى ما قصرت الصلاة وما نسيت الحديث بنصه
فأخبر عليه السلام بنفي الحالتين وأنهما لم تكونا وقد كان أحد ذلك كما قال له
ذو اليدين قد كان بعض ذلك يا رسول الله فاعلم وفقنا الله وإياك
أن للعلماء في ذلك أجوبة بعضها بصدد الإنصاف ومنها ما هو بنية
التعسف والاعتساف وها أنا أقول أما على القول بتجويز الوهم والغلط
فيما ليس طريقه من القول البلاغ وهو الذي زيفناه من القولين فلا
اعتراض بهذا الحديث وشبهه وأما على مذهب من يمنع السهو والنسيان
في أفعاله جملة ويرى أنه في مثل هذا عامد بصورة النسيان ليسن فهو
صادق في خبره لأنه لم ينس ولا قصرت ولكنه على هذا القول تعمد هذا الفعل
في هذه الصورة ليسنه لمن اعتراه مثله وهو قول مرغوب عنه نذكره في
موضعه وأما على إحالة السهو عليه في الأقوال وتجويز السهو عليه
فيما ليس طريقه القول كما سنذكره ففيه أجوبة منها أن النبي صلى الله عليه وسلم
أخبر عن اعتقاده وضميره أما إنكار القصر فحق وصدق باطنا وظاهرا
وأما النسيان فأخبر صلى الله عليه وسلم عن اعتقاده وأنه لم ينس في
ظنه فكأنه قصد الخبر بهذا عن ظنه وإن لم ينطق به وهذا صدق أيضا
ووجه ثان أن قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لم أنس راجع إلى السلام أي
أني سلمت قصدا وسهوت عن العدد أي لم أسه في السلام وهذا محتمل
وفيه بعد ووجه ثالث وهو أبعدها ما ذهب إليه بعضهم وإن احتمله
اللفظ من قوله كل ذلك لم يكن أي لم يجتمع القصر والنسيان بل كان أحدهما
ومفهوم اللفظ خلافه مع الرواية الأخرى الصحيحة وهو قوله عليه السلام
ما قصرت الصلاة وما نسيت هذا ما رأيت فيه لأئمتنا وكل من هذه الوجوه
محتمل للفظ على بعد بعضها وتعسف الآخر منها قال القاضي أبو الفضل رحمه الله
والذي أقول ويظهر لي أنه أقرب من هذه الوجوه كلها أن قوله لم أنس إنكار
للفظ الذي نفاه عن نفسه وأنكره على غيره بقوله بئس ما لأحدكم أن يقول
نسيت آية كذا وكذا ولكنه نسي وبقوله في بعض روايات الحديث الآخر

لست أنسى ولكن فلما قال له السائل أقصرت الصلاة أم نسيت أنكر
قصرها كما كان ونسيانه هو من قبل نفسه وأنه إن كان جرى شيء من ذلك
فقد نُسّي حتى سأل غيره فتحقق أنه نُسّي وأجرى عليه ذلك ليسن فهو
عليه السلام على هذا لم أنس ولم تقصر وكل ذلك لم يكن صدق وحق لم تقصر
ولم ينس حقيقة ولكنه نُسّي ● ووجه آخر استثرته من كلام بعض
المشايخ وذلك أنه قال إن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يسهو ولا
ينسى ولذلك نفى عن نفسه النسيان قال لأن النسيان غفلة وآفة
والسهو إنما هو شغل ● قال فكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يسهو
في صلاته ولا يغفل عنها وكان يشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة شغلاً لا غفلة
عنها فهذا إن تحقق على هذا المعنى لم يكن في قوله ما قصرت ولا نسيت خلف
في قول وعندي أن قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ما قصرت وما نسيت بمعنى
الترك الذي هو أحد وجهي النسيان أراد والله أعلم أني لم أسلم من
ركعتين تاركاً لإكمال الصلاة ولكني نسيت ولم يكن ذلك من تلقاء نفسي
والدليل على ذلك قوله في الحديث الصحيح إني لأنسى أو أنسى ● و
أما قصة كلمات إبرهيم صلى الله عليه وسلم المذكورة في الحديث أنها كذبات
الثلاث المنصوصة في القرآن منها اثنتان قوله إني سقيم وبل فعله كبيرهم
هذا ● وقوله للملك عن زوجته أنها أختي ● فاعلم أكرمك الله أن هذه
كلها خارجة عن الكذب لا في القصد ولا في غيره وهي داخلة في باب المعاريض
التي فيها مندوحة عن الكذب ● أما قوله إني سقيم فقال الحسن وغيره
معناه سأسقم أي أن كل مخلوق معرض لذلك فاعتذر لقومه من
الخروج معهم إلى عيدهم بهذا ● وقيل بل سقيم بما قدر علي من الموت
وقيل سقيم القلب بما أشاهده من كفركم وعنادكم ● وقيل بل كانت
الحمى تأخذه عند طلوع نجم معلوم فلما رآه اعتذر بعادته وكل هذا ليس
فيه كذب بل هو خبر صحيح صدق ● وقيل بل عرض بسقم حجته عليهم و
ضعف ما أراد بيانه لهم من جهة النجوم التي كانوا يشتغلون بها وأنه

أي

شغل

أثناء

أثناء نظره في ذلك وقبل استقامة حجته عليهم في حال سقم ومرض
حال مع أنه لم يشك هو ولا ضعف إيمانه ولكنه ضعف في استدلاله
عليهم وسقم نظره كما يقال حجة سقيمة ونظر معلول حتى ألهمه الله
باستدلاله وصحة حجته عليهم بالكوكب والقمر والشمس ما نصه الله
وقدمنا بيانه ● وأما قوله بل فعله كبيرهم هذا الآية فإنه عليه السلام علق
خبره بشرط نطقه كأنه قال إن كان ينطق فهو فعله على طريق التبكيت
لقومه وهذا صدق أيضاً ولا خلف فيه ● وأما قوله أختي فقد بين
في الحديث وقال فإنك أختي في الإسلام وهو صدق والله تعالى يقول
إنما المؤمنون إخوة ● فإن قلت فهذا النبي صلى الله عليه وسلم قد سماها
كذبات وقال لم يكذب إبرهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات ● وقال في حديث
الشفاعة ويذكر كذباته ● فمعناه أنه لم يتكلم بكلام صورته
صورة الكذب وإن كان حقاً في الباطن إلا هذه الكلمات ولما كان
مفهوم ظاهرها خلاف باطنها أشفق إبرهيم صلى الله تعالى عليه وسلم بمؤاخذته
بها ● وأما الحديث كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إذا أراد غزوة
ورى بغيرها فليس فيه خلف في القول إنما هو ستر مقصده لئلا
يأخذ عدوه حذره فكتم وجه ذهابه بذكر السؤال عن موضع آخر والبحث
عن أخباره والتعريض بذكره لا أنه يقول تجهزوا إلى غزوة كذا أو وجهتنا
إلى موضع كذا خلاف مقصده فهذا لم يكن والأول ليس فيه خبر يدخله
الخلف ● فإن قلت فما معنى قول موسى صلى الله عليه وسلم وقد سئل أي الناس
أعلم فقال أنا أعلم فعتب الله تعالى عليه ذلك إذ لم يرد العلم إليه الحديث ●
وفيه قال بلى عبد لنا بمجمع البحرين أعلم منك وهذا خبر قد أنبأنا الله
عز وجل أنه ليس كذلك ● فاعلم أنه وقع في هذا الحديث من بعض طرقه الصحيحة
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال هل تعلم أحداً أعلم منك فإذا كان جوابه على علمه
فهو خبر حق وصدق ولا خلف فيه ولا شبهة وعلى الطريق الآخر فمحمله
على ظنه عليه ومعتقده كما لو صرح به لأن حاله في النبوة والاصطفاء

لغزوة

خبر حق وصدق

تقتضي ذلك فيكون اخباره بذلك ايضا عن اعتقاده وحسبانه صدقا
لا خلف فيه وقد يريد بقوله انا اعلم بما تقتضيه وظائف النبوة من علم
التوحيد وامور الشريعة وسياسة الامة ويكون الخضر عليه السلام اعلم بامور
اخر مما لا يعلمه احد الا باعلام الله من علوم غيبه كالقصص المذكورة في
خبرهما فكان موسى عليه السلام اعلم على الجملة بما تقدم وهذا اعلم على الخصوص
بما اعلم ● ويدل عليه قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما وعتب الله ذلك
عليه فيما قاله العلماء انكاره هذا القول عليه لانه لم يرد العلم اليه كما قالت
الملئكة لا علم لنا الا ما علمتنا او لانه لم يرض قوله شرعا ● وذلك والله
اعلم لئلا يقتدي به فيه من لم يبلغ كماله في تزكية نفسه وعلو درجته
من امته فيهلك لما تضمنه من مدح الانسان نفسه ويورثه ذلك من
الكبر والعجب والتعاطي والدعوى وان نزه عن هذه الرذائل الانبياء
فغيرهم بمدرجة سبيلها ودركها الا من عصمه الله تعالى فالتحفظ منها
اولى لنفسه وليقتدى به ● ولهذا قال عليه السلام تحفظا من مثل هذا مما قد
علم به انا سيد ولد ادم ولا فخر وهذا الحديث احدى حجج القائلين
بنبوة الخضر عليه السلام لقوله فيه انه اعلم من موسى ولا يكون الولي اعلم
من النبي ● واما الانبياء فيتفاضلون في المعارف وبقوله وما فعلته
عن امري فدل انه بوحي ● ومن قال انه ليس بنبي قال يحتمل ان يكون
فعله بامر نبي اخر وهذا يضعف لانه ما علمنا انه كان في زمن موسى نبي غيره
الا اخاه هرون ● وما نقل احد من اهل الاخبار في ذلك شيئا يعول
عليه واذا جعلنا اعلم منك ليس على العموم وانما هو على الخصوص وفي
قضايا معينة لم يحتج الى اثبات نبوة خضر ولهذا قال بعض الشيوخ
كان موسى اعلم من الخضر فيما اخذ عن الله عز وجل والخضر اعلم فيما دفع
اليه من موسى عليه السلام ● وقال اخر انما الجئ موسى الى الخضر عليهما السلام للتأديب
لا للتعليم **فصل واما ما يتعلق بالجوارح من الاعمال** ولا يخرج من جملتها القول
باللسان فيما عدا الخبر الذي وقع فيه الكلام ولا الاعتقاد بالقلب فيما

عدا التوحيد وما قدمناه من معارفه المختصة به فاجمع المسلمون على عصمة
الانبياء عليهم السلام من الفواحش والكبائر الموبقات ومستند الجمهور
في ذلك الاجماع الذي ذكرناه وهو مذهب القاضي ابي بكر ومنعها غيره
بدليل العقل مع الاجماع وهو قول الكافة واختاره الاستاذ ابو اسحق
● وكذلك لا خلاف انهم معصومون من كتمان الرسالة والتقصير في التبليغ
لان كل ذلك يقتضي العصمة منه المعجزة مع الاجماع على ذلك من الكافة
والجمهور قائل بانهم معصومون من ذلك من قبل الله تعالى معتصمون
باختيارهم وكسبهم الا حسينا النجار فانه قال لا قدرة لهم على المعاصي اصلا
● واما الصغائر فجوزها جماعة من السلف وغيرهم على الانبياء عليهم السلام
وهو مذهب ابي جعفر الطبري وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين
وسنورد بعد هذا ما احتجوا به ● وذهبت طائفة اخرى الى الوقف
وقالوا العقل لا يحيل وقوعها منهم ولم يأت في الشرع قاطع باحد الوجهين
● وذهبت طائفة اخرى من المحققين من الفقهاء والمتكلمين الى عصمتهم
من الكبائر قالوا لاختلاف الناس في الصغائر وتعيينها من الكبائر و
واشكال ذلك وقول ابن عباس رضي الله عنهما وغيره ان كل ما عصي الله به فهو كبيرة
وانه انما سمي منها الصغير بالاضافة الى ما هو اكبر منه ومخالفة الباري
سبحانه في اي امر كان يوجب كونه كبيرة ● قال القاضي ابو محمد عبد الوهاب
لا يمكن ان يقال في معاصي الله صغيرة الا على معنى انها تغتفر باجتناب الكبائر
ولا يكون لها حكم مع ذلك بخلاف الكبائر اذا لم يتب منها فلا يحبطها شيء
والمشيئة في العفو عنها الى الله تعالى وهو قول القاضي ابي بكر وجماعة ائمة
الاشعريين وكثير من ائمة الفقهاء ● وقال بعض ائمتنا ولا يجب على القولين
ان يختلف انهم معصومون عن تكرار الصغائر وكثرتها اذ يلحقها ذلك بالكبائر
ولا في صغيرة ادت الى ازالة الحشمة واسقطت المروءة واوجبت الازراء
والخساسة فهذا ايضا مما يعصم عنه الانبياء عليهم السلام اجماعا لان
مثل هذا يحط منصب المتسم به ويزري بصاحبه وينفر القلوب عنه

والانبياء منزهون عن ذلك بل يلحق بهذا ما كان من قبيل المباح فادى
الى مثله لخروجه عما ادى اليه عن اسم المباح الى الحظر ● وقد ذهب
بعضهم الى عصمتهم من مواقعة المكروه قصدا ● وقد استدل بعض الائمة
على عصمتهم من الصغائر بالمصير الى امتثال افعالهم واتباع اثارهم
وسيرهم مطلقا وجمهور الفقهاء على ذلك من اصحاب مالك والشافعي
وابي حنيفة من غير التزام قرينة بل مطلقا عند بعضهم وان اختلفوا في حكم
ذلك ● وحكى ابن خويز منداذ وابو الفرج عن مالك التزام ذلك وجوبا
وهو قول الابهري وابن القصار واكثر اصحابنا وقول اكثر اهل العراق
وابن سريج والاصطخري وابن خيران من الشافعية واكثر الشافعية
على ان ذلك ندب ● وذهبت طائفة الى الاباحة وقيد بعضهم الاتباع
فيما كان من الامور الدينية وعلم به مقصد القربة ومن قال بالاباحة
في افعاله لم يقيد قال فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء بهم
في افعالهم اذ ليس كل فعل من افعالهم يتميز مقصده به من القربة
او الاباحة او الحظر او المعصية ولا يصح ان يؤمر المرء بامتثال امر
لعله معصية لا سيما على من يرى تقديم الفعل على القول اذا تعارضا
من الاصوليين ونزيد هذا حجة بان نقول من جوز الصغائر ومن نفاها
عن نبينا صلى الله عليه وسلم مجمعون على انه لا يقر على منكر من قول
او فعل وانه متى راى شيئا فسكت عنه صلى الله عليه وسلم دل على جوازه فكيف
يكون هذا حاله في حق غيره ● ثم يجوز وقوعه منه في نفسه وعلى هذا
المأخذ تجب عصمتهم من مواقعة المكروه كما قيل واذ الحظر او الندب
على الاقتداء بفعله ينافي الزجر والنهي عن فعل المكروه ● وايضا فقد
علم من دين الصحابة رضي الله عنهم قطعا الاقتداء بافعال النبي صلى الله عليه وسلم
كيف توجهت وفي كل فن كالاقتداء باقواله فقد نبذوا خواتيمهم حين
نبذ خاتمه وخلعوا نعالهم حين خلع نعله واحتجاجهم برؤية ابن عمر رضي الله عنهما
اياه جالسا لقضاء حاجته مستقبلا بيت المقدس ● واحتج غير واحد

منهم

منهم في غير شيء مما بابه العبادة او العادة بقوله رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يفعله ● وقوله صلى الله عليه وسلم هلا اخبرتها اني اقبل وانا صائم وقالت
عائشة محتجة كنت افعله انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم وغضب عليه السلام
على الذي اخبرهم بمثل هذا عنه فقال يحل الله لرسوله ما يشاء ● وقال
اني لاخشاكم لله واعلمكم بحدوده والآثار في هذا اعظم من ان نحيط عليها
لكنه يعلم من مجموعها على القطع اتباعهم افعاله واقتداؤهم بها ولو
جوزوا عليه المخالفة في شيء منها لما اتسق هذا ولنقل عنهم وظهر بحثهم
عن ذلك ولما انكر عليه السلام على الآخر قوله واعتذاره بما ذكرناه
● واما المباحات فجائز وقوعها منهم اذ ليس فيها قدح بل هي ماذون
فيها وايديهم كايدي غيرهم مسلطة عليها الا انهم بما خصوا به من رفيع
المنزلة وشرحت له صدورهم من انوار المعرفة واصطفوا به من تعلق
بالهم بالله والدار الآخرة لا ياخذون من المباحات الا الضرورات مما
يتقوون به على سلوك طريقهم وصلاح دينهم وضرورة دنياهم ● وما
اخذ على هذا السبيل التحق طاعة وصار قربة كما بينا منه اول الكتاب
طرفا في خصال نبينا صلى الله عليه وسلم فبان لك عظيم فضل الله على نبينا
صلى الله عليه وسلم وعلى انبيائه عليهم السلام بان جعل افعالهم قربات
وطاعات بعيدة عن وجه المخالفة ورسم المعصية

فصل وقد اختلف

في عصمتهم من المعاصي قبل النبوة فمنعها قوم وجوزها آخرون والصحيح
ان شاء الله تنزيههم من كل عيب وعصمتهم من كل ما يوجب الريب
فكيف والمسألة تصورها كالممتنع فان المعاصي والنواهي انما تكون بعد
تقرر الشرع ● وقد اختلف الناس في حال نبينا صلى الله عليه وسلم قبل ان يوحى
اليه هل كان متبعا لشرع قبله ام لا ● فقال جماعة لم يكن متبعا لشيء
وهذا قول الجمهور فالمعاصي على هذا القول غير موجودة ولا معتبرة في حقه
حينئذ اذ الاحكام الشرعية انما تتعلق بالاوامر والنواهي وتقرر الشريعة ●
ثم اختلفت حجج القائلين بهذه المقالة عليها فذهب سيف السنة ومقتدى

ابن الطيب

فرق الامة القاضي ابو بكر الى طريق العلم بذلك النقل وموارد الخبر من
طريق السمع وحجته انه لو كان ذلك لنقل ولما امكن كتمه وستره
في العادة اذ كان من مهم امره واولى ما اشتغل به من سيرته ولفخر به
اهل تلك الشريعة ولاحتجوا به عليه ولم يؤثر شيء من ذلك جملة
وذهبت طائفة الى امتناع ذلك عقلا قالوا لانه يبعد ان يكون متبوعا
من عرف تابعا وبنوا هذا على التحسين والتقبيح وهي طريقة غير سديدة
واستناد ذلك الى النقل كما تقدم للقاضي ابي بكر اولى واظهر ● وقالت
فرقة اخرى بالوقوف في امره عليه السلام وترك قطع الحكم عليه بشيء في ذلك
اذ لم يحل الوجهين منهما العقل ولا استبان عندها في احدهما طريق
النقل وهو مذهب ابي المعالي ● وقالت فرقة ثالثة انه كان عاملا
بشرع من قبله ثم اختلفوا هل تعين ذلك الشرع ام لا فوقف بعضهم
على التعيين وصمم ● ثم اختلفت هذه المعينة فيمن كان يتبع فقيل
نوح عليه السلام وقيل ابرهيم عليه السلام وقيل موسى عليه السلام وقيل عيسى صلوات الله عليهم
فهذه جملة المذاهب في هذه المسئلة والاظهر فيها ما ذهب اليه القاضي ابو بكر
وابعدها مذاهب المعينين اذ لو كان شيء من ذلك لنقل كما قدمناه ولم
يخف جملة ولا حجة لهم في ان عيسى عليه السلام اخر الانبياء فلزمت شريعته
من جاء بعدها اذ لم يثبت عموم دعوة عيسى بل الصحيح انه لم يكن
لنبي دعوة عامة الا لنبينا صلى الله عليه وسلم ● ولا حجة ايضا للاخر في قوله
ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا ● وللاخر في قوله شرع لكم من الدين ما وصى
به نوحا فحمل هذه الاية على اتباعهم في التوحيد كقوله اولئك الذين هدى الله
فبهداهم اقتده ● وقد سمى الله فيهم من لم يبعث ومن لم تكن له شريعة
تخصه كيوسف بن يعقوب عليهما السلام على قول من يقول انه ليس برسول
● وقد سمى الله عز وجل جماعة منهم في هذه الاية شرائعهم مختلفة لا يمكن
الجمع بينها ● فدل ان المراد ما اجمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله
وبعد هذا فهل يلزم من قال بمنع الاتباع هذا القول في سائر الانبياء غير

نبينا صلى الله عليه وسلم او يخالفون بينهما اما من منع الاتباع عقلا
فيطرد اصله في كل رسول بلا مرية ● واما من مال الى النقل فاين ما تصور
وتقرر اتبعه ومن قال بالوقف فعلى اصله ● ومن قال بوجوب الاتباع
لمن قبله يلتزمه بمساق حجته في كل نبي **فصل هذا حكم ما تكون المخالفة**
فيه من الاعمال عن قصد وهو ما يسمى معصية ويدخل تحت التكليف و
اما ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو والنسيان في الوظائف الشرعية مما
تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به وترك المؤاخذة عليه فاحوال الانبياء
في ترك المؤاخذة به وكونه ليس بمعصية لهم مع اممهم سواء ● ثم ذلك
على نوعين ما طريقه البلاغ وتقرير الشرع وتعلق الاحكام وتعليم
الامة بالفعل واخذهم باتباعه فيه وما هو خارج عن هذا مما يختص
بنفسه ● اما الاول فحكمه عند جماعة من العلماء حكم السهو في القول
في هذا الباب وقد ذكرنا الاتفاق على امتناع ذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم
وعصمته من جوازه عليه قصدا او سهوا ● فكذلك قالوا الافعال في هذا الباب
لا يجوز طرو المخالفة فيها لا عمدا ولا سهوا لانها بمعنى القول من جهة
التبليغ والاداء وطرو هذه العوارض عليها يوجب التشكيك وتسبب المطاعن
واعتذروا عن احاديث السهو بتوجيهات نذكرها بعد هذا والى هذا مال ابو اسحق
وذهب الاكثر من الفقهاء والمتكلمين الى ان المخالفة في الافعال البلاغية والاحكام
الشرعية سهوا وعن غير قصد منه جائز عليه كما تقرر من احاديث السهو في
الصلاة وفرقوا بين ذلك وبين الاقوال البلاغية لقيام المعجزة على الصدق
في القول ومخالفة ذلك تناقضها ● واما السهو في الافعال فغير مناقض
لها ولا قادح في النبوة بل غلطات الفعل وغفلات القلب من سمات البشر كما
قال عليه السلام انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني ● نعم
بل حالة النسيان والسهو هنا في حقه عليه السلام سبب افادة علم وتقرير شرع
كما قال عليه السلام اني لانسى او انسى لاسن بل قد روي لست انسى ولكن
انسى لاسن ● وهذه الحالة زيادة له في التبليغ وتمام عليه في النعمة

فيلزمه

بعيدة عن سمات النقص وأغراض الطعن فإن القائلين بتجويز ذلك
يشترطون أن الرسول عليه السلام لا يقر على السهو والغلط بل ينبهون
عليه ويعرفون حكمه بالفور على قول بعضهم وهو الصحيح وقبل انقراضهم
على قول الآخرين • وأما ما ليس طريقه البلاغ ولا بيان الأحكام
من أفعاله عليه السلام وما يختص به من أمور دينه وأذكار قلبه مما لم
يفعله ليتبع فيه فالأكثر من طبقات علماء الأمة على جواز السهو والغلط
عليه فيها ولحوق الفترات والغفلات بقلبه وذلك بما كلفه من مقاساة
الخلق وسياسات الأمة ومعاناة الأهل وملاحظة الأعداء ولكن
ليس على سبيل التكرار ولا الاتصال بل على سبيل الندور كما قال عليه السلام
إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله وليس في هذا شيء يحط من مرتبته
ويناقض معجزته • وذهبت طائفة إلى منع السهو والنسيان والغفلات
والفترات في حقه عليه السلام جملة • وهو مذهب جماعة المتصوفة
وأصحاب علم القلوب والمقامات ولهم في هذه الأحاديث مذاهب نذكرها
بعد هذا إن شاء الله

فصل في الكلام على الأحاديث المذكور فيها

السهو منه عليه السلام قد قدمنا في الفصول قبل هذا ما يجوز فيه عليه السهو
وما يمتنع وأحلناه في الأخبار جملة وفي الأقوال الدينية قطعا وأجزنا
وقوعه في الأفعال الدينية على الوجه الذي رتبناه وأشرنا إلى ما ورد
في ذلك ونحن نبسط القول فيه • الصحيح من الأحاديث الواردة
في سهوه عليه السلام في الصلاة ثلاثة أحاديث • أولها حديث ذي اليدين
في السلام من اثنتين • الثاني حديث ابن بحينة في القيام من اثنتين
الثالث حديث ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا
وهذه الأحاديث مبنية على السهو في الفعل الذي قررناه وحكمة الله
فيه ليستن به إذ البلاغ بالفعل أجلى منه بالقول وأرفع للاحتمال
• وشرطه أن لا يقر على هذا السهو بل يشعر به ليرتفع الالتباس و
تظهر فائدة الحكمة فيه كما قدمناه وأن النسيان والسهو في الفعل في

حقه

الرسل ان

مطلب مهم

بلغ مقابلة

انه لا يقر

حقه عليه السلام غير مضاد للمعجزة ولا قادح في التصديق وقد قال عليه السلام
إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني • وقال عليه السلام
رحم الله فلانا لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أسقطتهن ويروى أنسيتهن
وقال عليه السلام إني لأنسى أو أنسى لأسن • قيل هذا اللفظ شك من الراوي
• وقد روي إني لا أنسى ولكن أنسى لأسن • وذهب ابن نافع
وعيسى بن دينار إلى أنه ليس بشك وأن معناه التقسيم أي أنسى أنا أو
ينسيني الله • قال القاضي أبو الوليد الباجي يحتمل ما قالاه أن يريد أني
أنسى في اليقظة وأنسى في النوم أو أنسى على سبيل عادة البشر من الذهول
عن الشيء والسهو أو أنسى مع إقباله عليه وتفرغه له فأضاف أحد
النسيانين إلى نفسه إذ كان له بعض السبب فيه ونفى الآخر عن نفسه
إذ هو كالمضطر • وذهبت طائفة من أصحاب المعاني والكلام على
الحديث إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو في صلاته ولا ينسى
لأن النسيان ذهول وغفلة وآفة قالوا والنبي صلى الله عليه وسلم منزه
عنها والسهو شغل فكان عليه السلام يسهو في صلاته ويشغله عن حركات
الصلاة ما في الصلاة شغلا بها لا غفلة عنها • واحتج بقوله في الرواية
الأخرى إني لا أنسى • وذهبت طائفة إلى منع هذا كله عنه عليه السلام
وقالوا إن سهوه عليه السلام كان عمدا وقصدا ليسن وهذا قول مرغوب
عنه متناقض المقاصد لا يحلى منه بطائل لأنه كيف يكون متعمدا ساهيا
في حال ولا حجة لهم في قولهم إنه أمر أن يتعمد صورة النسيان ليسن
لقوله إني لأنسى أو أنسى فقد أثبت أحد الوصفين ونفى مناقضة
التعمد والقصد • وقال إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون • وقد
مال إلى هذا عظيم من المحققين من أئمتنا وهو أبو المظفر الإسفرايني
ولم يرتضه غيره منهم ولا أرتضيه • ولا حجة لهاتين الطائفتين في قوله عليه السلام
إني لا أنسى ولكن أنسى إذ ليس فيه نفي حكم النسيان بالجملة • وإنما فيه
نفي لفظه وكراهة لقبه كقوله بئس ما لأحدكم أن يقول نسيت آية كذا

ان

بتعمد

ولكنه نسي أو نفي الغفلة وقلة الاهتمام بأمر الصلاة عن قلبه لكن شغل
بها عنها ونسي بعضها ببعضها كما ترك الصلاة يوم الخندق حتى خرج
وقتها وشغل بالتحرز من العدو عنها فشغل بطاعة عن طاعة ● وقيل
إن الذي ترك يوم الخندق أربع صلوات الظهر والعصر والعشاء
والمغرب ● وبه احتج من ذهب إلى جواز تأخير الصلاة في الخوف إذا لم
يتمكن من أدائها إلى وقت الأمن وهو مذهب الشاميين ● والصحيح
أن حكم صلاة الخوف كان بعد هذا فهو ناسخ له ● فإن قلت فما تقول
في نومه عليه السلام عن الصلاة يوم الوادي وقد قال عليه السلام إن عيني
تنامان ولا ينام قلبي ● فاعلم أن للعلماء عن ذلك أجوبة ● منها
أن المراد بأن هذا حكم قلبه عند نومه وعينيه في غالب الأوقات وقد
يندر منه غير ذلك كما يندر من غيره خلاف عادته ● ويصحح هذا التأويل
قوله عليه السلام في الحديث نفسه إن الله قبض أرواحنا وقول بلال فيه
ما ألقيت علي نومة مثلها قط ولكن مثل هذا إنما يكون منه لأمر يريده
الله من إثبات حكم وتأسيس سنة وإظهار شرع كما في الحديث الآخر
لو شاء الله لأيقظنا ولكن أراد أن يكون لمن بعدكم ● الثاني أن قلبه
لا يستغرقه النوم حتى يكون منه الحدث فيه لما روي أنه كان محروسا
وأنه كان ينام حتى ينفخ ويسمع غطيطه ثم يصلي ولا يتوضأ وحديث
ابن عباس رضي الله عنهما المذكور فيه وضوءه عند قيامه من النوم فيه نومه مع أهله
فلا يمكن الاحتجاج به على وضوئه بمجرد النوم إذ لعل ذلك لملامسة
الأهل أو لحدث آخر فكيف وفي آخر الحديث نفسه ثم نام حتى سمعت غطيطه
ثم أقيمت الصلاة فصلى ولم يتوضأ ● وقيل لا ينام قلبه من أجل أنه
يوحى إليه في النوم وليس في قصة الوادي إلا نوم عينيه عن رؤية الشمس
وليس هذا من فعل القلب وقد قال عليه السلام إن الله قبض أرواحنا ولو شاء
لردها إلينا في حين غير هذا ● فإن قيل فلولا عادته عليه السلام من استغراق
النوم لما قال لبلال اكلأ لنا الصبح ● وقيل في الجواب أنه كان من شأنه

أرواحكم ن

التغليس

التغليس بالصبح ومراعاة أول الفجر لا يصح ممن نامت عينه إذ هو ظاهر
يدرك بالجوارح الظاهرة فوكل بلالا بمراعاة أوله ليعلمه بذلك كما
لو شغل بشغل غير النوم عن مراعاته ● فإن قيل فما معنى نهيه عليه السلام
عن القول نسيت وقد قال عليه السلام إني أنسى كما تنسون فإذا نسيت
فذكروني وقال لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أنسيتها ● فاعلم أكرمك الله
أنه لا تعارض في هذه الألفاظ ● أما نهيه عن أن يقال نسيت آية كذا فمحمول
على ما نسخ حفظه من القرآن أي أن الغفلة في هذا لم تكن منه عليه السلام و
لكن الله اضطره إليها ليمحو ما يشاء ويثبت وما كان من سهو أو غفلة
من قبله تذكرها صلح أن يقال فيه أنسي ● وقد قيل إن هذا منه عليه السلام
على طريق الاستحباب أن يضيف الفعل إلى خالقه والآخر على طريق الجواز
لاكتساب العبد فيه وإسقاطه عليه السلام لما أسقط من هذه الآيات جائز
عليه بعد بلاغ ما أمر ببلاغه وتوصيله إلى عباده ثم يستذكرها من أمته
أو من قبل نفسه إلا ما قضى الله نسخه ومحوه من القلوب وترك
استذكاره ● وقد يجوز أن ينسى النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا سبيله
كرة ويجوز أن ينسى منه قبل البلاغ ما لا يغير نظما ولا يخلط حكما
مما لا يدخل خللا في الخبر ثم يذكره إياه ويستحيل دوام نسيانه له
لحفظ الله كتابه وتكليفه بلاغه **فصل في الرد على من أجاز عليهم**
الصغائر والكلام على ما احتجوا به في ذلك اعلم أن المجوزين للصغائر
على الأنبياء عليهم السلام من الفقهاء والمحدثين ومن شايعهم على ذلك
من المتكلمين ● احتجوا على ذلك بظواهر كثيرة من القرآن والحديث إن
التزموا ظواهرها أفضت بهم إلى تجويز الكبائر وخرق الإجماع وما لا يقول
به مسلم فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف المفسرون في معناه وتقابلت
الاحتمالات في مقتضاه وجاءت أقاويل فيها للسلف بخلاف ما التزموه من
ذلك فإذا لم يكن مذهبهم إجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما وقامت
الدلالة على خطأ قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير إلى ما صح ● وها نحن

ويثبت ن

يصلح

تأخذ في النظر فيها إن شاء الله ● فمن ذلك قوله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقوله تعالى فاستغفر لذنبك
وللمؤمنين والمؤمنات ● وقوله تعالى ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض
ظهرك ● وقوله تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم وقوله تعالى لولا كتاب
من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم ● وقوله تعالى عبس وتولى
أن جاءه الأعمى الآية ● وما قص من قصص غيره من الأنبياء كقوله تعالى
وعصى آدم ربه فغوى ● وقوله تعالى فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء
فيما آتاهما الآية وقوله تعالى عنه ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وقوله تعالى عن
يونس عليه السلام سبحانك إني كنت من الظالمين ● وما ذكره من قصص
داود عليهما السلام ● وقوله تعالى وظن داود أنما فتناه إلى قوله وأناب
وقوله تعالى عن موسى فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان
● وقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في دعائه اغفر لي ما قدمت وما
أخرت وما أسررت وما أعلنت ونحوه من أدعيته صلى الله عليه وسلم وذكر
الأنبياء عليهم السلام في الموقف ذنوبهم في حديث الشفاعة ● وقوله
صلى الله عليه وسلم إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله وفي حديث أبي هريرة إني
لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة ● وقوله تعالى
عن نوح عليه السلام وإلا تغفر لي الآية وقد كان قال الله تعالى ولا تخاطبني في
الذين ظلموا إنهم مغرقون ● وقوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام والذي أطمع
أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ● وقوله تعالى عن موسى عليه السلام تبت إليك
وقوله تعالى ولقد فتنا سليمان إلى ما أشبه هذه ● فأما احتجاجهم
بقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فهذا قد اختلف
فيه المفسرون ● فقيل المراد ما كان قبل النبوة وبعدها وقيل المراد
ما وقع لك من ذنب وما لم يقع أعلمه أنه مغفور له ● وقيل ما كان قبل
النبوة والمتأخر عصمتك بعدها حكاه أحمد بن نصر ● وقيل المراد بذلك
أمته عليه السلام ● وقيل المراد ما كان عن سهو وغفلة وتأويل حكاه الطبري

الظواهر

بلغ مقابلة

واختاره

واختاره القشيري ● وقيل ما تقدم لأبيك آدم وما تأخر من ذنوب
أمتك حكاه السمرقندي والسلمي عن ابن عطاء وبمثله والذي قبله
يتأول قوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ● قال مكي
مخاطبة النبي عليه السلام ها هنا هي مخاطبة لأمته ● وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم
لما أمر أن يقول وما أدري ما يفعل بي ولا بكم سر بذلك الكفار فأنزل
الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر الآية وبمآل المؤمنين
في الآية الأخرى بعدها قاله ابن عباس رضي الله عنهما فمقصد الآية أنك مغفور لك
غير مؤاخذ بذنب أن لو كان قال بعضهم المغفرة ها هنا تبرئة من العيوب
● وأما قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك
فقيل ما سلف من ذنبك قبل النبوة وهو قول ابن زيد والحسن ومعنى
قول قتادة ● وقيل معناه أنه حفظ قبل نبوته عليه السلام منها
وعصم ولولا ذلك لأثقلت ظهرك حكى معناه السمرقندي ● وقيل
المراد بذلك ما أثقل ظهره من أعباء الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي
والسلمي ● وقيل حططنا عنك ثقل أيام الجاهلية حكاه مكي ● وقيل
ثقل شغل سرك وحيرتك وطلب شريعتك حتى شرعنا ذلك لك حكى معناه
القشيري ● وقيل معناه خففنا عليك ما حملت بحفظنا لما استحفظت
وحفظ عليك ومعنى أنقض أي كاد ينقضه فيكون المعنى على من جعل ذلك
لما قبل النبوة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بأمور فعلها قبل نبوته
وحرمت عليه بعد النبوة فعدها أوزارا وثقلت عليه وأشفق منها
أو يكون الوضع عصمة الله له وكفايته من ذنوب لو كانت لأنقضت
ظهره أو يكون من ثقل الرسالة أو ما ثقل عليه وشغل قلبه من أمور الجاهلية
وإعلام الله تعالى له بحفظ ما استحفظه من وحيه ● وأما قوله تعالى عفا الله عنك
لم أذنت لهم فأمر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى نهي فيعد معصية
ولا عده الله تعالى معصية بل لم يعده أهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب
إلى ذلك ● قال نفطويه وقد حاشاه الله تعالى من ذلك بل كان مخيرا في أمرين

تبرئة

أعباء

قالوا وقد كان له أن يفعل ما شاء فيما لم ينزل عليه فيه وحي فكيف
وقد قال الله تعالى له فأذن لمن شئت منهم فلما أذن لهم لقعدوا وأنه
لا حرج عليه فيما فعل وليس عفا هاهنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط أي لم يلزمكم
ذلك ونحوه للقشيري ۞ قال وإنما يقول العفو لا يكون إلا عن ذنب
من لم يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك أي لم يلزمك ذنبا
قال الداودي روي أنها تكرمة له ۞ قال مكي هو استفتاح كلام مثل
أصلحك الله وأعزك الله ۞ وحكى السمرقندي أن معناه عافاك الله ۞
وأما قوله في أسارى بدر ما كان لنبي أن يكون له أسرى الآيتين فليس
فيه إلزام ذنب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بل فيه بيان ما خص به
وفضل من بين سائر الأنبياء فكأنه قال ما كان هذا لنبي غيرك كما قال
عليه السلام أحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي ۞ فإن قيل فما معنى قوله
تريدون عرض الدنيا الآية ۞ قيل المعني بالخطاب لمن أراد ذلك منهم
وتجرد غرضه لعرض الدنيا وحده والاستكثار منها وليس المراد بهذا النبي
صلى الله عليه وسلم ولا علية أصحابه رضي الله عنهم ۞ بل قد روي عن الضحاك
أنها نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب
وجمع الغنائم عن القتال حتى خشي عمر أن يعطف عليهم العدو ثم قال
تعالى لولا كتاب من الله سبق فاختلف في معنى هذه الآية ۞ فقيل معناه
لولا أنه سبق مني أن لا أعذب أحدا إلا بعد النهي لعذبتكم فهذا ينفي
أن يكون أمر الأسرى معصية ۞ وقيل المعنى لولا إيمانكم بالقرآن
وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم على الغنائم ويزاد
هذا القول تفسيرا وبيانا بأن يقال لولا ما كنتم مؤمنين بالقرآن وكنتم
ممن أحلت لهم الغنائم لعوقبتم كما عوقب من تعدى ۞ وقيل لولا أنه
سبق في اللوح المحفوظ أنها حلال لكم لعوقبتم فهذا كله ينفي الذنب
والمعصية لأن من فعل ما أحل له لم يعص ۞ قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم

عن القشيري

كانت ن

علية ن

المفسرون ن

حلالا

حلالا طيبا ۞ وقيل بل كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد خير في ذلك
وقد روي عن علي رضي الله عنه قال جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر
فقال خير أصحابك في الأسارى إن شاؤوا القتل وإن شاؤوا الفداء على
أن يقتل منهم عام المقبل مثلهم فقالوا الفداء ويقتل منا وهذا دليل
على صحة ما قلناه وأنهم لم يفعلوا إلا ما أذن لهم فيه لكن بعضهم مال إلى
أضعف الوجهين مما كان الأصلح غيره من الإثخان والقتل فعوتبوا على
ذلك وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة
ولا مذنبين وإلى نحو هذا أشار الطبري ۞ وقوله صلى الله عليه وسلم
في هذه القضية لو نزل عذاب من السماء ما نجا منه إلا عمر رضي الله عنه إشارة
إلى هذا من تصويب رأيه ورأي من أخذ بمأخذه في إعزاز الدين وإظهار
كلمته وإبادة عدوه وأن هذه القضية لو استوجبت عذابا نجا منه عمر
ومثله وعين عمر رضي الله عنه لأنه أول من أشار بقتلهم ولكن الله لم يقدر
عليهم في ذلك عذابا لحله لهم فيما سبق ۞ وقال الداودي والخبر
بهذا لا يثبت ولو ثبت لما جاز أن يظن أن النبي صلى الله عليه وسلم حكم بما لا
نص فيه ولا دليل من نص ولا جعل الأمر إليه فيه وقد نزهه الله عن ذلك
۞ وقال القاضي بكر بن العلاء أخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه
الآية أن تأويله وافق ما كتب له من إحلال الغنائم والفداء ۞ وقد كان
قبل هذا فادوا في سرية عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي بالحكم
بن كيسان وصاحبه فما عتب الله ذلك عليهم وذلك قبل بدر بأزيد من
عام فهذا كله يدل على أن فعل النبي صلى الله عليه وسلم في شأن الأسرى كان
على تأويل وبصيرة وعلى ما تقدم قبل مثله فلم ينكره الله عليهم لكن الله تعالى
أراد لعظم أمر بدر وكثرة أسراها والله أعلم إظهار نعمته وتأكيد منته
بتعريفهم ما كتبه في اللوح المحفوظ من حل ذلك لهم لا على وجه عتاب وإنكار
أو تذنيب هذا معنى كلامه ۞ وأما قوله تعالى عبس وتولى الآية فليس
فيه إثبات ذنب له عليه السلام بل إعلام الله أن ذلك المتصدى له ممن لا يتزكى

القضية ن

تعظيم أمر بدر ن

قصص انبيا عليهم السلام

وان الصواب والاولى كان لو كشف لك حال الرجلين لاختار الاقبال على
الاعمى وفعل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما فعل وتصديه لذلك الكافر كان
طاعة لله تعالى وتبليغا عنه واستيلافا له كما شرعه الله تعالى له لا معصية ولا
مخالفة له عز وجل وما قصه الله عليه من ذلك اعلام بحال الرجلين
وتوهين امر الكافر عنده والاشارة الى الاعراض عنه بقوله تعالى وما عليك
الا يزكى ● وقيل المراد بعبس وتولى الكافر الذي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم
قاله ابو تمام ● واما قصة آدم عليه السلام وقوله تعالى فاكلا منها بعد قوله
ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ● وقوله تعالى الم انهكما عن
تلكما الشجرة وتصريحه تعالى عليه بالمعصية بقوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى
اي جهل ● وقيل اخطا فان الله تعالى قد اخبر بعذره بقوله تعالى ولقد عهدنا
الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما ● قال ابن زيد نسي عداوة ابليس
له وما عهد الله اليه من ذلك بقوله تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك الآية
قيل نسي ذلك بما اظهر لهما ● وقال ابن عباس رضي الله عنهما انما سمي الانسان انسانا
لانه عهد اليه فنسي ● وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لها ولكنهما
اغترا بحلف ابليس لهما اني لكما لمن الناصحين وتوهما ان احدا لا يحلف
بالله حانثا ● وقد روي عذر آدم بمثل هذا في بعض الآثار وقال ابن
جبير حلف بالله لهما حتى غرهما والمؤمن يخدع ● وقد قيل نسي ولم ينو
المخالفة فلذلك قال ولم نجد له عزما اي قصدا للمخالفة واكثر المفسرين
على ان العزم هنا الصبر والحزم ● وقيل كان عند اكله سكران وهذا
فيه ضعف لان الله تعالى وصف خمر الجنة انها لا تسكر فاذا كان ناسيا لم تكن
معصية ● وكذلك ان كان ملبسا عليه غالطا اذ الاتفاق على خروج الناسي
والساهي عن حكم التكليف ● وقال الشيخ ابو بكر بن فورك وغيره انه يمكن
ان يكون ذلك قبل النبوة ودليل ذلك قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى ثم
اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ● فذكر ان الاجتباء والهداية كانا بعد
العصيان ● وقيل بل اكلها متاولا وهو لا يعلم انها الشجرة التي نهي عنها

لانه تاول نهي الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا قيل انما كانت
التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة ● وقيل تاول ان الله لم ينهه
عنها نهي تحريم ● فان قيل فعلى كل حال فقد قال تعالى وعصى آدم ربه
وقال تعالى فتاب عليه ربه ● وقوله في حديث الشفاعة ويذكر ذنبه
واني نهيت عن اكل الشجرة فعصيت فسياتي الجواب عنه وعن اشباهه
مجملا آخر الفصل ان شاء الله تعالى ● واما قصة يونس عليه السلام
فقد مضى الكلام على بعضها آنفا وليس في قصة يونس عليه السلام نص على
ذنب وانما فيه ابق وذهب مغاضبا وقد تكلمنا عليه ● وقيل انما
نقم الله عليه خروجه عن قومه فارا من نزول العذاب ● وقيل بل لما
وعدهم العذاب ثم عفا الله عنهم قال والله لا القاهم بوجه كذاب ابدا
● وقيل بل كانوا يقتلون من كذب فخاف ذلك ● وقيل ضعف عن حمل
اعباء الرسالة ● وقد تقدم الكلام انه لم يكذبهم وهذا كله ليس فيه
نص على معصية الا على قول مرغوب عنه ● وقوله تعالى ابق الى الفلك المشحون
قال المفسرون تباعد ● واما قوله اني كنت من الظالمين فالظلم
وضع الشيء في غير موضعه فهذا اعتراف منه عند بعضهم بذنبه فاما
ان يكون لخروجه عن قومه بغير اذن ربه او لضعفه عما حمله او لدعائه
بالعذاب على قومه وقد دعا نوح عليه السلام بهلاك قومه فلم يؤاخذ ●
وقال الواسطي في معناه نزه ربه عن الظلم واضاف الى نفسه اعترافا
واستحقاقا ومثل هذا قول آدم وحوا عليهما السلام ربنا ظلمنا انفسنا
اذ كانا السبب في وضعهما غير الموضع الذي انزلا فيه واخراجهما من الجنة
وانزالهما الى الارض ● واما قصة داود عليه السلام فلا يجب ان يلتفت
الى ما سطره فيها الاخباريون عن اهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا
ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله على شيء من ذلك ولا ورد في حديث
صحيح والذي نص الله تعالى عليه قوله تعالى فظن انما فتناه الى قوله وحسن
مآب ● وقوله فيه اواب فمعنى فتناه اي اختبرناه واواب قال

قتادة مطيع وهذا التفسير أولى قال ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم
ما زاد داود على أن قال للرجل انزل لي عن امرأتك واكفلنيها فعاتبه
الله على ذلك ونبهه عليه وأنكر عليه شغله بالدنيا وهذا الذي
ينبغي أن يعول عليه من أمره وقد قيل خطبها على خطبته وقيل
بل أحب بقلبه أن يستشهد وحكى السمرقندي أن ذنبه الذي
استغفر منه قوله لأحد الخصمين لقد ظلمك بسؤال فظلمه بقول خصمه
وإلى نفي ما أضيف في الأخبار إلى داود عليه السلام من ذلك ذهب أحمد بن
نصر وأبو تمام وغيرهما من المحققين قال الداودي ليس في قصة
داود عليه السلام وأوريا خبر يثبت ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم
وقيل إن الخصمين اللذين اختصما إليه رجلان في نعاج غنم على ظاهر الآية
وقيل بل لما خشيه على نفسه وظن من الفتنة بما بسط له من الملك
في الدنيا وأما قصة يوسف عليه السلام وإخوته فليس على يوسف عليه السلام
منها تعقب وأما إخوته فلم تثبت نبوتهم فيلزم الكلام على أفعالهم
وذكر الأسباط وعدهم في القرآن عند ذكر الأنبياء قال المفسرون
يريد من نبئ من أبناء الأسباط وقد قيل إنهم كانوا حين فعلوا
بيوسف ما فعلوه صغار الأسنان ولهذا لم يميزوا يوسف عليه السلام حين
اجتمعوا به ولهذا قالوا أرسله معنا غدا نرتع ونلعب وإن ثبتت
لهم نبوة فبعد هذا والله تعالى أعلم وأما قوله تعالى فيه ولقد همت به
وهم بها لولا أن رأى برهان ربه فعلى طريق مذهب كثير من الفقهاء
والمحدثين أن هم النفس لا يؤاخذ به وليس بسيئة لقول النبي صلى الله عليه وسلم
عن ربه تعالى إذا هم عبدي بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فلا معصية
في همه إذا وأما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فإن الهم
إذا وطنت عليه النفس سيئة وأما ما لم توطن عليه النفس من همومها
وخواطرها فهو المعفو عنه وهذا هو الحق فيكون إن شاء الله هم يوسف عليه السلام
من هذا ويكون قوله تعالى وما أبرئ نفسي الآية أي ما أبرئها من هذا الهم

أو يكون

أو يكون ذلك منه على طريق التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما
زكي قبل وبرئ فكيف وقد حكى أبو حاتم عن أبي عبيدة أن يوسف
لم يهم وأن الكلام فيه تقديم وتأخير أي ولقد همت به ولولا أن رأى
برهان ربه لهم بها وقد قال الله تعالى عن المرأة ولقد راودته
عن نفسه فاستعصم وقال تعالى وغلقت الأبواب وقالت هيت لك
قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي الآية قيل في ربي أي الله وقيل الملك
وقيل همت بها أي بزجرها ووعظها وقيل همت بها أي غمها امتناعها عنها
وقيل هم بها نظر إليها وقيل هم بضربها ودفعها وقيل هذا كله كان
قبل نبوته وقد ذكر بعضهم ما زال النساء يملن إلى يوسف عليه السلام ميل
شهوة حتى نبأه الله تعالى فألقى عليه هيبة النبي فشغلت هيبته كل من رآه
عن حسنه وأما خبر موسى عليه السلام مع قتيله الذي وكزه فقد نص
الله تعالى أنه من عدوه قال كان من القبط الذين على دين فرعون ودليل
السورة في هذا كله أنه قبل نبوة موسى عليه السلام وقال قتادة وكزه
بالعصا ولم يتعمد قتله فعلى هذا لا معصية في ذلك وقوله هذا
من عمل الشيطان وقوله ظلمت نفسي فاغفر لي قال ابن جريج قال
ذلك من أجل أنه لا ينبغي لنبي أن يقتل حتى يؤمر وقال النقاش
لم يقتله عن عمد مريدا للقتل وإنما وكزه وكزة يريد بها دفع ظلمه
قال وقد قيل إن هذا كان قبل النبوة وهو مقتضى التلاوة وقوله
تعالى في قصته وفتناك فتونا أي ابتليناك ابتلاء بعد ابتلاء قيل
في هذه القصة وما جرى له مع فرعون وقيل إلقاؤه في التابوت
واليم وغير ذلك وقيل معناه أخلصناك إخلاصا قاله ابن جبير و
مجاهد من قولهم فتنت الفضة في النار إذا خلصتها وأصل الفتنة
معنى الاختبار وإظهار ما بطن إلا أنه استعمل في عرف الشرع في اختبار
أدى إلى ما يكره وكذلك ما روي في الخبر الصحيح من أن ملك الموت عليه السلام
جاءه فلطم عينه ففقأها الحديث ليس فيه ما يحكم على موسى عليه السلام

بالتعدي وفعل ما لا يجب له إذ هو ظاهر الأمر بين الوجه جائز الفعل لأن
موسى دافع عن نفسه من أتاه لإتلافها وقد تصور له في صورة آدمي
ولا يمكن أنه علم حينئذ أنه ملك الموت فدافعه عن نفسه مدافعة أدت
إلى ذهاب عين تلك الصورة التي تصور له فيها الملك امتحانا من الله
لهما فلما جاءه بعد وأعلمه الله أنه رسوله إليه استسلم وللمتقدمين
والمتأخرين على هذا الحديث أجوبة هذا أسدها عندي وهو تأويل شيخنا
الإمام أبي عبد الله المازري ● وقد تأوله قديما ابن عائشة رضي الله عنه
وغيره على صكه ولطمه بالحجة وفقء عين حجته وهو كلام مستعمل في
هذا الباب في اللغة معروف ● وأما قصة سليمان عليه السلام وما حكى
فيها أهل التفسير من ذنبه وقوله ولقد فتنا سليمان فمعناه ابتليناه
وابتلاؤه ما حكي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأطوفن الليلة على مائة
امرأة أو تسع وتسعين كلهن يأتين بفارس يجاهد في سبيل الله فقال
له صاحبه قل إن شاء الله فلم يقل فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت
بشق غلام قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال
إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله قال أصحاب المعاني والشق هو الجسد
الذي ألقي على كرسيه حين عرض عليه وهي عقوبته ومحنته وقيل بل مات
فألقي على كرسيه ميتا ● وقيل ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه
وقيل لأنه لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني
وقيل عقوبته أن سلب ملكه وذنبه أن يكون الحق لأختانه على خصمهم
وقيل أخذ بذنب قارفه بعض نسائه ولا يصح ما نقله الأخباريون
من خرافاتهم عما فعله ● ومن تشبه الشيطان به وتسلطه على ملكه
وتصرفه في أمته بالجور في حكمه لأن الشياطين لا يسلطون على مثل
هذا وقد عصم الأنبياء من مثله ● وإن سئل لم لم يقل سليمان في القصة
المذكورة إن شاء الله فعنه أجوبة ● أحدها ما روي في الحديث الصحيح
أنه نسي أن يقولها وذلك لينفذ مراد الله تعالى ● والثاني أنه لم يسمع

صاحبه

صاحبه وشغل عنه ● وقوله هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي
لم يفعل هذا سليمان عليه السلام غيرة على الدنيا ولا نفاسة بها ولكن
مقصده في ذلك على ما ذكره المفسرون أن لا يسلط عليه أحد كما سلط
عليه الشيطان الذي سلبه إياه مدة امتحانه على قول من قال ذلك
● وقيل بل أراد أن تكون له من الله فضيلة وخاصة يختص بها كاختصاص
غيره من أنبياء الله ورسله بخواص منه ● وقيل ليكون ذلك دليلا
وحجة على نبوته كإلانة الحديد لأبيه وإحياء الموتى لعيسى عليه السلام
واختصاص محمد صلى الله عليه وسلم بالشفاعة ونحو هذا ● وأما قصة نوح عليه السلام
فظاهرة العذر وأنه أخذ فيها بالتأويل وظاهر اللفظ لقوله تعالى إنا منجوك
وأهلك فطلب مقتضى اللفظ وأراد علم ما طوي عنه من ذلك لا أنه شك
في وعد الله فبين الله عز وجل عليه أنه ليس من أهله الذي وعده
بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح ● وقد أعلمه أنه مغرق الذين
ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فأخذ بهذا التأويل وعتب عليه وأشفق
هو من إقدامه على ربه لسؤاله ما لم يؤذن له في السؤال فيه وكان نوح
عليه السلام فيما حكاه النقاش لا يعلم بكفر ابنه ● وقيل في الآية غير هذا
وكل هذا لا يقضي على بمعصية سوى ما ذكرناه من تأويله وإقدامه بالسؤال
فيما لم يؤذن له ولا نهي عنه ● وما روي في الصحيح من أن نبيا قرصته
نملة فأحرق قرية النمل فأوحى الله إليه أن قرصتك نملة أحرقت أمة
من الأمم تسبح فليس في هذا الحديث ما يقتضي أن هذا الذي أتى معصية
بل فعل ما رآه مصلحة وصوابا بقتل من يؤذي جنسه ويمنع المنفعة
بما أباح الله ألا ترى أن هذا النبي كان نازلا تحت الشجرة فلما لدغته
النملة تحول برحله عنها مخافة تكرار الأذى عليه وليس فيما أوحى الله إليه
ما يوجب عليه معصية بل ندبه إلى احتمال الصبر وترك التشفي كما قال تعالى
ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ● إذ ظاهر فعله إنما كان لأجل أنها
آذته هو في خاصته فكان انتقاما لنفسه وقطع مضرة يتوقعها من بقية

النمل هناك ولم يأت في كل هذا أمر نهي عنه فيعصي به ولا نص فيما أوحي
إليه بذلك ولا بالتوبة والاستغفار منه والله أعلم ● فإن قيل فما معنى
قوله عليه السلام ما من أحد إلا ألمّ بذنب أو كاد إلا يحيى بن زكريا عليهما السلام
أو كما قال صلى الله عليه وسلم ● فالجواب عنه كما تقدم من ذنوب الأنبياء
التي وقعت عن غير قصد وعن سهو وغفلة **فصل فإن قلت فإذا نفيت عنهم**
صلوات الله عليهم الذنوب والمعاصي بما ذكرته من اختلاف المفسرين
وتأويل المحققين فما معنى قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى ● وما تكرر في
القرآن والحديث الصحيح من اعتراف الأنبياء عليهم السلام بذنوبهم و
توبتهم واستغفارهم وبكائهم على ما سلف منهم وإشفاقهم ● وهل
يشفق ويتاب ويستغفر من لا شيء ● فاعلم وفقنا الله وإياك أن
درجة الأنبياء عليهم السلام في الرفعة والعلو والمعرفة بالله عز وجل
وسنته في عباده وعظيم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف منه
جل جلاله ● والإشفاق من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم وأنهم في
تصرفهم بأمور لم ينهوا عنها ولا أمروا بها ثم أوخذوا عليها وعوتبوا
بسببها أو حذروا من المؤاخذة بها أو أتوها على وجه التأويل أو السهو
أو تزيد من أمور الدنيا المباحة خائفون وجلون وهي ذنوب بالإضافة
إلى علي منزلتهم ومعاص بالنسبة إلى كمال طاعتهم لا أنها كذنوب غيرهم
ومعاصيهم فإن الذنب مأخوذ من الشيء الدني الرذل ● ومنه ذنب كل
شيء آخره وأذناب الناس رذالهم فكأن هذه أدنى أفعالهم وأسوأ
ما يجري من أحوالهم لتطهيرهم وتنزيههم وعمارة بواطنهم وظواهرهم
بالعمل الصالح والكلم الطيب والذكر الظاهر والخفي والخشية لله و
إعظامه في السر والعلانية ● وغيرهم يتلوث من الكبائر والقبائح
والفواحش ما تكون بالإضافة إليها هذه الهنات في حقه كالحسنات
كما قيل حسنات الأبرار سيئات المقربين أي يرونها بالإضافة إلى علي أحوالهم
كالسيئات ● وكذلك العصيان الترك والمخالفة فعلى مقتضى اللفظة كيف

لأمر شيء ن
وعظيم ن
ثم أوخذوا ن
منصبهم ن

ما كانت

ما كانت من سهو أو تأويل فهي مخالفة وترك ● وقوله غوى أي جهل
أن تلك الشجرة التي نهي عنها والغي الجهل ● وقيل أخطأ ما طلب من
الخلود إذ أكلها وخابت أمنيته ● وهذا يوسف عليه السلام قد وخذ
بقوله لأحد صاحبي السجن اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان
ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين ● قيل أنسي يوسف عليه السلام ذكر الله
وقيل أنسي صاحبه أن يذكره لسيده الملك ● قال النبي صلى الله عليه وسلم
لولا كلمة يوسف ما لبث في السجن ما لبث ● قال ابن دينار لما قال ذلك
يوسف ● قيل له اتخذت من دوني وكيلا لأطيلن حبسك فقال
يا رب أنسى قلبي كثرة البلوى ● وقال بعضهم يؤاخذ الأنبياء بمثاقيل
الذر لمكانتهم عنده تعالى ويجاوز عن سائر الخلق لقلة مبالاته بهم
في أضعاف ما أتوا به من سوء الأدب ● وقد قال المحتج للفرقة الأولى
على سياق ما قلناه إذا كان الأنبياء يؤاخذون بهذا مما لا يؤاخذ به
غيرهم من السهو والنسيان وما ذكرته وحالهم أرفع فحالهم في
هذا أسوأ حالا من غيرهم ● فاعلم أكرمك الله تعالى أنا لا نثبت لك
المؤاخذة في هذا على حد مؤاخذة غيرهم ● بل نقول إنهم يؤاخذون
بذلك في الدنيا ليكون ذلك زيادة في درجاتهم ويبتلون بذلك
ليكون استشعارهم له سببا لنماء رتبتهم كما قال تعالى ثم اجتباه
ربه فتاب عليه وهدى ● وقال تعالى لداود عليه السلام فغفرنا له ذلك الآية
● وقال بعد قول موسى عليه السلام تبت إليك إني اصطفيتك على الناس
قال تعالى بعد ذكر فتنة سليمان عليه السلام وإنابته فسخرنا له الريح إلى وحسن
مآب ● قال بعض المتكلمين زلات الأنبياء عليهم السلام في الظاهر زلات
وفي الحقيقة كرامات وزلف وأشار إلى نحو مما قدمناه وأيضا فلينبه
غيرهم من البشر منهم أو ممن ليس في درجتهم بمؤاخذتهم بذلك فيستشعروا
الحذر ويعتقدوا المحاسبة ليلتزموا الشكر على النعم ويعدوا الصبر على المحن
بملاحظة ما وقع بأهل هذا النصاب الرفيع المعصوم فكيف بمن سواهم

لأخذ ن
مرتبتهم ن
زلات الأنبياء عليهم الصلوة والسلام

ولهذا أصلح المري ذكر داود عليه السلام بسطة للتوابين ● قال ابن عطا
لم يكن ما نص الله من قصة صاحب الحوت نقصا له ولكن استزادة من
نبينا صلى الله عليه وسلم ● وأيضا فيقال لهم فإنكم ومن وافقكم
تقولون بغفران الصغائر باجتناب الكبائر ولا خلاف في عصمة الأنبياء
عليهم السلام من الكبائر فما جوزتم من وقوع الصغائر عليهم هي مغفورة
على هذا فما معنى المؤاخذة بها إذا عندكم وخوف الأنبياء وتوبتهم
وهي مغفورة لو كانت فما أجابوا به فهو جوابنا عن المؤاخذة بأفعال
السهو والتأويل ● وقد قيل إن كثرة استغفار النبي صلى الله عليه وسلم
وتوبته وغيره من الأنبياء عليهم السلام على وجه ملازمة الخضوع والعبودية
والاعتراف بالتقصير شكرا لله على نعمه ● كما قال عليه السلام وقد أمن من
المؤاخذة بما تقدم وتأخر أفلا أكون عبدا ● قال عليه السلام إني أخشاكم
لله وأعلمكم بما أتقي ● قال الحارث بن أسد خوف الملائكة والأنبياء عليهم السلام
خوف إعظام وتعبد لله عز وجل لأنهم آمنون ● وقيل فعلوا ذلك
ليقتدى بهم ويستن بهم أممهم كما قال عليه السلام لو تعلمون ما أعلم لضحكتم
قليلا ولبكيتم كثيرا ● وأيضا فإن في التوبة والاستغفار معنى
آخر لطيفا أشار إليه بعض العلماء وهو استدعاء محبة الله قال الله تعالى
إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ● فإحداث الرسل والأنبياء
صلوات الله عليهم الاستغفار والتوبة والإنابة ● وقد قال الله لنبيه
صلى الله عليه وسلم بعد أن غفر الله له ما تقدم وما تأخر من ذنبه
لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار ● وقال فسبح بحمد ربك
واستغفره إنه كان توابا **فصل** قد استبان لك أيها الناظر بما
قررناه ما هو الحق من عصمته صلى الله عليه وسلم عن الجهل بالله وصفاته
أو كونه على حالة تنافي العلم بشيء من ذلك كله جملة بعد النبوة عقلا
وإجماعا وقبلها سمعا ونقلا ولا بشيء مما قررناه من أمور الشرع وأداه
عن ربه من الوحي قطعا عقلا وشرعا وعصمته عليه السلام عن الكذب وخلف

وأعلمكم ن

القول

القول منذ نبأه الله وأرسله قصدا أو غير قصد واستحالة ذلك عليه
شرعا وإجماعا ونظرا أو برهانا وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعا وتنزيهه
عن الكبائر إجماعا وعن الصغائر تحقيقا وعن استدامة السهو والغفلة
واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للأمة وعصمته في كل
حالاته من رضا وغضب وجد ومزح فيجب عليك أن تتلقاه باليمين
وتشد عليه يد الضنين وتقدر هذه الفصول حق قدرها وتعلم عظيم
فائدتها فإن من يجهل ما يجب للنبي أو يجوز أو يستحيل عليه ● ولا يعرف
صور أحكامها لا يؤمن أن يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه ولا ينزهه
عما لا يجب أن يضاف إليه فيهلك من حيث لا يدري ويسقط في هوة
الدرك الأسفل من النار إذ ظن الباطل به واعتقاد ما لا يجوز عليه
يحل بصاحبه دار البوار ● ولهذا ما احتاط عليه السلام على الرجلين اللذين
رأياه ليلا وهو معتكف في المسجد مع صفية فقال لهما إنها صفية ● ثم قال
لهما إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وإني خشيت أن يقذف في
قلوبكما شيئا فتهلكا ● هذه أكرمك الله إحدى فوائد ما تكلمنا عليه في
هذه الفصول ولعل جاهلا لا يعلم بجهله إذا سمع شيئا منها يرى أن
الكلام فيها جملة من فضول العلم وأن السكوت أولى ● وقد استبان
لك أنه متعين للفائدة التي ذكرناها ● وفائدة ثانية يضطر إليها
في أصول الفقه وتنبني عليها مسائل من الفقه لا تتعد وتتخلص بها
من تشغيب مختلفي الفقهاء في عدة منها ● وهي الحكم في أقوال النبي
صلى الله عليه وسلم وأفعاله وهو باب عظيم وأصل كبير من أصول الفقه
● ولا بد من بنائه على صدق النبي صلى الله عليه وسلم في أخباره وبلاغه
وأنه لا يجوز عليه السهو فيه وعصمته من المخالفة في أفعاله عمدا
وبحسب اختلافهم في وقوع الصغائر وقع خلاف في امتثال الفعل
بسط بيانه في كتب ذلك العلم فلا نطول به ● وفائدة ثالثة يحتاج
إليها الحاكم والمفتي فيمن أضاف إلى النبي صلى الله عليه وسلم شيئا من هذه الأمور

باستحالته ن

وتفقدون

بلغ مقابلة

معتكف في المسجد مع صفية

بسط بيانه ن

وَوَصفه بها فإن لم يعرف ما يجوز وما يمتنع عليه وما وقع الإجماع
فيه والخلاف كيف يصمم في الفتيا في ذلك ومن أين يدري هل ما قاله
فيه نقص أو مدح فإما أن يجترئ على سفك دم مسلم حرام أو يسقط
حقا ويضيع حرمة للنبي صلى الله عليه وسلم ولسبيل هذا ما قد اختلف
أرباب الأصول وأئمة العلماء والمحققين في عصمة الملائكة

فصل في عصمة الملائكة عليهم السلام

أجمع المسلمون على أن الملائكة مؤمنون فضلاء
واتفق أئمة المسلمين أن حكم المرسلين منهم حكم النبيين سواء في العصمة
مما ذكرنا عصمتهم منه وأنهم في حقوق الأنبياء والتبليغ إليهم كالأنبياء
مع الأمم ● واختلفوا في غير المرسلين منهم فذهبت طائفة إلى عصمة
جميعهم عن المعاصي ● واحتجوا بقوله تعالى لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون
ما يؤمرون ● وبقوله عز وجل وما منا إلا له مقام معلوم وإنا لنحن
الصافون وإنا لنحن المسبحون ● وبقوله تعالى ومن عنده لا يستكبرون
عن عبادته الآية ● وبقوله تعالى إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته
● وقوله تعالى كرام بررة ولا يمسه إلا المطهرون ونحوه من السمعيات
● وذهبت طائفة إلى أن هذا خصوص للمرسلين منهم والمقربين
واحتجوا بأشياء ذكرها أهل الأخبار والتفاسير نحن نذكرها إن شاء الله
ونبين الوجه فيها إن شاء الله ● والصواب عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم
الرفيع عن جميع ما يحط من رتبتهم ومنزلتهم عن جليل مقدارهم ● و
رأيت بعض شيوخنا أشار إلى أن لا حاجة بالفقيه إلى الكلام في عصمتهم وأنا
أقول إن للكلام في ذلك ما للكلام في عصمة الأنبياء من الفوائد التي ذكرناها سوى
فائدة الكلام في الأقوال والأفعال فهي ساقطة ههنا ● فمما احتج به من لم يوجب
عصمة جميعهم قصة هاروت وماروت وما ذكر فيها أهل الأخبار ونقله المفسرون وما روي
عن علي وابن عباس رضي الله عنهما في خبرهما وابتلائهما ● فاعلم أكرمك الله
أن هذه الأخبار لم يرو منها شيء لا صحيح ولا سقيم عن رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم وليس هو شيئا يؤخذ بقياس والذي منه في القرآن

اختلف

قصة هاروت وماروت

اختلف المفسرون في معناه وأنكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف
كما سنذكره وهذه الأخبار من كتب اليهود وافترائهم كما نصه الله أول الآيات
من افترائهم بذلك على سليمن وتكفيرهم إياه ● وقد انطوت القصة على
شنع عظيمة ● وها نحن نخبر في ذلك ما يكشف غطاء هذه الإشكالات
إن شاء الله ● فاختلف أولا في هاروت وماروت هل هما ملكان أو إنسيان
وهل هما المراد بالملكين أم لا وهل القراءة ملكين أو ملكين وهل ما في
قوله وما أنزل وما يعلمان من أحد نافية أو موجبة ● فأكثر المفسرين
أن الله امتحن الناس بالملكين لتعليم السحر وتبيينه وأن عمله كفر
فمن تعلمه كفر ومن تركه آمن ● قال الله إنما نحن فتنة فلا تكفر و
تعليمهما الناس له تعليم إنذار أي يقولان لمن جاء يطلب تعلمه لا تفعلوا
كذا فإنه يفرق بين المرء وزوجه ولا تتخيلوا بكذا فإنه سحر فلا تكفروا
فعلى هذا فعل الملكين طاعة وتصرفهما فيما أمرا فيه ليس بمعصية وهي
لغيرهما فتنة ● وروى ابن وهب عن خالد بن أبي عمران أنه ذكر عنده
هاروت وماروت وأنهما يعلمان الناس السحر فقال نحن ننزههما عن
هذا فقرأ بعضهم وما أنزل على الملكين ● فقال خالد لم ينزل عليهما
فهذا خالد على جلالته وعلمه نزههما عن تعليم السحر الذي قد ذكر غيره
أنهما مأذون لهما في تعليمه بشريطة أن يبينا أنه كفر وأنه امتحان
من الله وابتلاء فكيف لا ننزههما عن كبائر المعاصي والكفر المذكورة
في تلك الأخبار ● وقول خالد لم ينزل يريد أن ما نافية وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما
● قال مكي وتقدير الكلام وما كفر سليمان يريد بالسحر الذي افتعلته
عليه الشياطين واتبعتهم في ذلك اليهود وما أنزل على الملكين ● قال
مكي هما جبريل وميكائيل بل ادعى اليهود عليهما المجيء به كما ادعوا على سليمن
فأكذبهم الله في ذلك ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت
وماروت ● قيل هما رجلان تعلماه قال الحسن هاروت وماروت علجان
من أهل بابل ● وقرأ وما أنزل على الملكين بكسر اللام وتكون ما إيجابا

على هذا وكذلك قرأه عبد الرحمن بن أبزى بكسر اللام ولكنه قال الملكان هنا داود وسليمان عليهما السلام وتكون ما نفيا على ما تقدم وقيل كانا ملكين من بني إسرائيل فمسخهما الله حكاه السمرقندي والقراءة بكسر اللام شاذة فحمل الآية على تقدير أبي محمد مكي حسن ينزه الملائكة ويذهب الرجس عنهم ويطهرهم تطهيرا وقد وصفهم الله بأنهم مطهرون وكرام بررة ولا يعصون الله ما أمرهم ومما يذكرونه قصة إبليس وأنه كان من الملائكة ورئيسا فيهم ومن خزان الجنة إلى آخر ما حكوه وأنه استثناه من الملائكة بقوله عز وجل فسجدوا إلا إبليس وهذا أيضا لم يتفق عليه بل الأكثر ينفون ذلك وأنه أبو الجن كما آدم أبو الإنس وهو قول الحسن وقتادة وابن زيد وقال شهر بن حوشب كان من الجن الذين طردتهم الملائكة في الأرض حين أفسدوا والاستثناء من غير الجنس شائع في كلام العرب سائغ وقد قال الله تعالى ما لهم به من علم إلا اتباع الظن ومما رووه في الأخبار أن خلقا من الملائكة عصوا الله فحرقوا وأمروا أن يسجدوا لآدم فأبوا فحرقوا ثم آخرون كذلك حتى سجد له من ذكره الله إلا إبليس في أخبار لا أصل لها تردها صحاح الأخبار فلا يشتغل بها

الباب الثاني فيما يخصهم

من الأمور الدنيوية ويطرأ عليهم من العوارض البشرية قد بينا أنه عليه السلام وسائر الأنبياء والرسل من البشر وأن جسمه وظاهره خالص للبشر يجوز عليه من الآفات والتغييرات والآلام والأسقام وتجرع كأس الحمام ما يجوز على البشر وهذا كله ليس بنقيصة فيه عليه السلام لأن الشيء إنما يسمى ناقصا بالإضافة إلى ما هو أتم منه وأكمل من نوعه وقد كتب الله تعالى على أهل هذه الدار فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون وخلق جميع البشر بمدرجة الغير فقد مرض صلى الله عليه وسلم واشتكى وأصابه الحر والقر وأدركه الجوع والعطش ولحقه الغضب والضجر وناله الإعياء والتعب ومسه الضعف والكبر وسقط فجحش شقه وشجه الكفار وكسروا رباعيته وسقي السم وسحر وتداوى واحتجم وتنشر وتعوذ

ثم

ثم قضى نحبه فتوفي صلى الله عليه وسلم ولحق بالرفيق الأعلى وتخلص من دار الامتحان والبلوى وهذه سمات البشر التي لا محيص عنها وأصاب غيره من الأنبياء ما هو أعظم منها فقتلوا قتلا ورموا في النار ونشروا بالمناشير ومنهم من وقاه الله تعالى ذلك في بعض الأوقات ومنهم من عصم كما عصم نبينا صلى الله عليه وسلم بعد من الناس فلئن لم يكف نبينا ربه يد ابن قمئة يوم أحد ولا حجبه عن عداه عند دعوته أهل الطائف فلقد أخذ على عيون قريش عند خروجه إلى ثور وأمسك عنه سيف غورث وحجر أبي جهل وفرس سراقة ولئن لم يقه من سحر ابن الأعصم فلقد وقاه ما هو أعظم من سم اليهودية وهكذا سائر أنبيائه مبتلى ومعافى وذلك من تمام حكمته ليظهر شرفهم في هذه المقامات ويبين أمرهم ويتم كلمته فيهم وليحقق بامتحانهم بشريتهم ويرتفع الالتباس عن أهل الضعف فيهم لئلا يضلوا بما ظهر من العجائب على أيديهم ضلال النصارى بعيسى عليه السلام وليكون في محنهم تسلية لأممهم ووفور لأجورهم عند ربهم تماما على الذي أحسن إليهم قال بعض المحققين وهذه الطوارئ والتغييرات المذكورة إنما تختص بأجسامهم البشرية المقصود بها مقاومة البشر ومعاناة بني آدم لمشاكلة الجنس وأما بواطنهم فمنزهة غالبا عن ذلك معصومة منه متعلقة بالملأ الأعلى والملائكة لأخذها عنهم وتلقيها الوحي منهم قال وقد قال عليه السلام إن عيني تنامان ولا ينام قلبي وقال عليه السلام إني لست كهيئتكم إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني وقال عليه السلام لست أنسى ولكن أنسى ليستن بي فأخبر صلى الله عليه وسلم أن سره وباطنه وروحه بخلاف جسمه وظاهره وأن الآفات التي تحل ظاهره من ضعف وجوع وسهر ونوم لا يحل منها شيء باطنه بخلاف غيره من البشر في حكم الباطن لأن غيره إذا نام استغرق النوم جسمه وقلبه وهو عليه السلام في نومه حاضر القلب كما هو في يقظته حتى قد جاء في بعض الآثار أنه كان محروسا من الحدث في نومه لكونه

فحمل الآية ن

قدمنا ن

وأشروا بالمناشير ن

ونشروا بالمناشير ن

جبل ن

يظهر ن

ليكون قلبه ن

قلبه يقظان كما ذكرناه وكذلك غيره اذا جاع ضعف لذلك جسمه و
خارت قوته فبطلت بالكلية جملته وهو عليه السلام قد اخبر انه لا يعتريه
ذلك وانه بخلافهم لقوله لست كهيئتكم واني ابيت يطعمني ربي و
يسقين ولذلك اقول انه في هذه الاحوال كلها من وصب ومرض وسحر
وغضب لم يجر على باطنه ما يخل به ولا فاض منه على لسانه وجوارحه
ما لا يليق به كما يعتري غيره من البشر مما نأخذ بعد في بيانه **فصل**
فان قلت فقد جاءت الاخبار الصحيحة انه عليه السلام سحر كما حدثنا الشيخ
ابو محمد العتابي بقراءتي عليه قال ثنا حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن علي بن
خلف ثنا محمد بن احمد ثنا محمد بن يوسف ثنا البخاري ثنا عبيد بن اسمعيل
قال ثنا ابو اسامة عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة رضي الله عنها
قالت سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انه ليخيل اليه انه فعل الشيء
وما فعله وفي رواية اخرى حتى انه كان يخيل اليه انه كان يأتي
النساء ولا يأتيهن الحديث واذا كان هذا من التباس الامر على المسحور فكيف
حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وكيف جاز عليه وهو معصوم فاعلم
وفقنا الله واياك ان هذا الحديث صحيح متفق عليه وقد طعنت فيه
الملحدة وتذرعت به لسخف عقولها وتلبيسها على امثالها الى التشكيك
في الشرع وقد نزه الله الشرع والنبي عما يدخل في امره لبسا وانما
السحر مرض من الامراض وعارض من العلل يجوز عليه كانواع الامراض
مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته عليه السلام واما ما ورد انه كان يخيل اليه
انه فعل الشيء ولا يفعله فليس في هذا ما يدخل داخلة في شيء من تبليغه
او شريعته او يقدح في صدقه لقيام الدليل والاجماع على عصمته من هذا
وانما هذا فيما يجوز طروه عليه في امر دنياه التي لم يبعث بسببها
ولا فضل من اجلها وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر فغير بعيد ان يخيل
اليه من امورها ما لا حقيقة له ثم ينجلي عنه كما كان وايضا فقد فسر
هذا الفصل الحديث الآخر من قوله حتى يخيل اليه انه يأتي اهله ولا يأتيهن

عليه ن

امور ن

وقد

وقد قال سفيان وهذا اشد ما يكون من السحر ولم يأت في خبر منها
انه نقل عنه في ذلك قول بخلاف ما كان اخبر انه فعله ولم يفعله
وانما كانت خواطر وتخيلات وقد قيل ان المراد بالحديث انه كان
يتخيل الشيء انه فعله وما فعله لكنه تخييل لا يعتقد صحته فتكون
اعتقاداته كلها على السداد واقواله على الصحة هذا ما وقفت عليه من اجوبة
ائمتنا عن هذا الحديث مع ما اوضحناه من معنى كلامهم وزدناه بيانا
من تلويحاتهم وكل وجه منها مقنع لكنه قد ظهر لي في الحديث تأويل اجلى
وابعد من مطاعن ذوي الاضاليل يستفاد من نفس الحديث وهو ان
عبد الرزاق قد روى هذا الحديث عن ابن المسيب وعروة بن الزبير
وقال فيه عنهما سحر يهود بني زريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوه
في بئر حتى كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينكر بصره ثم دله
الله على ما صنعوا فاستخرجه من البئر وروي نحوه الواقدي في خبر
عن عبد الرحمن بن كعب وعمر بن الحكم وذكر عن عطاء الخراساني
عن يحيى بن يعمر حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة سنة فبينا
هو نائم اتاه ملكان فقعد احدهما عند رأسه والآخر عند رجليه الحديث
قال عبد الرزاق حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة رضي الله عنها خاصة سنة
حتى انكر بصره وعن ابن عباس رضي الله عنهما مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم
فحبس عن النساء والطعام والشراب فهبط عليه ملكان وذكر القصة
فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات ان السحر انما تسلط على ظاهره
وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله وانما اثر في بصره وحبسه
عن وطء نسائه وطعامه واضعف جسمه وامرضه فيكون معنى قوله يخيل اليه
انه يأتي اهله ولا يأتيهن اي يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة على النساء
فاذا دنا منهن اصابته اخذة السحر فلم يقدر على اتيانهن كما يعتري من اخذ
واعترض ولعل لمثل هذا اشار سفيان بقوله وهذا اشد ما يكون من
السحر ويكون قول عائشة رضي الله عنها في الرواية الاخرى انه ليخيل اليه انه فعل الشيء

وتخيلات ن

ووقفت ن

وانه ن

من اخذ ن

انه ليخيل ن

وما فعله من باب ما اختل من بصره كما ذكر في الحديث فيظن انه رأى شخصا
من بعض ازواجه او شاهد فعلا من غيره ولم يكن على ما يخيل اليه لما
اصابه في بصره وضعف نظره لا لشيء طرأ عليه في ميزه واذا كان هذا
لم يكن فيما ذكر من اصابة السحر له وتأثيره فيه ما يدخل لبسا ولا يجد به
الملحد المعترض انسا **فصل هذه حاله في جسمه** فاما احواله في
امور الدنيا فنحن نسبرها على اسلوبها المتقدم بالعقد والقول والفعل
اما العقد منها فقد يعتقد في امور الدنيا الشيء على وجه ويظهر على
خلافه او يكون منه على شك او ظن بخلاف امور الشرع ● كما حدثنا
ابو بحر سفيان بن العاص وغير واحد سماعا وقراءة قالوا ثنا ابو العباس احمد بن عمر
الرازي ثنا ابو احمد بن عمرويه ثنا ابن سفيان ثنا مسلم ثنا عبد الله
بن الرومي وعباس العنبري واحمد المعقري ● قالوا ثنا النضر بن محمد
قال حدثني عكرمة ثنا ابو النجاشي قال ثنا رافع بن خديج قال قدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يأبرون النخل فقال صلى الله عليه وسلم ما تصنعون قالوا كنا
نصنعه قال لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا فتركوه فنقصت فذكروا
ذلك له فقال انما انا بشر اذا امرتكم بشيء من دينكم فخذوا به ●
واذا امرتكم بشيء من رأي فانما انا بشر ● وفي رواية انس انتم اعلم
بامر دنياكم ● وفي حديث آخر اذا ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن
وفي حديث ابن عباس في قصة الخرص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما انا بشر فما حدثتكم عن الله فهو حق ● وما قلت فيه من قبل
نفسي فانما انا بشر اخطئ واصيب وهذا على ما قررناه فيما قاله من قبل
في امور الدنيا وظنه من احوالها لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده في
شرع شرعه وسنة سنها ● وكما حكى ابن اسحق انه عليه السلام لما نزل
بادنى مياه بدر قال له الحباب بن المنذر اهذا منزل انزلكه الله ليس لنا
ان نتقدمه ام هو الرأي والحرب والمكيدة قال لا بل هو الرأي والحرب
والمكيدة قال فانه ليس بمنزل انهض حتى نأتي ادنى ماء من القوم فننزله

ثم

ثم نغور ما وراءه من القلب فنشرب ولا يشربون فقال اشرت بالرأي
وفعل ما قاله ● وقد قال الله تعالى وشاورهم في الامر واراد مصالحة بعض
عدوه على ثلث تمر المدينة فاستشار الانصار فلما اخبروه برأيهم
رجع عنه ● فمثل هذا واشباهه من امور الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم
ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه فيه ما ذكرناه اذ ليس في هذا
كله نقيصة ولا محطة ● وانما هي امور اعتيادية يعرفها من جربها
وجعلها همه وشغل نفسه بها والنبي صلى الله عليه وسلم مشحون القلب بمعرفة
الربوبية ملآن الجوارح بعلوم الشريعة مقيد البال بمصالح الامة الدينية
والدنيوية ● ولكن هذا انما يكون في بعض الامور ويجوز في النادر و
فيما سبيله التدقيق في حراسة الدنيا واستثمارها لا في الكثير المؤذن
بالبله والغفلة ● وقد تواتر بالنقل عنه عليه السلام من المعرفة بامور الدنيا
ودقائق مصالحها وسياسة فرق اهلها ما هو معجز في البشر مما قد نبهنا
عليه في باب معجزاته من هذا الكتاب **فصل واما ما يعتقده عليه السلام**
في امور احكام البشر الجارية على يديه عليه السلام وقضاياهم ومعرفة المحق
من المبطل وعلم المصلح من المفسد ● فبهذه السبيل لقوله عليه السلام انما انا
بشر وانكم تختصمون الي فلعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض
فاقضي له على نحو مما اسمع منه فمن قضيت له من حق اخيه بشيء فلا
يأخذ منه شيئا فانما اقطع له قطعة من النار ● ثنا الفقيه ابو الوليد
رحمه الله ثنا الحسين بن محمد الحافظ ثنا ابو عمر ثنا ابو محمد ثنا ابو بكر
ثنا ابو داود ثنا محمد بن كثير ثنا سفين عن هشام بن عروة عن ابيه عن
زينب بنت ام سلمة عن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحديث ● وفي رواية الزهري عن عروة فلعل بعضكم ان يكون ابلغ من بعض
فاحسب انه صادق فاقضي له وتجري احكامه عليه السلام على الظاهر وموجب
غلبات الظن بشهادة الشاهد ويمين الحالف ومراعاة الاشبه ومعرفة العفاص
والوكاء مع مقتضى حكمة الله في ذلك فانه تعالى لو شاء لاطلعه على سرائر

قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم

فعل ن

وموجبات ن

عباده ومختارة ضمائر أمته فتولى الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه دون
حاجة إلى اعتراف أو بينة أو يمين أو شبهة ● ولكن لما أمره الله أمته
باتباعه والاقتداء به في أفعاله وأقواله وقضاياه وسيره وكان هذا (وأحواله ن)
لو كان مما يختص بعلمه ويؤثره الله به لم يكن للأمة سبيل إلى الاقتداء
به في شيء من ذلك ولا قامت حجة بقضية من قضاياه لأحد في شريعته
لأنا لا نعلم ما أطلع عليه هو في تلك القضية لحكمه هو إذا في ذلك
بالمكنون من إعلام الله له بما أطلعه عليه من سرائرهم وهذا مما لا (في ذلك ن)
تعلمه الأمة ● فأجرى الله تعالى أحكامه على ظواهرهم التي يستوي فيها
هو وغيره من البشر ليتم اقتداء أمته به في تعيين قضاياه وتنزيل
أحكامه ويأتون ما أتوا به من ذلك على علم ويقين من سنته إذ البيان
بالفعل أوقع منه بالقول وأرفع لاحتمال اللفظ وتأويل المتأول وكان
حكمه عليه السلام على الظاهر أجلى في البيان وأوضح في وجوب الأحكام وأكثر
فائدة لموجبات التشاجر والخصام وليقتدي بذلك كله حكام أمته ●
ويستوثق بما يؤثر عنه وينضبط قانون شريعته وطي ذلك عنه من علم
الغيب الذي استأثر به عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى
من رسول ● فيعلمه منه بما شاء ويستأثر بما شاء ولا يقدح هذا في نبوته
ولا يفصم عروة من عصمته **فصل وأما أقواله الدنيوية** من أخباره
عن أحواله وأحوال غيره وما يفعله أو فعله فقد قدمنا أن الخلف فيها ممتنع
عليه في كل حال وعلى أي وجه من عمد أو سهو أو صحة أو مرض أو رضا أو غضب
وأنه صلى الله تعالى عليه وسلم معصوم منه هذا فيما طريقه الخبر المحض مما
يدخله الصدق والكذب ● فأما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها (بلغ مقابلة)
فجائز ورودها منه عليه السلام في الأمور الدنيوية لا سيما لقصد المصلحة
كتوريته عن وجه مغازيه لئلا يأخذ العدو حذره ● وكما روي عن ممازحته
عليه السلام ودعابته لبسط أمته وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته وتأكيدا (ودعابته ن)
في تحببهم ومسرة نفوسهم ● كقوله صلى الله عليه وسلم لأحملنك على ابن

الناقة

الناقة ● قال عليه السلام للمرأة التي سألت عن زوجها أهو الذي بعينيه
بياض وهذا كله صدق لأن كل جمل ابن ناقة وكل إنسان بعينيه بياض
وقد قال عليه السلام إني لأمزح ولا أقول إلا حقا هذا كله فيما بابه الخبر ●
فأما ما بابه غير الخبر مما صورته الأمر والنهي في الأمور الدنيوية فلا (صورة ن)
يصح منه أيضا ولا يجوز عليه أن يأمر أحدا بشيء أو ينهى أحدا عن شيء
وهو يبطن خلافه ● وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم ما كان لنبي أن (أن ن)
تكون له خائنة الأعين فكيف تكون له خائنة القلب ● فإن قلت
فما معنى إذا قوله تعالى في قصة زيد ● وإذ تقول للذي أنعم الله عليه
وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك الآية ● فاعلم أكرمك الله ولا تسترب
في تنزيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن هذا الظاهر وأن يأمر زيدا بإمساكها
وهو يحب تطليقه إياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين ● وأصح ما في هذا
ما حكاه أهل التفسير عن علي بن حسين رضي الله تعالى عنهما أن الله كان أعلم
نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم أن زينب ستكون من أزواجه فلما شكاها إليه
زيد قال له أمسك عليك زوجك واتق الله وأخفى منه في نفسه ما أعلمه
الله به من أنه سيتزوجها مما الله مبديه ومظهره بتمام التزويج وطلاق
زيد لها ● وروى نحوه عمرو بن فائد عن الزهري قال نزل جبريل عليه السلام
على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يعلمه أن الله يزوجه زينب بنت جحش
فذلك الذي أخفى في نفسه ويصحح هذا قول المفسرين في قوله عز وجل
بعد هذا وكان أمر الله مفعولا أي لا بد لك أن تتزوجها ● ويوضح
هذا أن الله تعالى لم يبد من أمره معها غير زواجه لها فدل أنه الذي أخفاه
عليه السلام مما كان أعلمه به تعالى ● وقوله تعالى في القصة ما كان على النبي من
حرج فيما فرض الله له سنة الله الآية فدل أنه لم يكن عليه حرج في الأمر (ليؤثم ن)
● قال الطبري ما كان الله ليؤثم نبيه فيما أحل مثال فعله لمن قبله (منزل ن)
من الرسل ● قال الله تعالى سنة الله في الذين خلوا من قبل أي من النبيين
فيما أحل لهم ولو كان على ما روي في حديث قتادة من وقوعها من قلب النبي صلى الله عليه وسلم

عندما اعجبته ومحبته طلاق زيد لها لكان فيه اعظم الحرج وما لا يليق
به من مد عينيه لما نهي عنه من زهرة الحيوة الدنيا ولكان هذا نفس
الحسد المذموم الذي لا يرضاه ولا يتسم به الاتقياء فكيف سيد
الانبياء صلى الله عليه وسلم ● قال القشيري وهذا اقدام عظيم
من قائله وقلة معرفته بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله وكيف
يقال رآها فاعجبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان
النساء يحتجبن منه وهو زوجها لزيد ● وانما جعل الله طلاق زيد
لها وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم اياها لازالة التبني وابطال سنته
كما قال ما كان محمد ابا احد من رجالكم ● وقال لكيلا يكون على
المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم ونحوه لابن فورك ● وقال ابو الليث
السمرقندي ● فان قيل فما الفائدة في امر النبي صلى الله عليه وسلم لزيد
بامساكها فهو ان الله تعالى اعلم نبيه صلى الله عليه وسلم انها زوجته فنهاه النبي
عن طلاقها اذ لم تكن بينهما الفة واخفى في نفسه ما اعلمه الله به فلما طلقها
زيد خشي قول الناس يتزوج امرأة ابنه فامره الله بزواجها ليباح مثل
ذلك لامته كما قال تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم
● وقد قيل كان امره لزيد بامساكها قمعا للشهوة وردا للنفس عن
هواها وهذا اذا جوزنا عليه انه رآها فجاءة واستحسنها ومثل هذا لا
فيه لما طبع عليه ابن آدم من استحسان للحسن ونظرة الفجاءة معفو
عنها ● ثم قمع نفسه عنها وامر زيدا بامساكها وانما تنكر تلك الزيادات
التي في القصة والتعويل والاولى ما ذكرناه عن علي بن حسين وحكاه السمرقندي
وهو قول ابن عطاء وصححه واستحسنه القاضي القشيري وعليه عول ابو بكر
بن فورك وقال انه معنى ذلك عند المحققين من اهل التفسير قال والنبي صلى الله عليه وسلم
منزه عن استعمال النفاق في ذلك واظهار خلاف ما في نفسه وقد نزهه
الله تعالى عن ذلك ● بقوله تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له و
من ظن ذلك بالنبي فقد اخطأ ● قال وليس معنى الخشية هنا الخوف وانما

معناه

معناه الاستحياء اي تستحيي منهم ان يقولوا تزوج زوجة ابنه وان
خشيته عليه السلام من الناس كانت من ارجاف المنافقين واليهود وتشغيبهم
على المسلمين بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح حلائل الابناء
كما كان فعتبه الله على هذا ونزهه عن الالتفات اليهم فيما احله له كما عتبه
على مراعاة رضا ازواجه في سورة التحريم بقوله تعالى لم تحرم ما احل الله
لك الآية كذلك قوله له هنا وتخشى الناس والله احق ان تخشاه
وقد روي عن الحسن وعائشة رضي الله عنهما لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم
شيئا من الوحي لكتم هذه الآية لما فيها من عتبه وابداء ما اخفاه ●

فصل فان قلت قد تقررت عصمته عليه السلام في اقواله في جميع احواله
وانه لا يصح منه فيها خلف ولا اضطراب في عمد ولا سهو ولا صحة ولا مرض
ولا جد ولا مزح ولا رضى ولا غضب ولكن ما معنى الحديث في وصيته عليه السلام
الذي ثنا به القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله ● قال ثنا القاضي ابو الوليد
قال ثنا ابو ذر ثنا ابو محمد وابو الهيثم وابو اسحق قالوا ثنا محمد بن يوسف
ثنا محمد بن اسمعيل ثنا علي بن عبد الله ثنا عبد الرزاق ● انا هشام عن
معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما
حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فقال النبي صلى الله عليه وسلم
هلموا اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده ابدا فقال بعضهم ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قد غلبه الوجع الحديث ● وفي رواية ائتوني اكتب لكم
كتابا لن تضلوا بعدي ابدا فتنازعوا فقالوا ما له اهجر استفهموه فقال
دعوني فان الذي انا فيه خير ● ويروى اهجر ● وفيه فقال عمر ان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم قد اشتد به الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا وكثر
اللغط فقال قوموا عني ● وفي رواية واختلف اهل البيت واختصموا
فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
كتابا ومنهم من يقول ما قال عمر ● قال ائمتنا في هذا الحديث النبي صلى الله عليه وسلم
غير معصوم من الامراض وما يكون من عوارضها من شدة وجع وغشي

ونحوه مما يطرأ على جسمه معصوم أن يكون منه القول أثناء ذلك
ما يطعن في معجزته ويؤدي إلى فساد في شريعته من هذيان أو اختلال
في كلام وعلى هذا لا يصح ظاهر رواية من روى في الحديث هجر إذ معناه
هذى يقال هجر هجرا إذا هذى وأهجر هجرا إذا أفحش وأهجر تعدية هجر
● وإنما الأصح والأولى أهجر على طريق الإنكار على من قال لا يكتب و
هكذا روايتنا فيه في صحيح البخاري من رواية جميع الرواة في حديث
الزهري المتقدم ● وفي حديث محمد بن سلام عن ابن عيينة وكذا
ضبطه الأصيلي بخطه في كتابه وغيره من هذه الطرق ● وكذا رويناه
عن مسلم في حديث سفيان وعن غيره وقد تحمل عليه رواية من رواه
هجر على حذف ألف الاستفهام والتقدير أهجر ● وتحمل قول القائل
هجر أو أهجر دهشة من قائل ذلك وحيرة لعظيم ما شاهد من حال الرسول
وشدة وجعه وهول المقام الذي اختلف فيه عليه والأمر الذي هم بالكتاب
فيه حتى لم يضبط هذا القائل لفظه وأجرى الهجر مجرى شدة الوجع
لا أنه اعتقد أنه يجوز عليه الهجر كما حملهم الإشفاق على حراسته و
الله يقول والله يعصمك من الناس ونحو هذا ● وأما على رواية أهجر
وهي رواية أبي إسحق المستملي في الصحيح في حديث ابن جبير عن ابن عباس
من رواية قتيبة فقد يكون هذا راجعا إلى المختلفين عنده صلى الله عليه وسلم
وبين يديه هجرا ومنكرا من القول والهجر بضم الهاء الفحش في المنطق ● و
اختلف العلماء في معنى هذا الحديث وكيف اختلفوا بعد أمره لهم عليه السلام أن
يأتوه بالكتاب ● فقال بعضهم أوامر النبي صلى الله عليه وسلم يفهم إيجابها
من ندبها من إباحتها بقرائن فلعل قد ظهر من قرائن قوله عليه السلام لبعضهم
ما فهموا أنه لم تكن منه عزمة بل أمر رده إلى اختيارهم وبعضهم لم
يفهم ذلك فقال استفهموه ● فلما اختلفوا كف عنه إذ لم تكن عزمة
ولما رأوه من صواب رأي عمر رضي الله عنه ثم هؤلاء قالوا ويكون امتناع عمر
إما إشفاقا على النبي صلى الله عليه وسلم من تكليفه في تلك الحال إملاء الكتاب

فإن

فإن تدخل عليه مشقة من ذلك كما قال إن النبي صلى الله عليه وسلم ●
قد اشتد به الوجع ● وقيل خشي عمر رضي الله عنه أن يكتب أمورا يعجزون
عنها فيحصلون في الحرج بالمخالفة ورأى أن الأرفق بالأمة في تلك الأمور
سعة الاجتهاد وحكم النظر وطلب الصواب فيكون المصيب والمخطئ
مأجورا وقد علم عمر تقرر الشرع وتأسيس الملة وأن الله تعالى قال
اليوم أكملت لكم دينكم ● وقوله عليه السلام أوصيكم بكتاب الله وعترتي
وقول عمر رضي الله عنه حسبنا كتاب الله رد على من نازعه لا على أمر النبي صلى الله عليه وسلم
● وقد قيل إن عمر خشي تطرق المنافقين ومن في قلبه مرض لما كتب
في ذلك الكتاب في الخلوة وأن يتقولوا في ذلك الأقاويل كادعاء الرافضة
الوصية وغير ذلك ● وقيل إنه كان من النبي صلى الله عليه وسلم على طريق المشورة
والاختبار هل يتفقون على ذلك أم يختلفون فلما اختلفوا تركه وقالت
طائفة أخرى إن معنى الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مجيبا في
هذا الكتاب لما طلب منه لا أنه ابتدأ بالأمر به بل اقتضاه منه بعض أصحابه
فأجاب رغبتهم وكره ذلك غيرهم للعلل التي ذكرناها ● واستدل في مثل
هذه القصة بقول العباس لعلي انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فإن كان الأمر فينا علمناه وكراهة علي هذا ● وقوله والله لا أفعل الحديث
واستدل بقوله دعوني فإن الذي أنا فيه خير من إرسال الأمر وترككم
وكتاب الله وأن تدعوني مما طلبتم وذكر أن الذي طلب كتابة أمر الخلافة
بعده وتعيين ذلك **فصل فإن قلت** فما وجه حديثه صلى الله عليه وسلم أيضا
ثنا الفقيه أبو محمد الخشني بقراءتي عليه ثنا أبو علي الطبري ثنا عبد الغافر
الفارسي ثنا أبو أحمد الجلودي ● قال ثنا إبراهيم بن سفيان ثنا مسلم بن
الحجاج ثنا قتيبة ثنا ليث عن سعيد بن أبي سعيد عن سالم مولى النصريين
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم إنما محمد بشر يغضب كما
يغضب البشر وإني قد اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فأيما مؤمن آذيته
أو سببته أو جلدته فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة

وفي رواية فأيما أحد دعوت عليه دعوة ● وفي رواية ليس لها بأهل
وفي رواية فأيما رجل من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته فاجعلها
له زكوة وصلوة ورحمة وكيف يصح أن يلعن النبي صلى الله عليه وسلم من لا
يستحق اللعن ويسب من لا يستحق السب ويجلد من لا يستحق الجلد أو
يفعل مثل ذلك عند الغضب وهو معصوم من هذا كله ● فاعلم شرح
الله صدرك أن قوله أولاً ليس لها بأهل أي عندك يا رب في باطن أمره
فإن حكمه عليه السلام على الظاهر كما قال صلى الله عليه وسلم وللحكمة التي ذكرناها ● فحكم
عليه السلام بجلده أو أدبه بسبه أو لعنه بما اقتضاه عنده حال ظاهره ثم دعا
عليه السلام لشفقته على أمته ورأفته ورحمته للمؤمنين التي وصفه الله
بها وحذره أن يتقبل فيما دعا عليه دعوته أن يجعل دعاءه له رحمة فهو
معنى قوله ليس لها بأهل لا أنه عليه السلام يحمله الغضب ويستفزه الضجر
لأن يفعل مثل هذا بمن لا يستحقه من مسلم ● وهذا معنى صحيح ولا يفهم
من قوله أغضب كما يغضب البشر أن الغضب حمله على ما لا يجب بل يجوز
أن يكون المراد بهذا أن الغضب لله حمله على معاقبته بلعنته أو سبه
وأنه مما كان يحتمل ويجوز عفوه عنه أو كان مما خير بين المعاقبة
فيه أو العفو عنه وقد يحتمل أنه خرج مخرج الإشفاق وتعليم أمته الخوف
والحذر من تعدي حدود الله ● وقد يحمل ما ورد من دعائه هنا ومن
دعوات على غير واحد في غير موطن على غير العقد والقصد بل بما جرت به عادة
العرب وليس المراد بها الإجابة ● كقوله تربت يمينك لا أشبع الله بطنه
وعقرى حلقى وغيرها من دعواته ● وقد ورد في صفته صلى الله عليه وسلم
في غير حديث أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن فاحشاً ● وقال أنس لم يكن
سباباً ولا فاحشاً ولا لعاناً وكان يقول لأحدنا عند المعتبة ما له ترب
جبينه فيكون حمل الحديث على هذا المعنى ● ثم أشفق عليه السلام من موافقة
أمثالها إجابة فعاهد ربه كما قال في الحديث أن يجعل ذلك للمقول له زكاة
ورحمة وقربة وقد يكون ذلك إشفاقاً على المدعو عليه وتأنيساً له لئلا

يلحقه

يلحقه من استشعار الخوف والحذر من لعن النبي صلى الله عليه وسلم
وتقبل دعائه ما يحمله على اليأس والقنوط وقد يكون ذلك سؤالاً منه
لربه لمن جلده أو سبه على حق وبوجه صحيح أن يجعل ذلك له كفارة لما أصاب وتمحية لما اجترم وأن تكون عقوبته في الدنيا سبب العفو والغفران كما جاء في الحديث الآخر ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به فهو له كفارة
● فإن قلت فما معنى حديث الزبير وقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له
حين تخاصم مع الأنصاري في شراج الحرة اسق يا زبير حتى يبلغ الكعبين
فقال الأنصاري إن كان ابن عمتك يا رسول الله فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يبلغ الجدر الحديث ● فالجواب أن
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم منزه أن يقع بنفس مسلم منه في هذه القصة
أمر يريب ولكنه صلى الله عليه وسلم ندب الزبير أولاً إلى الاقتصار على
بعض حقه على طريق التوسط والصلح فلما لم يرض بذلك الآخر ولج وقال
ما لا يجب استوفى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه ولهذا ترجم البخاري
على هذا الحديث باب إذا أشار الإمام بالصلح فأبى حكم عليه بالحكم وذكر
في آخر الحديث فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم ح للزبير حقه
وقد جعل المسلمون هذا الحديث أصلاً في قضيته وفيه الاقتداء به صلى الله عليه وسلم
في كل ما فعله في حال غضبه ورضاه وأنه وإن نهى أن يقضي القاضي وهو
غضبان فإنه في حكمه في حال الغضب والرضا سواء لكونه فيهما معصوماً
وغضب النبي صلى الله عليه وسلم في هذا إنما كان لله تعالى لا لنفسه عليه السلام
كما جاء في الحديث الصحيح ● وكذلك الحديث في إقادته عكاشة من نفسه
لم يكن لتعد حمله الغضب عليه بل وقع في الحديث نفسه أن عكاشة قال
له وضربتني بالقضيب فلا أدري أعمداً أم أردت ضرب الناقة فقال
أعيذك يا عكاشة أن يتعمدك رسول الله صلى الله عليه وسلم ● وكذلك في
حديثه الآخر مع الأعرابي حين طلب صلى الله تعالى عليه وسلم الاقتصاص منه
فقال الأعرابي قد عفوت عنك وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد ضربه بالسوط
لتعلقه بزمام ناقته مرة بعد أخرى والنبي صلى الله عليه وسلم ينهاه ويقول له
تدرك حاجتك وهو يأبى فضربه بعد ثلاث مرات وهذا منه عليه السلام لمن لم يقف

عند نهيه صواب وموضع أدب لكنه عليه السلام أشفق إذ كان حق نفسه
من الأمر حتى عفا عنه ۞ وأما حديث سواد بن عمرو أتيت النبي صلى الله عليه وسلم
وأنا متخلق فقال ورس ورس حط حط وغشيني بقضيب في يده في بطني
فأوجعني قلت القصاص يا رسول الله فكشف لي عن بطنه عليه السلام إنما
ضربه صلى الله تعالى عليه وسلم لمنكر رآه به ولعله لم يرد بضربه بالقضيب
إلا تنبيهه فلما كان منه إيجاع لم يقصده طلب التحلل منه على ما قدمناه
فصل وأما أفعاله صلى الله عليه وسلم الدنيوية فحكمه فيها من توقي المعاصي
والمكروهات ما قدمناه ومن جواز السهو والغلط في بعضها ما ذكرناه
وكله غير قادح في النبوة بل إن هذا فيها على الندور إذ عامة أفعاله
صلى الله عليه وسلم على السداد والصواب بل أكثرها أو كلها جارية
مجرى العبادات والقرب على ما بيناه إذ كان عليه السلام لا يأخذ منها
لنفسه إلا ضرورته وما يقيم رمق جسمه ۞ وفيه مصلحة ذاته التي بها
يعبد ربه ويقيم شريعته ويسوس أمته وما كان فيما بينه وبين الناس
من ذلك فبين معروف يصنعه أو بر يوسعه أو كلام حسن يقوله
أو يسمعه أو تألف شارد أو قهر معاند أو مداراة حاسد وكل هذا
لاحق بصالح أعماله منتظم في زاكي وظائف عباداته وقد كان يخالف
في أفعاله الدنيوية بحسب اختلاف الأحوال ويعد للأمور أشباهها
فيركب في تصرفه لما قرب الحمار وفي أسفاره الراحلة ويركب البغلة
في معارك الحرب دليلا على الثبات ويركب الخيل ويعدها ليوم الفزع
وإجابة الصارخ وكذلك في لباسه وسائر أحواله صلى الله عليه وسلم
بحسب اعتبار مصالحه ومصالح أمته وكذلك يفعل الفعل من أمور الدنيا
مساعدة لأمته وسياسة وكراهية لخلافها ۞ وإن كان قد يرى غيره
خيرا منه كما يترك الفعل لهذا وقد يرى فعله خيرا منه وقد يفعل هذا
في الأمور الدينية مما له الخيرة في أحد وجهيه كخروجه من المدينة لأحد
وكان مذهبه التحصن بها وتركه قتل المنافقين وهو على يقين من أمرهم

مؤالفة

مؤالفة لغيرهم ورعاية للمؤمنين من قرابتهم وكراهة لأن يقول الناس
أن محمدا يقتل أصحابه كما جاء في الحديث الصحيح وتركه بناء الكعبة على قواعد
صلى الله عليه وسلم
إبراهيم عليه السلام مراعاة لقلوب قريش وتعظيمهم لتغييرها وحذرا من نفار
قلوبهم لذلك وتحريك متقدم عداوتهم للدين وأهله ۞ فقال
لعائشة رضي الله عنها في الحديث الصحيح لولا حدثان قومك بالكفر لأتممت البيت
على قواعد إبراهيم ويفعل الفعل ثم يتركه لكون غيره خيرا منه كانتقاله
من أدنى مياه بدر إلى أقربها للعدو من قريش وكقوله لو استقبلت
من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي ۞ ويبسط وجهه للكافر
والعدو رجاء استئلافه ويصبر للجاهل ويقول إن من شرار الناس
من اتقاه الناس لشره ويبذل الرغائب ليحبب إليه شريعته ودين
ربه ويتولى في منزله ما يتولى الخادم من مهنته ويتسمت في ملائه
حتى لا يبدو منه شيء من أطرافه وحتى كأن على رؤوس جلسائه الطير
ويتحدث مع جلسائه بحديث أولهم ويتعجب مما يتعجبون منه ويضحك مما
يضحكون منه قد وسع الناس بشره وعدله لا يستفزه الغضب ولا
يقصر عن الحق ولا يبطن على جلسائه ۞ يقول ما كان لنبي أن تكون له
خائنة الأعين ۞ فإن قلت فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها
في الداخل عليه بئس ابن العشيرة ۞ فلما دخل ألان له القول وضحك
معه فلما سألته عن ذلك قال إن من شر الناس من اتقاه الناس لشره
وكيف جاز أن يظهر له خلاف ما يبطن به ويقول في ظهره ما قال ۞
فالجواب أن فعله عليه السلام كان استئلافا لمثله وتطييبا لنفسه ليتمكن
إيمانه ويدخل في الإسلام بسببه أتباعه ويراه مثله فينجذب بذلك
إلى الإسلام ومثل هذا على هذا الوجه قد خرج من حد مداراة الدنيا
إلى السياسة الدينية وقد كان يستألفهم بأموال الله العريضة فكيف
بالكلمة اللينة ۞ قال صفوان لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو أبغض الخلق إلي فما زال يعطيني حتى صار أحب الخلق إلي ۞

لأتممت ن

شيء ن

الظاهر أن معناه يقصد سمته ن

وقوله بئس ابن العشيرة هو غير غيبة بل تعريف ما علمه منه لمن لم
يعلم ليحذر حاله ويحترز منه ولا يوثق بجانبه كل الثقة لا سيما
وكان مطاعا متبوعا ومثل هذا اذا كان لضرورة ودفع مضرة لم يكن
بغيبة بل كان جائزا بل واجبا في بعض الاحيان كعادة المحدثين في
تجريح الرواة والمزكين في الشهود ● فان قيل فما معنى المشكل الوارد
في حديث بريرة من قوله عليه السلام لعايشة رضي الله عنها وقد اخبرته ان
موالي بريرة ابوا بيعها الا ان يكون لهم الولاء فقال لها عليه السلام اشتريها
واشترطي لهم الولاء ففعلت ثم قام خطيبا فقال ما بال اقوام يشترطون
شروطا ليست في كتاب الله فهو باطل والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد امرها
بالشرط لهم وعليه باعوا ولولاه والله اعلم لما باعوها من عايشة رضي الله عنها
كما لم يبيعوها قبل حتى شرطوا ذلك عليها ثم ابطله صلى الله عليه وسلم
وهو قد حرم الغش والخديعة ● فاعلم اكرمك الله تعالى ان النبي صلى الله عليه وسلم
منزه عما يقع في بال الجاهل من هذا ولتنزيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
عن ذلك ما قد انكر قوم هذه الزيادة قوله اشترطي لهم الولاء اذ ليست
في اكثر طرق الحديث ومع ثباتها فلا اعتراض بها اذ يقع لهم بمعنى عليهم
قال الله تعالى اولئك لهم اللعنة وقال تعالى وان اسأتم فلها فعلى هذا اشترطي
عليهم الولاء لك ويكون قيام النبي صلى الله عليه وسلم ● ووعظه لما
سلف لهم من شرط الولاء لانفسهم قبل ذلك ● ووجه ثان ان قوله عليه السلام
اشترطي لهم الولاء ليس على معنى الامر لكن على معنى التسوية والاعلام
بان شرطه لهم لا ينفعهم بعد بيان النبي صلى الله عليه وسلم لهم قبل ان الولاء
لمن اعتق فكانه قال اشترطي او لا تشترطي فانه شرط غير نافع والى هذا
ذهب الداودي وغيره وتوبيخ النبي صلى الله عليه وسلم لهم وتقريعهم على ذلك
يدل على علمهم به قبل هذا ● الوجه الثالث ان معنى قوله صلى الله عليه وسلم
اشترطي لهم الولاء اي اظهري لهم حكمه وبيني عندهم سنته ان الولاء انما
هو لمن اعتق ثم بعد هذا قام هو صلى الله عليه وسلم مبينا لذلك وموبخا على

مخالفة

مخالفة ما تقدم منهم فيه ● فان قيل فما معنى فعل يوسف عليه السلام باخيه
ان جعل السقاية في رحله واخذه باسم سرقتها وما جرى على اخوته في ذلك
وقوله انكم لسارقون ولم يسرقوا ● فاعلم اكرمك الله ان الاية تدل
على ان فعل يوسف عليه السلام كان عن امر الله لقوله تعالى كذلك كدنا ليوسف
ما كان لياخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله الاية فاذا كان ذلك
فلا اعتراض به كان فيه ما فيه ● وايضا فان يوسف عليه السلام اعلم اخاه
باني انا اخوك فلا تبتئس فكان ما جرى عليه بعد هذا من وفقه ورغبته
وعلى يقين من عقبى الخير له به وازاحة السوء والمضرة عنه بذلك
واما قوله ايتها العير انكم لسارقون فليس من قول يوسف عليه السلام فيلزم
عليه جواب بحل شبهة ولعل قائله ان حسن له التاويل كائنا من كان
ظن على صورة الحال ذلك ● وقد قيل قال ذلك لفعلهم قبل بيوسف
وبيعهم له ● وقيل غير هذا ولا يلزم ان يقول الانبياء ما لم ياتِ
انهم قالوه حتى يطلب الخلاص منه ولا يلزم الاعتذار عن زلات
غيرهم **فصل فان قيل** فما معنى الحكمة في اجراء الامراض وشدتها عليه
وعلى غيره من الانبياء عليهم السلام وما الوجه فيما ابتلاهم الله به من
البلاء وامتحانهم بما امتحنوا به كايوب ويعقوب ودانيال ويحيى وزكريا
وعيسى وابراهيم ويوسف وغيرهم صلوات الله على جميعهم وهم خيرته من
خلقه واحباؤه واصفياؤه ● فاعلم وفقنا الله واياك ان افعال الله
كلها عدل وكلماته جميعها صدق لا مبدل لكلماته يبتلي عباده كما قال تعالى
لهم لننظر كيف تعملون وليبلوكم ايكم احسن عملا ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ● ولنعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو
اخباركم ● فامتحانه اياهم بضروب المحن زيادة في مكانتهم ورفعة
في درجاتهم واسباب لاستخراج حالات الصبر والرضا والشكر والتسليم
والتوكل والتفويض والدعاء والتضرع منهم وتاكيد لبصائرهم في رحمة
الممتحنين والشفقة على المبتلين وتذكرة لغيرهم وموعظة لسواهم

لِيَتَأَسَّوا في البلاء بهم ويتسلوا في المحن بما جرى عليهم ويقتدوا بهم في الصبر
ومحو لهنات فرطت منهم أو غفلات سلفت لهم ليلقوا الله طيبين
مهذبين وليكون أجرهم أكمل وثوابهم أوفر وأجزل ● ثنا القاضي
أبو علي الحافظ ثنا أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل بن خيرون قالا
ثنا أبو يعلى البغدادي قال ثنا أبو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب ثنا
أبو عيسى الترمذي ثنا قتيبة ثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة
عن مصعب بن سعد عن أبيه قال قلت يا رسول الله أي الناس أشد
بلاء قال الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه
فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة
● وكما قال الله تعالى وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير الآيات الثلاث
وعن أبي هريرة ما يزال البلاء بالمؤمن في نفسه وولده وماله حتى
يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة ● وعن أنس عنه عليه السلام إذا أراد الله
بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك
عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيمة ● وفي حديث آخر إذا أحب الله عبدا
ابتلاه ليسمع تضرعه ● وحكى السمرقندي أن كل من كان أكرم على
الله تعالى كان بلاؤه أشد كي يتبين فضله ويستوجب الثواب ● كما
روي عن لقمن أنه قال يا بني الذهب والفضة يختبران بالنار
والمؤمن يختبر بالبلاء ● وقد حكي أن ابتلاء يعقوب عليه السلام بيوسف
كان سببه التفاته في صلاته إليه ويوسف عليه السلام نائم محبة له ● و
قيل بل اجتمع يوما هو وابنه يوسف عليه السلام على أكل حمل مشوي وهما يضحكان
وكان لهم جار يتيم فشم ريحه واشتهاه فبكى وبكت جدة له عجوز
لبكائه وبينهما جدار ولا علم عند يعقوب وابنه عليهما السلام فعوقب
يعقوب بالبكاء أسفا على يوسف إلى أن سالت حدقتاه وابيضت
عيناه من الحزن ● فلما علم بذلك كان بقية حياته يأمر مناديا ينادي
على سطحه ألا من كان مفطرا فليتغد عند آل يعقوب وعوقب يوسف

سبب خوف

بالمحنة التي نص الله عليها ● وروي عن الليث أن سبب بلاء أيوب
أنه دخل مع أهل قريته على ملكهم فكلموه في ظلمه وأغلظوا له إلا أيوب فإنه
رفق به مخافة على زرعه فعاقبه الله ببلائه ● ومحنة سليمان عليه السلام
لما ذكرناه من نيته في كون الحق في جنبة أصهاره أو للعمل بالمعصية
في داره ولا علم عنده ● وهذه فائدة شدة المرض والوجع بالنبي صلى الله عليه وسلم
● وعن عبد الله قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه يوعك
وعكا شديدا فقلت إنك لتوعك وعكا شديدا قال أجل إني أوعك كما يوعك
رجلان منكم قلت ذلك أن لك الأجر مرتين قال أجل ذلك كذلك ●
وفي حديث أبي سعيد أن رجلا وضع يده على النبي صلى الله عليه وسلم
فقال والله ما أطيق أضع يدي عليك من شدة حماك فقال النبي صلى الله عليه وسلم
إنا معشر الأنبياء يضاعف لنا البلاء إن كان النبي ليبتلى بالقمل
حتى يقتله وإن كان النبي ليبتلى بالفقر وإن كانوا ليفرحون بالبلاء
كما يفرحون بالرخاء ● وعن أنس عنه صلى الله عليه وسلم أن عظم الجزاء
مع عظم البلاء وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا
ومن سخط فله السخط ● وقد قال المفسرون في قوله تعالى من يعمل سوءا
يجز به أن المسلم يجزى بمصائب الدنيا فتكون له كفارة ● وروي هذا
عن عائشة رضي الله عنها وأبي ومجاهد ● وقال أبو هريرة عنه عليه السلام
من يرد الله به خيرا يصب منه ● وقال في رواية عائشة ما من مصيبة
تصيب المسلم إلا يكفر الله تعالى بها عنه حتى الشوكة يشاكها ● وقال في رواية
أبي سعيد ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا
أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه ● وفي
حديث ابن مسعود ما من مسلم يصيبه أذى إلا حات الله عنه خطاياه كما
تحت ورق الشجر ● وحكمة أخرى أودعها الله تعالى في الأمراض لأجسامهم
وتعاقب الأوجاع عليها وشدتها عند مماتهم لتضعف قوى نفوسهم فيسهل
خروجها عند قبضهم وتخف عليهم مؤنة النزع وشدة السكرات بتقدم المرض

وضعف الجسم والنفس لذلك خلاف موت الفجاءة وأخذه كما يشاهد من
اختلاف أحوال الموتى في الشدة واللين والصعوبة والسهولة ● وقد
قال عليه السلام مثل المؤمن مثل خامة الزرع تفيئها الريح هكذا وهكذا
وفي رواية أبي هريرة من حيث أتتها الريح تكفأها فإذا سكنت اعتدلت
وكذلك المؤمن يكفأ بالبلاء ومثل الكافر كالأرزة صماء معتدلة
حتى يقصمها الله تعالى ● معناه أن المؤمن مرزأ مصاب بالبلاء والأمراض
راض بتصريفه بين أقدار الله مطاع لذلك لين الجانب برضاه وقلة
تسخطه كطاعة خامة الزرع وانقيادها للرياح وتمايلها لهبوبها
وترنحها من حيث ما أتتها فإذا أزاح الله عن المؤمن رياح البلايا
واعتدل صحيحا كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون رياح الجو رجع
إلى شكر ربه ومعرفة نعمته عليه برفع بلائه منتظرا رحمته وثوابه عليه
فإذا كان بهذه السبيل لم يصعب عليه مرض الموت ولا نزوله ولا اشتدت
عليه سكراته ونزعه لعادته بما تقدم من الآلام ومعرفة ما له فيها من
الأجر وتوطينه نفسه على المصائب ورقتها وضعفها بتوالي المرض أو شدته
والكافر بخلاف هذا معافى في غالب حاله ممتع بصحة جسمه كالأرزة
الصماء حتى إذا أراد الله هلاكه قصمه لحينه على غرة وأخذه بغتة من
غير لطف ولا رفق فكان موته أشد عليه حسرة ومقاساة نزعه
مع قوة نفسه وصحة جسمه أشد ألما وعذابا ولعذاب الآخرة أشد
كانجعاف الأرزة كما قال الله فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون ●
وكذلك عادة الله في أعدائه كما قال تعالى فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا
عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة الآية ففجأ جميعهم بالموت على
حال عتو وغفلة وصبحهم به على غير استعداد بغتة ● ولهذا ما كره السلف
موت الفجاءة ● وفيه في حديث إبراهيم النخعي كانوا يكرهون أخذة كأخذة
الأسف أي الغضب يريد موت الفجاءة ● وحكمة ثالثة أن الأمراض
نذير الممات وبقدر شدتها شدة الخوف من نزول الموت فيستعد من

أصابته وعلم تعاهدها للقاء ربه ويعرض عن دار الدنيا الكثيرة الأنكاد
ويكون قلبه معلقا بالمعاد فيتنصل من كل ما يخشى تباعته من قبل الله
وقبل العباد ويؤدي الحقوق إلى أهلها وينظر فيما يحتاج إليه من وصيته
فيمن يخلفه أو أمر يعهده وهذا ● نبينا صلى الله عليه وسلم المغفور له ما تقدم
وما تأخر قد طلب التنصل في مرضه ممن كان له عليه مال أو حق في
بدن وأقاد من نفسه وماله وأمكن من القصاص منه على ما ورد في
حديث الفضل وحديث الوفاة وأوصى بالثقلين بعده كتاب الله وعترته
وبالأنصار عيبته ودعا إلى كتب كتاب لئلا تضل أمته بعده إما في
النص بالخلافة أو الله أعلم بمراده ثم رأى الإمساك عنه أفضل وخيرا
● وهكذا سيرة عباد الله المؤمنين وأولياء الله المتقين وهذا كله يحرمه
غالبا الكفار لإملاء الله لهم ليزدادوا إثما وليستدرجهم من حيث لا يعلمون
● قال الله ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون
توصية ولا إلى أهلهم يرجعون ● ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
في رجل مات فجاءة سبحان الله كأنه على غضب المحروم من حرم وصيته ●
وقال صلى الله عليه وسلم موت الفجاءة راحة للمؤمن وأخذة أسف للكافر أو
الفاجر وذلك لأن الموت يأتي المؤمن وهو غالبا مستعد له منتظر
لحلوله فهان أمره عليه كيف ما جاء وأفضى إلى راحته من نصب الدنيا
وأذاها ● كما قال عليه السلام مستريح ومستراح منه وتأتي الكافر والفاجر
منيته على غير استعداد ولا أهبة ولا مقدمات منذرة مزعجة بل تأتيهم
بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون فكان الموت أشد
شيء عليه ● وفراق الدنيا أفظع أمر صدمه وأكره شيء له وإلى هذا المعنى
أشار عليه السلام بقوله من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله
كره الله لقاءه **القسم الرابع** في تصريف وجوه الأحكام فيمن سبه أو
تنقصه صلى الله عليه وسلم قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه قد تقدم من الكتاب
والسنة وإجماع الأمة ما يجب من الحقوق للنبي صلى الله عليه وسلم وما يتعين

له من برّ وتوقير وتعظيم واكرام وبحسب هذا حرّم الله اذاه في كتابه
واجمعت الامة على قتل منتقصه صلى الله عليه وسلم من المسلمين وسابّه عليه السلام
قال الله ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة
واعدّ لهم عذابا مهينا ● وقال تعالى والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب
اليم ● وقال تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه
من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما ● وقال تعالى في تحريم التعريض
له يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا الآية ●
وذلك ان اليهود كانوا يقولون راعنا يا محمد اي ارعنا سمعك واسمع
منا ويعرّضون بالكلمة يريدون الرعونة فنهى الله المؤمنين عن التشبه
بهم وقطع الذريعة بنهي المؤمنين عنها لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق
الى سبه والاستهزاء به صلى الله عليه وسلم ● وقيل بل لما فيها من مشاركة
اللفظ لانها عند اليهود بمعنى اسمع لا سمعت ● وقيل بل لما فيها من قلة
الادب وعدم توقير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتعظيمه لانها في لغة
الانصار بمعنى ارعنا نرعك فنهوا عن ذلك اذ مضمنه انهم لا يرعونه
الا برعايته لهم وهو صلى الله عليه وسلم واجب الرعاية بكل حال ● وهذا
هو صلى الله عليه وسلم قد نهى عن التكني بكنيته فقال عليه السلام تسموا باسمي
ولا تكتنوا بكنيتي صيانة لنفسه الشريفة وحماية عن اذاه اذ كان عليه السلام
استجاب لرجل نادى يا ابا القاسم ● فقال لم اعنك انما دعوت هذا
فنهاه عن التكني بكنيته لئلا يتأذى باجابته دعوة غيره ممن لم يرده
ويجد بذلك المنافقون والمستهزئون ذريعة الى اذاه والازراء به فينادونه
فاذا التفت قالوا انما اردنا هذا لسواه تعنيتا له واستخفافا بحقه صلى الله عليه وسلم
على عادة المجان والمستهزئين فحمى عليه السلام حمى اذاه بكل وجه ● فحمل
محققو العلماء نهيه عن هذا على مدة حياته واجازوه بعد وفاته لارتفاع العلة
وللناس في هذا الحديث مذاهب ليس هذا موضعها ● والذي ذكرناه هو
مذهب الجمهور والصواب ان شاء الله وان ذلك على طريق تعظيمه وتوقيره

وعلى سبيل الندب والاستحباب لا على التحريم ولذلك لم ينه عن اسمه عليه السلام
لانه قد كان الله منع من ندائه به ● بقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم
كدعاء بعضكم بعضا وانما كان المسلمون يدعونه برسول الله وبنبي الله
وقد يدعوه بكنيته ابا القاسم بعضهم في بعض الاحوال ● وقد روى
انس رضي الله عنه عنه عليه السلام ما يدل على كراهة التسمي باسمه وتنزيهه عن
ذلك اذا لم يوقر فقال تسمون اولادكم محمدا ثم تلعنونهم ● وروى
ان عمر رضي الله عنه كتب الى اهل الكوفة لا يسمى احد باسم النبي صلى الله عليه وسلم
حكاه ابو جعفر الطبري ● وحكى محمد بن سعد انه نظر الى رجل اسمه محمد
ورجل يسبه ويقول له فعل الله بك يا محمد وصنع فقال عمر لابن اخيه
محمد بن زيد بن الخطاب الا ارى محمدا عليه السلام يسب بك والله لا تدعى
محمدا ما دمت حيا وسماه عبد الرحمن واراد ان يمنع لهذا ان يسمى احد
باسماء الانبياء اكراما لهم بذلك وغيّر اسماء جماعة تسموا باسماء الانبياء
اكراما لهم ● وقال لا تسموا باسماء الانبياء ثم امسك والصواب جواز
هذا كله بعده صلى الله عليه وسلم بدليل اطباق الصحابة على ذلك ● وقد سمى
جماعة منهم ابنه محمدا وكناه بابي القاسم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم
اذن في ذلك لعلي رضي الله عنه ● وقد اخبر صلى الله عليه وسلم ان ذلك اسم المهدي
وكنيته وقد سمى به النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن طلحة ومحمد بن عمرو بن حزم
ومحمد بن ثابت بن قيس وغير واحد ● وقال صلى الله عليه وسلم ما ضر احدكم
ان يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة ● وقد فصلنا الكلام في هذا القسم على
بابين كما قدمناه ● **الباب الاول** في بيان ما هو في حقه صلى الله عليه وسلم
سب او نقص من تعريض او نص قال القاضي ابو الفضل رحمه الله اعلم وفقنا
الله واياك ان جميع من سب النبي صلى الله عليه وسلم او عابه او الحق به نقصا
في نفسه او نسبه او دينه او خصلة من خصاله او عرّض به او شبهه بشيء
على طريق السب له او الازراء عليه او التصغير لشأنه او الغض منه والعيب
له فهو ساب له والحكم فيه حكم الساب يقتل كما نبينه ولا نستثني فصلا من فصول

هذا الباب على هذا المقصد ولا نمتري فيه تصريحا كان أو تلويحا وكذلك
من لعنه أو دعا عليه أو تمنى مضرة له أو نسب إليه ما لا يليق بمنصبه
على طريق الذم أو عبث في جهة العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر
من القول وزور أو عيره بشيء مما جرى من البلاء ● قال أبو بكر بن
المنذر ● أجمع عوام أهل العلم على أن من سب النبي صلى الله عليه وسلم
يقتل وممن قال ذلك مالك بن أنس والليث وأحمد وإسحق وهو
مذهب الشافعي ● قال القاضي أبو الفضل رحمه الله وهو مقتضى قول أبي بكر الصديق
ولا تقبل توبته عند هؤلاء وبمثله قال أبو حنيفة وأصحابه والثوري وأهل
الكوفة والأوزاعي في المسلم لكنهم قالوا هي ردة ● وروى مثله الوليد
بن مسلم عن مالك ● وحكى الطبري مثله عن أبي حنيفة وأصحابه فيمن
تنقصه صلى الله عليه وسلم أو برئ منه أو كذبه ● وقال سحنون
فيمن سبه ذلك ردة كالزندقة وعلى هذا وقع الخلاف في استتابته
وتكفيره وهل قتله حد أو كفر كما سنبينه في الباب الثاني إن شاء الله تعالى
ولا نعلم خلافا في استباحة دمه بين علماء الأمصار وسلف الأمة
● وقد ذكر غير واحد الإجماع على قتله وتكفيره وأشار بعض الظاهرية
وهو أبو محمد علي بن أحمد الفارسي إلى الخلاف في تكفير المستخف به
والمعروف ما قدمناه ● قال محمد بن سحنون أجمع العلماء أن شاتم
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم المتنقص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب
الله له وحكمه عند الأمة القتل ومن شك في كفره وعذابه كفر ●
واحتج إبراهيم بن حسين بن خالد الفقيه في مثل هذا بقتل خالد بن الوليد
مالك بن نويرة لقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم صاحبكم ● وقال أبو سليمان
الخطابي لا أعلم أحدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله إذا كان مسلما
● وقال ابن القاسم عن مالك في كتاب ابن سحنون والمبسوط والعتبية
وحكاه مطرف عن مالك في كتاب ابن حبيب من سب النبي صلى الله عليه وسلم
من المسلمين قتل ولم يستتب ● قال ابن القاسم في العتبية من سبه أو شتمه

أو عابه

أو عابه أو تنقصه فإنه يقتل وحكمه عند الأمة القتل كالزنديق
وقد فرض الله توقيره وبره ● وفي المبسوط عن عثمان بن كنانة من
شتم النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل أو صلب حيا ولم يستتب
والإمام مخير في صلبه حيا أو قتله ● ومن رواية أبي المصعب وابن
أبي أويس سمعنا مالكا يقول في سب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو شتمه
أو عابه أو تنقصه قتل مسلما كان أو كافرا ولا يستتاب وفي كتاب محمد أنا
أصحاب مالك أنه قال من سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو غيره من
النبيين من مسلم أو كافر قتل ولم يستتب ● وقال أصبغ يقتل على كل
حال أسر ذلك أو أظهره ولا يستتاب لأن توبته لا تعرف ● وقال
عبد الله بن عبد الحكم من سب النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم أو كافر
قتل ولم يستتب ● وحكى الطبري مثله عن أشهب عن مالك ● وروى
ابن وهب عن مالك من قال إن رداء النبي ويروى زر النبي صلى الله عليه وسلم
وسخ أراد به عيبه قتل ● وقال بعض علمائنا أجمع العلماء على أن من دعا
على نبي من الأنبياء بالويل أو بشيء من المكروه أنه يقتل بلا استتابة ●
وأفتى أبو الحسن القابسي فيمن قال في النبي الجمال يتيم أبي طالب بالقتل
● وأفتى أبو محمد بن أبي زيد بقتل رجل سمع قوما يتذاكرون صفة النبي
صلى الله عليه وسلم إذ مر بهم رجل قبيح الوجه واللحية فقال لهم تريدون
تعرفون صفته هي في صفة هذا المار في خلقه ولحيته قال ولا تقبل توبته
وقد كذب لعنه الله وليس يخرج من قلب سليم الإيمان ● وقال أحمد
بن أبي سليمان صاحب سحنون من قال إن النبي صلى الله عليه وسلم كان أسود
يقتل ● وقال في رجل قيل له لا وحق رسول الله فقال فعل الله برسول الله
كذا وكذا كلاما قبيحا فقيل له ما تقول يا عدو الله فقال أشد من كلامه الأول
ثم قال إنما أردت برسول الله العقرب فقال ابن أبي سليمان للذي
سأله اشهد عليه وأنا شريكك في قتله وثواب ذلك ● قال حبيب بن
الربيع لأن ادعاءه التأويل في لفظ صراح لا يقبل لأنه امتهان وهو غير

معزر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا موقر له فوجبت اباحة
دمه ● وافتى ابو عبد الله بن عتاب في عشار قال لرجل ادّ واشك
الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ان سألت او جهلت فقد جهل وسأل
النبي صلى الله عليه وسلم بالقتل ● وافتى فقهاء الاندلس بقتل ابن حاتم الطليطلي
وصلبه بما شهد عليه به من استخفافه بحق النبي صلى الله عليه وسلم
وتسميته اياه اثناء مناظرته باليتيم وختن حيدرة وزعمه ان زهده
لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات اكلها الى اشباه لهذا ● وافتى فقهاء
القيروان واصحاب سحنون بقتل ابرهيم الفزاري وكان شاعرا متفننا
في كثير من العلوم وكان ممن يحضر مجلس القاضي ابي العباس بن طالب
للمناظرة فرفعت عليه امور منكرة في هذا الباب في الاستهزاء بالله تعالى
وانبيائه ونبينا صلى الله عليه وعلى جميعهم فاحضر له القاضي يحيى بن عمر
وغيره من الفقهاء وامر بقتله وصلبه فطعن بالسكين فصلب منكسا
ثم انزل واحرق بالنار ● وحكى بعض المؤرخين انه لما رفعت خشبته
وزالت عنها الايدي استدارت وحولته عن القبلة فكان آية للجميع
وكبر الناس وجاء كلب فولغ في دمه فقال يحيى بن عمر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذكر حديثا عنه عليه السلام انه قال لا يلغ الكلب في دم مسلم ● وقال
القاضي ابو عبد الله بن المرابط من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب
فان تاب والا قتل لانه تنقص اذ لا يجوز ذلك عليه في خاصته اذ هو على
بصيرة من امره ويقين من عصمته ● وقال حبيب بن ربيع القروي مذهب
مالك واصحابه ان من قال فيه عليه السلام ما فيه نقص قتل دون استتابة ●
وقال ابن عتاب الكتاب والسنة موجبان ان من قصد النبي صلى الله عليه وسلم
باذى او نقص معرضا او مصرحا وان قل فقتله واجب ● فهذا الباب كله مما
عده العلماء سبا وتنقصا يجب قتل قائله لم يختلف في ذلك متقدمهم ولا
متأخرهم وان اختلفوا في حكم قتله على ما اشرنا اليه ونبينه بعد ان شاء الله
وكذلك اقول حكم من غمصه او عيره برعاية الغنم او السهو او النسيان او السحر او ما اصابه

من جرح او هزيمة لبعض جيوشه او اذى من عدوه او شدة من زمنه او بالميل
الى نسائه فحكم هذا كله لمن قصد به نقصه القتل وقد مضى من مذاهب العلماء
في ذلك ويأتي ما يدل عليه

فصل في الحجة في ايجاب قتل من سبه او عابه

صلى الله عليه وسلم فمن القرآن لعنه تعالى لمؤذيه في الدنيا والآخرة وقرانه تعالى
اذاه باذاه صلى الله عليه وسلم ولا خلاف في قتل من سب الله وان اللعن انما
يستوجبه من هو كافر وحكم الكافر القتل فقال تعالى ان الذين يؤذون الله
ورسوله الآية ● وقال في قاتل المؤمن مثل ذلك فمن لعنته في الدنيا القتل
قال الله تعالى ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا ● وقال في المحاربين
وذكر عقوبتهم ذلك لهم خزي في الدنيا وقد يقع القتل بمعنى اللعن ●
قال الله قتل الخراصون وقاتلهم الله اي لعنهم الله ولانه فرق بين اذاهما واذى
المؤمنين ● وفي اذى المؤمنين ما دون القتل من الضرب والنكال فكان
حكم مؤذي الله تعالى ونبيه صلى الله عليه وسلم اشد من ذلك وهو القتل ● وقال
فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية فسلب اسم الايمان
عن من وجد في صدره حرجا من قضائه ولم يسلم له ومن تنقصه صلى الله عليه وسلم
ناقض هذا ● وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت
النبي الى قوله ان تحبط اعمالكم ولا يحبط العمل الا الكفر والكافر يقتل
وقال تعالى واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ثم قال تعالى حسبهم جهنم يصلونها
فبئس المصير ● وقال تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن
ثم قال تعالى والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم ● وقال تعالى ولئن سألتهم
ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الى قوله قد كفرتم بعد ايمانكم ● قال اهل التفسير
كفرتم بقولكم في رسول الله صلى الله عليه وسلم ● واما الاجماع فقد ذكرناه ●
واما الآثار فحدثنا الشيخ ابو عبد الله احمد بن محمد بن غلبون عن الشيخ ابي ذر
الهروي اجازة ● قال ثنا ابو الحسن الدارقطني وابو عمر بن حيويه نا محمد بن
نوح ثنا عبد العزيز بن محمد بن الحسن بن زبالة ثنا عبد الله بن موسى بن جعفر
عن علي بن موسى عن ابيه عن جده عن محمد بن علي بن الحسين عن ابيه عن الحسين

بن علي عن ابيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سب نبيا من الانبياء
فاقتلوه ومن سب أصحابي فاضربوه ● وفي الحديث الصحيح أمر النبي صلى الله عليه وسلم
بقتل كعب بن الاشرف ● وقوله عليه السلام من لكعب بن الاشرف فانه يؤذي الله
ورسوله ووجه اليه من قتله غيلة دون دعوة بخلاف غيره من المشركين
وعلل بأذاه له فدل أن قتله اياه لغير الاشراك بل للأذى وكذلك قتل
ابا رافع ● قال البراء وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه
وكذلك أمر يوم الفتح بقتل ابن خطل وجاريتيه اللتين كانتا تغنيان بسبه صلى الله عليه وسلم
وفي حديث آخر أن رجلا كان يسبه صلى الله عليه وسلم ● فقال من يكفيني
عدوي فقال خالد رضي الله عنه انا فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم فقتله ● وكذلك
لم يقتل جماعة ممن كان يؤذيه من الكفار ويسبه كالنضر بن الحارث
وعقبة بن أبي معيط وعهد بقتل جماعة منهم قبل الفتح وبعده فقتلوا الا من
بادر باسلامه قبل القدرة عليه ● وقد روى البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما
أن عقبة بن أبي معيط نادى يا معشر قريش مالي اقتل من بينكم صبرا
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك وافترائك على رسول الله صلى الله عليه وسلم
● وذكر عبد الرزاق أن النبي صلى الله عليه وسلم سبه رجل فقال من يكفيني
عدوي فقال الزبير رضي الله عنه انا فبارزه فقتله الزبير ● وروي أيضا أن
امرأة كانت تسبه صلى الله عليه وسلم فقال من يكفيني عدوتي فخرج اليها خالد بن
الوليد رضي الله عنه فقتلها ● وروي أن رجلا كذب على النبي صلى الله عليه وسلم فبعث
عليا والزبير رضي الله عنهما اليه ليقتلاه ● وروى ابن قانع أن رجلا جاء الى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال سمعت يا رسول الله سمعت أبي يقول فيك قولا قبيحا فقتلته
فلم يشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم ● وبلغ المهاجر بن أبي أمية امير اليمن
لأبي بكر رضي الله عنه أن امرأة هناك في الردة غنت بسب النبي صلى الله عليه وسلم فقطع
يدها ونزع ثنيتها فبلغ ذلك ابا بكر فقال له لولا ما فعلت لأمرتك بقتلها
لأن حد الانبياء ليس يشبه الحدود ● وعن ابن عباس رضي الله عنهما هجت امرأة
من خطمة النبي صلى الله عليه وسلم فقال من لي بها فقال رجل من قومها انا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم

فنهض فقتلها فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا ينتطح فيها عنزان
وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن اعمى كانت له ام ولد تسب النبي صلى الله عليه وسلم
فيزجرها فلا تنزجر ● فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي صلى الله عليه وسلم
وتشتمه فقتلها واعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فأهدر دمها ●
وفي حديث أبي برزة الاسلمي كنت يوما جالسا عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه
فغضب على رجل من المسلمين ● وحكى القاضي اسمعيل وغير واحد من الأئمة في
هذا الحديث انه سب ابا بكر ورواه النسائي اتيت ابا بكر رضي الله عنه وقد اغلظ
لرجل فرد عليه قال فقلت يا خليفة رسول الله عليه السلام دعني اضرب عنقه
فقال اجلس فليس ذلك لاحد الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ● قال القاضي
محمد بن نصر ولم يخالف عليه احد فاستدل الأئمة رحمهم الله بهذا الحديث على
قتل من أغضب النبي صلى الله عليه وسلم بكل ما أغضبه او آذاه او سبه ● ومن
ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الى عامله بالكوفة وقد استشاره في
قتل رجل سب عمر رضي الله عنه فكتب عمر اليه انه لا يحل قتل امرئ مسلم بسب احد
من الناس الا رجل سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن سبه فقد حل دمه ● و
سئل الرشيد مالكا في رجل شتم النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ان فقهاء العراق
افتوه بجلده فغضب مالك رحمه الله وقال يا امير المؤمنين ما بقاء الامة
بعد شتم نبيها من شتم الانبياء قتل ومن شتم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلد
● قال القاضي ابو الفضل رحمه الله كذا وقع في هذه الحكاية رواها غير واحد ممن
ذكر مناقب مالك رحمه الله ومؤلفي اخباره وغيرهم ولا ادري من هؤلاء الفقهاء
بالعراق الذين افتوا الرشيد بما ذكر ● وقد ذكرنا مذهب العراقيين بقتله
ولعلهم ممن لم يشهر بعلم او من لا يوثق بقوله او يميل به هواه او يكون ما
قاله يحمل على غير السب فيكون الخلاف هل هو سب او غير سب او يكون رجع
وتاب عن سبه فلم يقله مالك على اصله والا فالاجماع على قتل من سبه
كما قدمناه ويدل على قتله من جهة النظر والاعتبار ان من سبه او تنقصه
فقد ظهرت علامة مرض قلبه وبرهان سوء طويته وكفره ● ولهذا ما حكم له

كثير من العلماء بالردة وهي رواية الشاميين عن مالك والأوزاعي وقول
الثوري وأبي حنيفة والكوفيين والقول الآخر أنه دليل على الكفر فيقتل حدا و
إن لم يحكم له بالكفر إلا أن يكون متماديا على قوله غير منكر له ولا مقلع
عنه فهذا كافر وقوله إما صريح كفر كالتكذيب ونحوه أو من
كلمات الاستهزاء والذم فاعترافه بها وترك توبته عنها دليل استحلاله
لذلك وهو كفر أيضا فهذا كافر بلا خلاف قال الله تعالى في مثله يحلفون
بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم قال أهل
التفسير هي قولهم إن كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير وقيل
بل قول بعضهم ما مثلنا ومثل محمد صلى الله عليه وسلم إلا قول القائل سمن
كلبك يأكلك ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل و
قد قيل إن قائل مثل هذا الكلام مستهزئا به إن حكمه حكم الزنديق
يقتل ولأنه قد غير دينه وقد قال عليه السلام من غير دينه فاضربوا
عنقه ولأن لحكم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الحرمة مزية على أمته
وساب الحر من أمته يحد فكانت العقوبة لمن سبه صلى الله عليه وسلم
القتل لعظيم قدره وشفوف منزلته على غيره **فصل فإن قلت**
فلم لم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم اليهودي الذي قال له السام عليكم
ولا قتل الآخر الذي قال له إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله وقد
تأذى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من ذلك وقال قد أوذي موسى عليه السلام
بأكثر من هذا فصبر ولا قتل المنافقين الذين كانوا يؤذونه في أكثر
الأحيان فاعلم وفقنا الله وإياك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أول
الإسلام يستألف عليه الناس ويميل قلوبهم إليه ويحبب إليهم الإيمان
ويزينه في قلوبهم ويداريهم ويقول لأصحابه إنما بعثتم ميسرين ولم
تبعثوا منفرين ويقول يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا
ويقول لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه وكان صلى الله عليه وسلم
يداري الكفار والمنافقين ويجمل صحبتهم ويغضي عنهم ويحتمل أذاهم و

يصبر على جفائهم ما لا يجوز لنا اليوم الصبر لهم عليه وكان يرفقهم بالعطاء
والإحسان وبذلك أمره الله تعالى فقال تعالى ولا تزال تطلع على خائنة منهم
فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين وقال تعالى ادفع بالتي هي أحسن
فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وذلك لحاجة الناس
للتألف أول الإسلام وجمع الكلمة عليه فلما استقر وأظهره الله على
الدين كله قتل من قدر عليه واشتهر أمره كفعله بابن خطل ومن عهد
بقتله يوم الفتح ومن أمكنه قتله غيلة من يهود وغيرهم أو غلبة ممن لم
ينظمه قبل سلك صحبته والانخراط في جملة مظهري الإيمان به ممن كان
يؤذيه كابن الأشرف وأبي رافع والنضر وعقبة وكذلك هدر دم جماعة
سواهم ككعب بن زهير وابن الزبعرى وغيرهما ممن آذاه حتى ألقوا بأيديهم
ولقوه مسلمين وبواطن المنافقين مستترة وحكمه صلى الله عليه وسلم على الظاهر
وأكثر تلك الكلمات إنما كان يقولها القائل منهم خفية ومع أمثاله و
يحلفون عليها إذا نميت وينكرونها ويحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا
كلمة الكفر وكان مع هذا عليه السلام يطمع في فيئتهم ورجوعهم إلى الإسلام
فيصبر عليه السلام على هناتهم وجفوتهم كما صبر أولوا العزم من الرسل حتى
فاء كثير منهم باطنا كما فاء ظاهرا وأخلص سره كجهره ونفع الله بعد بكثير منهم
وقام منهم للدين وزراء وأعوان وحماة وأنصار كما جاءت به الأخبار
وبهذا أجاب بعض أئمتنا رحمهم الله عن هذا السؤال وقال لعله لم يثبت
عنده عليه السلام من أقوالهم ما رفع وإنما نقله الواحد ومن لم يصل رتبة الشهادة
في هذا الباب من صبي أو عبد أو امرأة والدماء لا تستباح إلا بعدلين وعلى
يحمل أمر اليهودي في السلام وأنهم لووا ألسنتهم ولم يبينوه ألا ترى كيف
نبهت عليه عائشة رضي الله عنها ولو كان صرح بذلك لم تنفرد بعلمه ولهذا
نبه النبي صلى الله عليه وسلم على فعلهم وقلة صدقهم في سلامهم وخيانتهم
في ذلك ليا بألسنتهم وطعنا في الدين فقال إن اليهود إذا سلم أحدهم فإنما
يقول السام عليكم فقولوا عليكم وكذلك قال بعض أصحابنا البغداديين

ان النبي صلى الله تعالى عليه لم يقتل المنافقين بعلمه فيهم ولم يأت انه
قامت بينة على نفاقهم فلهذا تركهم وايضا فان الامر كان سرا وباطنا و
ظاهرهم الاسلام والايمان وان كان من اهل العهد والذمة والجوار والنا
قريب عهدهم بالاسلام لم يتميز بعد الخبيث من الطيب وقد شاع
عن المذكورين في العرب كون من يتهم بالنفاق من جملة المؤمنين و
صحابة سيد المرسلين وانصار الدين بحكم ظاهرهم فلو قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم
لنفاقهم وما يبدر منهم وعلمه بما اسروا في انفسهم لوجد المنفر ما يقول
ولارتاب الشارد وارجف المعاند وارتاع من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم
والدخول في الاسلام غير واحد ولزعم الزاعم وظن العدو الظالم ان
القتل انما كان للعداوة وطلب اخذ الترة وقد رأيت معنى ما حررته منسوبا
الى مالك بن انس رحمه الله تعالى ● ولهذا قال صلى الله تعالى عليه لا يتحدث الناس
ان محمدا يقتل اصحابه ● وقال اولئك الذين نهاني الله عن قتلهم وهذا
بخلاف اجراء الاحكام الظاهرة عليهم من حدود الزنا والقتل وشبهها
لظهورها واستواء الناس في علمها ● وقد قال محمد بن المواز لو اظهر
المنافقون نفاقهم لقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم وقاله القاضي ابو الحسن
بن القصار ● وقال قتادة في تفسير قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون و
الذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك
فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله الآية معناه
اذا اظهروا النفاق ● وحكى محمد بن مسلمة في المبسوط عن زيد بن اسلم
ان قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين نسخها ما كان قبلها ●
وقال بعض مشايخنا لعل القائل هذه قسمة ما اريد بها وجه الله وقوله
اعدل لم يفهم النبي صلى الله عليه وسلم منه الطعن عليه والتهمة له وانما
رآها من وجه الغلط في الرأي وامور الدنيا والاجتهاد في مصالح اهلها فلم
ير ذلك سبا ورأى انه من الاذى الذي له العفو عنه والصبر عليه فلذلك
لم يعاقبه وكذلك يقال في اليهود اذا قالوا السام عليكم ليس فيه صريح سب

ولا

ولا دعاء الا بما لا بد منه من الموت الذي لا بد من لحاقه جميع البشر ●
وقيل بل المراد تسأمون دينكم والسام والسآمة الملال وهذا دعاء على سآمة
الدين ليس بصريح سب ولهذا ترجم البخاري هذا الحديث باب اذا
عرض الذمي او غيره بسب النبي صلى الله عليه وسلم ● قال بعض علمائنا و
ليس هذا بتعريض بالسب وانما هو تعريض بالاذى ● قال القاضي ابو الفضل
قد قدمنا ان الاذى والسب في حقه عليه السلام سواء وقال القاضي ابو محمد بن
نصر مجيبا عن هذا الحديث هل كان اليهودي من اهل العهد والذمة او
الحرب ولا يترك موجب الادلة للامر المحتمل والاولى في ذلك كله والاظهر
من هذه الوجوه مقصد الاستيلاف والمداراة على الدين لعلهم يؤمنون
● ولذلك ترجم البخاري على حديث القسمة والخوارج باب من ترك
قتل الخوارج للتألف ولئلا ينفر الناس عنه ولما ذكرنا معناه عن مالك
وقررناه قبل ● وقد صبر صلى الله عليه وسلم لهم على سحره وسمه وهو اعظم
من سبه الى ان نصره الله عليهم واذن له في قتل من حينه منهم وانزلهم
من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب وكتب على من شاء منهم الجلاء
واخرجهم من ديارهم وخرب بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين وكاشفهم
بالسب فقال يا اخوة القردة والخنازير ● وحكم فيهم سيوف المسلمين
واجلاهم من جوارهم واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم لتكون كلمة
الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ● فان قلت قد جاء الحديث
الصحيح عن عائشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم ما انتقم لنفسه في شيء
يؤتى اليه قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله ● فاعلم ان هذا لا
يقتضي انه لم ينتقم ممن سبه او آذاه او كذبه فان هذه من حرمات الله
التي انتقم منها ● وانما يكون ما لا ينتقم منه فيما يتعلق بسوء الادب او معاملة
من القول والفعل في النفس والمال مما لم يقصد فاعله به اذاه لكن
مما جبلت عليه الاعراب من الجفاء والجهل ● او جبل عليه البشر من الغفلة
كجبذ الاعرابي ● حتى اثر في عنقه وكرفع صوت الآخر عنده وكجحد الاعرابي

منه فرسه التي شهد فيها خزيمة وكما كان من تظاهر زوجتيه عليه وأشباه
هذا مما يحسن الصفح عنه أو يكون هذا مما آذاه به كافر رجا بعد ذلك
إسلامه كعفوه عن اليهودي الذي سحره وعن الأعرابي الذي أراد قتله
وعن اليهودية التي سمته وقد قيل قتلها ومثل هذا مما بلغه من
أذى أهل الكتاب والمنافقين فصفح عنهم رجاء استيلافهم واستيلاف
غيرهم كما قررناه وبالله التوفيق وقد قال بعض علمائنا إن أذى النبي صلى الله عليه وسلم
حرام لا يجوز بفعل مباح ولا غيره وأما غيره من الناس فيجوز بفعل مباح
منه ما لا يجوز للإنسان فعله وإن تأذى به غيره واحتج بعموم قوله
إن الذين يؤذون الله ورسوله وبقوله عليه السلام في حديث فاطمة رضي الله عنها
إنها بضعة مني يؤذيني ما آذاها وإني لا أحرم ما أحل الله ولكن لا تجتمع
ابنة رسول الله عليه السلام وابنة عدو الله عند رجل أبداً من أصل الشيخ

فصل تقدم الكلام في قتل القاصد لسبه والإزراء به وغمصه بأي
وجه كان من ممكن أو محال فهذا وجه بين لا إشكال فيه الوجه الثاني لاحق
به في البيان والجلاء وهو أن يكون القائل لما قال في جهته صلى الله عليه وسلم
غير قاصد للسب والإزراء ولا معتقد له ولكنه تكلم في جهته عليه السلام
بكلمة الكفر من لعنه أو سبه أو تكذيبه أو إضافة ما لا يجوز عليه أو نفي
ما يجب له مما هو في حقه عليه السلام نقيصة مثل أن ينسب إليه إتيان كبيرة
أو مداهنة في تبليغ الرسالة أو في حكم بين الناس أو يغض من مرتبته
أو شرف نسبه أو وفور علمه أو زهده أو يكذب بما اشتهر من أمور أخبر بها
صلى الله عليه وسلم وتواتر الخبر بها عنه عن قصد لرد خبره أو يأتي بسفه من
القول وقبيح من الكلام ونوع من السب في جهته صلى الله عليه وسلم وإن ظهر بدليل
حاله أنه لم يتعمد ذمه ولم يقصد سبه إما لجهالة حملته على ما قاله أو لضجر أو سكر
اضطره إليه أو قلة مراقبة أو ضبط للسانه وعجرفة وتهور في كلامه فحكم هذا الوجه
حكم الوجه الأول في القتل دون تلعثم إذ لا يعذر أحد في الكفر بالجهالة ولا بدعوى
زلل اللسان ولا بشيء مما ذكرناه إذا كان عقله في فطرته سليماً إلا من أكره وقلبه مطمئن

بالإيمان وبهذا أفتى الأندلسيون على ابن حاتم في نفيه الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
الذي قدمناه وقال محمد بن سحنون في المأسور يسب النبي صلى الله عليه وسلم
في أيدي العدو يقتل إلا أن يعلم تنصره أو إكراهه وعن أبي محمد بن أبي زيد
لا يعذر بدعوى زلل اللسان في مثل هذا وأفتى أبو الحسن القابسي فيمن
شتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في سكره يقتل لأنه يظن به أنه يعتقد
هذا ويفعله في صحوه وأيضاً فإنه حد لا يسقطه السكر كالقذف والقتل
وسائر الحدود لأنه أدخله على نفسه لأن من شرب الخمر على علم من زوال
عقله بها وإتيان ما ينكر منه فهو كالعامد لما يكون بسببه وعلى هذا
ألزمناه الطلاق والعتاق والقصاص والحدود ولا يعترض على هذا بحديث
حمزة رضي الله عنه وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم وهل أنتم إلا أعبد لأبي قال
فعرف النبي صلى الله عليه وسلم أنه ثمل فانصرف لأن الخمر كانت حينئذ غير محرمة
فلم يكن في جناياتها إثم وكان حكم ما يحدث عنها معفواً عنه كما يحدث
من النوم وشرب الدواء المأمون

فصل الوجه الثالث أن يقصد
إلى تكذيبه فيما قاله أو أتى به أو ينفي نبوته أو رسالته أو وجوده صلى الله عليه وسلم
أو يكفر به عليه السلام انتقل بقوله ذلك إلى دين آخر غير ملته أم لا فهذا
كافر بإجماع يجب قتله ثم ينظر فإن كان مصرحاً بذلك كان حكمه
أشبه بحكم المرتد وقوي الخلاف في استتابته وعلى القول الآخر لا تسقط القتل
عنه توبته لحق النبي صلى الله عليه وسلم إن كان ذكره بنقيصة فيما قاله من كذب
أو غيره وإن كان مستتراً بذلك فحكمه حكم الزنديق لا تسقط قتله توبته
عندنا كما سنبينه قال أبو حنيفة وأصحابه من برئ من محمد صلى الله عليه وسلم
أو كذب به فهو مرتد حلال الدم وقال ابن القاسم في المسلم إذا قال إن محمداً صلى الله عليه وسلم
ليس بنبي أو لم يرسل أو لم ينزل عليه قرآن وإنما هو شيء تقوله يقتل
قال ومن كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنكره من المسلمين فهو بمنزلة المرتد وكذلك
من أعلن بتكذيبه أنه كالمرتد يستتاب وكذلك قال فيمن تنبأ وزعم أنه
يوحى إليه وقاله سحنون وقال ابن القاسم دعا إلى ذلك سراً أو جهراً

قال أصبغ وهو كالمرتد لأنه قد كفر بكتاب الله مع الفرية على الله ● وقال
أشهب في يهودي تنبأ أو زعم أنه أرسل إلى الناس أو قال بعد نبيكم
نبي أنه يستتاب إن كان معلنا بذلك فإن تاب وإلا قتل وذلك لأنه مكذب
للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله لا نبي بعدي مفتر على الله في دعواه عليه
الرسالة والنبوة ● وقال محمد بن سحنون من شك في حرف مما جاء به
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم عن الله تعالى فهو جاحد كافر ● وقال من
كذب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان حكمه عند الأمة القتل ● وقال
أحمد بن أبي سليمان صاحب سحنون من قال إن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
أسود قتل لم يكن صلى الله تعالى عليه وسلم بأسود ● وقال نحوه أبو عثمان
الحداد ● قال ولو قال إنه مات قبل أن يلتحي أو أنه كان بتاهرت و
لم يكن بتهامة قتل لأن هذا نفي ● وقال حبيب بن ربيع تبديل صفته
ومواضعه كفر والمظهر له كافر وفيه الاستتابة والمسر له زنديق
يقتل دون استتابة ● **فصل الوجه الرابع** أن يأتي من الكلام بمجمل
ويلفظ من القول بمشكل يمكن حمله على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو غيره
أو يتردد في المراد به من سلامته من المكروه أو شره فهاهنا متردد النظر
وحيرة العبر ومظنة اختلاف المجتهدين ووقفة استبراء المقلدين
ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فمنهم من غلب حرمة
النبي صلى الله عليه وسلم وحمى حمى عرضه فجسر على القتل ومنهم من عظم
حرمة الدم ودرأ الحد بالشبهة لاحتمال القول ● وقد اختلف أئمتنا
في رجل أغضبه غريمه فقال له صل على النبي محمد فقال له الطالب لا صلى
الله على من صلى عليه ● فقيل لسحنون هل هو كمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم
أو شتم الملائكة الذين يصلون عليه ● قال لا إذا كان على ما وصفت
من الغضب لأنه لم يكن مضمر الشتم ● وقال أبو إسحق البرقي وأصبغ
بن الفرج لا يقتل لأنه إنما شتم الناس وهذا نحو قول سحنون لأنه لم يعذره
بالغضب في شتم النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه لما احتمل الكلام عنده و

لم يكن معه قرينة تدل على شتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو شتم
الملائكة صلوات الله عليهم ولا مقدمة يحمل عليها كلامه بل القرينة تدل على
أن مراده الناس غير هؤلاء لأجل قول الآخر له صل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فحمل قوله وسبه لمن يصلي عليه الآن لأجل أمر الآخر له بهذا عند غضبه
هذا معنى قول سحنون وهو مطابق لعلة صاحبيه ● وذهب الحارث
بن مسكين القاضي وغيره في مثل هذا إلى القتل ● وتوقف أبو الحسن
القابسي في قتل رجل قال كل صاحب فندق قرنان ولو كان نبيا مرسلا
فأمر بشده بالقيود والتضييق عليه حتى تستفهم البينة عن جملة ألفاظه
وما يدل على مقصده هل أراد أصحاب الفنادق الآن فمعلوم أنه ليس فيهم
نبي مرسل فيكون أمره أخف ● قال ولكن ظاهر لفظه العموم لكل
صاحب فندق من المتقدمين والمتأخرين ● وقد كان فيمن تقدم من
الأنبياء والرسل من اكتسب المال ● قال ودم المسلم لا يقدم عليه
إلا بأمر بين وما ترد إليه التأويلات لا بد من إمعان النظر فيه هذا معنى
كلامه ● وحكي عن أبي محمد بن أبي زيد فيمن قال لعن الله العرب و
لعن الله بني إسرائيل ولعن الله بني آدم وذكر أنه لم يرد الأنبياء وإنما
أردت الظالمين منهم أن عليه الأدب بقدر اجتهاد السلطان وكذا أفتى
فيمن لعن الله من حرم المسكر ● وقال لم أعلم من حرمه وفيمن لعن حديث
لا يبع حاضر لباد ولعن من جاء به لأنه إن كان يعذر بالجهل وعدم معرفة
السنن فعليه الأدب الوجيع وذلك أن هذا لم يقصد بظاهر حاله سب الله
ولا سب رسوله صلى الله عليه وسلم ● وإنما لعن من حرمه من الناس على نحو
فتوى سحنون وأصحابه في المسألة المتقدمة ● ومثل هذا يجري في كلام سفهاء
الناس من قول بعضهم لبعض يا ابن ألف خنزير ويا ابن مائة كلب وشبهه
من هجر القول ولا شك أنه يدخل في مثل هذا من آبائه وأجداده جماعة من
الأنبياء ولعل بعض هذا العدد منقطع إلى آدم عليه السلام ● فينبغي الزجر عنه
وتبيين ما جهل قائله منه وشدة الأدب فيه ولو علم أنه قصد سب من في

في آبائه من الأنبياء على علم لقتل وقد يضيق القول في نحو هذا لو قال لرجل
هاشمي لعن الله بني هاشم وقال أردت الظالمين منهم أو قال لرجل من ذرية
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قولا قبيحا في آبائه أو من نسله أو ولده
على علم منه أنه من ذرية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم تكن قرينة في
المسئلتين تقتضي تخصيص بعض آبائه وإخراج النبي صلى الله عليه وسلم
منهم ● وقد رأيت لأبي موسى بن مناس فيمن قال لرجل لعنك الله إلى
آدم أنه إن ثبت ذلك عليه قتل ● قال القاضي أبو الفضل رحمه الله وقد كان
اختلف شيوخنا رحمهم الله فيمن قال لشاهد شهد عليه بشيء ثم قال له
تتهمني فقال له الآخر الأنبياء يتهمون فكيف أنت فكان شيخنا أبو إسحق
بن جعفر يرى قتله لشناعة ظاهر اللفظ ● وقال القاضي أبو محمد بن
منصور يتوقف عن القتل لاحتمال اللفظ عنده أن يكون خبرا عمن اتهمهم
من الكفار ● وأفتى فيها قاضي قرطبة أبو عبد الله بن الحاج بنحو من هذا ●
وشدد القاضي أبو محمد تصفيده وأطال سجنه ثم استحلفه بعد على تكذيب
ما شهد به عليه إذ دخل في شهادة بعض من شهد عليه وهن ثم أطلقه ●
وشاهدت شيخنا القاضي أبا عبد الله بن عيسى أيام قضائه أتي برجل هاتر
رجلا اسمه محمد ثم قصد إلى كلب فضربه برجله وقال له قم يا محمد فأنكر
الرجل أن يكون قال ذلك وشهد عليه لفيف من الناس فأمر به إلى السجن
وتقصى عن حاله وهل يصحب من يستراب بدينه فلما لم يجد عليه
ما يقوي الريبة باعتقاده ضربه بالسوط وأطلقه ● وقد غير عمر بن
الخطاب رضي الله عنه اسم محمد بن زيد بن الخطاب لمثل هذا وذلك أنه سمع
رجلا يسب رجلا اسمه محمد ويقول له فعل الله بك يا محمد وصنع فقال
عمر لابن أخيه محمد بن زيد ألا أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسب بك
والله لا تدعى محمدا ما دمت حيا ● وسماه عبد الرحمن ثم هم بتغيير
أسماء من تسمى بأسماء الأنبياء عليهم السلام إكراما لهم فغير منها أسماء
قوم معروفين ثم ترك إلى هنا ذلك ● فصل الوجه الخامس يقصد نقصا

نسله أو ولده ن

لشناعة ن

بلغ مقابلة

ولا

ولا يذكر عيبا ولا سبا لكنه ينزع بذكر أوصافه أو يستشهد ببعض
أحواله الجائزة عليه في الدنيا على طريق ضرب المثل والحجة لنفسه
أو لغيره على التشبه به أو عند هضيمة نالته أو غضاضة لحقته ليس
على طريق التأسي وطريق التحقيق بل على مقصد الترفيع لنفسه أو
لغيره أو على سبيل التمثيل وعدم التوقير لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم
أو قصد الهزل والتندير بقوله كقول القائل ● إن قيل في السوء فقد
قيل في النبي صلى الله عليه وسلم وإن كذبت فقد كذب الأنبياء وإن
أذنبت فقد أذنبوا أو أنا أسلم من ألسنة الناس ولم يسلم منه أنبياء
الله ورسله أو قد صبرت كما صبر أولو العزم من الرسل أو كصبر أيوب
أو قد صبر نبي الله عن عداه وحلم على أكثر مما صبرت ● وكقول المتنبي
أنا في أمة تداركها الله غريب كصالح في ثمود ● ونحوه من أشعار المتعجرفين
في القول المتساهلين في الكلام كقول المعري ● كنت موسى وافته بنت
شعيب ● غير أن ليس فيكما من فقير ● على أن آخر البيت شديد عند تدبره
وداخل في باب الإزراء والتحقير بالنبي صلى الله عليه وسلم وتفضيل حال غيره عليه
وكذلك قوله ● لولا انقطاع الوحي بعد محمد ● قلنا محمد من أبيه بديل
هو مثله في الفضل إلا أنه ● لم يأته برسالة جبريل ● فصدر هذا البيت
الثاني من هذا الفصل شديد لتشبيهه غير النبي بالنبي صلى الله عليه وسلم
والعجز محتمل لوجهين ● أحدهما أن هذه الفضيلة نقصت الممدوح
والآخر استغناؤه عنها وهذه أشد ونحوه قول الآخر ● وإذا ما رفعت راياته
صفقت بين جناحي جبرين ● وقول الآخر من أهل العصر ● فر من الخلد
واستجار بنا ● فصبر الله قلب رضوان ● وكقول حسان المصيصي من
شعراء الأندلس في محمد بن عباد المعروف بالمعتمد ووزيره أبي بكر بن زيدون
كأن أبا بكر أبو بكر الرضى ● وحسان حسان وأنت محمد ● إلى أمثال هذا
وإنما أكثرنا بشاهدها مع استثقالنا حكايتها لتعريف أمثلتها ولتساهل
كثير من الناس في ولوج هذا الباب الضنك واستخفافهم فادح هذا العبء

بعض ن

أو قصد الهزل أو التندير ن

منهم ن

على ن

في فضله ن

ونحو منه ن

جبريل ن

العي ن

وقلة علمهم بعظيم ما فيه من الوزر وكلامهم منه بما ليس لهم به علم و
يحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ● لا سيما الشعراء وأشدهم فيه
تصريحا وللسانه تسريحا ابن هانئ الأندلسي وابن سليمان المعري بل
قد خرج كثير من كلامهما عن هذا إلى حد الاستخفاف والنقص وصريح
الكفر ● وقد أجبنا عنه وغرضنا الآن الكلام في هذا الفصل الذي
سقناه وأمثلته فإن هذه كلها وإن لم تتضمن سبا ولا أضافت إلى
الأنبياء والملائكة نقصا ولست أعني عجزي بيتي المعري ولا قصد قائلها
إزراء ولا غضا فما وقر النبوة ولا عظم الرسالة ولا عزر حرمة
الاصطفاء ● ولا عزز حظوة الكرامة حتى شبه من شبه في كرامة
نالها أو معرة قصد الانتفاء منها أو ضرب مثلا لتطييب مجلسه أو إغلاء
في وصف لتحسين كلامه بمن عظم الله تعالى خطره وشرف قدره وألزم توقيره
وبره ونهى عن جهر القول له ورفع الصوت عنده فحق هذا إن درئ عنه
القتل الأدب والسجن وقوة تعزيره بحسب شنعة مقاله ومقتضى
قبح ما نطق به ومألوف عادته لمثله أو ندوره وقرينة كلامه أو ندمه
على ما سبق منه ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا ممن جاء به ● و
قد أنكر الرشيد على أبي نواس قوله ● فإن يك باقي سحر فرعون فيكم فإن
عصا موسى بكف خصيب ● وقال له يا ابن اللخناء أنت المستهزئ بعصا
موسى ● وأمر بإخراجه عن عسكره من ليلته ● وذكر القتيبي أن مما أخذ
عليه أيضا وكفر فيه أو قارب قوله في محمد الأمين ● وتشبيهه إياه بالنبي
صلى الله عليه وسلم تنازع الأحمدان الشبه فاشتبها ● خلقا وخلقا كما قد
الشراكان ● وقد أنكروا أيضا قوله في ممدوحه كيف لا يدنيك من أمل
من رسول الله من نفره ● لأن حق الرسول صلى الله عليه وسلم وموجب تعظيمه
وإنافة منزلته أن يضاف إليه ولا يضاف ● فالحكم في هذا ما بسطناه في
طريق الفتيا وعلى هذا المنهج جاءت فتيا إمام مذهبنا مالك بن أنس
وأصحابه ففي النوادر من رواية ابن أبي مريم عنه في رجل عير رجلا بالفقر

فقال تعيرني بالفقر وقد رعى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في غير موضعه أرى
أن يؤدب ● قال ولا ينبغي لأهل الذنوب إذا عوتبوا أن يقولوا قد أخطأت
الأنبياء قبلنا ● وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لرجل انظر لنا كاتبا يكون
أبوه عربيا فقال كاتب له قد كان أبو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كافرا
فقال جعلت هذا مثلا فعزله وقال لا تكتب لي أبدا ● وقد كره سحنون
أن يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم عند التعجب إلا على طريق الثواب والاحتساب
توقيرا له وتعظيما كما أمرنا الله تعالى ● وسئل القابسي عن رجل قال لرجل
قبيح كأنه وجه نكير ولرجل عبوس كأنه وجه مالك الغضبان فقال أي
شيء أراد بهذا ونكير أحد فتاني القبر وهما ملكان فما الذي أراد أروع
دخل عليه حين رآه من وجهه أم عاف النظر إليه لدمامة خلقه فإن
كان هذا فهو شديد لأنه جرى مجرى التحقير والتهوين فهو أشد عقوبة و
ليس فيه تصريح بالسب للملك وإنما السب واقع على المخاطب وفي الأدب
بالسوط والسجن نكال للسفهاء ● قال وأما ذاكر مالك خازن النار
فقد جفا الذي ذكره عندما أنكر من عبوس الآخر إلا أن يكون المعبس له
يد فيرهب بعبسته فيشبهه القائل على طريق الذم لهذا في فعله ولزومه
في ظلمه صفة مالك الملك المطيع لربه في فعله فيقول كأنه لله يغضب
غضب مالك فيكون أخف ● وما كان ينبغي له التعرض لمثل هذا ولو كان
أثنى على العبوس بعبسته واحتج بصفة الملك كان أشد ويعاقب العقوبة
الشديدة وليس في هذا ذم للملك ولو قصد ذمه لقتل ● وقال أبو الحسن
أيضا في شاب معروف بالخير قال لرجل شيئا فقال له الرجل اسكت فإنك
أمي ● فقال الشاب أليس كان النبي صلى الله عليه وسلم أميا فشنع عليه
مقاله وكفره الناس وأشفق الشاب مما قال وأظهر الندم عليه فقال
أبو الحسن أما إطلاق الكفر عليه فخطأ لكنه مخطئ في استشهاده بصفة
النبي صلى الله عليه وسلم ● وكون النبي صلى الله عليه وسلم أميا آية له وكون هذا أميا
نقيصة فيه وجهالة ومن جهالته احتجاجه بصفة النبي صلى الله عليه وسلم لكنه

فقال مالك قد عرض بذكر النبي صلى الله عليه وسلم

إذا استغفر وتاب واعترف ولجأ إلى الله فيترك لأن قوله لا ينتهي
إلى حد القتل وما طريقه الأدب فطوع فاعله بالندم عليه فوجب الكف
عنه ● ونزلت أيضاً مسألة استفتى فيها بعض قضاة الأندلس شيخنا
القاضي أبا محمد بن منصور رحمه الله في رجل تنقصه آخر بشيء فقال إنما
تريد نقصي بقولك وأنا بشر وجميع البشر يلحقهم النقص حتى النبي صلى الله عليه وسلم
فأفتاه بإطالة سجنه وإيجاع أدبه إذ لم يقصد السب وكان بعض فقهاء
الأندلس أفتى بقتله ● **فصل الوجه السادس** أن يقول القائل ذلك حاكياً
عن غيره وآثراً له عن سواه فهذا ينظر في صورة حكايته وقرينة مقالته
ويختلف الحكم باختلاف ذلك على أربعة أوجه الوجوب والندب والكراهة
والتحريم ● فإن كان أخبر به على وجه الشهادة والتعريف بقائله والإنكار
والإعلام بقوله والتنفير منه والتجريح له ● فهذا مما ينبغي امتثاله ويحمد
فاعله ● وكذلك إن حكاه في كتاب أو مجلس على طريق الرد له والنقض على
قائله والفتيا بما يلزمه وهذا منه ما يجب ومنه ما يستحب بحسب حالات الحاكي
لذلك والمحكي عنه ● فإن كان القائل لذلك ممن تصدى لأن يؤخذ عنه العلم
أو رواية الحديث أو يقطع بحكمه أو شهادته أو فتياه في الحقوق وجب على
سامعه الإشادة بما سمع منه ● والتنفير للناس عنه والشهادة عليه
بما قاله ووجب على من بلغه ذلك من أئمة المسلمين إنكاره وبيان كفره
وفساد قوله لقطع ضرره عن المسلمين وقياماً بحق سيد المرسلين ● وكذلك
إن كان ممن يعظ العامة أو يؤدب الصبيان فإن من هذه سريرته لا يؤمن
على إلقاء ذلك في قلوبهم ● فيتأكد في هؤلاء الإيجاب بحق النبي صلى الله عليه وسلم
ولحق شريعته وإن لم يكن القائل بهذه السبيل فالقيام بحق النبي صلى الله عليه وسلم
واجب ● وحماية عرضه متعين ونصرته عن الأذى حياً وميتاً مستحق
على كل مؤمن لكنه إذا قام بهذا من ظهر به الحق وفصلت به القضية وبان به
الأمر سقط عن الباقي الفرض وبقي الاستحباب في تكثير الشهادة وعضد
التحذير منه ● وقد أجمع السلف على بيان حال المتهم في الحديث فكيف بمثل هذا ●

وقد سئل أبو محمد بن أبي زيد عن الشاهد يسمع مثل هذا في حق الله أيسعه
أن لا يؤدي شهادته قال إن رجا نفاذ الحكم بشهادته فليشهد وكذلك إن
علم أن الحاكم لا يرى القتل بما شهد به ويرى الاستتابة والأدب فليشهد و
يلزمه ذلك ● وأما الإباحة لحكاية قوله لغير هذين المقصدين فلا أرى لها
مدخلاً في الباب فليس التفكه بعرض النبي صلى الله عليه وسلم والتمضمض
بسوء ذكره لأحد لا ذاكراً ولا آثراً لغير غرض شرعي بمباح ● وأما للأغراض
المتقدمة فمتردد بين الإيجاب والاستحباب ● وقد حكى الله مقالات المفترين
عليه وعلى رسله في كتابه على وجه الإنكار لقولهم والتحذير من كفرهم
والوعيد عليه والرد عليهم بما تلاه علينا في محكم كتابه ● وكذلك وقع
من أمثاله في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة على الوجوه المتقدمة وأجمع
السلف والخلف من أئمة الهدى على حكايات مقالات الكفرة والملحدين في
كتبهم ومجالسهم ليبينوها للناس وينقضوا شبهها عليهم وإن كان ورد
لأحمد بن حنبل إنكار لبعض هذا على الحارث بن أسد فقد صنع أحمد مثله في
رده على الجهمية والقائلين بالمخلوق ● وهذه الوجوه السائغة الحكاية
عنها فأما ذكرها على غير هذا من حكاية سبه والإزراء بمنصبه صلى الله عليه وسلم
على وجه الحكايات والأسمار والطرف وأحاديث الناس ومقالاتهم في الغث
والسمين ومضاحك المجان ونوادر السخفاء والخوض في قيل وقال وما لا
يعني فكل هذا ممنوع ● وبعضه أشد في المنع والعقوبة من بعض فما كان من
قائله الحاكي له على غير قصد ومعرفة بقدر ما حكاه أو لم يكن عادته أو لم يكن الكلام
من البشاعة حيث هو ولم يظهر على حاكيه استحسانه واستصوابه زجر عن ذلك
ونهي عن العودة إليه وإن قوّم ببعض الأدب فهو مستوجب له وإن كان لفظه
من البشاعة حيث هو كان الأدب أشد ● وقد حكي أن رجلاً سأل مالكاً عمن يقول
أن القرآن مخلوق فقال مالك كافر فاقتلوه فقال إنما حكيته عن غيري
فقال مالك إنما سمعناه منك ● وهذا من مالك رحمه الله على طريق الزجر والتغليظ
بدليل أنه لم ينفذ قتله وإن اتهم هذا الحاكي فيما حكاه أنه اختلقه ونسبه

الى غيره او كانت تلك عادة له او اظهر استحسانه لذلك او كان مولعا
بمثله والاستخفاف له او التحفظ لمثله او طلبه او رواية اشعار هجوه
وسبه صلى الله عليه وسلم فحكم هذا حكم الشاتم نفسه يؤاخذ بقوله ولا تنفعه
نسبته الى غيره فيبادر بقتله ويعجل الى الهاوية امه ● وقد قال ابو عبيد القاسم
بن سلام فيمن حفظ شطر بيت مما هجي النبي صلى الله عليه وسلم فهو كفر ● وقد
ذكر بعض من الف في الاجماع اجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم
وقرائته وكتابه وتركه متى وجد دون محو ● ورحم الله اسلافنا المتقين
المتحرزين لدينهم فقد اسقطوا من احاديث المغازي والسير ما كان هذا سبيله
وتركوا روايته الا اشياء ذكروها يسيرة وغير مستبشعة على نحو الوجوه الاول
ليروا نقمة الله من قائلها واخذه المفترى عليه بذنبه وهذا ابو عبيد القاسم
بن سلام رحمه الله قد تحرى فيما اضطر الى الاستشهاد به من اهاجي اشعار العرب
في كتبه فكنى عن اسم المهجو بوزن اسمه استبراء لدينه وتحفظا من المشاركة
في ذم احد بروايته او نشره فكيف بما يتطرق الى عرض سيد البشر صلى الله عليه وسلم

فصل الوجه الرابع ان يذكر ما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم او يختلف في جوازه عليه
وما يطرء من الامور البشرية به ويمكن اضافتها اليه او يذكر ما امتحن به او
صبر في ذات الله على شدته من مقاساة اعدائه واذاهم له ومعرفة ابتداء حاله
وسيرته وما لقيه من بؤس زمنه ومر عليه من معاناة عيشته كل ذلك على
طريق الرواية ومذاكرة العلم ومعرفة ما صحت منه العصمة للانبياء وما يجوز
عليهم ● فهذا فن خارج عن هذه الفنون الستة اذ ليس فيه غمص ولا نقص ولا
ازراء ولا استخفاف لا في ظاهر اللفظ ولا في مقصد اللافظ لكن يجب ان يكون
الكلام فيه مع اهل العلم وفهماء طلبة الدين ممن يفهم مقاصده ويحققون فوائده
ويجنب ذلك من عساه لا يفقه او يخشى فتنته فقد كره بعض السلف تعليم النساء
سورة يوسف لما انطوت عليه من تلك القصص لضعف معرفتهن وادراكهن ● و
فقد قال صلى الله عليه وسلم مخبرا عن نفسه باستيجاره لرعاية الغنم في ابتداء حاله و
قال ما من نبي الا وقد رعى الغنم ● واخبرنا الله بذلك عن موسى عليه السلام وهذا

لا غضاضة فيه جملة واحدة لمن ذكره على وجهه بخلاف من قصد به الغضاضة
والتحقير بل كانت عادة جميع العرب نعم في ذلك للانبياء حكمة بالغة وتدريج
لله لهم الى كرامته وتدريب برعايتها لسياسة اممهم من خليقته بما سبق
لهم من الكرامة في الازل ومتقدم العلم ● وكذلك قد ذكر الله يتمه و
عيلته على طريق المنة عليه والتعريف بكرامته له صلى الله عليه وسلم فذكر الله
لها على وجه تعريف حاله والخبر عن مبتدئه ● والتعجب من منح الله قبله
وعظيم منته عنده ليس فيه غضاضة بل فيه دلالة على نبوته صلى الله عليه وسلم
وصحة دعوته اذ اظهره الله تعالى بعد هذا على صناديد العرب ومن ناواه من اشرافهم
شيئا فشيئا ونمى امره حتى قهرهم ● وتمكن من ملك مقاليدهم واستباحة
ممالك كثير من الامم غيرهم باظهار الله تعالى له وتاييده بنصره وبالمؤمنين
والف بين قلوبهم وامداده بالملائكة المسومين ولو كان ابن ملك او ذا اشياع
متقدمين لحسب كثير من الجهال ان ذلك موجب ظهوره ومقتضى علوه
● ولهذا قال هرقل حين سأل ابا سفيان عنه هل في آبائه من ملك ثم قال
ولو كان في آبائه ملك قلنا رجل يطلب ملك ابيه واذ اليتم من صفته
واحدى علاماته في الكتب المتقدمة واخبار الامم السالفة ● وكذا
وقع ذكره في كتاب ارميا وبهذا وصفه ابن ذي يزن لعبد المطلب وبحيرا
لابي طالب ● وكذا اذا وصف صلى الله عليه وسلم بانه امي كما وصفه الله
فهي مدحة له وفضيلة ثابتة فيه وقاعدة معجزته اذ معجزته العظمى القرآن
العظيم انما هي متعلقة بطريق المعارف والعلوم مع ما منح صلى الله عليه وسلم
وفضل به من ذلك كما قدمناه في القسم الاول ● ووجود مثل ذلك من رجل
لم يقرأ ولم يكتب ولم يدارس ولا لقن مقتضى العجب ومنتهى العبر ومعجزة
البشر وليس في ذلك نقيصة اذ المطلوب من الكتابة والقراءة المعرفة وانما
هي آلة لها وواسطة موصلة اليها غير مرادة في نفسها فاذا حصلت الثمرة و
المطلوب استغني عن الواسطة والسبب ● والامية في غيره نقيصة لانها
سبب الجهالة وعنوان الغباوة فسبحان من باين امره من امر غيره وجعل

شرفه فيما فيه محطة سواه وحياته فيما فيه هلاك من عداه هذا شق قلبه
واخراج حشوته كان تمام حياته وغاية قوة نفسه وثبات روعه وهو فيمن
سواه منتهى هلاكه وحتم موته وفنائه وهلم جرا الى سائر ما روي من اخباره
وسيره وتقلله من الدنيا ومن الملبس والمطعم والمركب وتواضعه ومهنته
نفسه في اموره وخدمة بيته زهدا ورغبة عن الدنيا وتسويته بين
خطيرها وحقيرها لسرعة فناء امورها وتقلب احوالها كل هذا من فضائله
ومآثره وشرفه صلى الله عليه وسلم كما ذكرناه فمن اورد شيئا منها مورده
وقصد بها مقصده كان حسنا ومن اورد ذلك على غير وجهه وعلم منه بذلك
سوء قصده لحق بالفصول التي قدمناها وكذلك ما ورد من اخباره و
اخبار سائر الانبياء صلى الله على جميعهم في الاحاديث مما في ظاهره اشكال
يقتضي امورا لا تليق بهم بحال وتحتاج الى تاويل وتردد احتمال فلا يجب
ان يتحدث منها الا بالصحيح ولا يروى منها الا المعلوم الثابت ورحم الله
مالكا فلقد كره التحدث بمثل ذلك من الاحاديث الموهمة للتشبيه والمشكلة
المعنى وقال ما يدعوا الناس الى التحدث بمثل هذا فقيل له ان ابن عجلان
يحدث بها فقال لم يكن من الفقهاء وليت الناس وافقوه رحمه الله على
ترك التحدث بها وساعدوه على طيها فاكثرها ليس تحته عمل وقد حكي
عن جماعة من السلف بل عنهم على الجملة انهم كانوا يكرهون الكلام فيما ليس
تحته عمل والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم اوردها على قوم عرب يفهمون كلام
العرب على وجهه وتصرفاتهم في حقيقته ومجازه واستعارته وبليغه وايجازه
فلم تكن في حقهم مشكلة ثم جاء من غلبت عليه العجمة وداخلته الامية
فلا يكاد يفهم من مقاصد العرب الا نصها وصريحها ولا يتحقق اشارتها الى
غرض الايجاز ووحيها وتبليغها وتلويحها فتفرق في تاويلها شذر مذر
فمنهم من آمن به ومنهم من كفر فاما ما لا يصح من هذه الاحاديث فواجب
ان لا يذكر منها شيء في حق الله ولا في حق انبيائه عليهم السلام ولا يتحدث بها
ولا يتكلف الكلام على معانيها والصواب طرحها وترك الشغل بها الا ان

تذكر على وجه التعريف بانها ضعيفة المعاني واهية الاسناد وقد انكر
الاشياخ على ابي بكر بن فورك تكلفه في مشكله الكلام على احاديث ضعيفة
موضوعة لا اصل لها او منقولة عن اهل الكتاب الذين يلبسون الحق
بالباطل كان يكفيه طرحها ويغنيه عن الكلام عليها التنبيه على ضعفها
اذ المقصود بالكلام على مشكل ما فيها ازالة اللبس بها واجتثاثها من
اصلها وطرحها اكشف للبس واشفى للنفس

فصل ومما يجب على المتكلم

فيما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم وما لا يجوز والذاكر من حالاته ما قدمناه في
الفصل قبل هذا على طريق المذاكرة والتعليم ان يلتزم في كلامه عند ذكره عليه السلام
وذكر تلك الاحوال الواجبة من توقيره وتعظيمه ويراقب حال لسانه ولا
يهمله وتظهر عليه علامات الادب عند ذكره فاذا ذكر ما قاساه من الشدائد
ظهر عليه الاشفاق والارتماض على عدوه ومودة الفداء للنبي صلى الله عليه وسلم
لو قدر عليه والنصرة له لو امكنته واذا اخذ في ابواب العصمة وتكلم على
مجاري اعماله واقواله واحواله صلى الله عليه وسلم تحرى احسن اللفظ و
ادب العبارة ما امكنه واجتنب بشيع ذلك وهجر من العبارة ما يقبح
كلفظة الجهل والكذب والمعصية فاذا تكلم في الاقوال قال هل يجوز عليه
الخلف في القول والاخبار بما وقع سهوا او غلطا ونحوه من العبارة ويجتنب
لفظة الكذب جملة واحدة واذا تكلم على العلم قال هل يجوز ان لا يعلم الا
ما علم وهل يمكن ان لا يكون عنده علم من بعض الاشياء حتى يوحى اليه ولا يقول
بجهل لقبح اللفظ وبشاعته واذا تكلم في الافعال قال هل يجوز منه المخالفة
في بعض الاوامر والنواهي ومواقعة الصغائر فهو اولى وآدب من قوله هل يجوز
ان يعصي او يذنب او يفعل كذا وكذا من انواع المعاصي فهذا من حق توقيره
صلى الله عليه وسلم وقد رايت بعض العلماء لم يتحفظ من هذا فقبح منه ولم استصوب
عبارته فيه ووجدت بعض الجائرين قوله لاجل ترك تحفظه في العبارة ما لم
يقله وشنع عليه بما يأباه ويكفر قائله واذا كان مثل هذا بين الناس مستعملا
في ادبهم وحسن معاشرتهم وخطابهم فاستعماله في حقه عليه السلام اوجب والتزا

أكبر من جودة العبادة بقبح الشيء أو غثاثته وتحريرها وتهذيبها بعظيم الأمر أو تهوينه ● ولهذا قال عليه السلام إن من البيان لسحرا ● فأما ما أورده على جهة النفي عنه والتنزيه له عليه السلام فلا حرج في تسريح العبارة وتصريحها فيه ● كقوله لا يجوز عليه الكذب جملة ولا إتيان الكبائر بوجه ولا الجور في الحكم على حال ولكن مع هذا يجب توقيره وتعظيمه وتعزيره عند ذكره مجردا فكيف عند ذكر مثل هذا ● وقد كان السلف تظهر عليهم حالات شديدة عند مجرد ذكره كما قدمناه في القسم الثاني ● وقد كان بعضهم يلتزم مثل ذلك عند تلاوة آي من القرآن ● حكى الله فيها مقال عداه ومن كفر بآياته وافترى عليه الكذب فكان يخفض بها صوته إعظاما لربه وإجلالا وإشفاقا من التشبه بمن كفر به

الباب الثاني في حكم سابّه وشانئه ومنتقصه ومؤذيه وعقوبته وذكر استتابته ووراثته

قال القاضي أبو الفضل رحمه الله تعالى قد قدمنا ما هو سبّ وأذى في حقه عليه السلام وذكرنا إجماع العلماء على قتل فاعل ذلك وقائله وتخيير الإمام في قتله أو صلبه على ما ذكرناه وقررنا الحجج عليه ● وبعد فاعلم أن مشهور مذهب مالك وأصحابه وقول السلف وجمهور العلماء قتله حدا لا كفرا إن أظهر التوبة منه ● ولهذا لا تقبل عندهم توبته ولا تنفعه استقالته ولا فيئته كما قدمناه قبل وحكمه حكم الزنديق ومسر الكفر في هذا القول وسواء كانت توبته على هذا بعد القدرة عليه والشهادة على قوله أو جاء تائبا من قبل نفسه لأنه حد وجب لا تسقطه التوبة ● قال الشيخ أبو الحسن القابسي رحمه الله إذا أقر بالسب وتاب منه وأظهر التوبة قتل بالسب لأنه هو حده ● وقال أبو محمد بن أبي زيد في مثله وأما ما بينه وبين الله فتوبته تنفعه ● وقال ابن سحنون من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من الموحدين ثم تاب عن ذلك لم تزل توبته عنه القتل وكذلك قد اختلف في الزنديق إذا جاء تائبا ● فحكى القاضي أبو الحسن ابن القصار في ذلك قولين قال من شيوخنا من قال أقتله بإقراره لأنه كان يقدر على ستر نفسه فلما اعترف

خففنا

خففنا أنه خشي الظهور عليه فبادر لذلك ومنهم من قال أقبل توبته لأني أستدل على صحتها بمجيئه فكأننا وقفنا على باطنه بخلاف من أسرته البينة ● قال القاضي أبو الفضل رحمه الله وهذا قول أصبغ ومسألة ساب النبي صلى الله عليه وسلم أقوى لا يتصور فيها الخلاف على الأصل المتقدم لأنه حق متعلق للنبي صلى الله عليه وسلم ولأمته بسببه لا تسقطه التوبة كسائر حقوق الآدميين والزنديق إذا تاب بعد القدرة عليه فعند مالك والليث وإسحق وأحمد لا تقبل توبته ● وعند الشافعي تقبل واختلف فيه عن أبي حنيفة وأبي يوسف ● وحكى ابن المنذر عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه يستتاب ● قال محمد بن سحنون ولم يزل القتل عن المسلم بالتوبة من سبه عليه السلام لأنه لم ينتقل من دين إلى غيره وإنما فعل شيئا حده عندنا القتل لا عفو فيه لأحد كالزنديق لأنه لم ينتقل من ظاهر إلى ظاهر ● وقال القاضي أبو محمد بن نصر محتجا لسقوط اعتبار توبته والفرق بينه وبين من سب الله تعالى على مشهور القول باستتابته أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بشر والبشر جنس تلحقهم المعرة إلا من أكرمه الله بنبوته والباري تعالى منزه عن جميع المعايب قطعا ● وليس من جنس تلحق المعرة بجنسه وليس سبه صلى الله عليه وسلم كالارتداد المقبول فيه التوبة لأن الارتداد معنى ينفرد به المرتد لا حق فيه لغيره من الآدميين فقبلت توبته ومن سب النبي صلى الله عليه وسلم تعلق فيه حق لآدمي فكان كالمرتد يقتل حين ارتداده أو يقذف فإن توبته لا تسقط عنه حد القتل والقذف ● وأيضا فإن توبة المرتد إذا قبلت لا تسقط ذنوبه من زنا وسرقة وغيرهما ولم يقتل ساب النبي صلى الله عليه وسلم لكفره لكن لمعنى يرجع إلى تعظيم حرمته وزوال المعرة به وذلك لا تسقطه التوبة ● قال القاضي أبو الفضل يريد والله أعلم لأن سبه لم يكن بكلمة تقتضي الكفر ولكن بمعنى الازدراء والاستخفاف أو لأن بتوبته وإظهار إنابته ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرا والله تعالى أعلم بسريرته وبقي حكم السب

عليه. وقال أبو عمران القابسي من سب النبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتد
عن الإسلام قتل ولم يستتب لأن السب من حقوق الآدميين التي لا
تسقط عن المرتد. وكلام شيوخنا هؤلاء مبني على القول بقتله
حدا لا كفرا وهو يحتاج إلى تفصيل وأما على رواية الوليد بن مسلم عن مالك
ومن وافقه على ذلك ممن ذكرناه وقال به من أهل العلم فقد صرحوا
أنه ردة ويستتاب منها فإن تاب نكل وإن أبى قتل فحكم له بحكم المرتد
مطلقا في هذا الوجه. والوجه الأول أشهر وأظهر لما قدمناه ونحن نبسط
الكلام فيه. فنقول من لم يره ردة فهو يوجب القتل فيه حدا وإنما
يقول ذلك مع فصلين. إما مع إنكاره ما شهد عليه به أو إظهاره
الإقلاع والتوبة عنه فنقتله حدا لثبات كلمة الكفر عليه في حق النبي صلى الله عليه وسلم
وتحقيره ما عظم الله من حقه وأجرينا حكمه في ميراثه حكم الزنديق
إذا ظهر عليه وأنكر أو تاب. فإن قلت فكيف تثبتون عليه الكفر
ويشهد عليه بكلمة الكفر ولا تحكمون عليه بحكمه مع الاستتابة وتوابعها
قلنا نحن وإن أثبتنا له حكم الكافرين في القتل فلا نقطع عليه بذلك
لإقراره بالتوحيد والنبوة. وإنكاره ما شهد عليه به أو زعمه أن ذلك
كان منه وهلا ومعصية وأنه مقلع عن ذلك ونادم عليه ولا يمتنع
إثبات بعض أحكام الكفر على بعض الأشخاص وإن لم تثبت له خصائصه
كقتل تارك الصلاة. وأما من علم منه أنه سبه عليه السلام معتقدا لاستحلاله
فلا شك في كفره بذلك وكذلك إن كان سبه في نفسه كفرا كتكذيبه أو تكفيره
ونحوه. فهذا مما لا إشكال فيه ويقتل وإن تاب منه لأنا لا نقبل توبته ونقتله
بعد التوبة حدا لقوله ومتقدم كفره وأمره بعد إلى الله المطلع على صحة
إقلاعه العالم بسره. وكذلك من لم يظهر التوبة واعترف بما شهد
به عليه وصمم عليه فهذا كافر بقوله وباستحلاله هتك حرمة الله تعالى
وحرمة نبيه صلى الله عليه وسلم يقتل كافرا بلا خلاف فعلى هذه التفصيلات خذ
كلام العلماء ونزل مختلف عباراتهم في الاحتجاج عليها وأجر اختلافهم في

الموارثة وغيرها على ترتيبها يتضح لك مقاصدهم إن شاء الله. **فصل**
إذا قلنا بالاستتابة حيث تصح فالاختلاف فيها على الاختلاف في توبة
المرتد إذ لا فرق وقد اختلف السلف في وجوبها وصورتها ومدتها
فذهب جمهور أهل العلم إلى أن المرتد يستتاب. وحكى ابن القصار
أنه إجماع من الصحابة على تصويب قول عمر رضي الله عنه في الاستتابة ولم ينكره
واحد منهم وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود وبه قال عطاء بن أبي
رباح والنخعي والثوري ومالك وأصحابه والأوزاعي والشافعي وأحمد بن
حنبل وإسحاق وأصحاب الرأي وذهب طاوس وعبيد بن عمير والحسن
في إحدى الروايتين عنه أنه لا يستتاب. وقاله عبد العزيز بن أبي سلمة
وذكره عن معاذ وأنكره سحنون عن معاذ وحكاه الطحاوي عن أبي يوسف
وهو قول أهل الظاهر قالوا وتنفعه توبته عند الله ولكن لا ندرأ القتل عنه
صلى الله عليه وسلم فاقتلوه. وحكي أيضا عن عطاء إن كان ممن ولد
في الإسلام لم يستتب ويستتاب الإسلامي وجمهور العلماء على أن
المرتد والمرتدة في ذلك سواء. وروي عن علي رضي الله عنه لا تقتل المرتدة
وتسترق وقاله عطاء وقتادة. وروي عن ابن عباس لا تقتل النساء
في الردة. وبه قال أبو حنيفة قال مالك والحر والعبد والذكر والأنثى
في ذلك سواء وأما مدتها فمذهب الجمهور وروي عن عمر رضي الله عنه وهو أحد
قولي الشافعي وقول أحمد وإسحاق واستحسنه مالك وقال لا يأتي الاستظهار
إلا بخير وليس عليه جماعة الناس. قال الشيخ أبو محمد بن أبي زيد في
الاستيناء ثلاثا. وقال مالك أيضا الذي آخذ به في المرتد قول عمر رضي الله عنه
يحبس ثلاثة أيام ويعرض عليه كل يوم فإن تاب وإلا قتل. وقال أبو الحسن
بن القصار في تأخيره ثلاثا روايتان عن مالك هل ذلك واجب أو مستحب واستحسن
الاستتابة والاستيناء ثلاثا أصحاب الرأي. وروي عن أبي بكر الصديق
رضي الله عنه أنه استتاب امرأة فلم تتب فقتلها. وقاله الشافعي رحمه الله مرة
فقال إن لم يتب قتل مكانه واستحسنه المزني. وقال الزهري يدعى إلى

الاسلام ثلاث مرات فان ابى قتل ● وروى عن علي رضي الله عنه يستتاب
شهرين ● وقال النخعي يستتاب ابدا وبه اخذ الثوري ما رجيت توبته
وحكى ابن القصار عن ابي حنيفة رحمه الله انه يستتاب ثلاث مرات في ثلاثة ايام
او ثلاث جمع في كل يوم او جمعة مرة ● وفي كتاب محمد عن ابن القاسم يدعى
المرتد الى الاسلام ثلاث مرات فان ابى ضربت عنقه ● واختلف على
هذا هل يهدد او يشدد عليه ايام الاستتابة ليتوب ام لا فقال مالك
ما علمت في الاستتابة تجويعا ولا تعطيشا ويؤتى من الطعام بما لا يضره
● وقال اصبغ يخوف ايام الاستتابة بالقتل ويعرض عليه الاسلام ● و
في كتاب ابي الحسن الطابثي يوعظ في تلك الايام ويذكر بالجنة ويخوف بالنار
● قال اصبغ واي المواضع حبس فيها من السجون مع الناس او وحده اذا
استوثق منه سواء ويوقف ماله اذا خيف ان يتلفه على المسلمين
ويطعم منه ويسقى وكذلك يستتاب ابدا كلما رجع وارتد ● وقد استتاب
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نبهان الذي ارتد اربع مرات او خمسا ● قال ابن
وهب عن مالك يستتاب ابدا كلما رجع وهو قول الشافعي واحمد وقاله ابن
القاسم ● وقال اسحق يقتل في الرابعة وقال اصحاب الراي ان لم يتب في الرابعة
قتل دون استتابة وان تاب ضرب ضربا وجيعا ولم يخرج من السجن حتى
يظهر عليه خشوع التوبة ● قال ابن المنذر ولا نعلم احدا اوجب على المرتد
في المرة الاولى ادبا اذا رجع وهو على مذهب مالك والشافعي والكوفي رحمهم الله

فصل قال القاضي ابو الفضل رحمه الله هذا حكم من ثبت عليه ذلك بما يجب
ثبوته من اقرار او عدول لم يدفع فيهم فاما من لم تتم الشهادة عليه بما شهد
عليه الواحد او اللفيف من الناس او ثبت قوله لكن احتمل ولم يكن صريحا
وكذلك ان تاب على القول بقبول توبته ● فهذا يدرأ عنه القتل ويتسلط
عليه اجتهاد الامام بقدر شهرة حاله وقوة الشهادة عليه وضعفها و
كثرة السماع عنه وصورة حاله من التهمة في الدين والنبز بالسفه والمجون
فمن قوي امره اذاقه من شديد النكال من التضييق في السجن والشد في القيود

الى الغاية التي هي منتهى طاقته مما لا يمنعه عن القيام لضرورته ولا يقعده
عن صلاته وهو حكم كل من وجب عليه القتل لكن وقف على قتله لمعنى اوجبه
وتربص به لاشكال وعائق اقتضاه امره وحالات الشدة عليه في نكاله تختلف
بحسب اختلاف حاله ● وقد روى الوليد عن مالك والاوزاعي
انها ردة فاذا تاب نكل ولمالك في العتبية وكتاب محمد من رواية اشهب
اذا تاب المرتد فلا عقوبة عليه وقاله سحنون ● وافتى ابو عبد الله بن
عتاب فيمن سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فشهد عليه شاهدان عدل
احدهما بالادب الموجع والتنكيل والسجن الطويل حتى تظهر توبته ● وقال
القابسي في مثل هذا ومن كان اقصى امره القتل فعاق عائق اشكل في القتل
لم ينبغ ان يطلق من السجن ويستطال سجنه ولو كان فيه من المدة ما عسى
ان يقيم ويحمل عليه من القيد ما يطيق ● وقال في مثله ممن اشكل امره
يشد في القيود شدا ويضيق عليه في السجن حتى ينظر فيما يجب عليه ●
وقال في مسئلة اخرى مثلها ولا تهراق الدماء الا بالامر الواضح وفي الادب
بالسوط والسجن نكال للسفهاء ويعاقب عقوبة شديدة ● فاما ان
لم يشهد عليه سوى شاهدين فاثبت من عداوتهما او جرحتهما ما اسقطهما
عنه ولم يسمع ذلك من غيرهما فامره اخف لسقوط الحكم عنه وكانه لم
يشهد عليه الا ان يكون ممن يليق به ذلك ويكون الشاهدان من اهل التبريز
فاسقطهما بعداوة فهو وان لم ينفذ الحكم عليه بشهادتهما فلا يدفع الظن
صدقهما وللحاكم هنا في تنكيله موضع اجتهاد والله تعالى ولي الارشاد **فصل**

هذا حكم المسلم فاما الذمي اذا صرح بسبه او عرض او استخف بقدره
صلى الله عليه وسلم او وصفه بغير الوجه الذي كفر به فلا خلاف عندنا في قتله
ان لم يسلم لانا لم نعطه الذمة والعهد على هذا وهو قول عامة العلماء الا ابا حنيفة
والثوري واتباعهما من اهل الكوفة فانهم قالوا لا يقتل ما هو عليه من الشرك
اعظم ● ولكن يؤدب ويعزر واستدل بعض شيوخنا على قتله بقوله تعالى
وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر ● ويستدل

عليه أيضاً بقتل النبي صلى الله عليه وسلم لابن الأشرف وأشباهه ولأنا لم نعاهدهم
ولم نعطهم الذمة على هذا ● ولا يجوز لنا أن نفعل ذلك معهم فإذا أتوا ما
لم يعطوا عليه العهد ولا الذمة فقد نقضوا ذمتهم وصاروا كفاراً أهل حرب
يقتلون لكفرهم ● وأيضاً فإن ذمتهم لا تسقط حدود الإسلام عنهم
من القطع في سرقة أموالهم والقتل لمن قتلوه منهم وإن كان ذلك حلالاً
عندهم ● فكذلك سبهم للنبي صلى الله عليه وسلم يقتلون به ● ووردت لأصحابنا
ظواهر تقتضي الخلاف إذا ذكره الذمي بالوجه الذي كفر به ستقف عليها من كلام
ابن القاسم وابن سحنون بعد ● وحكى أبو مصعب الخلاف فيها عن أصحابه
المدنيين ● واختلفوا إذا سبه ثم أسلم فقيل يسقط إسلامه قتله لأن
الإسلام يجب ما قبله بخلاف المسلم إذا سبه ثم تاب لأنا نعلم باطنه الكافر
في بغضه له عليه السلام وتنقصه بقلبه لكنا منعناه من إظهاره فلم يزدنا ما أظهره
إلا مخالفة للأمر ونقضاً للعهد ● فإذا رجع عن دينه الأول إلى الإسلام سقط
ما قبله ● قال الله تعالى قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والمسلم
بخلافه إذ كان ظننا بباطنه حكم ظاهره وخلاف ما بدا منه الآن فلم نقبل
بعد رجوعه ولا استنمنا إلى باطنه إذ قد بدت سرائره وما ثبت عليه من الأحكام
باقية عليه لم يسقطها شيء ● وقيل لا يسقط إسلام الذمي الساب قتله
لأنه حق للنبي صلى الله عليه وسلم وجب عليه لانتهاكه حرمته وقصده
إلحاق النقيصة والمعرة به فلم يكن رجوعه إلى الإسلام بالذي يسقطه
كما وجب عليه من حقوق المسلمين من قبل إسلامه من قتل وقذف وإذا كنا
لا نقبل توبة المسلم فأن لا نقبل توبة الكافر أولى ● قال مالك في كتاب
ابن حبيب والمبسوط وابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم وأصبغ
فيمن شتم نبينا صلى الله عليه وسلم من أهل الذمة أو أحداً من الأنبياء عليهم السلام
قتل إلا أن يسلم وقاله ابن القاسم في العتبية وعند محمد وابن سحنون
وقال سحنون وأصبغ لا يقال له أسلم ولا لا تسلم ولكن إن أسلم فذلك له توبة
● وفي كتاب محمد أخبرنا أصحاب مالك أنه قال من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم

أو غيره من النبيين من مسلم أو كافر قتل ولم يستتب ● وروي لنا عن
مالك إلا أن يسلم الكافر وقد روى ابن وهب عن ابن عمر أن راهباً تناول
النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابن عمر فهلا قتلتموه ● وروى عيسى
عن ابن القاسم في ذمي قال إن محمداً لم يرسل إلينا إنما أرسل إليكم وإنما
نبينا موسى أو عيسى أو نحو هذا لا شيء عليه لأن الله تعالى أقرهم على مثله
● وأما إن سبه فقال ليس بنبي أو لم يرسل أو لم ينزل عليه قرآن
وإنما هو شيء تقوله أو نحو هذا فيقتل ● قال ابن القاسم وإذا قال
النصراني ديننا خير من دينكم إنما دينكم دين الحمير ونحو هذا أو سمع
المؤذن يقول أشهد أن محمداً رسول الله فقال كذلك يعطيكم الله ففي
هذا الأدب الموجع والسجن الطويل ● قال وأما من شتم النبي صلى الله عليه وسلم
شتماً يعرف فإنه يقتل إلا أن يسلم قاله مالك غير مرة ولم يقل يستتاب
● قال ابن القاسم ومحمل قوله عندي إن أسلم طائعاً وقال ابن سحنون في
سؤالات سليمان بن سالم في اليهودي يقول للمؤذن إذا تشهد كذبت يعاقب
العقوبة الموجعة مع السجن الطويل ● وفي النوادر من رواية سحنون
عنه من شتم الأنبياء من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا
ضربت عنقه إلا أن يسلم ● وقال محمد بن سحنون فإن قيل لم قتلته
في سب النبي صلى الله عليه وسلم ومن دينه سبه وتكذيبه ● قيل لأنا لم
نعطهم العهد على ذلك ولا على قتلنا وأخذ أموالنا فإذا قتل واحداً منا قتلناه
وإن كان من دينه استحلاله فكذلك إظهاره لسب النبي صلى الله عليه وسلم ●
قال سحنون كما لو بذل أهل الحرب الجزية على إقرارهم على سبه صلى الله عليه وسلم
لم يجز لنا ذلك في قول قائل كذلك ينتقض عهد من سب منهم ويحل لنا
دمه وكما لم يحصن الإسلام من سبه من القتل كذلك لا تحصنه الذمة ● قال
القاضي أبو الفضل رحمه الله ما ذكره ابن سحنون عن نفسه وعن أبيه مخالف لقول
ابن القاسم فيما خفف عقوبتهم فيه مما به كفروا فتأمله ويدل على أنه خلاف
ما روي عن المدنيين في ذلك ● فحكى أبو المصعب الزهري قال أتيت بنصراني

قال والذي اصطفى عيسى على محمد صلى الله عليهما وسلم فاختلف على قتله فضربته
حتى قتلته أو عاش يوما وليلة وأمرت من جر برجله وطرح على مزبلة
فأكلته الكلاب ● وسئل أبو مصعب عن نصراني قال عيسى خلق محمدا صلى الله عليهما وسلم
فقال يقتل ● وقال ابن القاسم سألنا مالكا عن نصراني بمصر شهد عليه
أنه قال مسكين محمد صلى الله عليه وسلم يخبركم أنه في الجنة فهو الآن في الجنة
ما له لم ينفع نفسه إذ كانت الكلاب تأكل ساقيه لو قتلوه استراح منه
الناس ● قال مالك أرى أن تضرب عنقه قال ولقد كدت أن لا أتكلم فيها
بشيء ثم رأيت أنه لا يسعني الصمت ● قال ابن كنانة في المبسوطة من شتم
النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى فأرى للإمام أن يحرقه بالنار
وإن شاء قتله ثم حرق جثته وإن شاء أحرقه بالنار حيا إذا تهافتوا
في سبه عليه السلام ● ولقد كتب إلى مالك من مصر وذكر مسئلة ابن القاسم
المتقدمة قال فأمرني مالك فكتبت إليه بأن يقتل وأن تضرب عنقه
فكتبت ثم قلت يا أبا عبد الله وأكتب ثم يحرق بالنار فقال إنه لحقيق
بذلك وما أولاه به فكتبته بيدي بين يديه فما أنكره ولا عابه ونفذت
الصحيفة بذلك فقتل وحرق ● وأفتى عبيد الله بن يحيى وابن لبابة في
جماعة سلف أصحابنا الأندلسيين بقتل نصرانية استهلت بنفي الربوبية
وبنبوة عيسى لله وتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم في النبوة وبقبول
إسلامها ودرء القتل عنها به ● قال غير واحد من المتأخرين منهم القابسي
وابن الكاتب وقال أبو القاسم ابن الجلاب في كتابه من سب الله ورسوله
من مسلم أو كافر قتل ولا يستتاب ● وحكى القاضي أبو محمد في الذمي يسب
روايتين في درء القتل عنه بإسلامه ● وقال ابن سحنون وحد القذف و
شبهه من حقوق العباد لا يسقط عن الذمي إسلامه وإنما يسقط عنه بإسلامه
حدود الله ● فأما حد القذف فحق للعباد كان ذلك من نبي أو غيره فأوجب
على الذمي إذا قذف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أسلم حد القذف ولكن انظر
ماذا يجب عليه هل حد القذف في حق النبي صلى الله عليه وسلم وهو القتل لزيادة حرمة

النبي صلى الله عليه وسلم على غيره أم هل يسقط بإسلامه ويحد ثمانين
فتأمله ●

فصل في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم

اختلف العلماء في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فذهب سحنون إلى أنه لجماعة المسلمين من قبل أن شتم النبي صلى الله عليه وسلم
كفر يشبه كفر الزندقة ● وقال أصبغ ميراثه لورثته من المسلمين إن كان
مستسرا بذلك وإن كان مظهرا له مستهلا به فميراثه للمسلمين ويقتل على كل
حال ولا يستتاب ● قال أبو الحسن القابسي إن قتل وهو منكر للشهادة
عليه فالحكم في ميراثه على ما أظهر من إقراره يعني لورثته والقتل حد
ثبت عليه ليس من الميراث في شيء ● وكذلك لو أقر بالسب وأظهر
التوبة لقتل إذ هو حده وحكمه في ميراثه وأنسابه وسائر أحكامه حكم الإسلام
ولو أقر بالسب وتمادى عليه وأبى التوبة منه فقتل على ذلك كان كافرا
وميراثه للمسلمين ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن وتستر عورته و
يوارى كما يفعل بالكفار ● وقول الشيخ أبي الحسن في المجاهر المتمادي بين
لا يمكن الخلاف فيه لأنه كافر مرتد غير تائب ولا مقلع وهو مثل قول
أصبغ ● وكذلك في كتاب ابن سحنون في الزنديق يتمادى على قوله ومثله
لابن القاسم في العتبية ولجماعة من أصحاب مالك في كتاب ابن حبيب فيمن
أعلن كفره مثله ● قال ابن القاسم وحكمه حكم المرتد لا يرثه ورثته من
المسلمين ولا من أهل الدين الذي ارتد إليه ولا يجوز وصاياه ولا عتقه ●
وقاله أصبغ قتل على ذلك أو مات عليه ● وقال أبو محمد بن أبي زيد وإنما
يختلف في ميراث الزنديق الذي يستهل بالتوبة فلا تقبل منه ● فأما المتمادي
فلا خلاف أنه لا يورث ● وقال أبو محمد فيمن سب الله ثم مات ولم تعد عليه
بينة أو لم تقبل إنه يصلى عليه ● وروى أصبغ عن ابن القاسم في كتاب ابن
حبيب فيمن كذب برسول الله صلى الله عليه وسلم أو أعلن دينا مما يفارق به
الإسلام أن ميراثه للمسلمين وقال بقول مالك إن ميراث المرتد للمسلمين
ولا ترثه ورثته ربيعة والشافعي وأبو ثور وابن أبي ليلى ● واختلف فيه

عن أحمد وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وابن مسعود وابن المسيب والحسن والشعبي وعمر بن عبد العزيز والحكم والأوزاعي والليث وإسحق وأبو حنيفة يرثه ورثته من المسلمين وقيل ذلك فيما كسبه قبل ارتداده وما يكسبه في الارتداد للمسلمين قال القاضي أبو الفضل رحمه الله وتفصيل أبي الحسن في باب جوابه حسن بين وهو على رأي أصبغ وخلاف قول سحنون واختلافهما على قولي مالك في ميراث الزنديق فمرة ورثه ورثته من المسلمين قامت عليه بذلك بينة فأنكرها أو اعترف بذلك وأظهر التوبة وقاله أصبغ ومحمد بن مسلمة وغير واحد من أصحابه لأنه مظهر للإسلام بإنكاره أو توبته وحكمه حكم المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وروى ابن نافع عنه في العتبية وكتاب محمد أن ميراثه لجماعة المسلمين لأن ماله تبع لدمه وقال به أيضا جماعة من أصحابه وقاله أشهب والمغيرة وعبد الملك ومحمد بن سحنون وذهب ابن القاسم في العتبية إلى أنه إن اعترف بما شهد عليه به وتاب وقتل فلا يورث وإن لم يقر حتى قتل أو مات ورث قال وكذلك كل من أسر كفرا فإنهم يتوارثون بوراثة الإسلام وسئل أبو القاسم بن الكاتب عن النصراني يسب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيقتل هل يرثه أهل دينه أم المسلمون فأجاب أنه للمسلمين ليس على جهة الميراث لأنه لا توارث بين أهل ملتين ولكن لأنه من فيئهم لنقضه العهد هذا معنى قوله واختصاره والله الموفق للصواب

الباب الثالث في حكم من سب الله تعالى وملائكته وأنبياءه وكتبه وآل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأزواجه وصحبه رضي الله عنهم أجمعين

قال القاضي أبو الفضل رحمه الله تعالى لا خلاف أن ساب الله تعالى من المسلمين كافر حلال الدم واختلف في استتابته فقال ابن القاسم في المبسوط وفي كتاب ابن سحنون ومحمد ورواه ابن القاسم عن مالك في كتاب إسحق بن يحيى من سب الله من المسلمين قتل ولم يستتب إلا أن يكون افتراء على الله عز وجل بارتداده إلى دين دان به وأظهره فيستتاب وإن لم يظهره لم يستتب

وقال في المبسوطة مطرف وعبد الملك مثله وقال المخزومي ومحمد بن مسلمة وابن أبي حازم لا يقتل المسلم بالسب حتى يستتاب وكذلك اليهودي والنصراني فإن تابوا قبل منهم وإن لم يتوبوا قتلوا ولا بد من الاستتابة وذلك كله كالردة وهو الذي حكاه القاضي ابن نصر عن المذهب وأفتى أبو محمد بن أبي زيد فيما حكي عنه في رجل لعن رجلا ولعن الله فقال إنما أردت أن ألعن الشيطان فزل لساني فقال يقتل بظاهر كفره ولا يقبل عذره وأما فيما بينه وبين الله فمعذور واختلف فقهاء قرطبة في مسألة هرون بن حبيب أخي عبد الملك الفقيه وكان ضيق الصدر كثير التبرم وكان قد شهد عليه بشهادات منها أنه قال عند استقلاله من مرض لقيت في مرضي هذا ما لو قتلت أبا بكر وعمر رضي الله عنهما لم أستوجب هذا كله فأفتى إبرهيم بن حسين بن خالد بقتله وأن مضمن قوله تجوير لله تعالى وتظلم منه والتعريض فيه كالتصريح وأفتى أخوه عبد الملك بن حبيب وإبرهيم بن حسين بن عاصم وسعيد بن سليمان القاضي بطرح القتل عنه إلا أن القاضي رأى عليه التثقيل في الحبس والشدة في الأدب لاحتمال كلامه وصرفه إلى التشكي فوجه من قال في ساب الله بالاستتابة أنه كفر وردة محضة لم يتعلق بها حق لغير الله فأشبه قصد الكفر بغير سب الله تعالى وإظهار الانتقال إلى دين آخر من الأديان المخالفة للإسلام ووجه ترك استتابته أنه لما ظهر منه ذلك بعد إظهار الإسلام قبل اتهمناه وظننا أن لسانه لم ينطق به إلا وهو معتقد له إذ لا يتساهل في هذا أحد فحكم له بحكم الزنديق ولم تقبل توبته وإذا انتقل من دين إلى آخر وأظهر السب بمعنى الارتداد فهذا قد أعلم أنه خلع ربقة الإسلام من عنقه بخلاف الأول المتمسك به وحكم هذا حكم المرتد يستتاب على مشهور مذاهب أكثر العلماء وهو مذهب مالك وأصحابه على ما بيناه قبل وذكرنا الخلاف في فصوله

فصل وأما من أضاف إلى الله ما لا يليق به ليس على طريق السب ولا الردة وقصد الكفر ولكن على طريق التأويل

وَالاجتهادِ والخطاءِ المفضي الى الهوى والبدعة من تشبيه او نعت بجارحة او صفة كمال ● فهذا مما اختلف السلف والخلف في تكفير قائله ومعتقده واختلف قول مالك واصحابه في ذلك ولم يختلفوا في قتالهم اذا تحيزوا فئة وانهم يستتابون فان تابوا والا قتلوا ● وانما اختلفوا في المنفرد منهم فاكثر قول مالك واصحابه ترك القول بتكفيرهم وترك قتلهم والمبالغة في عقوبتهم واطالة سجنهم حتى يظهر اقلاعهم وتستبين توبتهم كما فعل عمر رضي الله عنه بصبيغ ● وهذا قول محمد بن المواز في الخوارج وعبد الملك بن الماجشون وقول سحنون في جميع اهل الاهواء وبه فسر قول مالك في الموطأ وما رواه عن عمر بن عبد العزيز وجده وعمه من قولهم في القدرية يستتابون فان تابوا والا قتلوا ● وقال عيسى عن ابن القاسم في اهل الاهواء من الاباضية والقدرية وشبههم ممن خالف الجماعة من اهل البدع والتحريف لتأويل كتاب الله تعالى يستتابون اظهروا ذلك او اسروه فان تابوا والا قتلوا وميراثهم لورثتهم ● وقال مثله ايضا ابن القاسم في كتاب محمد في اهل القدر وغيرهم قال واستتابتهم ان يقال لهم اتركوا ما انتم عليه ● ومثله له في المبسوط في الاباضية والقدرية واهل البدع قال وهم مسلمون وانما قتلوا لرأيهم السوء قال وبهذا عمل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ● قال ابن القاسم من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليما استتيب فان تاب والا قتل وابن حبيب وغيره من اصحابنا يرى تكفيرهم وتكفير امثالهم من الخوارج والمرجئة والقدرية ● وقد روي ايضا عن سحنون مثله فيمن قال ليس لله كلام انه كافر واختلفت الروايات عن مالك فاطلق في رواية الشاميين ابي مسهر ومروان بن محمد الطاطري الكفر عليهم ● وقد شوور في زواج القدري فقال لا تزوجه قال الله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك ● وروي عنه ايضا اهل الاهواء كلهم كفار وقال ومن وصف شيئا من ذات الله تعالى واشار الى شيء من جسده يد او سمع او بصر قطع ذلك منه لانه شبه الله بنفسه ● وقال فيمن قال القرآن مخلوق

كافر فاقتلوه ● وقال ايضا في رواية ابن نافع يجلد ويوجع ضربا ويحبس حتى يتوب وفي رواية بشر بن بكر التنيسي عنه يقتل ولا تقبل توبته قال القاضي ابو عبد الله البرنكاني والقاضي ابو عبد الله التستري من ائمة العراقيين جوابه مختلف يقتل المستبصر الداعية وعلى هذا الخلاف اختلف قوله في اعادة الصلوة خلفهم ● وحكى ابن المنذر عن الشافعي رحمه الله لا يستتاب القدري واكثر اقوال السلف تكفيرهم وممن قال به الليث وابن عيينة وابن لهيعة روي عنهم ذلك فيمن قال بخلق القرآن ● وقاله ابن المبارك والاودي ووكيع وحفص بن غياث وابو اسحق الفزاري وهشيم وعلي بن عاصم في آخرين وهو من قول اكثر المحدثين والفقهاء والمتكلمين فيهم وفي الخوارج والقدرية واهل الاهواء المضلة واصحاب البدع المتأولين وهو قول احمد بن حنبل وكذلك قالوا في الواقفة والشاكة في هذه الاصول ● وممن روي عنه معنى القول الآخر بترك تكفيرهم علي بن ابي طالب وابن عمر رضي الله عنهم والحسن البصري وهو رأي جماعة من الفقهاء النظار والمتكلمين واحتجوا بتوريث الصحابة والتابعين ورثة اهل حروراء ومن عرف بالقدر ممن مات منهم ودفنهم في مقابر المسلمين وجري احكام الاسلام عليهم ● قال اسمعيل القاضي وانما قال مالك في القدرية وسائر اهل البدع يستتابون فان تابوا والا قتلوا لانه من الفساد في الارض كما قال في المحارب ان رأى الامام قتله وان لم يقتل قتله وفساد المحارب انما هو في الاموال ومصالح الدنيا ● وان كان قد يدخل ايضا في امر الدين من سبيل الحج والجهاد وفساد اهل البدع معظمه على الدين وقد يدخل في امر الدنيا بما يلقون بين المسلمين من العداوة

فصل في تحقيق القول في اكفار

المتأولين قد ذكرنا مذاهب السلف رحمهم الله في اكفار اصحاب البدع والاهواء المتأولين ممن قال قولا يؤديه مساقه الى كفر هو اذا وقف عليه لا يقول بما يؤديه قوله اليه وعلى اختلافهم اختلف الفقهاء و

المتكلمون في ذلك فمنهم من صوب التكفير الذي قال به الجمهور من السلف
ومنهم من أباه ولم ير إخراجهم من سواد المؤمنين وهو قول أكثر
الفقهاء والمتكلمين وقالوا هم فساق عصاة ضلال ونوارثهم من
المسلمين ونحكم لهم بأحكامهم ● ولهذا قال سحنون لا إعادة على من
صلى خلفهم ● قال وهو قول جميع أصحاب مالك منهم المغيرة وابن
كنانة وأشهب قال لأنه مسلم وذنبه لم يخرجه من الإسلام واضطرب
آخرون في ذلك ووقفوا عن القول بالتكفير أو ضده ● واختلاف
قولي مالك في ذلك وتوقفه عن إعادة الصلاة خلفهم منه وإلى نحو
من هذا ذهب القاضي أبو بكر إمام أهل التحقيق والحق وقال إنها من المعوصات
إذ القوم لم يصرحوا باسم الكفر ● وإنما قالوا قولاً يؤدي إليه واضطرب
قوله في المسألة على نحو اضطراب قول إمامه مالك بن أنس حتى قال
في بعض كلامه إنهم على رأي من كفرهم بالتأويل لا تحل مناكحتهم ولا
أكل ذبائحهم ولا الصلاة على ميتهم ويختلف في موارثتهم على الاختلاف
في ميراث المرتد ● وقال أيضاً نورث ميتهم ورثتهم من المسلمين
ولا نورثهم هم من المسلمين وأكثر ميله إلى ترك التكفير بالمآل ●
وكذلك اضطرب فيه قول شيخه أبي الحسن الأشعري وأكثر قوله ترك
التكفير وأن الكفر خصلة واحدة وهو الجهل بوجود الباري عز وجل
● وقال مرة من اعتقد أن الله جسم أو المسيح أو بعض من يلقاه
في الطرق فليس بعارف به ولمثل هذا ذهب أبو المعالي رحمه الله في أجوبته
لأبي محمد عبد الحق وكان سأله عن المسألة فاعتذر له بأن الغلط
فيها يصعب لأن إدخال كافر في الملة أو إخراج مسلم عنها عظيم في الدين
● وقال غيرهما من المحققين الذي يجب الاحتراز من التكفير في أهل
التأويل فإن استباحة دماء المصلين الموحدين خطر والخطأ في ترك
ألف كافر أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم واحد ● وقد
قال صلى الله عليه وسلم فإذا قالوها يعني الشهادة فقد عصموا مني دماءهم

وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله تعالى فالعصمة مقطوع بها مع الشهادة
ولا ترتفع ويستباح خلافها إلا بقاطع ولا قاطع من شرع ولا قياس
عليه وألفاظ الأحاديث الواردة في الباب معترضة للتأويل فما جاء
منها في التصريح بكفر القدرية ● وقوله لا سهم لهم في الإسلام
وتسميته الرافضة بالشرك وإطلاق اللعنة عليهم وكذلك في الخوارج
وغيرهم من أهل الأهواء فقد يحتج بها من يقول بالتكفير ● وقد يجيب
الآخر عنها بأنه قد ورد مثل هذه الألفاظ في الحديث في غير الكفرة على
طريق التغليظ وكفر دون كفر وإشراك دون إشراك ● وقد ورد
مثله في الرياء وعقوق الوالدين والزوج وغير معصية وإذا كان
محتملاً للأمرين فلا يقطع على أحدهما إلا بدليل قاطع ● وقوله في
الخوارج هم من شر البرية وهذه صفة الكفار ● وقال شر قتيل تحت
أديم السماء طوبى لمن قتلهم أو قتلوه ● وقال فإذا وجدتموهم
فاقتلوهم قتل عاد وظاهر هذا الكفر لا سيما مع تشبيههم بعاد فيحتج
به من يرى تكفيرهم ● فيقول له الآخر إنما ذلك من قتلهم لخروجهم
على المسلمين وبغيهم عليهم بدليله من الحديث نفسه يقتلون أهل
الإسلام فقتلهم ههنا حد لا كفر وذكر عاد تشبيه للقتل وحله لا للمقتول
وليس كل من حكم بقتله يحكم بكفره ويعارضه بقول خالد رضي الله عنه في الحديث
دعني أضرب عنقه يا رسول الله فقال لعله يصلي فإن احتجوا بقوله عليه السلام
يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم فأخبر أن الإيمان لم يدخل في قلوبهم
● وكذلك قوله يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ثم لا يعودون
إليه حتى يعود السهم على فوقه ● وبقوله سبق الفرث والدم يدل
على أنه لم يتعلق من الإسلام بشيء ● أجابه الآخرون أن معنى لا يجاوز
حناجرهم لا يفهمون معانيه بقلوبهم ولا تنشرح له صدورهم ولا تعمل به
جوارحهم وعارضوهم بقوله ويتمارون في الفوق وهذا يقتضي التشكك
في حاله وإن احتجوا بقول أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في هذا الحديث سمعت

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول يخرج في هذه الأمة ولم يقل من
هذه الأمة وتحرير أبي سعيد الرواية وإتقانه اللفظ أجابهم الأخرون
بأن العبارة بفي لا تقتضي تصريحاً بكونهم من غير الأمة بخلاف لفظة من
التي هي للتبعيض وكونهم من الأمة مع أنه قد روي عن أبي ذر وعلي
وأبي أمامة رضي الله تعالى عنهم وغيرهم في هذا الحديث يخرج من أمتي
وسيكون من أمتي ● وحروف المعاني مشتركة فلا تعويل على إخراجهم
من الملة بفي ولا على إدخالهم فيها بمن لكن أبا سعيد رضي الله عنه أجاد ما شاء
في التنبيه الذي نبه عليه ● وهذا مما يدل على سعة فقه الصحابة رضي الله عنهم
وتعقيقهم للمعاني واستنباطها من الألفاظ وتحريرهم لها وتوقيهم في
الرواية ● فهذه المذاهب المعروفة لأهل السنة ولغيرهم من الفرق
فيها مقالات كثيرة مضطربة سخيفة أقربها قول جهم ومحمد بن شبيب
أن الكفر بالله الجهل به لا يكفر أحد بغير ذلك ● وقال أبو الهذيل إن
كل متأول كان تأويله تشبيهاً لله بخلقه وتجويراً له في فعله وتكذيباً
لخبره فهو كافر وكل من أثبت شيئاً قديماً لا يقال له الله فهو كافر ●
وقال بعض المتكلمين إن كان ممن عرف الأصل وبنى عليه وكان فيما هو من
أوصاف الله تعالى فهو كافر وإن لم يكن من هذا الباب ففاسق إلا أن يكون ممن
لم يعرف الأصل فهو مخطئ غير كافر ● وذهب عبيد الله بن الحسن العنبري
إلى تصويب أقوال المجتهدين في أصول الدين فيما كان عرضة للتأويل ● و
فارق في ذلك فرق الأمة إذ أجمعوا سواه على أن الحق في أصول الدين
في واحد والمخطئ فيه آثم عاص فاسق وإنما الخلاف في تكفيره ●
وقد حكى القاضي أبو بكر الباقلاني مثل قول عبيد الله عن داود الأصبهاني
قال وحكى قوم عنهما أنهما قالا ذلك في كل من علم الله سبحانه من حاله
استفراغ الوسع في طلب الحق من أهل ملتنا أو من غيرهم ● وقال نحو هذا
القول الجاحظ وثمامة في أن كثيراً من العامة والنساء والبله ومقلدة
النصارى واليهود وغيرهم لا حجة لله عليهم إذ لم يكن معهم طباع يمكن

معها

معها الاستدلال ● وقد حكى نحا الغزالي قريباً من هذا المنحا في كتاب
التفرقة وقائل هذا كله كافر بالإجماع على كفر من لم يكفر أحداً من النصارى
واليهود وكل من فارق دين الإسلام أو وقف في تكفيرهم أو شك ●
قال القاضي أبو بكر لأن التوقيف والإجماع على كفرهم فمن وقف في
ذلك فقد كذب النص والتوقيف أو شك فيه والتكذيب والشك
فيه لا يقع إلا من كافر

فصل في بيان ما هو من المقالات كفر

وما يتوقف
أو يختلف فيه وما ليس بكفر اعلم أن تحقيق هذا الفصل وكشف اللبس فيه
مورده الشرع ولا مجال للعقل فيه والفصل البين في هذا أن كل مقالة
صرحت بنفي الربوبية أو الوحدانية أو عبادة أحد غير الله أو مع الله
فهي كفر كمقالة الدهرية وسائر الفرق أصحاب الاثنين من الديصانية
والمانوية وأشباههم من الصابئين والنصارى والمجوس والذين
أشركوا بعبادة الأوثان ● أو الملائكة أو الشياطين أو الشمس أو النجوم
أو النار أو أحد غير الله من مشركي العرب وأهل الهند والصين والسودان
وغيرهم ممن لا يرجع إلى كتاب ● وكذلك القرامطة وأصحاب الحلول
والتناسخ من الباطنية والطيارة من الروافض ● وكذلك من اعترف
بإلهية الله ووحدانيته ولكنه اعتقد أنه غير حي أو غير قديم أو محدث
أو مصور أو ادعى له ولداً أو صاحبة أو والداً أو أنه متولد من شيء
أو كائن عنه أو أن معه في الأزل شيئاً قديماً غيره أو أن ثم صانعاً
للعالم سواه أو مدبراً غيره فذلك كله كفر بإجماع المسلمين ●
كقول الإلهيين من الفلاسفة والمنجمين والطبائعيين ● وكذلك من ادعى
مجالسة الله أو العروج إليه ومكالمته أو حلوله في أحد الأشخاص
كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى والقرامطة ● وكذلك نقطع
على كفر من قال بقدم العالم أو بقائه أو شك في ذلك على مذهب بعض
الفلاسفة والدهرية ● أو قال بتناسخ الأرواح وانتقالها أبد الآباد
في الأشخاص وتعذيبها أو تنعمها فيها بحسب زكائها وخبثها ● وكذلك

من اعترف بالالهية والوحدانية ولكنه جحد النبوة من اصلها عموما
او نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم خصوصا او احد من الانبياء عليهم السلام
الذين نص الله عليهم بعد علمه بذلك فهو كافر بلا ريب كالبراهمة
ومعظم اليهود والاروسية من النصارى والغرابية من الروافض
الزاعمين ان عليا رضي الله عنه كان المبعوث اليه جبريل وكالمعطلة والقرامطة
والاسماعيلية والعنبرية من الرافضة وان كان بعض هؤلاء قد اشتركوا
في كفر اخر مع من قبلهم وكذلك من دان بالوحدانية وصحة النبوة
ونبوة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ولكن جوز على الانبياء الكذب
فيما اتوا به ادعى في ذلك المصلحة بزعمه او لم يدعها فهو كافر باجماع
كالمتفلسفين وبعض الباطنية والروافض وغلاة المتصوفة واصحاب
الاباحة فان هؤلاء زعموا ان ظواهر الشرع واكثر ما جاءت به الرسل
من الاخبار عما كان ويكون من امور الاخرة والحشر والقيمة والجنة و
النار ليس منها شيء على مقتضى لفظها ومفهوم خطابها وانما خاطبوا
بها الخلق على جهة المصلحة لهم اذ لم يمكنهم التصريح لقصور افهامهم
فمضمن مقالاتهم ابطال الشرايع وتعطيل الاوامر والنواهي وتكذيب
الرسل والارتياب فيما اتوا به وكذلك من اضاف الى نبينا صلى الله عليه وسلم
تعمد الكذب فيما بلغه واخبر به او شك في صدقه او سبه او قال انه لم
يبلغ او استخف به او باحد من الانبياء صلى الله على جميعهم وسلم او ازرى
عليهم او اذاهم او قتل نبيا او حاربه فهو كافر باجماع وكذلك يكفر
من ذهب مذهب بعض القدماء في ان لكل جنس من الحيوان نذيرا ونبيا
من القردة والخنازير والدواب والدود ويحتج بقوله تعالى وان من امة
الا خلا فيها نذير اذ ذاك يؤدي الى ان توصف انبياء هذه الاجناس
بصفاتهم المذمومة وفيه من الازراء على هذا المنصب المنيف ما فيه مع اجماع
المسلمين على خلافه وتكذيب قائله وكذلك نكفر من اعترف من الاصول
الصحيحة بما تقدم وبنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولكن قال كان اسود او مات

قبل

قبل ان يلتحي او ليس الذي كان بمكة والحجاز او ليس بقرشي لان وصفه
بغير صفاته المعلومة نفي له وتكذيب به وكذلك من ادعى نبوة احد مع
نبينا صلى الله عليه وسلم او بعده كالعيسوية من اليهود القائلين بتخصيص
رسالته صلى الله عليه وسلم الى العرب وكالخرمية القائلين بتواتر الرسل
وكاكثر الرافضة القائلين بمشاركة علي رضي الله عنه في الرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم
وبعده وكذلك كل امام عند هؤلاء يقوم مقامه في النبوة والحجة
وكالبزيغية والبيانية منهم القائلين بنبوة بزيغ وبيان واشباه هؤلاء
او من ادعى النبوة لنفسه او جوز اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب الى
مرتبتها كالفلاسفة وغلاة المتصوفة وكذلك من ادعى منهم انه
يوحى اليه وان لم يدع النبوة او انه يصعد الى السماء ويدخل الجنة وياكل
من ثمارها ويعانق الحور العين فهؤلاء كلهم كفار مكذبون للنبي صلى الله عليه وسلم
لانه اخبر عليه السلام انه خاتم النبيين ولا نبي بعده واخبر صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى
انه خاتم النبيين وانه ارسل كافة للناس واجمعت الامة على حمل هذا
الكلام على ظاهره وان مفهومه المراد به دون تاويل ولا تخصيص فلا شك
في كفر هؤلاء الطوايف كلها قطعا اجماعا وسمعا وكذلك وقع الاجماع
على تكفير كل من دافع نص الكتاب او خص حديثا مجمعا على نقله مقطوعا به
مجمعا على حمله على ظاهره كتكفير الخوارج بابطال الرجم ولهذا نكفر
من دان بغير ملة الاسلام من الملل او وقف فيهم او شك او صحح مذهبهم
وان اظهر مع ذلك الاسلام واعتقده واعتقد ابطال كل مذهب سواه
فهو كافر باظهاره ما اظهر من خلاف ذلك وكذلك نقطع بتكفير كل
قائل قال قولا يتوصل به الى تضليل الامة وتكفير جميع الصحابة كقول
الكميلية من الرافضة بتكفير جميع الامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم اذ لم تقدم
عليا وكفرت عليا اذ لم يتقدم ويطلب حقه في التقديم فهؤلاء قد كفروا
من وجوه لانهم ابطلوا الشريعة باسرها اذ قد انقطع نقلها ونقل القران
اذ ناقلوه كفرة على زعمهم والى هذا والله اعلم اشار مالك بقتل من كفر الصحابة

ثم كفروا من وجه آخر بسبهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على مقتضى
قولهم وزعمهم أنه عهد إلى علي رضي الله تعالى عنه وهو يعلم أنه يكفر على
قولهم لعنة الله عليهم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
وكذلك نكفر بكل فعل أجمع المسلمون على أنه لا يصدر إلا من كافر وإن
كان صاحبه مصرحا بالإسلام مع فعله ذلك الفعل كالسجود للصنم
أو للشمس والقمر والصليب والنار والسعي إلى الكنائس والبيع مع أهلها
بزيهم من شد الزنار وفحص الرؤوس فقد أجمع المسلمون أن هذا
لا يوجد إلا من كافر وأن هذه الأفعال علامة على الكفر وإن صرح
فاعلها بالإسلام وكذلك أجمع المسلمون على تكفير كل من استحل القتل
أو شرب الخمر أو الزنا مما حرم الله تعالى بعد علمه بتحريمه كأصحاب الإباحة من
القرامطة وبعض غلاة المتصوفة وكذلك يقطع بتكفير كل من
كذب وأنكر قاعدة من قواعد الشرع وما عرف يقينا بالنقل المتواتر
من فعل الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ووقع الإجماع المتصل عليه كمن
أنكر وجوب الخمس الصلوات أو عدد ركعاتها وسجداتها ويقول إنما أوجب
الله علينا في كتابه الصلاة على الجملة وكونها خمسا وعلى هذه الصفات و
الشروط لا أعلمه إذ لم يرد فيه في القرآن نص جلي والخبر به عن الرسول
خبر واحد وكذلك أجمع المسلمون على تكفير من قال من الخوارج إن
الصلاة طرفي النهار وعلى تكفير الباطنية في قولهم إن الفرائض أسماء
رجال أمروا بولايتهم والخبائث والمحارم أسماء رجال أمروا بالبراءة منهم
وقول بعض المتصوفة إن العبادة وطول المجاهدة إذا صفت
نفوسهم أفضت بهم إلى إسقاطها وإباحة كل شيء لهم ورفع عهدة
الشرائع عنهم وكذلك إن أنكر منكر مكة أو البيت أو المسجد الحرام
أو صفة الحج وقال الحج واجب في القرآن واستقبال القبلة كذلك ولكن
كونه على هذه الهيئة المتعارفة وأن تلك البقعة هي مكة والبيت
والمسجد الحرام لا أدري هل هي تلك أو غيرها ولعل الناقلين أن

النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فسرها بهذه التفاسير غلطوا أو وهموا
فهذا ومثله لا مرية في تكفيرهم إن كان ممن يظن به علم ذلك وممن
خالط المسلمين وامتدت صحبته لهم إلا أن يكون حديث عهد بالإسلام
فيقال سبيلك أن تسأل عن هذا الذي لم تعلمه بعد كافة المسلمين
فلا تجد بينهم خلافا كافة عن كافة إلى معاصر الرسول عليه السلام
أن هذه الأمور كما قيل لك وأن تلك البقعة هي مكة والبيت الذي
هو فيها هي الكعبة والقبلة التي صلى إليها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
والمسلمون وحجوا إليها وطافوا بها وأن تلك الأفعال هي صفات عبادة
الحج والمراد به وهي التي فعلها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وشرح
مراد الله تعالى بذلك وأبان حدودها فيقع لك العلم كما وقع لهم ولا ترتاب
بذلك بعد والمرتاب في ذلك والمنكر بعد البحث وصحبة المسلمين
كافر باتفاق ولا يعذر بقوله لا أدري ولا يصدق فيه بل ظاهره
التستر عن التكذيب إذ لا يمكن أنه لا يدري وأيضا فإنه إذا جوز
على جميع الأمة الوهم والغلط فيما نقلوه من ذلك وأجمعوا أنه
قول الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله وتفسير مراد الله تعالى به
أدخل الاسترابة في جميع الشريعة إذ هم الناقلون لها وللقرآن
وانحلت عرى الدين كرة ومن قال هذا كافر وكذلك من أنكر
القرآن أو حرفا منه أو غير شيئا منه أو زاد فيه كفعل الباطنية والإسماعيلية
أو زعم أنه ليس بحجة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو ليس فيه حجة ولا معجزة
كقول هشام الفوطي ومعمر الضمري أنه لا يدل على الله ولا حجة فيه
لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا يدل على ثواب ولا عقاب ولا حكم
ولا محالة في كفرهما بهذا القول وكذلك تكفيرهما بإنكارهما أن يكون
في سائر معجزات الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم له أو في خلق السموات و
الأرض دليل على الله سبحانه وتعالى لمخالفته الإجماع والنقل المتواتر عن النبي
صلى الله عليه وسلم باحتجاجه بهذا كله وتصريح القرآن به وكذلك من

أنكر شيئاً مما نص فيه القرآن بعد علمه أنه من القرآن الذي في أيدي
الناس ومصاحف المسلمين ولم يكن جاهلاً به ولا قريب عهد بالإسلام
واحتج لإنكاره إما بأنه لم يصح النقل عنده ولا بلغه العلم به
أو لتجويز الوهم على ناقليه فنكفره بالطريقين المتقدمين لأنه مكذب
للقرآن مكذب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لكنه تستر بدعواه وكذلك من أنكر الجنة أو النار أو البعث والحساب والقيمة فهو كافر
بإجماع للنص عليه وإجماع الأمة على صحة نقله متواتراً وكذلك
من اعترف بذلك ولكنه قال المراد بالجنة والنار والحشر والنشر و
الثواب والعقاب معنى غير ظاهره وإنها لذات روحانية ومعان باطنة
كقول النصارى والفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة وزعم أن
معنى القيمة الموت أو فناء محض وانتقاض هيئة الأفلاك وتحليل العالم
كقول بعض الفلاسفة وكذلك نقطع بتكفير غلاة الرافضة
في قولهم أن الأئمة أفضل من الأنبياء فأما من أنكر ما عرف بالتواتر
من الأخبار والسير والبلاد التي لا ترجع إلى إبطال شريعة ولا تفضي
إلى إنكار قاعدة من الدين كإنكار غزوة تبوك أو موتة أو وجود
أبي بكر وعمر أو قتل عثمان رضي الله عنهم وخلافة علي رضي الله عنه مما علم بالنقل
ضرورة وليس في إنكاره جحد شريعة فلا سبيل إلى تكفيره بجحد ذلك
وإنكار وقوع العلم له إذ ليس في ذلك أكثر من المباهتة كإنكار هشام
وعباد وقعة الجمل ومحاربة علي من خالفه فأما إن ضعف ذلك من أجل
تهمة الناقلين ووهم المسلمين أجمع فنكفره بذلك لسريانه إلى إبطال
الشريعة فأما من أنكر الإجماع المجرد الذي ليس طريقه النقل المتواتر
عن الشارع فأكثر المتكلمين من الفقهاء والنظار في هذا الباب قالوا بتكفير
كل من خالف الإجماع الصحيح الجامع لشروط الإجماع المتفق عليه عموماً
وحجتهم قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى الآية
وقوله صلى الله عليه وسلم من خالف الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام

من عنقه وحكوا الإجماع على تكفير من خالف الإجماع وذهب آخرون
إلى الوقوف عن القطع بتكفير من خالف الإجماع الذي يختص بنقله العلماء
وذهب آخرون إلى التوقف في تكفير من خالف الإجماع الكائن
عن نظر كتكفير النظام بإنكاره الإجماع لأنه بقوله هذا مخالف إجماع
السلف على احتجاجهم به خارق للإجماع قال القاضي أبو بكر القول
عندي أن الكفر بالله هو الجهل بوجوده والإيمان بالله هو العلم بوجوده
وأنه لا يكفر أحد بقول ولا رأي إلا أن يكون هو الجهل بالله فإن عصى
بقول أو فعل نص الله ورسوله أو أجمع المسلمون أنه لا يوجد إلا من كافر
أو يقوم دليل على ذلك فقد كفر ليس لأجل قوله أو فعله لكن لما
يقارنه من الكفر فالكفر بالله لا يكون إلا بأحد ثلاثة أمور أحدها
الجهل بالله تعالى والثاني أن يأتي فعلاً أو يقول قولاً يخبر الله ورسوله
أو يجمع المسلمون أن ذلك لا يكون إلا من كافر كالسجود للصنم والمشي
إلى الكنائس بالالتزام الزنار مع أصحابها في أعيادهم أو يكون ذلك
القول أو الفعل لا يمكن معه العلم بالله قال فهذان الضربان
وإن لم يكونا جهلاً بالله فهما علم أن فاعلهما كافر منسلخ من الإيمان
فأما من نفى صفة من صفات الله تعالى الذاتية أو جحدها مستبصراً
في ذلك كقوله ليس بعالم ولا قادر ولا مريد ولا متكلم وشبه ذلك
من صفات الكمال الواجبة له تعالى فقد نص أئمتنا على الإجماع على كفر
من نفى عنه تعالى الوصف بها وأعراه عنها وعلى هذا حمل قول سحنون
من قال ليس لله كلام فهو كافر وهو لا يكفر المتأولين كما قدمناه
فأما من جهل صفة من هذه الصفات فاختلف العلماء هاهنا
فكفره بعضهم وحكي ذلك عن أبي جعفر الطبري وغيره وقال به
أبو الحسن الأشعري مرة وذهبت طائفة إلى أن هذا لا يخرجه عن
اسم الإيمان وإليه رجع الأشعري قال لأنه لم يعتقد ذلك اعتقاداً
يقطع بصوابه ويراه ديناً وشرعاً وإنما نكفر من اعتقد أن مقاله حق

واحتج هؤلاء بحديث السوداء وأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما طلب
منها التوحيد لا غير وبحديث القائل لئن قدر الله علي وفي رواية
فيه لعلي أضل الله ثم قال فغفر الله له قالوا ولو بوحث أكثر الناس
عن الصفات وكوشفوا عنها لما وجد من يعلمها إلا الأقل وقد أجاب
الآخر عن هذا الحديث بوجوه منها أن قدر بمعنى قدر ولا يكون شكه
في القدرة على إحيائه بل في نفس البعث الذي لا يعلم إلا بشرع ولعله
لم يكن ورد عندهم به شرع يقطع عليه فيكون الشك فيه حينئذ كفرا
فأما ما لم يرد به شرع فهو من مجوزات العقول أو يكون قدر بمعنى ضيق
ويكون ما فعله بنفسه إزراء عليها وغضبا لعصيانها وقيل إنما قال
ما قاله وهو غير عاقل لكلامه ولا ضابط للفظه مما استولى عليه من
الجزع والخشية التي أذهلت لبه فلم يؤاخذ به وقيل كان هذا في
زمان الفترة وحيث ينفع مجرد التوحيد وقيل بل هذا من مجاز كلام
العرب الذي صورته الشك ومعناه التحقيق وهو يسمى تجاهل العارف
وله أمثلة في كلامهم كقوله تعالى لعله يتذكر أو يخشى وقوله وإنا
أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين فأما من أثبت الوصف ونفى
الصفة فقال أقول عالم ولكن لا علم له ومتكلم لا كلام له وهكذا في
سائر الصفات على مذهب المعتزلة فمن قال بالمآل لما يؤديه إليه
قوله ويسوقه إليه مذهبه كفره لأنه إذا نفى العلم انتفى وصف عالم
إذ لا يوصف بعالم إلا من له علم وكأنهم صرحوا عنده بما أدى إليه
قولهم وهكذا عند هذا سائر فرق أهل التأويل من المشبهة والقدرية
وغيرهم ومن لم ير أخذهم بمآل قولهم ولا ألزمهم موجب مذهبهم
لم ير إكفارهم قال لأنهم إذا وقفوا على هذا قالوا لا نقول ليس بعالم
ونحن ننتفي من القول بالمآل الذي ألزمتموه لنا ونعتقد نحن وأنتم أنه
كفر بل نقول إن قولنا لا يؤول إليه على ما أصلناه فعلى هذين المأخذين
اختلف الناس في إكفار أهل التأويل وإذا فهمته اتضح لك الموجب

لاختلاف الناس في ذلك والصواب ترك إكفارهم والإعراض عن الحتم
عليهم بالخسران وإجراء حكم الإسلام عليهم في قصاصهم ووراثاتهم
ومناكحاتهم ودياتهم والصلاة عليهم ودفنهم في مقابر المسلمين و
سائر معاملاتهم لكنهم يغلظ عليهم بوجيع الأدب وشديد الزجر
والهجر حتى يرجعوا عن بدعتهم وهذه كانت سيرة الصدر الأول
فيهم فقد كان نشأ على زمن الصحابة رضي الله عنهم وبعدهم في التابعين
من قال بهذه الأقوال من القدر ورأي الخوارج والاعتزال فما أزاحوا
لهم قبرا ولا قطعوا لأحد منهم ميراثا لكنهم هجروهم وأدبوهم بالضرب
والنفي والقتل على قدر أحوالهم لأنهم فساق ضلال عصاة أصحاب كبائر عند
المحققين وأهل السنة ممن لم يقل بكفرهم منهم خلافا لمن رأى غير
ذلك والله الموفق للصواب قال القاضي أبو بكر وأما مسائل الوعد
والوعيد والرؤية والمخلوق وخلق الأفعال وبقاء الأعراض والتولد
وشبهها من الدقائق فالمنع من إكفار المتأولين فيها أوضح إذ ليس
في الجهل بشيء منها جهل بالله تعالى ولا أجمع المسلمون على إكفار من جهل شيئا منها
وقد قدمنا في الفصل قبله من الكلام وصورة الخلاف في هذا ما أغنى
عن إعادته بحول الله

فصل هذا حكم المسلم الساب لله تعالى

وأما الذمي فروي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في ذمي تناول من
حرمة الله تعالى غير ما هو عليه من دينه وحاج فيه فخرج ابن عمر رضي الله عنهما
عليه بالسيف فطلبه فهرب وقال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوط
وابن القاسم في المبسوط وكتاب محمد وابن سحنون من شتم الله تعالى من
اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا قتل ولم يستتب قال
ابن القاسم إلا أن يسلم قال في المبسوط طوعا قال أصبغ لأن الوجه
الذي به كفروا هو دينهم وعليه عوهدوا من دعوى الصاحبة والشريك
والولد وأما غير هذا من الفرية والشتم فلم يعاهدوا عليه فهو نقض
للعهد قال ابن القاسم في كتاب محمد ومن شتم من غير أهل الأديان

الله تعالى بغير الوجه الذي ذكرنا به قتل الا ان يسلم وقال المخزومي
في المبسوطة ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم لا يقتل حتى يستتاب
مسلماً كان او كافراً فان تاب والا قتل وقال مطرف وعبد الملك
مثل قول مالك قال ابو محمد بن ابي زيد من سب الله تعالى بغير الوجه
الذي به كفر قتل الا ان يسلم وقد ذكرنا قول ابن الجلاب قبل
وذكرنا قول عبيد وابن ابي لبابة وشيوخ الاندلسيين في النصرانية
وفتياهم بقتلها لسبها بالوجه الذي كفرت به بالله تعالى والنبي صلى الله عليه وسلم
واجماعهم على ذلك وهو نحو القول الآخر فيمن سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
منهم بالوجه الذي كفر به ولا فرق في ذلك بين سب الله تعالى به وسب
نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم لانا عاهدناهم على ان لا يظهروا لنا شيئاً
من كفرهم ولا يسمعونا شيئاً من ذلك فمتى فعلوا شيئاً منه فهو نقض
لعهدهم واختلف العلماء في الذمي اذا تزندق فقال مالك ومطرف
وابن عبد الحكم واصبغ لا يقتل لانه خرج من كفر الى كفر وقال عبد
الملك بن الماجشون يقتل لانه دين لا يقر عليه احد ولا تؤخذ عليه
جزية قال ابن حبيب وما اعلم من قاله غيره **فصل هذا حكم من صرح**
بسبه تعالى واضافة ما لا يليق بجلاله والهيته فاما مفترين الكذب
عليه تبارك وتعالى بادعاء الالهية او الرسالة او النافي ان يكون الله
خالقه او ربه او قال ليس لي رب او المتكلم بما لا يعقل من ذلك في سكره
او غمرة جنونه فلا خلاف في كفر قائل ذلك ومدعيه مع سلامة عقله
كما قدمناه لكنه تقبل توبته على المشهور وتنفعه انابته وتنجيه
من القتل فيئته لكنه لا يسلم من عظيم النكال ولا يرفه عن شديد
العقاب ليكون ذلك زجراً لمثله عن قوله وله عن العودة لكفره او جهله
الا من تكرر ذلك منه وعرف استهانته بما اتى به فهو دليل على سوء
طويته وكذب توبته وصار كالزنديق الذي لا نأمن باطنه ولا نقبل
رجوعه وحكم السكران في ذلك حكم الصاحي واما المجنون والمعتوه فما

علم

علم انه قاله من ذلك في حال غمرته وذهاب ميزه بالكلية فلا نظر
فيه وما فعله من ذلك في حال ميزه وان لم يكن معه عقله وسقط
تكليفه ادب على ذلك لينزجر عنه كما يؤدب على قبائح الافعال
ويوالي ادبه على ذلك حتى ينكف عنه كما تؤدب البهيمة على سوء
الخلق حتى تراض وقد حرق علي رضي الله تعالى عنه من ادعى له
الالهية وقد قتل عبد الملك بن مروان الحارث المتنبي وصلبه وفعل
ذلك غير واحد من الخلفاء والملوك باشباههم واجمع
علماء وقتهم على صواب فعلهم والمخالف في ذلك من كفرهم كافر
واجمع فقهاء بغداد ايام المقتدر من المالكية وقاضي قضاتها
ابو عمر المالكي على قتل الحلاج وصلبه لدعواه الالهية والقول بالحلول
وقوله انا الحق مع تمسكه في الظاهر بالشريعة ولم يقبلوا
توبته وكذلك حكموا في ابن ابي الغراقيد وكان على نحو مذهب
الحلاج بعد هذا ايام الراضي وقاضي قضاة بغداد يومئذ ابو الحسين
بن ابي عمر المالكي وقال ابن عبد الحكم في المبسوط من تنبأ قتل
وقال ابو حنيفة واصحابه من جحد ان الله خالقه او ربه او قال ليس لي رب
فهو مرتد وقال ابن القاسم في كتاب ابن حبيب ومحمد في العتبية
فيمن تنبأ يستتاب اسر ذلك او اعلنه وهو كالمرتد وقاله
سحنون وغيره وقاله اشهب في يهودي تنبأ وادعى انه رسول
الينا ان كان معلناً بذلك استتيب فان تاب والا قتل وقال ابو محمد
بن ابي زيد فيمن لعن بارئه وادعى ان لسانه زل وانما اراد لعن الشيطان
يقتل بكفره ولا يقبل عذره وهذا على القول الآخر من انه لا تقبل توبته
وقال ابو الحسن القابسي في سكران قال انا الله انا الله ان
تاب ادب فان عاد الى مثل قوله طولب مطالبة الزنديق لان هذا
كفر المتلاعبين **فصل واما من تكلم** من سقط القول وسخف اللفظ
ممن لم يضبط كلامه واهمل لسانه بما يقتضي الاستخفاف بعظمة ربه

وجلالة مولاه أو تمثل في بعض الأشياء ببعض ما عظم الله خالقه
بملكوته أو نزع من الكلام لمخلوق بما لا يليق إلا في حق الخالق غير
قاصد للكفر والاستخفاف ولا عامد للإلحاد فإن تكرر هذا منه
وعرف به دل على تلاعبه بدينه واستخفافه بحرمة ربه وجهله
بعظيم عزته وكبريائه تعالى ● وهذا كفر لا مرية فيه وكذلك إن
كان ما أورده يوجب الاستخفاف والتنقص لربه تعالى ● وقد أفتى
ابن حبيب وأصبغ بن خليل من فقهاء قرطبة بقتل المعروف
بابن أخي عجب وكان خرج يوما فأخذه المطر ● فقال بدأ الخراز
يرش جلوده وكان بعض الفقهاء بها أبو زيد صاحب الثمانية و
عبد الأعلى بن وهب وأبان بن عيسى قد توقفوا عن سفك دمه و
أشاروا إلى أنه عبث من القول يكفي فيه الأدب ● وأفتى بمثله القاضي
موسى بن زياد فقال ابن حبيب دمه في عنقي أيشتم رب عبدناه
ثم لا ننتصر له إذا إنا لعبيد سوء وما نحن له بعابدين ● وبكى
ورفع المجلس إلى الأمير بها عبد الرحمن بن الحكم الأموي وكانت عجب
عمة هذا المطلوب من حظاياه ● وأعلم باختلاف الفقهاء فخرج
الإذن من عنده بالأخذ بقول ابن حبيب وصاحبه فأمر بقتله فقتل
وصلب بحضرة الفقيهين وعزل القاضي لتهمته بالمداهنة في هذه القصة
ووبخ بقية الفقهاء وسبهم ● وأما من صدرت عنه من ذلك
الهنة الواحدة والفلتة الشاردة ما لم يكن تنقصا وإزراء فيعاقب
عليه ويؤدب بقدر مقتضاها وشنعة معناها وصورة حال قائلها
وشرح سببها ومقارنها ● وقد سئل ابن القاسم رحمه الله عن
رجل نادى رجلا باسمه فقال لبيك اللهم لبيك فقال إن كان جاهلا أو
قاله على وجه سفه فلا شيء عليه ● قال القاضي أبو الفضل وشرح
قوله أنه لا قتل عليه والجاهل يزجر ويعلم والسفيه يؤدب ولو قالها
على اعتقاد إنزاله منزلة ربه لكفر هذا مقتضى قوله ● وقد أسرف

كثير من سخفاء الشعراء ومتهميهم في هذا الباب واستخفوا عظيم
هذه الحرمة فأتوا من ذلك بما ننزه كتابنا ولساننا وأقلامنا عن ذكره
ولولا أنا قصدنا نص مسائل حكيناها لما ذكرنا شيئا مما يثقل ذكره
علينا مما حكيناه في هذه الفصول ● وأما ما ورد في هذا من أهل
الجهالة وأغاليط اللسان كقول بعض الأعراب رب العباد ما لنا وما لكا
قد كنت تسقينا فما بدا لكا أنزل علينا الغيث لا أبا لكا في أشباه
لهذا من كلام الجهال ومن لم يقومه ثقاف تأديب الشريعة والعلم في هذا
الباب فقل ما يصدر إلا من جاهل يجب تعليمه وزجره والإغلاظ له
عن العودة إلى مثله ● قال أبو سليمان الخطابي وهذا تهور من القول
والله تعالى منزه عن هذه الأمور ● وقد روينا عن عون بن عبد الله
أنه قال ليعظم أحدكم ربه أن يذكر اسمه في كل شيء حتى يقول أخزى الله
الكلب وفعل به كذا وكذا ● وكان بعض من أدركنا من مشايخنا قل
ما يذكر اسم الله تعالى إلا فيما يتصل بطاعته وكان يقول للإنسان
جزيت خيرا إعظاما لاسمه تعالى أن يمتهن في غير قربة ● وحدثنا
الثقة أن الإمام أبا بكر الشاشي كان يعيب على أهل الكلام كثرة خوضهم
فيه تعالى وفي ذكر صفاته إجلالا لاسمه تعالى ● ويقول هؤلاء يتمندلون
بالله تعالى وينزل الكلام في هذا الباب تنزيله في باب ساب النبي صلى الله عليه وسلم
على الوجوه التي فصلناها والموفق الله

فصل وحكم من سب سائر أنبياء الله

وملائكته واستخف بهم أو كذبهم فيما أتوا به أو أنكرهم وجحدهم حكم
نبينا عليه السلام على مساق ما قدمناه قال الله تعالى إن الذين يكفرون بالله و
رسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله الآية ● وقال تعالى قولوا آمنا
بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم الآية إلى قوله لا نفرق بين أحد منهم
وقال تعالى كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله
● قال مالك في كتاب ابن حبيب ومحمد وقاله ابن القاسم وابن الماجشون
وابن عبد الحكم وأصبغ وسحنون فيمن شتم الأنبياء أو أحدا منهم أو تنقصه

قتل ولم يستتب ومن سبهم من أهل الذمة قتل إلا أن يسلم
وروى سحنون عن ابن القاسم من سب الأنبياء من اليهود والنصارى
بغير الوجه الذي به كفر فاضرب عنقه إلا أن يسلم وقد تقدم
الخلاف في هذا الأصل وقال القاضي بقرطبة سعيد بن سليمن
في بعض أجوبته من سب الله وملائكته قتل وقال سحنون من
شتم ملكا من الملائكة فعليه القتل وفي النوادر عن مالك فيمن
قال إن جبريل أخطأ بالوحي وإنما كان النبي علي بن أبي طالب رضي الله عنه
استتيب فإن تاب وإلا قتل ونحوه عن سحنون وهذا قول الغرابية من
الروافض سموا بذلك لقولهم كان النبي صلى الله عليه وسلم
أشبه بعلي من الغراب بالغراب وقال أبو حنيفة وأصحابه على أصلهم
من كذب بأحد من الأنبياء أو تنقص أحدا منهم أو برئ منه فهو مرتد
وقال أبو الحسن القابسي في الذي قال لآخر كأنه وجه مالك الغضبان
لو عرف أنه قصد ذم الملك قتل قال القاضي أبو الفضل رحمه الله تعالى
وهذا كله فيمن تكلم فيهم بما قلناه على جملة الملائكة والنبيين أو على
معين ممن حققنا كونه من الملائكة والنبيين ممن نص الله تعالى عليه في
كتابه أو حققنا علمه بالخبر المتواتر والمشتهر المتفق عليه بالإجماع
القاطع كجبريل وميكائيل ومالك وخزنة الجنة وجهنم والزبانية
وحملة العرش المذكورين في القرآن من الملائكة عليهم السلام المتفق
على قبول الخبر بهما فأما من لم تثبت الأخبار بتعيينه ولا وقع
الإجماع على كونه من الملائكة أو الأنبياء كهاروت وماروت في الملائكة
والخضر ولقمان وذي القرنين ومريم وآسية وخالد بن سنان المذكور
أنه نبي أهل الرس وزرادشت الذي تدعي المجوس والمؤرخون نبوته
فليس الحكم في سابهم والكافر بهم كالحكم فيمن قدمناه إذ لم تثبت لهم
تلك الحرمة ولكن يزجر من تنقصهم وآذاهم ويؤدب بقدر حال
المقول فيه منهم لا سيما من عرفت صديقيته وفضله منهم وإن لم تثبت

نبوته وأما إنكار نبوتهم أو كون الآخر من الملائكة فإن كان المتكلم في ذلك
من أهل العلم فلا حرج لاختلاف العلماء في ذلك وإن كان من عوام
الناس زجر عن الخوض في مثل هذا فإن عاد أدب إذ ليس لهم الكلام
في مثل هذا وقد كره السلف الكلام في مثل هذا مما ليس تحته عمل
لأهل العلم فكيف للعامة

فصل

وأعلم أن من استخف بالقرآن
أو المصحف أو بشيء منه أو سبهما أو جحده أو حرفا منه أو آية أو كذب
به أو بشيء منه أو كذب بشيء مما صرح به فيه من حكم أو خبر أو أثبت
ما نفاه أو نفى ما أثبته على علم منه بذلك أو شك في شيء من ذلك
فهو كافر عند أهل العلم بإجماع قال الله تعالى وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد حدثنا الفقيه
أبو الوليد هشام بن أحمد رحمه الله تعالى ثنا أبو علي ثنا ابن عبد البر قال ثنا
ابن عبد المؤمن قال ثنا أبو داسة قال ثنا أبو داود قال ثنا أحمد بن حنبل
ثنا يزيد بن هارون ثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي المعظم المكرم
صلى الله عليه وسلم قال المراء في القرآن كفر تؤول بمعنى الشك وبمعنى
الجدال وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
من جحد آية من كتاب الله تعالى من المسلمين حل ضرب عنقه وكذلك
إن جحد التوراة والإنجيل وكتب الله المنزلة أو كفر بها أو لعنها أو
سبها أو استخف بها فهو كافر وقد أجمع المسلمون أن القرآن المتلو
في جميع أقطار الأرض المكتوب في المصحف بأيدي المسلمين مما جمعه الدفتان
من أول الحمد لله رب العالمين إلى آخر قل أعوذ برب الناس أنه كلام الله
ووحيه المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأن جميع ما فيه
حق وأن من نقص منه حرفا واحدا قاصدا لذلك أو بدله بحرف آخر
مكانه أو زاد فيه حرفا مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع الإجماع
عليه وأجمع على أنه ليس من القرآن عامدا لكل هذا أنه كافر ولهذا
رأى مالك قتل من سب عائشة رضي الله عنها بالفرية لأنه خالف القرآن ومن

خالق القرآن قيل أي لأنه كذب بما فيه وقال ابن القاسم من قال
إن الله تعالى لم يكلم موسى تكليما يقتل وقاله عبد الرحمن بن مهدي
وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان ليستا من كتاب الله تضرب
عنقه إلا أن يتوب وكذلك كل من كذب بحرف منه قال وكذلك
إن شهد شاهد على من قال إن الله تعالى لم يكلم موسى تكليما وشهد آخر
عليه أنه قال إن الله تعالى لم يتخذ إبراهيم خليلا لأنهما اجتمعا على أنه كذب
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال أبو عثمان الحداد جميع من ينتحل
التوحيد متفقون أن الجحد بحرف من التنزيل كفر وكان أبو العالية
إذا قرأ عنده رجل لم يقل له ليس كما قرأت ويقول أما أنا فأقرأ كذا
فبلغ ذلك إبراهيم فقال أراه سمع أنه من كفر بحرف منه فقد كفر به
كله وقال عبد الله بن مسعود من كذب بآية من القرآن فقد كفر به
كله وقال أصبغ بن الفرج من كذب ببعض القرآن فقد كذب به كله
ومن كذب به كله فقد كفر به ومن كفر به فقد كفر بالله وقد سئل
القابسي عمن خاصم يهوديا فحلف له بالتوراة فقال له الآخر لعن الله
التوراة فشهد عليه بذلك شاهد ثم شهد آخر أنه سأله عن القضية
فقال إنما لعنت توراة اليهود فقال أبو الحسن الشاهد الواحد لا يوجب
القتل والثاني علق الأمر بصفة تحتمل التأويل إذ لعله لا يرى اليهود
متمسكين بشيء من عند الله لتبديلهم وتحريفهم ولو اتفق الشاهدان
على لعن التوراة مجردا لضاق التأويل وقد اتفق فقهاء بغداد
على استتابة ابن شنبوذ المقرئ أحد أئمة المقرئين المتصدرين بها مع ابن
مجاهد لقراءته وإقرائه بشواذ من الحروف مما ليس في المصحف وعقدوا عليه
بالرجوع عنه والتوبة منه سجلا أشهد فيه بذلك على نفسه في مجلس الوزير
أبي علي بن مقلة سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وكان فيمن أفتى عليه بذلك
أبو بكر الأبهري وغيره وأفتى أبو محمد بن أبي زيد بالأدب فيمن قال
لصبي لعن الله معلمك وما علمك وقال أردت سوء الأدب ولم أرد القرآن

قال أبو محمد وأما من لعن المصحف فإنه يقتل **فصل وسب آل بيته وأزواجه**
وأصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم حرام ملعون فاعله حدثنا القاضي الشهيد
أبو علي رحمه الله ثنا أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل العدل قالا ثنا أبو يعلى
ثنا أبو علي السنجي ثنا ابن محبوب ثنا الترمذي ثنا محمد بن يحيى ثنا
يعقوب بن إبراهيم ثنا عبيدة بن أبي رائطة عن عبد الرحمن بن زياد
عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله
في أصحابي الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم
فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني
ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فمن سبهم فعليه لعنة الله
والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال
صلى الله تعالى عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فإنه يجيء قوم في آخر الزمان
يسبون أصحابي فلا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم ولا تناكحوهم ولا تجالسوهم
وإن مرضوا فلا تعودوهم وعنه صلى الله عليه وسلم من سب أصحابي
فاضربوه وقد أعلم النبي صلى الله عليه وسلم أن سبهم وأذاهم يؤذيه
وأذى النبي صلى الله عليه وسلم حرام فقال صلى الله عليه وسلم لا تؤذوني في
أصحابي ومن آذاهم فقد آذاني وقال صلى الله عليه وسلم لا تؤذوني في
عائشة رضي الله عنها وقال صلى الله عليه وسلم في فاطمة رضي الله عنها إنها بضعة مني
يؤذيني ما آذاها وقد اختلف العلماء رحمهم الله في هذا فمشهور مذهب
مالك رحمه الله تعالى في ذلك الاجتهاد والأدب الموجع قال مالك رحمه الله
من شتم النبي صلى الله عليه وسلم قتل ومن شتم أصحابه أدب وقال أيضا
من شتم أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر أو عمر أو عثمان أو عليا
أو معاوية أو عمرو بن العاص فإن قال كانوا على ضلال وكفر قتل وإن شتمهم
بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالا شديدا وقال ابن حبيب من غلا
من الشيعة إلى بغض عثمان والبراءة منه رضي الله عنه أدب أدبا شديدا ومن

زاد إلى بعض أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فالعقوبة عليه أشد ويكرر ضربه
ويطال سجنه حتى يموت ولا يبلغ به القتل إلا في سب النبي صلى الله عليه وسلم
وقال سحنون من كفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عليا أو عثمان
أو غيرهما يوجع ضربا. وحكى أبو محمد بن أبي زيد عن سحنون من قال في
أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم إنهم كانوا على ضلالة وكفر
قتل. ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل هذا نكل النكال الشديد. وروي
عن مالك من سب أبا بكر جلد ومن سب عائشة قتل قيل له لم قال
من رماها فقد خالف القرآن. وقال ابن شعبان عنه لأن الله يقول
يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين فمن عاد لمثله فقد كفر.
وحكى أبو الحسن الصقلي أن القاضي أبا بكر بن الطيب قال إن الله تعالى
إذا ذكر في القرآن ما نسبه إليه المشركون سبح نفسه لنفسه كقوله
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه في آي كثيرة وذكر تعالى ما نسبه المنافقون
إلى عائشة رضي الله عنها فقال تعالى ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا
سبحانك سبح نفسه في تنزيهها من السوء كما سبح نفسه تعالى في تنزيهه
من السوء وهذا يشهد لقول مالك في قتل من سب عائشة رضي الله عنها.
ومعنى هذا والله أعلم أن الله لما عظم سبها كما عظم سبه وكان
سبها سبا لنبيه صلى الله عليه وسلم وقرن سب نبيه صلى الله عليه وسلم بسبه
وأذاه بأذاه تعالى وكان حكم مؤذيه تعالى القتل كان مؤذي نبيه صلى الله عليه وسلم
كذلك كما قدمناه. وشتم رجل عائشة رضي الله عنها بالكوفة فقدم إلى موسى
بن عيسى العباسي فقال من حضر هذا فقال ابن أبي ليلى أنا فجلده ثمانين
وحلق رأسه وأسلمه إلى الحجامين. وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه
نذر قطع لسان عبيد الله بن عمر إذ شتم المقداد بن الأسود فكلم في
ذلك فقال دعوني أقطع لسانه حتى لا يشتم أحد بعد أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم.
وروى أبو ذر الهروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتي بأعرابي يهجو الأنصار
فقال لولا أن له صحبة لكفيتكموه. قال مالك من انتقص أحدا من أصحاب

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم فليس له في هذا الفيء حق قد قسم الله الفيء في ثلاثة
أصناف فقال تعالى للفقراء المهاجرين الآية. ثم قال تعالى والذين تبوؤا
الدار والإيمان من قبلهم الآية وهؤلاء الأنصار. ثم قال تعالى والذين
جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان
الآية فمن تنقصهم فلا حق له في فيء المسلمين. وفي كتاب ابن شعبان
من قال في واحد منهم إنه ابن زانية وأمه مسلمة حد عند بعض أصحابنا
حدين حدا له وحدا لأمه ولا أجعله كقاذف الجماعة في كلمة لفضل هذا
على غيره. ولقوله عليه السلام من سب أصحابي فاجلدوه. قال ومن
قذف أم أحدهم وهي كافرة حد حد الفرية لأنه سب له فإن كان أحد
من ولد هذا الصحابي حيا قام بما يجب له وإلا فمن قام به من المسلمين
كان على الإمام قبول قيامه. قال وليس هذا كحقوق غير الصحابة لحرمة
هؤلاء بنبيهم صلى الله عليه وسلم لو سمعه الإمام وأشهد عليه كان ولي
القيام به. قال ومن سب غير عائشة رضي الله عنها من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم
ورضي عنهن ففيها قولان أحدهما يقتل لأنه سب النبي صلى الله عليه وسلم
بسب حليلته. والآخر أنها كسائر الصحابة رضي الله عنهم يجلد جلد
المفتري قال وبالأول أقول. وروى أبو مصعب عن مالك من انتسب
إلى بيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يضرب ضربا وجيعا ويشهر ويحبس
طويلا حتى تظهر توبته لأنه استخفاف بحق الرسول صلى الله عليه وسلم.
وأفتى أبو المطرف الشعبي فقيه مالقة في رجل أنكر تحليف امرأة بالليل
وقال لو كانت بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه ما حلفت إلا بالنهار وصوب قوله
بعض المتسمين بالفقه فقال أبو المطرف ذكر هذا لابنة أبي بكر رضي الله عنه في مثل هذا
يوجب عليه الضرب الشديد والسجن الطويل. والفقيه الذي صوب قوله
هو أحق باسم الفسق من اسم الفقيه فيتقدم إليه في ذلك ويزجر ولا
تقبل فتواه ولا شهادته وهي جرحة ثابتة فيه ويبغض في الله. وقال
أبو عمران في رجل قال لو شهد علي أبو بكر الصديق رضي الله عنه إن كان في مثل

ما لا يجوز فيه الشاهد الواحد فلا شيء عليه وإن كان أراد غير هذا فيضرب ضربا
يبلغ به حد الموت ● قال القاضي أبو الفضل رحمه الله هنا انتهى القول بنا فيما حررناه
وانتجز الغرض الذي انتحيناه واستوفي الشرط الذي شرطناه مما أرجو أن في
كل قسم منه للمريد مقنعا ● وفي كل باب منهجا إلى بغيته ومنزعا ● وقد سفرت فيه عن
نكت تستغرب وتستبدع ● وكرعت في مشارب من التحقيق ● لم يورد لها قبل
في أكثر التصانيف مشرع ● وأودعته غير ما فصل ● وددت لو وجدت من بسط الكلام
فيه مقتدى يفيدنيه ● عن كتاب أو شيخ لأكتفي بما أرويه عما أرويه ● وإلى الله جزيل
الضراعة في المنة بقبول ما منه لوجهه ● والعفو عما تخلله من تزين ● وتصنع
لغيره ● وأن يهب لنا ذلك بجميل كرمه وعفوه ● لما أودعناه من شرف مصطفاه
وأمين وحيه ● وأسهرنا به جفوننا لتتبع فضائله ● وأعملنا فيه خواطرنا من إبراز
خصائصه ووسائله ● ويحمي أعراضنا عن ناره الموقدة ● لحمايتنا كريم عرضه ●
ويجعلنا ممن لا يذاد إذا ذيد المبدل عن حوضه ● ويجعله لنا ولمن تهمم باكتتابه
واكتسابه ● سببا يصلنا بأسبابه ● وذخيرة نجدها يوم تجد كل نفس ما عملت
من خير محضرا ● نحوز بها رضاه وجزيل ثوابه ● ويخصنا بخصيصى زمرة نبينا
وجماعته ● ويحشرنا في الرعيل الأول ● وأهل الباب الأيمن من أهل شفاعته ● ونحمده
تعالى على ما هدى إليه من جمعه وألهم ● وفتح البصيرة لدرك حقائق ما أودعناه
وفهم ● ونستعيذه جل اسمه من دعاء لا يسمع ● وعلم لا ينفع ● وعمل لا يرفع ●
فهو الجواد الذي لا يخيب من أمله ● ولا ينتصر من خذله ● ولا يرد دعوة القاصدين
ولا يصلح عمل المفسدين ● وهو حسبنا ونعم الوكيل ● وصلواته على سيدنا محمد خاتم النبيين
وسيد المرسلين ● وعلى آله وصحبه أجمعين ● تم هذا الكتاب المبارك على يد
الفقير عفو الله السيد محمد بن علي غفر الله له ولوالديه ● ولمن قرأ فيه ودعا له
بالمغفرة ولجميع المسلمين أجمعين ● ووافق الفراغ منه نهار الأحد
خامس شوال لتاريخ من شهور سنة أربع وثلاثين ومائة وألف
حامدا لله تعالى على نعمه ● ومصليا على نبيه
محمد ومسلما ومحسبلا ومحوقلا
تمت

ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة

٤٢